

آية الله السيد محمد تقى الميرزا

العمل

الاسلام

الجزء الثالث



Princeton University Library



32101 067339877

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

--	--

Mudarrisi

العمل

الاسلامى

(Arab)

5160

M83

(RECAP)

1990

جزء 3

- اسم الكتاب : - العمل الاسلامي (الجزء الثالث).
- المؤلف : - سماحة آية الله السيد محمد تقي المدرسي .
- الناشر : - مكتب آية الله المدرسي .
- الطبعة : - الاولى شوال ١٤١٠ هـ
- عدد النسخ : - ٣٠٠٠ .
- الثمن : - ١٠٠٠ ريال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الميامين .
 الصحة الاسلامية المتنامية في العالم الاسلامي تتوخى ابدأ مؤامرات التحدي
 والترويض . وتحتاج الى المزيد من الخطط التي تجعلها قادرة على تجاوز كل العقبات
 التي تعترض طريقها والخطط التي تهدف احتواءها .
 ولا ريب أن إدارة الصراع في هذه الخلية الممتدة عبر العالم الاسلامي المترامي
 الأطراف لا يمكن ان تكون بمنهجية واحدة . ولا بأسلوب واحد .
 اننا بحاجة الى المزيد من النضج والبلورة ومرونة المناهج والخطط .. حتى يتسنى
 للذين يديرون دفة الصراع قادرين على إنتخاب الأطروحة الأنسب لظروفهم .
 وأما المفكرون والمنظرون فانهم مطالبون اليوم وربما اكثر من أي يوم آخر بأن يخلقوا
 افكاراً مضيئة وأساليب قيمة لكي يبلغوا بالحركة الاسلامية إلى مستوى من النضج يجعلها
 قادرة على بلوغ اهدافنا المقدسة .
 والكتاب الذي بين أيدي القراء الكرام طائفة من الأحاديث التي القيتها ضمن
 مناسبات مختلفة . مستلهمة من قيم الوحي وبصائر الرسالة معالجات للظروف الصعبة
 التي كنا نعيشها ..

وبالرغم من أنّ كثيراً من الحوادث والمتغيرات التي يتناولها الكتاب قد أصبحت جزءاً من التاريخ وقد طرأت علينا ظروف جديدة إلا أنّ الخطوط العريضة للصراع لا زالت كما هي قبل خمس سنوات مضت . وإذا تغيرت فأنما بقدر بسيط لا يخفى على القارئ الكريم ..

ونسأل الله أن يوفقنا وإياه لمعرفة الحق واتباعه انه مجيب الدعاء .

محمد تقي المدرسي

١٤٠٩ هـ

تمهيد :

تصحيح المفاهيم .. وتطوير الثقافة .. واجراء جرد متآني للمسألة الثقافية الشائعة يعتبره علماء الحضارات احد اهم الاعمدة التي تنكأ عليها الحضارة .. ذلك لان قيمة الحضارة انما تتطور وتنمو على وتد الثقافة المتطورة والحيوية التي يعتبر البعض وجود نقيضها اساس التخلف والتوقف .

اذا امنا بالفكرة المتقدمة ، فانه لا بد لنا ان نؤمن كذلك بان صواب النظرة الثقافية تجاه القضايا والاحداث ليست عملية سهلة يقوم بها كل من شاء ، بل انها عملية معقدة ، يستطيع القيام بها كل من ارتوى بثقافة القرآن .. وانتهل من معين التجارب المتراكمة .. وتشبع بروح مرنة تلاحق الاحداث ، وتتابع المتغيرات .. وتكتشف الملابس .. وتدرك المخفيات ، وهذه المواصفات لا يلقاها الا من نال حظا عظيما من ثقافة العمق وتجارب الزمن ، اذ انه لولا وجود هذه المقدمات ما كان يمكن التماشي مع الاحداث واعطاء رؤية ثاقبة لها ، باعتبار ان الاحداث التي تقع على الظاهر ليست يتيمة الجذور .. بل ان لبعضها امتدادات يطول الى سنين بل الى عقود من الزمن واكثر... وهذا ما يجعل مهمة التحليل والتطوير الثقافي اكثر تعقيدا خصوصا للمهتمين بهذه المجالات .

وتزداد النظرة الصائبة لهذه الاحداث تعقيدا ، اذا اصبحت هذه النظرة مقدمة لمسيرة متكاملة تصبح بموجبها اية فكرة داعية الى التزام سلوكي ، وليست فكرة محنطة لا ترتبط في اي وجه من الوجوه بالواقع ، اذ كما هو معلوم بان الثقافة ليست قوالب جامدة يتم تخزينها في الذهن ، بقدر ماهي التزامات عملية .. ومن هذا الفرق يمكن

ادراك الفرق بين النمط الثقافي الذي يؤمن به من تفاعلوا مع الحالة الاسلامية وشاركوا فيها .. وبين النمط الثقافي الذي يؤمن به من هم خارج الدائرة، اذ ان الاولى ثقافة تدعو الى عمل وحركة وتطوير، والثانية ثقافة تدعو الى جمود وانعزال وانطواء عن التطورات .

اذا تمت هذه المقدمة .. فاننا نبدأ باستعراض موجز للكتاب الذي تحتضنه اياديك — عزيزي القارئ — وهو العمل الاسلامي الذي تجسده خلاصة الملاحظات التي ذكرت .. وهذا الكتاب هو عبارة عن رحلة شاملة في احداث الوطن الاسلامي، دامت اكثر من ست سنوات تقريبا، رحلة تتميز بالقاء نظرة متكاملة، محاطة بالامل، مشبعة بالتطوير والابداع، مهتمة بملاحقة الثغرات وتكميل المسيرة .. بالاضافة الى ان اهم ميزة تفردت بها هذه الرحلة هي مناقشة هذه القضايا والاحداث من زوايا متعددة .. فهي من زاوية تنتقد المسيرة من الداخل سعيا وراء التطوير، وهي من زاوية اخرى تتميز بروح متفائلة لامتشائمة، وتضع الاحداث في خاناتها الصحيحة بما يخدم الصالح العام، وهي من زاوية ثالثة تعيد الحدث الى اصوله القرآنية سواء من جانب التحليل والعرض او من جانب النقد والتطوير.

ولا يخفى ان ربان هذه الرحلة هو سماحة آية الله السيد محمد تقي المدرسي الذي قاد هذه الرحلة بمزيد من العزم والتصميم، حيث كان يتابع عن كتب ماجري في الوطن الاسلامي، فتنعكس عليه على شكل الزوايا التي ذكرناها من قبل .

اما ما يخص تفصيلات هذا الكتاب، فانه ينقسم الى ثلاثة فصول :

الاول منها يتحدث عن لوازم العمل الاسلامي، والاسس التي تضعها الشريعة الغراء لهذا المشوار والتي ركز المؤلف الحديث فيها على صفات متعددة كالتوكل على الله، وارتباط التوحيد بالواقع الاجتماعي .. ثم انه يستخرج اشارات وعلامات واضحة من تعاليم الشريعة المقدسة تؤكد على بناء مجتمع مؤمن متحضري يعتمد على الفضيلة .. ولا يتعداها الى الوسائل اللتوية بأي اعتبار، ولومصلحة مؤقتة .. ذلك لان اشاعة الفضيلة هي الهدف الاسمي من الرسالة الالهية بل ومن العمل الاسلامي .

اما الفصل الثاني فان المؤلف يركز فيه على شروط البناء المستقبلي الذي يكون الاساس لبناء مجتمع مؤمن عصري يتفاعل مع تطورات الزمن الحديث دون ان يتعد

عن اهداف الشريعة .. وهو في هذا الفصل يناقش من زاوية اخرى نقاط الضعف التي تظهر في المسيرة، حتى يتسنى له بلورة مشروع متكامل الابعاد للعمل الاسلامي، يمكن له ان يظهر بصورة حسنة جذابة ومتقدمة .. ولذلك ركز على بعض الابعاد الحضارية التي غفل عنها الكثير سواء عن جهل او عن سابق اصرار وتعمد .. وفي هذا الجانب يشدد سماحته على ضرورة القيام باصلاحات منهجية سواء في الكيان الاجتماعي العام، او النظام الفكري الشائع، مستفيدة من التراث المتطور الذي خلفه الاسلام ..

ويعتبر المؤلف حجر الزاوية في هذا التطوير هو بناء نفوس حيوية متحركة، تقوم بادوار ريادية .. ترفض الجمود .. وتقرأ المستقبل بنظرة ثابتة ..

اما الفصل الثالث والآخر فان المؤلف يقوم فيه بجولة على احداث الوطن الاسلامي .. تتميز برؤية قرآنية بصيرة، مضافة الى تحليل سياسي رزين، يعكس الامل والتفاؤل، وليس اليأس والتخاذل .. وهذه الجولة يتنقل فيها سماحته من احداث الانتفاضة الباسلة في فلسطين، الى ماجرى في تونس ايام عهد بورقيبة، والى البحرين، والى العراق سواء على صعيدها الداخلي، ام على صعيد الحرب العراقية الايرانية حيث سلط الضوء على بعض المفاصل الهامة فيها .. ثم يختتم هذه الجولة بشرح لبعض مكتسبات الشعوب.

الفصل الاول :

اسس العمل الاسلامي

الولاية والسلوك

توكل ايجابي

التوحيد اساس الدين

العقل دليل التوحيد

معرفة الله اساس الدين

نهر الغفران

نحو علاقة امثل مع المجتمع

الايان والتكامل (١)

الايان والتكامل (٢)

قيادة منتصرة

قيادة واعية متطورة

عزة ايمانية

ايمان مستقر

الرسالة اولا

التعافي والتكاتف الاجتماعي

الجهاد والدين

القرآن والنهضة

الدين المنتصر

ادراك السنن

الولاية والسلوك

— بسم الله الرحمن الرحيم —

«ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين * قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين * ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون * وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وطمعوا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وطمعوا كثير منهم والله بصير بما يعملون»
صدق الله العلي العظيم

(المائدة / آية ٦٦ — ٧١)

الآية الاولى من الآيات الكرام جاءت في سياق الحديث عن ولاية الله .
هنالك تطبيق خارجي لهذه الحقيقة الكبرى التي حفلت وزخرت بها آيات الذكر جميعاً ، تلك الحقيقة هي ولاية الله على الانسان كما ولايته على الكون .
أما التطبيق الخارجي لهذه الولاية ، فهو ولاية أعلم الناس وأزهدهم في الدنيا وأشدهم رغبة في الآخرة وأسبغهم الى الاسلام وأشجعهم في الدفاع عن حرمة الدين وأقربهم الى رسول الله (ص) ، واجتمعت هذه الصفات في أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب الذي رفع النبي يده أمام الملأ في يوم (غدیر خم) حتى بان بياض أبطيها لبيّن ولايته بصورة واضحة وقال :

« من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من ولاه وأنصر من نصره وأخذل من

خذله »

ان التطبيق الخارجي لهذه الحقيقة التشريعية التي نجد أكثر الآيات القرآنية تشير اليها بشكل واضح .. هذا التطبيق كان يخشى رسول الله (ص) من الاعلان عنه ، لا خشية على نفسه ، وإنما خشيته على الدين وخوفاً من ارتداد الناس ، وأن هذه الحقيقة التي لا بد أن تتجسد في الواقع لا يحتملها الانسان العادي ، ولذا نجد الاسلوب القرآني حاداً ولعله عنيفاً حين يقول :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك »

« وهذه الآية الكريمة من سورة المائدة جاءت كآخر سورة نزلت على قلب رسولنا الاكرم محمد (ص) أي بعد ثلاث وعشرين عاماً من تبليغ الرسالة ، فهل أن الرسول خلال هذه الاعوام لم يبلغ الرسالة ؟ أم ماذا ؟

حاشا لرسول الله أن لا يبلغ الرسالة ، ولكن الذي أنزل اليه أخيراً كان في مجال تطبيق تلك الرسالة ووضع اليد على الجرح الذي يعاني منه الانسان من جانب تحديد الحاكم الذي تتجسد فيه صفات الولاية الالهية ، لان الانسان قد يؤمن بالصفات ، ولكن حين تتجسد هذه الصفات في شخص ، وتكون ولايته تنازلاً عن المصالح الذاتية والحزبية والمصالح القبلية والحدود الاقليمية وسائر العلاقات المادية .. هنا تكتسب القضية أهمية معينة وصعوبة بالغة ، ولهذا يقول ربنا عزوجل :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك »

— في شأن علي بن أبي طالب — وان لم تفعل فما بلغت رسالته أي ان تلك الرسالة التي بلغت الى الناس ، ان لم تتجسد في شخص وتتحول الى برنامج عملي محدد يكسبها الاستمرارية في المستقبل ، فانها لم تُبَلِّغْ-، لانها أصبحت مبتورة وغير متجسدة في برنامج عمل يومي وخط واقعي خارجي محدد .

ثم يؤكد ربنا مرة ثالثة على أهمية هذا الامر ، فيقول :

« والله يعصمك من الناس »

أي ان الخشية التي تعتريك يارسول الله بسبب ابتعاد الناس عن الدين أو يصيبك

من هجر الناس وهجائهم وشائعاتهم واعلامهم المضلل ، سيكفيكه الله :

« والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين »

وأولئك الذين يكفرون بنعمة الله ولا يشكرون نعمة الرسالة الالهية ، ولا يعترفون بالذي يُجسّد هذه الرسالة .. أولئك لا يهديهم الله ، وهذه الآية تحمل بين طياتها بشرى الى أتباع خط الله اذ انها تدل على أن الخط الرسالي الاصيل والنظيف هو الذي سيصبح العالي في الارض ، لان الحق يعلو ولا يعلى عليه .

الولاية .. خضوع الهي :-

ونحن نعيش في اطار أيام الغدير والمباهلة في هذا الشهر الحرام ، لا بد أن نعي المزيد من الوعي لحقيقة الولاية .. فالولاية ليست كلمة تقال ، أو شعاراً يرفع أو انتماءً لفظياً أو مذهباً قسرياً ، وإنما هي أثقل ما يوضع في ميزان العدالة الالهية ، ولانها كذلك ، لا بد أن نفهم بصورة واضحة عملية تبادل التهاني في يوم الغدير والتمني بالانتماء الى خط علي بن أبي طالب ، لان الامام علياً قد يرفضك ويقول : ان سلوكك وفكرك وعملك ومنهجك في الحياة لا يتناسب مع ما تدعيه من ولايتي ، وبعثد ماذا يفعل الانسان؟! ان مشكلة الانسان الرئيسية انه محبوب عن الحقائق في هذه الدنيا ، واذا مات انتبه ، واذا انتبه بعد الموت لا ينفعه ، لان ذلك يوم مخصص للحساب والجزاء والعاقبة وليس مخصصاً للعمل والتحرك .

ان الولاية الالهية تعني الخضوع لله والتسليم لاوامره ، وأن يعرف الانسان ربه ، وماذا يريد منه ربه ، ثم كيف يعمل وفق مرضاة ربه .. معرفة الله من أصعب الاعمال ، ثم تليها معرفة أحكام الله لتطبيقها وهذه صعبة أيضاً .. ونحن في هذه الايام ندعي ولاية علي ، رغم أن الذي يوالي علياً يجب أن يكون هو ولي الله الذي يوالي أولياء الله و يعادي أعداءه .

وبعد مرور الايام نتساءل : هل عرفنا الله ؟ وهل طبقنا ولايته على أنفسنا ؟ إننا نكرر الاذكار الشريفة كثيراً مثل : (لا إله إلا الله) ونعلم بأن من حُتِمَ له بلا إله إلا الله دخل الجنة كما يقول الرسول الاكرم ، وأن من قالها زرعت له شجرة وافرة

الظلال في الجنة الواسعة ، وهي أثقل ما يوضع في ميزان العبد المؤمن ، وأنها حصن الله الذي من دخله أمن من عذابه ، كما يقول الحديث القدسي المعروف بحديث سلسلة الذهب والمروي عن الامام الرضا (ع) ، كل ذلك نعلمه ، ولكن الذي لا نعلمه هو معنى (لا إله إلا الله) فنحن نركع ونسجد كل يوم مرات عديدة نكرر (سبحان ربي العظيم وبحمده) و(سبحان ربي الاعلى وبحمده) إلا أننا لا نتوجه الى عمق هذه الكلمة ؟ . هناك قصة تنقل عن الشيخ ابن فهد الحلي رضوان الله تعالى عليه حيث جاء اليه أحد القساوسة وقال له : كيف تثبتون سلامة طريقتكم ومنهجكم ؟ فأخذته الشيخ فذهب معه الى كنيسة من كنائسهم ، ونادي بصوت عال : (الله أكبر) واذا بالكنيسة تفتطرت وكادت تهوي الى السقوط ، ان كلمة (الله أكبر) لها معنى عميق فهل وعيناه .

فوائد ولاية الله :-

ان ولاية الله تعني الخروج من ولايتين شيطانيتين ، يصعب على الانسان الخروج

منها :-

١ - الخروج من ولاية الذات :-

كل واحد من البشر حين يولد ويصبح كبيراً ، فإنه - طبيعياً - يدخل في ولاية الذات ، ويرى أن لنفسه عليها ولاية ، ويقول أنا أملك نفسي .

وهذا الظهور الكلامي يعني وجود فكرة شيطانية غريبة ، لان الانسان اذا عمل

بمفهوم (الانا) فهو يقصد أنه هو بما فيه من خير وشر .. وبما أن ولاية الانسان هي ولاية

الذات فان الخروج منها عملية صعبة .. وأكثر الناس يخرجون لفظياً من هذه الولاية إلا

أنهم واقعاً لا يزالون يعبدون شياطين أنفسهم ، ولذلك تجد هؤلاء حينما يصلون مثلاً لا

يجدون صعوبة بالغة في الصلاة فهم لا يحاربون رغم أن الصلاة موقع حراب مع الشيطان

الماكر ، وما دام هؤلاء لم يخرجوا من ولاية ذواتهم ، فانهم لا يحاربون الشيطان ، ومن لا

يحارب في موقع الحراب لا يجد لذة الصلاة ، فتصبح كلماته وأقواله مجرد لقلقة لسان .

ان المؤمنين — حقاً — هم الذين يجدون لذة في الصلاة والمناجاة ، لانهم يعرفون مغزى هذه الكلمات ، فحين السجود يذلل نفسه ويقهرها ليخرج من طغيان نفسه ويصل الى مقام عبادة الله ، وعلى المجاهدين الثوريين أن يعرفوا خاصة ، انهم ما لم يقهروا أنفسهم ليخرجوا من ولاية الذات الى ولاية الله الحقيقية ، فان ثورتهم وجهادهم لا يعني شيئاً ، لان الذي يعتبر نفسه إلهاً ومصدراً للاوامر ومقياساً للحق ، ومحوراً للحق والباطل ، فان ولايتهم غير كاملة ، وعملهم يذهب هباءً ، وشاهدنا تلك الآية القرآنية :

« ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون »

فبنوا اسرائيل على الرغم من أن الله عزوجل أخذ الميثاق منهم وهم يعتقدون بأنهم الشعب المختار والدعاة الى الله وقادة الناس الى الجنة . على الرغم من كل ذلك ، إلا أنهم حين لم يستطيعوا الانفلات من قيد الذات أو الخروج من سجن الانانية والهوى والشهوات ، وقعوا في الفتنة العمياء :

« وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وطمعوا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وطمعوا كثير منهم والله بصير بما يعملون »

في الواقع ان الذي يريد أن يكون موالياً لعلي بن أبي طالب ، لا بد أن ينهج نهجه ويحتذي بأثره ، يمر في معركة (بدر) بأخيه عقيل يجده مغلولاً مكبلاً بالحديد والقيود ، فيغض الطرف عنه ، الامام علي كان يحب عقيلاً وهو أخوه الذي يكبر عنه بعشر سنوات ، ولكن لانه أنضم الى جيش الاعداء انتهت القرابة ، ولما رآه عقيل قال له : رأيتني وتعمدت الغض عني ، فلم يلتفت اليه الامام وأسرع الى رسول الله ليخبره بما جرى ، فقال الرسول : كفوا عن عقيل ، وأنذ أطاعه الامام في ذلك ، وفي حادثة أخرى يأتي عقيل ليطلب من بيت مال المسلمين ، فلا يعطيه علي ، لانه كان متممراً في ذات الله خارجاً عن ولايات الذات الى ولاية الرب ، شجاعاً في سبيل الله ، يقود الكتيبة الخضراء في حرب الجمل وتضم هذه الكتيبة خيرة من بقي من أنصار الرسالة ، فيهم ثلاثة عشر ممن اشتركوا في غزوة بدر ، ومائة وخمسون من خيرة أصحاب رسول الله ، ورغم أنهم الصفوة الخيرة القادة السادة ميامين الرأي إلا أن علياً يقودهم للحرب الى قلب العدو ، فيتوسل به

الاصحاب ليرجع فهو القائد الاعلى للجيش ، أمير المؤمنين ، يقبل كلامهم ويستخلف ابنه محمد بن الحنفية في القتال الميداني .. هذا هو علي الذي لا يحسب لنفسه حساباً ، أما نحن ، فاننا نعيش في حضيض الذات وولاية النفس مما يحول بيننا وبين ولاية الله .. ولهذا نرى أن الاعمال التي قام بها الامام علي خارقة ومعجزة ، على الرغم من أن هذه الاعمال في مقياس من عرف من ربه وخرج من سلطان ذاته عفوية وعادية . لهذا يجب أن نسعى في سبيل الخروج من ولاية الذات بفهم الروح الحقيقية للشعائر الالهية والاستفادة منها في هذا المجال ، وغدم جعلها تكريساً لروح (الانا) .

٢ - الخروج من ولاية الطغاة :-

ان كلمة (لا إله إلا الله) تعني السقوط لكل الانظمة الباغية والمحاور المزيفة والانتماءات المنحرفة وسائر العلاقات التي لم يشرعها الاسلام ، وبدلاً من ذلك على الجميع الائتمار بأوامر الله والانزجار عن نواهيهِ . البعض ينجح في اجتياز القضية الاولى ، فيحارب طغاة المنطقة باعتبارها غير شرعية — لان الاعتراف بشرعية حكومات الطغاة هو عين الشرك بالله عبر الدلالة التطابقية التي يقول بها المناطقة — ولكنه لا يستطيع الخروج من ولاية الاقليم والقوم والجماعة التي تعود نهاية الى ولاية الشيطان .

ان ولاية الله الحقيقية تعني أن لا ولاية غير ولاية الله عزوجل وحادثه غدیر خم هي تجسيد لهذه الحقيقة ، فرسول الله (ص) حين نصب علياً كان يعلم ما يجري بعده ، لان العاقل في ذلك اليوم الذي يعي طبيعة القوى السياسية الموجودة في المجتمع الاسلامي يعرف بأن رياح السلطة سوف تجري الى غير ما تشتهيها السفن ، لوجود مجموعة من ضعاف الايمان .. ولكن الرسول (ص) كان يهدف أساساً الى رسم خريطة اليوم بوضعه مقياساً للحكم الاسلامي ولكي ينشئ في الامة الاسلامية خطأ رسالياً واضحاً ، يجعله المسلمون أبداً ودوماً نبراساً لانظمتهم وحكوماتهم .

إن (عيد الغدير) هو أعظم عيد اسلامي .. وهذا يؤكد أهميته من جانب أنه مقياس ومنهاج لمدى قرب أو بعد أي نظام عن النظام الصحيح ومعرفة اتصالنا بالاسلام الحق أو

انفصلنا عنه .

شعوب اليوم تستصرخ حكم الاسلام :-

بعد أربعة عشر قرناً من بزوغ الاسلام ، لاتزال حقيقة الولاية غامضة .. رغم أن بعض الحقائق تعرف بسرعة ، ولكن بعض الحقائق لا تعرف وتصبح غامضة .

جاء رجل الى الامام علي سائلاً إياه : ما هو الحق الذي يشبه الباطل ؟

فقال الامام علي : « انه الموت » .

ورغم وضوح حقيقة الموت إلا أن الناس لا يصدقونه ، لان ذواتهم اشتملت على حجاب ضد هذه الحقيقة .

يشبه هذا المثل ولاية علي ومنهاج يوم الغدير ، فالروايات تؤكد والقرآن يشير الى مثل هذه الحقيقة ، إلا أن نفس الانسان تأبى ذلك ، يقول تعالى شأنه :

« وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصبوا »

بعد ألف وأربعمائة عاماً ، لاتزال البشرية تبحث عن نور ومصباح يضيئه يوم الغدير ، لان هذا العصر هو أحوج ما يكون الى حاكم كالامام علي بن أبي طالب .. وترى هذه الصرخات عبر الاخبار التي تتناقلها الوكالات العالمية :

* صرفت الولايات المتحدة الامريكية خلال العشر سنوات الماضية على اسطوها البحري تريليون دولار - (١٠٠٠) مليار - وهي اليوم تتأهب للهجوم على الشعب المسلم في ليبيا .. هذا المبلغ الهائل الذي أمرت به وزارة الدفاع الامريكية - البنتاجون - لاستعراض القوة واهانة المسلمين بالذات وإرهاب الامم في العالم .. ثم يتحدثون عن مكافحة الارهاب .. رغم انهم الارهاب بعينه .

* مليوناً طفل ماتوا في البلاد الفقيرة في عام (١٩٨٥ م) ، بسبب عدم وجود حصانة لمرض الحصبة .. الذي يكلف علاجه دولار واحد فقط .

ان ولاية الشيطان تعني المزيد من التسليح لارهاب واستضعاف المستضعفين واتساع الفجوة بين الدول الفقيرة والدول الغنية .

* في نيو يورك وحدها يوجد (٥٦٤٠٠٠) مليونيراً ، كل واحد منهم يملك فوق المليون

دولار كما أن الولايات المتحدة تحرق محاصيلها الزراعية محافظة على قيمة السعر ومقابل هذا الكل يعرف سبب المجاعة الظاهرة والمبطنه في العالم .

• سرقة الامريكين (٤٠) مليار دولار من الافواه الفقيرة في العالم ثمناً لطعامهم .
 • تفكير النظام السعودي في مساعدة العالم المتحضر بتخفيض أسعار النفط .. على الرغم من أن برميل النفط اذا نزل سعره دولار واحد ، فان دول الاوبك وحدها تخسر (٤٠٠) مليون دولار شهرياً . وبهذه المعادلة وأمثالها يتم امتصاص خيرات الدول المستضعفة والفقيرة .

• كانت أمريكا اللاتينية في عام (١٩٦٥ م) غير مُدنية بفلس واحد ، وهي في عام (١٩٨٥ م) مُدنية بـ (٣٦٠) مليار دولار أكثرها تصب في جيوب الولايات المتحدة .
 • تعرض عائلة أمريكية من كل أربع عوائل لحادثة اغتصاب أو سرقة أو هجوم مسلح .

ان ولاية الشيطان تعني المزيد من الامراض والقلق والفقر والجوع .. الى غير ذلك من تسلط الانظمة السياسية المنحرفة كنظام صدام على العراق الذي يجند كل طاقات الشعب لمحاربة الاسلام .

واذا أردنا انقاذ العالم ، فلا بد أن نغير المنهاج الاصيل لحياتنا بتغيير ولاية الشيطان الى ولاية الرحمن ، والذي يبدأ من ذواتنا وأنفسنا الى مجتمعتنا ، و ينتهي بدولنا ، ثم الى قيادة سائر العالم نحو السفينة الالهية الحققة .

توكل ايجابي

بسم الله الرحمن الرحيم

« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان أنه عدو مضل مبين * قال رب اني ظلمت نفسي فأغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين * فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين * فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ان تريد الا ان تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين * وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملائم يأترون بك ليقتلوك فأخرج إني لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين »

صدق الله العلي العظيم

(سورة القصص ١٥-١٦)

الموقف الأفضل من القرآن

حين نقرأ آيات الذكر، لا بد أن نقرأها بشكل يتصل بحياتنا العملية، لئلا نصنع فجوة بينها وبين واقعنا المعاش، سواء كانت هذه الفجوة فكرية أم عملية. ان صنفنا من الناس يقرأ القرآن، وكأنه أنزل الى أناس غيرهم، أي أن آيات الذكر

الحكيم تتحدث عن رجال مضوا في التاريخ ، وبسبب ذلك تنقطع صلته بحاضر الانسان ، وصنف آخر من الناس يقرأ القرآن ، ولكنه ينسف كل طاقاته وقدراته بادعائه ان الانسان ليس اهلاً لفهم القرآن ، فيسد ابواب المعرفة عن نفسه ، وصنف آخر من الناس يقرأ القرآن و يفهم آياته و يتدبر فيها ، الا انه يجعل بينه وبينها حجاباً مستوراً من شهواته وعاداته ومسلماته الفكرية التي يرفض التنازل عنها ومن تبريراته التي يأبى التخلص منها ، هذه اصناف القراءة الخاطئة ، بينا المؤمن المتقي يقرأ القرآن فيشبع نفسه بآياته نوراً وهدى وايماناً و ارادة وعزماً ، ويحوها الى برنامج عمل و بصائر ومناهج تسيره في تحركه .

ومفردات هذا البرنامج وهذه البصيرة التي نجدها في القرآن الحكيم والسنة النبوية المطهرة لا بد أن تتحول الى قاعدة انطلاق في حياتنا وبصيرة عمل في تحركنا .

التوكل قوة المسيرة : —

ومن ضمن هذه المفردات التي تبرز في الآيات القرآنية بصورة أو باخرى ، مفردة التوكل على الله سبحانه وتعالى ، والتي استطيع أن أقول بأن الاسلام يعتبرها منطلقاً لسائر القيم والمبادئ فهي قاعدة انطلاق وميناء جوي يخلق منه الانسان الى آفاق بعيدة ، فالتوكل على الله رأس كل خير وسبب كل فضيلة ، وهذه المنقبة هي بداية انطلاق الانسان حيث أنه حين يجد نفسه في صراع محتدم بين شهواته وعقله ، وبين عادات مجتمعه ورؤى علمه ومعرفته ، وفي هذه الحالة لا يملك الا قدرة واحدة يستطيع اذا نشبت بها تغيير المعادلة لصالحه ويحسم الصراع لجانبه ، وهذه القدرة هي قوة الله سبحانه وتعالى .

وفي حالة الصراع بين شهوات الانسان وأهوائه وبين عقل الانسان و ارادته ، ترى أن الفرد الذي يتوكل على الله بعد معرفته بأنه هو المنقذ و يستعيز به و يستجير بظل رحمته ، هذا الفرد هو الذي ينهال عليه النصر الالهي ويحيط به من كل صوب ، و يعطيه قوة لا يمكن لاية قوة بشرية أن تقابلها ، مما يعني أن التوكل على الله وقود مسيرة الأنسان .

آثار التوكل الايجابية : —

١ — اسقاط التبريرات : —

التوكل على الله في برنامج الانسان يعني اسقاط التبريرات التي يتعلل بها الانسان عند تقاعسه عن مسؤولياته ، وهذه التبريرات التي تزيد عن (٩٥٪) عند توكيل الانسان بمسؤولية ما ، وتساهم في فقدان الكثير من المكاسب التي بناها الانسان لنفسه .
أكثر هذه التبريرات نابعة من انعدام ثقة الانسان بربه والاعتقاد بأنه لا شيء ، وهذا الذي يفسر تبرير الانسان عند القاء مسؤولية ما عليه ، فيقول : من أنا ؟ وكيف اواجهه ؟ وبأية طريقة ؟ ومن يستجيب لي اذا دعوتهم ؟
كل هذه الاعذار تتلاشى حين نعرف ان النصر من عند الله لا يحيط بنا الا اذا نصرناه نحن أولاً :

« ان تنصروا الله ينصركم » .

(سورة محمد - ٧)

ونصرنا له يتسنى بالتوكل عليه ، والذي يعطينا بدوره زخماً دافعاً لاكمال مسيرة النصر .

الأنبياء قمم سامقة :-

كليم الله موسى بن عمران (ع) كان راعياً يبحث في الصحراء عن جذوة نار لاهله الذين اصابتهم ظروف صعبة كالتيه في الطريق والبرد القارس في تلك الليلة الشاتية والمشي في ظلام الليل الساكن ، اضافة الى ما كانت تعيشه زوجته من مشاق الحمل وصعوباته ، في هذه الحالة وكما كل البشر يتحير كيف يصنع ؟ فهل يسلك طريقه ؟ أم يلبث في مكانه ؟ أم ماذا يصنع ؟

نبي الله موسى (ع) في تلك الظروف القاسية ، وجد حالة الاضطرار في نفسه ، رغم ان حالة الاضطرار دائمة في نفس الانسان ، الا انه في بعض الأحيان يلمسها ويحس بها احساساً عميقاً ، وهذه الحالة راودت موسى (ع) في حين كان يعزم على الرجوع الى وطنه الذي لا يزال الطاغوت يحكمه ويسيطر عليه و يذيقه الكثير من المآسي والويلات ، خاصة بعد أن قتل منهم تلك المقتلة العظيمة التي اودت بحياة أكثر من (٢٠٠٠٠) طفلاً على حسب بعض الروايات وقد ارتكب فرعون هذه الجرائم بعد ما تنبأ بأن زوال ملكه سيكون على يد موسى (ع) ، وفي ذلك يقول الامام الصادق (ع) :

« ان فرعون لما وقف على زوال ملكه على يد موسى ، أمر باحضار الكهنة فدلّه على نسبه وأنه من بني اسرائيل ، فلم يزل يأمر اصحابه بشق بطون الحوامل من بني اسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين الف مولود ، وتعذر عليه الوصول الى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى أياه »^(١)

مع العلم ان فرعون لما ظهر موسى كان يعرفه فاتهمه بالجريمة وحكم عليه بالأعدام .
 نبي الله موسى مع حالة الاضطراب تلك ، كان يطلب جذوة من نار ، فاذا به يجد نفسه أمام شجرة فيها نور الهداية لله رب العالمين بدل جذوة النار التي تضيء له طريقه ، يقول الامام الصادق (ع) :

« كن لما لا ترجوا رجى منك لما ترجو ، فان موسى (عليه السلام) ذهب يقتبس (لأهله ناراً) فانصرف اليهم وهو نبي مرسل »^(٢)

وجاء بتلك الرسالة التغييرية التي بدلت كثيراً من التاريخ البشري حتى اصبح من أولي العزم .

ولم يصل نبي الله موسى (ع) الى هذه المرحلة من المنزلة الا بتوكله على الله عزوجل وثقته بنصره ، ومن ثم تسليم كل امر من أموره الى رب العالمين .

وهذه الحالة هي التي دفعت موسى (ع) الى تحمل المسؤولية الكبيرة للمقااة على عاتقه ، ومن أجل ذلك ينبذ التردد والخوف والضعف الذي يراود بعض العاملين في سبيل الله ، ثم يستجيب موسى لنداء الاله حين قال :

« اذهب الى فرعون أنه طغى » .

(سورة طه - ٢٤)

فلبى موسى أمر ربه وذهب الى فرعون بملايس رعاة البقر والغنم ، مع عدم وجود أية قوة تسند ظهر موسى من قبيل حزب أو نظام أو مجموعة أو حتى زاد يدفعه في سبيل العمل ، وفي هذه الحالة كما البعض يتواني عن عمله ، ويرر تقاعسه بأي تبرير ، ونبي الله موسى لو نظر بهذه النظرة كان يحق له خلق تبرير ما ليتبرأ من مسؤوليته ، فلا

(١) بحار الانوار ، جزء ١٢ ص ٤٧

(٢) بحار الانوار ، جزء ١٢ ص ٢١

أرض عنده يرتكز عليها للعمل ، كما لا يوجد سلاح وعتاد يواجه به الاعداء ، وهو يفقد في ذلك الظرف مجموعة يساعدونه في سبيل تأدية العمل وتصعيده ، ولكن موسى (ع) :

« قال ربي اني قتلت منهم نفساً فآخاف ان يقتلون » .

(سورة القصص - ٣٣)

لأن موسى كان قد وكز أحد الاقطاب فخر ميتاً ، ومع ذلك لم يقبل الله عزوجل بهذا العذر ، وعبر عن ذلك بقوله (كلا) وبهذه الآية يبين الله عزوجل للعاملين في سبيله مساوىء التبريرات وخطرها في تأخير العمل الإسلامي ، والله سبحانه وتعالى لمعرفته بتكوين النفس البشرية ومدى قدرتها على تأدية العمل ، يرفض هذه التبريرات التي يتشبت بها الانسان في سبيل الهوى والراحة والشهوات ، وما دام الله عزوجل خالق الكون ومجري الفلك ورازق العباد وفاطر الأم على الحنان الفائق لابنها وجابل الأب على الرأفة بولده وصانع المنظومة الشمسية ذي القوانين الدقيقة التي تنظم حياة البشر ، فما دام الخالق كذلك فهو أعرف بنفس الانسان منه ، لأن الله هو الذي فطره على ذلك ، فهل يستطيع الانسان - مثلاً - أن لا يتنفس ! بالطبع كلا . لأن ذلك من الله ، وكذلك القدرة على تأدية العمل من الله .

اذن فلنتوكل على الله الذي أهال علينا نعماً لا يسع جهود العالم لو تظافرت على أن تعد نعم الله سبحانه وتعالى على شخص واحد ، فلماذا لا نؤمن به ونثق بنصره ؟

وتوكل كلیم الله موسى (ع) على ربه للعمل في سبيل انقاذ بني اسرائيل من جور فرعون ، و يقول رب العزة :

« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه » .

حيث كان ذلك العصر مشحوناً بظاهرة ظلم الضعفاء من بني اسرائيل ، وخاصة من قبل العاملين في سلك السلطة ، حيث كان أحدهم ذات يوم يحتطب ، ولما انتهى من عمله أمر أحد المستضعفين من بني اسرائيل بأن ينقل له الحطب من دون أجره فرفض الاسرائيلي ، وفي ذلك الظرف كان موسى (ع) يطوف في مصره ليبحث عن مظلوم ينتصر له ويرفع ظلامته عنه ، هذه الروحية التي تنبع من تطبيق قيمة التوكل على الله عزوجل

حيث الناس نيام والمتوكلون على الله دائبون في العمل لإسعاد الناس .
 وازاء هذه الحادثة ، لم يقف موسى مكتوف اليد وانما ضرب ذلك ضربة واحدة فخر
 صريعاً على الأرض منها (وربما مات الرجل بسبب الحياة المرفهة التي كان يعيشها
 الاقباط وبسبب ابتعادهم عن الأعمال الخشنة التي تنمي الجسم) .

« فاستغائه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه » .

ثم يشير ربنا عزوجل الى العمل القبيح الذي يدفع الشيطان والانسان باتجاهه
 فيتكبر على الناس ، ويأمر غيره بعمل ما هو خاص به وبدون أجره ، ويقول ربنا في
 ذلك :

« هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين » .

ومع ذلك فان موسى كان يعتمد على الله ويتوكل عليه ، ويعلم بأن النصر منه والا
 لما قتل ذلك الانسان بكف موسى (ع) لولا قوة الله التي اجراها في كف نبيه .

التواضع عند النصر: -

كما ان نبي الله كان يعلم بأن ايمانه وتحديه للطاغوت هي قوة مستمدة من الله
 عزوجل ، ولهذا لم تصبه حالة الغرور والكبر بعد الانتصار ، وبدل ذلك تواضع لربه
 واتهم نفسه بالتقصير ، لأن المطلوب هو أكبر من ذلك وأسمى حيث قال :

« ربي اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له » .

لذلك من الواجبات الشرعية ان يستغفر الانسان ربه حين ينتصر على اعداء الرسالة
 حيث يقول جل وعلا :

« اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا * فسيح
 بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً » .

(سورة النصر)

فعند حلول النصر لا بد من الحمد والتسبيح لله ، ولكن مع الاستغفار ، لأن الانسان
 بعد أن ينتصر على أعدائه يصاب بحالة الغرور التي قد تفقده بعض مكاسب الانتصار ،
 وكذلك في آية اخرى يقول جل وعلا :

« انا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

(سورة الفتح ١-٢)

أي أنه مع وجود الفتح الا ان الاستغفار لا بد منه ، وذلك لأن الغرور والكبر اذا استبدا بالانسان فانهما يفقداه اعز ما لديه وهو التوكل على الله ، واذا فقد الانسان التوكل فانه سيتجه الى قوة النفس بزعم انها تستطيع صنع الاشياء ، والله سبحانه وتعالى — بعدئذ — ينزع منه قوة التوكل ويكله الى نفسه ، وهذه اعظم مصيبة تعوق الانسان المسلم عن العمل .

« اللهم لا تكنني الى نفسي طرفه عين ابداً » .

هذا معنى من معاني التوكل .

ومن معاني التوكل الأخرى انه يجعل الانسان ينكر كل قيمة ، في الوقت الذي يعترف بكل القيم لا تصالها برب العزة والقوة .

الحركة الاسلامية وبصيرة التوكل :-

اذا اصبحت مجاميع الحركة الاسلامية قمماً سامقة حقاً وليس لساناً ولفظاً ، في التوكل على الله والثقة بنصره ، انئذ تتفجر في ذواتهم ينابيع القدرة ، فتعادل قوة أحدهم الف رجل واكثر ، لأن قوة التوكل تدفعه لمزيد من التفكير والابداع ، مما يجعله على عتبة الطريق السليم للمسيرة الصحيحة .

كما ان التوكل على الله يعطي الحركة لاسلامية مزيداً من كشف الطاقات والقدرات والجهود المبذولة ، والتي تساهم بدورها في سد مواطن الخلل وتطوير العمل الرسالي الى ما هو أحسن .

أما اذا لم تتوكل الحركة الاسلامية على الله عزوجل فإن كل شيء ينعكس عليها سلبياً ، فأعمالها تهبط الى الحضيض ، والعقد السلبية والمشاكل تنهال عليها من كل حذب ، ومن ثم يساهم ذلك في قتل جذوة التحرك والثورة عند الثائر فيجعله جسماً بلا حراك ، بعكس الحركة الاسلامية المتوكلة فانها تتسم بالشجاعة والبطولة والثقة بالنفس وتعلمّ المجهول والمحافظة على المعلوم والاقدام في سبيل اكتشاف الجديد المفيد .

وربما يشير الله سبحانه وتعالى في قوله :

« رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » .

الى أن الانسان المؤمن عليه أن لا يدعو الله لاعطائه الرزق مجاناً ، لأن المطلوب من المؤمن الدعاء باعطائه ذراعاً قوياً وفكراً ثاقباً وتوفيقاً في العمل وحركة دائبة وبركة في الانتاج ثم يحصل على الرزق بيده وبكده ، لأن هذا يعطي الحياة للانسان ، بعكس تلك الحالة التي تجلب الموت له ، وهذه المسائل — بالطبع — انما تتحقق في المطالب الممكنة وليس في الاشياء التي يتصرف بها الله عزوجل كهطول المطر وجريان الماء .

والله سبحانه وتعالى يدعو — دوماً — الى الحركة في كل شيء سواء في الرزق أو في العمل ، وحتى الانبياء كان الله يدعوهم للعمل ، حيث أن نبي الله سليمان ملك ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، الا أنه كان يأكل خبزاً يابساً وطعاماً زاهداً ولبس لباساً خشناً من بيت المال ، ورغم انه يتهدد لله عزوجل طول ليله ، الا ان الله اوحى اليه بعدم ذلك ، وعلمه صناعة الدروع التي كانت مشهورة عند العرب حتى في زمان الرسول محمد (ص) حتى انها كانت تسمى بالدروع السليمانية .

وكل انبيائنا كانوا كذلك ، حتى ان مريم (ع) المرأة الصديقة المتحررة عملت حيث أنها كانت تهز النخل في حالة حملها لتحصل على الطعام ، مع أنه قد يحق لها التعلل بحالتها الطبيعية من صعوبة الحمل .

« وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » .

(سورة مريم — ٢٥)

وهذه طبيعة التوجيه الاسلامي الذي يسعى الى استخدام طاقات الانسان وقدراته ، للاستفادة منها وعدم جعلها بدون نتيجة .

٢ — السعي نحو التغيير الداخلي : —

حينما يتوكل ابناء الحركة الاسلامية على الله ، فانهم :

أ — يسعون للبحث عن تغيرات شخصية لاصلاح انفسهم ، وتطویر مجتمعاتهم ، فهم يسعون الى جلب الاكتفاء الذاتي لتجمعاتهم في الناحية الاقتصادية ، عبر الزهد والتقشف في سبيل ذلك ؟ ويخصصون افراداً للعمل في الساك التجاري كما كان

الرسول محمد (ص) ، وأفراداً للعمل في الناحية الزراعية كما كان الامام علي (ع) ، وكما كان أكثر الانبياء — اذ لم يكن كلهم — مزارعين (باستثناء نبي الله آدريس الذي كان خياطاً ونبي الله نوح الذي كان نجاراً) هذا اذا اعتبرنا تربية الماشية والثروة الحيوانية جزءاً من الزراعة ، وبالاكتفاء الذاتي نستطيع توفير الاستقلال لحركتنا الاسلامية العالمية ، فلا نحتاج الى ذلك الموظف أو تلك المجموعة أو هذا القريب في سبيل الحصول على شيء ما ، انما نعتمد على الله عز وجل .

ب — يسعون للبحث عن ابداعات جديدة لتطوير العمل بالنسبة للحركة الاسلامية ، والذي يزيد فكر الانسان قوة ومضاءً هو توكله على الله عز وجل مما يدفعه للبحث عن سبل جديدة للعمل .

التوكل في الحرب : —

في هذه الحالة تبدو آثار التوكل على الله بارزة ، لانها تكشف مدى توكل المحاربين على الله ، فمثلا المحاصرة الاقتصادية التي فرضها الاستعمار الغربي ضد ايران بعد انتصار الثورة دفعت الجمهورية الاسلامية أكثر من التعاون الحضاري والفني الذي كان بين دول العالم وايران قبل انتصار الثورة ، لان هذه المحاصرة فجرت في نفوس الايرانيين قوة هائلة ادت الى استقلالهم عن الاستعمار ، فهم مثلاً استطاعوا صنع موانئ لتصدير التبرول تحت الماء ، للاستغناء عن جزيرة (حرك) اذا اصيبت بشيء ، مع العلم ان الامريكيين لو أرادوا القيام بهذه العملية فانهم سينتهون منها بعد سنتين حسب الاطروحة التي قدموها لذلك ايام الشاه ، الا ان الايرانيين انتهوا من هذه العملية خلال اربعة شهور ، وكذلك عندما قصف النظام البعثي حقل نوروز طلبت ايران من بعض دول العالم المساهمة في سد هذا الحقل ، فأبدت دول العالم عجزها عن ذلك الا الولايات المتحدة الامريكية التي أبدت استعدادها لعمل ذلك ، فشرطت شروطاً مهينة لكن ايران رفضت الشروط الامريكية ، وبعد ذلك جلس عمال وليس مهندسين مع بعضهم وابتدعوا خطة لسد هذا الحقل ففعلوا ، وكذلك طبيب عراقي في ايران استطاع ان يكتشف ادوية وعقاقير طبية رخيصة ، ومستحضراتها متوفرة لمقاومة خطر الاسلحة الكيماوية ، وبعضهم استطاع صنع اسلحة كيميائية من مواد متداولة .

كل ذلك يدل على أن الفكر موجود للجميع ، الا ان استخدامه هذا الذي يؤدي الى نتيجة .

يقول الباحثون في حرب العصابات بأن الشعب الفيتنامي كان يملك اسلحة محلية اضافة الى اسلحتهم من الشرق ، فهم مثلاً دربوا النحل لمهاجمة الجنود الامريكيين ، حيث يحيط بهم النحل و يساعد الفيتناميين في الانتصار ، كما انهم اخترعوا اسلحة من القصب يرمونها على الجنود الامريكيين فيقتلونهم .

كما أن احدى المجاميع الفيتنامية كانت في الجبال ، وتريد اصدار نشرة لتثوير الشعب الفيتنامي ، ولم يكونوا يملكون حبراً لاصدارها ففكروا لاختراع حبر عبر اسلوب معين ، فتوصلوا الى ان الدخان المتطاير من اشعال الحطب والذي يتكدس في بعض الظروف عندما يضاف الى مادة الصمغ من الاشجار فيتحول حبراً باضافة بعض المواد واحدى المجموعات الفيتنامية كذلك فكرت في انشاء اذاعة ، فذهب احد افرادها لجهاز الراديو وصنع منه اذاعة ، فبدل ان يستقبل كان يرسل امواجاً صوتية .

وهكذا فان الاساليب البسيطة تتحول الى حضارة ، لان الثورة توجد في الانسان قدرة الابداع ، بينما ما يعاكس الثورة يوجد في الانسان قدرة الاستهلاك والاستجداء ، فالجاهدون في عمق النظام الصدامي يفجرون مواقع معينة في بغداد ، ينم على أن مئات الخطط المبتكرة والجديدة قد استفادوا منها لتنفيذ مآربهم ، لان نظام صدام الذي استفاد من قدرات الشرق والغرب في كيفية تطويق البلاد وضرب الشباب الثائر واخلخلة النفوس المقاومة لمواجهة المجاهدين الى وضع كثير من الحواجز الدفاعية في سبيل منع عملية استشهادية ، هذا الشاب المجاهد المتوكل على الله داخل العراق يدمر كل ما صنعه ذلك البعثي الخائن الذي استورد جميع خططه وأساليبه من الشرق والغرب ، بعكس المجاهد الذي يخلق أساليب المقاومة فيدمر مراكز العدو ، مع العلم ان النظام ينكر تلك العمليات ، الا ان هذا الانكار لا يغني من الحق شيئاً ، لأن الوجود المتنامي للحركة الاسلامية في العراق والتي تحولت من حالة الانفعال الى الفعل بدأ يزداد وينتشر للقضاء على نظام صدام الفاسد .

وتتجلى هذه الحقيقة في قدرة الانسان المتوكل على الله ، حيث يبرز التوكل على

شكل عمليات يقوم بها أبناء الحركة الاسلامية ضد الطواغيت، وغداً سيظهر التوكل على الله عند انتصار الحكومة الاسلامية بشكل الاعتماد على النفس الذي يدفع الحكم الاسلامي على الاعتماد على الانتاج في جميع المجالات وليس في مجال تصدير البترول فقط حتى لو كلفنا ذلك البدء من الصفر، لأن هذا سيصنع البركة للانسان، بعكس الاعتماد على مال الغير الذي يؤدي الى الفشل كابن التاجر الذي يخرج - دائماً - فاشلاً لأنه ورث تركة أبيه دون ان يتعب في توفير ذلك .

حالة التخلف :-

الدول الاسلامية - اليوم - تعيش حالة من اليأس والتمزق والانسحاب من الواقع، مما يجعلها مختلفة منطوية على ذاتها، فأحداث اليمن الجنوبي مشتتة بضراوة والعالم كله لم يتخذ موقفاً من هذه الاحداث اللهم إلا سلامة الاجانب دون الشعب، وكأن الدم الاوروبي محترم، في الوقت الذي يعيش اليمني في ظلام دامس وبدون كهرباء ومع تراكم جثث القتلى التي قد تجلب من الامراض، والعالم مع ذلك يسكت عن الحدث بل ويتفرج عليه .

ومن ضمن حالات التخلف ان الاتفاق في لبنان كاد أن يجري بعد أحد عشر سنة من الحرب والدمار، الا ان الامريكيين تدخلوا ودعموا الرئيس اللبناني امين الجميل وخطوطهم داخل الجيش اللبناني مما ادى الى عدم الاتفاق، لان القوى الكبرى لا تريد الحل وانما تسعى لضرب لبنان بعبءه ببعض حتى ينتهي أو يخضع لارادة الطغاة .

وأحد الاسباب المهمة في ذلك هو الاعتماد على الآخرين، لأن الدول الاسلامية اذا تمسكت ببصيرة التوكل التي هي حصن الاستقلال، فانها تستطيع بدء مسيرة جديدة في طريق الانتصار، وهذا الذي يفسر قيام ثلاثة من المسلمين الفلسطينيين بالهجوم على جندي اسرائيلي في القدس بخناجرهم، أي ان الاسلحة اذا لم تصل من الخارج فاننا سنبدأ هذه المسيرة بالحرب بالخناجر، أما أخذ السلاح من دولة تدعي انها عربية مسلمة وثورية، تشتترط مع اعطاء السلاح التبعية والذلة والمهانة والخطة الانهزامية فان ذلك لن يؤدي الى النصر، لانه مهما وجد السلاح بدون خطة شجاعة فلن يصنع شيئاً، مع العلم ان السلاح كان موجوداً في صيدا واطرافها الا ان الفلسطينيين لم يحاربوا به، وعندما

جاء الاسرائيليون اغتتموا مئات الشاحنات المحملة بالاسلحة ، بسبب الخطط الاستسلامية ، اما ذلك الفلسطيني فانه يخرج بالته البدائية من مخيمه في فلسطين ليبدأ المسيرة السليمة في العمل ضد الطغاة الصهيينة معتمداً على توكله على الله عزوجل .

التوحيد اساس الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

« وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون * وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون * ءأأخذمن دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون * أني إذأ لفي ضلال مبين * اني آمننت بربكم فاسمعون * قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين * وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين * ان كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون * يا حسارة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن » .

صدق الله العلي العظيم

(يس/٢٠-٣٠)

القرآن جلاء البصائر

ان أول وأعظم ما يهب القرآن الكريم للانسان المؤمن هو القدرة على رفع غشاوات الجهل وحجب الضلال عن قلبه ، ليتصل قلبه مباشرة بنور الحقيقة ، ذلك النور الذي يؤتیه الله القلب ليكتشف به الحقائق ويرى الاشياء كما هي ، شريطة أن لا يحتجب هذا العقل وذلك القلب عن الحقائق بغشاوات الجهل ، أو بضلالات العقد النفسية والتعصب الاحق وسائر ما يمنع الرؤية عن قلب الانسان .

ولقد فطر الانسان على فهم الحقائق ، ولو ترك وشأنه لعرف ان هذه السماء المبنية والارض المدحية إلهاً فطرهما وقدر فيهما أرزاقهما ودبر شأنهما . لكننا نرى ان أغلب الناس يشركون بالله ، لان فطرتهم الاولى قد دنست برجس الشرك وحجبت بالاهواء

والشهوات والتعصب والترابية السيئة وبخشية المجتمع وبالرغبة في المصالح غير المشروعة .

هذه الامور كلها تحجب عقل الانسان وبصيرته عن رؤية الحقائق ، لذلك فاننا نجد ان القرآن الكريم يقوم برفع هذه الحجب المتراكمة على قلب الانسان المؤمن .
 آيات القرآن تزكي القلب وتطهره ، وتنظف ما عليه من دنس الغفلة وحجب الشهوات ، وتجعل القلب نظيفاً مضيئاً يغمره نور الله فيرى به الاشياء كما هي ، ولذلك فان المؤمن لا ينظر فقط الى نور الله وانما هو ينظر بنور الله ، أي أنه ينظر الى الحقائق فيكتشفها بنور الرب ، بل انه (ليتوسم) ايضاً ، فيرى ما لا يراه الآخرون ويكتشف ما هو خارج الشهود ، أي يكتشف من الشهود الغيب الذي وراءه — بأمر الله واذنه — .

والحديث الشريف يؤكد على هذه الحقيقة فيقول — :

« اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » .

وفي الآية الكريمة جاء ايضاً :

« ان في ذلك لآيات للمتوسمين » (١) .

والمتوسمون هم الذين اذا نظروا الى سيماء الانسان اكتشفوا ما في قلبه ، واذا نظروا الى ظاهرة عرفوا أسبابها وما ستنتهي اليه هذه الظاهرة .

هذه السمة التي وهبها القرآن للانسان هي السمة التي لا بد أن ننتبه اليها . فبعض الناس حينما يقرأون القرآن لا يلتفتون الى ما ينبغي لهم أن يكتشفوه ويستفيدون منه ، لأنهم يقرأون القرآن كرسم لا معاني فيه ، ويمرون على الالفاظ فلا يتدبرون فيها . والقرآن يأمرنا بالتدبر في آياته والتفتيش عن معنى كل كلمة ولفظ فيه .

الآيات القرآنية بيان للحقائق الخارجية

ولكي نوضح الفكرة السابقة نقول أن الكلمات العربية وغير العربية ، هي الفاظ وضعت للمعاني الخارجية . فاذا قيل مثلاً (الماء) فان هذه اللفظة انما تعني ذلك السائل المعروف ، ومثلها الفاظ الرغيف ، الارض ، السماء ، ذهب ، يأتي ، قام ، كل هذه الكلمات التي نستخدمها انما هي موضوعة للحقائق الخارجية وليس للمفاهيم الذهنية

كما يقول الفلاسفة الاقدمون .

فالالفاظ تشير الى مدلولاتها مباشرة من دون مرورها على ذهن الفرد أو مرورها على المفهوم ، وهي تشبه بذلك اشارات المرور التي توضع على الطرق ، فتدل على المعاني الخارجية وعلى تلك الحقائق الموجودة خارج أذهاننا ومفاهيمنا .

وكذلك هي الفاظ القرآن ، فلقد استخدمت الفاظه في محض الحقائق ... في الحقائق التي لا تشوبها شائبة ولا يحجبها حجاب . فالقرآن حينما يحدثنا مثلاً عن الارض والكون لا يقول الكون أو الوجود ، لانه قد يتساءل البعض عن ماهية الكون والوجود ، ولكن القرآن يقول السموات والارض ..

« له ما في السموات وما في الارض وما بينهما » (٢) .

ان كلمات القرآن لا تستخدم المجردات المجهولة بالنسبة للبشر ، بل تستخدم عادة الحقائق الملموسة حتى في عالم المجردات ، وحتى حينما تريد أن تتحدث هذه الآيات عن رب العزة والعظمة تعالى عن التوصيف والتشبيه والتحديد فانها تستخدم هذه الكلمات :

« يد الله فوق أيديهم » (٣)

« الى ربها ناظرة » (٤)

« الرحمن على العرش استوى » (٥)

فهذه المصطلحات تبين الحقائق الخارجية وتجعل الانسان قريباً من تلك الحقائق ، فيرى — حينما ينظر عبر منظار القرآن — كل شيء كما هو .

ان الادباء والفلاسفة وأصحاب الفن والكتاب عادة ما يغلفون الحقائق بمفاهيمهم ، بينما القرآن يوضحها بصورة مباشرة . فالانسان حينما يتلو آيات في الذكر الحكيم فانه يعيش الوجود ويعيش حركة الظواهر المخلوقة في السموات والارض بشكل مباشر دونما

٢ — (طه / ٦)

٣ — (الفتح / ١٠)

٤ — (القيامة / ٢٤)

٥ — (طه / ٥)

حجاب .

فمثلاً عندما يهطل الغيث من السماء ينظر المؤمن الى قطرات المطر وهي تزرع الارض خصباً وبركة وخيراً ، وعندما يداعبه النسيم حاملاً اليه الاوكسجين وعبق الزهور فان قلبه يهتز كما تهتز الارض وتر بوبقطة السماء ..

« فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها » (٦)

ان القرآن الكريم يجعل الانسان يعيش الحقائق الخارجية ، بينما تعمل الثقافات الاخرى — الثقافات الوضعية — على تغليف الانسان وحجبه عن هذه الحقائق .

فالمؤمن في عالم المعرفة مثله كمثل الشخص الذي يقف عارياً تحت سيل المطر فيعيش الطبيعة ، ولكنه — أي المؤمن — يعيش الطبيعة والخليقة بعلمه ومعرفته لا بجسده العاري . بينما يوضع المثقف بالثقافات الجاهلية في سيارة مصفحة ثم تأتي به السيارة الى قاعة مغلقة فيخرج وهو لم ينظر الى المطر ولم يرا آثاره التي يتركها على الارض التي تهتز حباً بهذا الغيث الذي يكسوها ثوباً أخضراً قشيباً .

سألوا أحد الفلاسفة : ما هي النار؟ فقال : هي استقدس ما فوق الاستقدسات ! وهذه ما هي إلا كلمات مغلقة ببعض التعابير الغامضة ، لا يستطيع أن يكتشفها أحد ، ولو سعى الى كشف هذه التعابير لنسى الحقيقة نفسها ! ، في حين ان النار أو الماء هما كما نراهما . وكذلك الامر في مجال معرفة الله حيث اننا نتعرض كثيراً الى مثل هذه الحجب ، بشكل مضاعف ومكثف و يعزى سبب كثافة هذ الحجب الى ان الانسان لا يهوى معرفة الله سبحانه وتعالى وهذا بدوره يعود الى أسباب منها :

أولاً — (الشهوات والغرائز)

فلقد أودعت في قلب الانسان الشهوات والغرائز التي غرزت في طبيعته . وهذه الغرائز تخلد الانسان الى الارض وتصده عن الارتفاع الى السماء . ومن هذه الغرائز غريزة الجنس ، الأكل ، حب السيطرة والتملك ، حب التقدم على الآخرين ، الحسد والطمع وما أشبه من هذه الغرائز التي تجعل الانسان أرضياً ترابياً ، وتمنعه من السمو والانطلاق في سماء معرفة الله .

لذلك فان الانسان لا تهوى نفسه معرفة الله ، و يبقى حجاب الشهوات والغرائز حائلا بينه وبين هذه المعرفة .

ثانياً — (الثقافات الدخيلة)

للثقافات الدخيلة أيضاً غشاوة تصد الفرد عن معرفة الله .. ولكننا نلاحظ ان القرآن يريد أبدأ أن يخزق هذه الحجب والغشاوات بأجمعها .

الشرك طاعة لغير الله

يحدثنا القرآن الكريم عن قصة ذلك الرجل المؤمن الذي كان يعيش في أطراف المدينة فيصور حركته و يقول أنه جاء من مكان بعيد مسرعاً وفي حالة سعي . فالانسان المهتم بعمل ما نراه يمشي دون توقف لانه يتحرك بجهد من أجل الوصول الى هدفه . ولم يركض الرجل — مؤمن آل فرعون — بلبلوغ مقصده ، لانه لو فعل لاكتشف الاعداء مهمته ، وهكذا نجده قد عمل بسرية كاملة .

« وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يستلکم أجراً وهم مهتدون * وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون * ءأخذ من دونه آلهة .. » .

لنقف لحظة عند هذه الجملة « ءأخذ من دونه آلهة » ..

هذه الجملة تحدثنا عن قضية الشرك وهي قضية هامة وحساسة للغاية . فالانسان لو مات مشركاً لا يغفر الله له . لذلك ينبغي على الانسان أن يعرف معاني الشرك و يعرف معنى التوحيد ليكون على بينة من أمره .

ولقد كان هنالك نزر يسير من الناس يتصورون بأنهم قادرون على خلق وإيجاد الاشياء ، مثل نمرود الذي قال لابراهيم (ع) : —

« أنا أحیی وأمیت قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر»^(٧) .

فلقد وقف نمرود ساكناً مدهوشاً أمام إبراهيم (ع) لانه لم يكن يعلم بذاته انه بشر

كالاخرين .

ان مسألة الاحياء والاماتة لا يدعيها أحد إلا ادعاءً مجازياً ..
 إذاً فماذا يعني اتخاذ الآلهة ؟ ، ومن الذي يقول ان غير الله إله ؟
 ان الناس كلهم يقرون بأن الله هو خالق السموات والأرض ..
 « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » (٨) .

فليس هنالك من شك بأن الله هو الخالق ، وحتى الذين كانوا يعبدون الاصنام كانوا يقولون انما نعبدها لتقربنا الى الله زلفى ، وكذلك الذين يعبدون المخلوقات كالشمس والقمر والنجم والشجر والحجر والبقر ، جميع هؤلاء ادعوا بأن هذه الاشياء تقربهم الى الله رب السموات والأرض . فالناس عادة ما يغلقون شركهم بغلالة من التوحيد ، فيلبسون بذلك الحق بالباطل ، و يعبدون غير الله و يزعمون انهم يعبدون الله ..
 وكذلك حينما تأتي رواية الرسول (ص) لتفسر قوله تعالى :

« اتخذوا ابحارهم و رهبانهم ارباباً من دون الله » (٩) .

أوضحت تلك الرواية بأن هؤلاء الذين اتخذوا ابحارهم و رهبانهم ارباباً انما هم لم يعبدوهم بالركوع والسجود ، بل أطاعوهم عندما حرموا حلال الله وأحلوا حرامه فكانت تلك عبادة وهذه العبادة جسدها طاعتهم لغير الله وبدون اذنه .. ولذلك يقول القرآن الحكيم هنا :

« ءأخذ من دونه آلهة » .

فالآلهة هو كل ما يعبد من دون الله ، هذه الالهة المزيفة تشمل السلاطين والرهبان والمربوزان — الذي كان مكلفاً ببيت النار في الديانة المجوسية — وتعني صاحب الصنم وأولئك الذي يعبدون من دون الله بطريقه أو باخرى .. هؤلاء كلهم آلهة .

ارادة الانسان فوق المعادلات الضاغطة :

ان مشكلة البشرية التي ينبغي ان نلتفت اليها ونبتعد عنها ، وأن نقول (لا إله إلا الله) بحقيقة الايمان ، هذه المشكلة هي خضوع البشرية للمعادلات .

٨ — (ابراهيم / ١٠)

٩ — (التوبة / ٣١)

فمثلاً لو تسأل رجلاً في العراق : لماذا لا تطالب بحكم الله ؟ ، فانه سيقول : لاني أخشى محافظ المدينة ، وتذهب الى المحافظ وتسأله : لماذا أنت بدورك لا تطيع ربك ؟ ، فيقول ؛ أخشى وزير الداخلية ، وكذلك اذا سئل هذا الاخير فانه يقول : اني أخشى صداماً ، واذا سألت صدام : — لماذا لا تعبد الله ، فلعله سيقول : خشية من الروس والامريكان . أما اذا سئل ريغان فانه سيقول : أخشى أن يجردني الناس من منصبي .. الخ وهكذا نجد ان الناس يخضعون لهذه المعادلات ، كل منهم يخشى من هو فوقه وثم يخشى رقيبته ثم من هو دونه .

وفي مثل آخر على خضوع البشر للمعادلات الضاغطة ، نجد ان أحد الطواغيت حينما حضره الموت جاء اليه رجل مؤمن فسأله : كيف تجد نفسك ؟ ، قال له : أجد نفسي مقدماً على نار جهنم ، قال : إذاً تب الى الله ، فقال : أتوب الى الله ، ثم قال له الرجل المؤمن : عليك أن تعترف بأنك كنت على خطأ ..

هنا أخذت الطاغوت العزة بالاثم فقال : النار ولا العار !

أي انه لم يشأ أن يقول عنه الناس انه كان ظالماً اغتصب حق العلماء وأهل البيت (ع) ، ففضل نار جهنم على الحزبي والعارفي الدنيا وهو غافل عن ان الحزبي قرينه في الدارين والعار وصمته في كليهما .

ان أغلب الناس حينما ينحرفون عن جادة الحق لا يعترفون بخطأ طريقهم وانحراف مسلكهم ، خشية وخوفاً من كلام الناس لا من السوط ولا من قطع الرزق .

لذلك نجد ان القرآن الكريم عندما يصف المجاهدين ، و يصف حزب الله الحقيقيين فانه يقول :

« يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » (١٠)

فهم يطيعون الله و يعبدونه و يجاهدون في سبيله ولا يتأثرون أو يخشون كلام الناس ، بل ان كلمة العار غير موجودة في قاموسهم ، ورضى الله هو منتهى ما يصبون اليه .

ان كلام الناس غير مهم ، فكم سُبَّ أهل البيت (ع) وهم قدوة الصلاح ورمز الهدى ومصابيح الهداية وسفن النجاة ، لقد سبوا على منبر جدهم رسول الله (ص) ، بل

ان (١٢٠) ألف منبر في أيام الجمعة وفي صلوات الجمعة كان يلهج لسان الذين يرتقونها من وعاظ السلاطين بسبب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وأهل بيته ، وقد استمر هذا الامر لاربع وثمانين عاماً ولم ينقص من شأن أمير المؤمنين (ع) ولم يحط كل ذلك من قدره مقدار ذرة .

لقد كان أولئك المأجورون يصعدون على منبر الرسول (ص) ويسبون آل بيت الرسول (ع) والعلماء في الوقت الذي كان يجب عليهم أن يدعوا الناس الى الوحدة والتآلف والمحبة والايثار والجهاد في سبيل الله !

إذاً فعلى المؤمن ألا يتهرب من السب ، بل ليكن هروبه من غضب الله ، لان هدفه هو الله عزوجل شأنه ، وبدون ذلك فانه سيدخل في معادلة الخوف من كلام الناس والبقاء تحت رحمة الضغوط ..

أن الدنيا لاتعدل عند الله جناح بعوضة ولولا ذلك لما شرب فيها كافر شرية من الماء . ولما كانت الدنيا على هذا القدر من التفاهة والهوان ، فاذاً لن يهمننا السب والشتم والالاتهام ، ولن نهتم إلا بما أمرنا الله به وبالقيم المقدسة التي وضعها أمامنا .

سأل أحد الائمة (ع) رجلاً : لو كانت بيدك درة وقال الناس انها جوزة فهل تسقط قيمة الدرة؟ فقال الرجل : كلا يا ابن رسول الله ، فقال له الامام : إذاً لا تبالي بما يقوله الناس عنك .

وكذلك عندما استشهد أبو عبد الله الحسين (ع) في كربلاء ، طبل الجهاز الرسمي في ذلك الحين وفي مختلف أنحاء الدولة الاموية على ان الامام (ع) لم يكن ممثلاً للسلطة الشرعية وانه منافق قتل بسيف جده ، ولقد أفتى بوجوب قتله (شريح القاضي) .. ولكن هذا بأجمعه لم يغير شيئاً من الحقيقة .

ان العالم كله يتحدث عن أولئك الموجودين في لبنان الذين يسمون (بحزب الله) فيصفهم على انهم ارهابيون ومتطرفون . وصفق الجميع عندما جرت تلك المجزرة الفظيعة بحقهم في منطقة (البسطة) ، وأحسوا بارتياح شديد لعملهم القبيح هذا اعتقاداً منهم بأن هذه العملية هي انتقام لدماء بعض الرهائن الذين قيل بأنهم قتلوا على أيديهم . ولكن كل ما حدث لم يغير أيضاً شيئاً من المعادلة ..

فلا قيمة لما يتفوهون به من كلام بذيء ، ولا قيمة لصحف الدنيا ومجلاتها واذاعاتها ، القيمة الحقيقية هي في العمل الصالح وفي النية الخالصة للانسان وأما ما عدا ذلك فلا قيمة له .

التوحيد حصن المؤمن

اننا لن نكون عابدين لله سبحانه وتعالى اذا أردنا أن نخضع للمعادلات بشكل أو بآخر فنقول مثلاً ان هذا رئيس وذلك مرؤوس ، ونخشى كل من هو أعلى منا مركزاً ومنصباً . اننا ان قلنا (لا إله إلا الله) فان ذلك يعني عدم الخضوع للمعادلات وللمجتمع وللسلطة السياسية إلا اذا أمرنا الله بذلك ، ويعني عدم الخضوع للنظام الاقتصادي وللتربية الفاسدة وللاستكبار العالمي ، بل هو الخضوع المطلق لله وحده ولا شريك له . أما اذا قلنا (لا إله إلا الله) كمجرد كلمات نرددها فاننا لم نعرف معنى الاله ، أما اذا قلناها وعرفنا بأن معنى الآلهة من دون الله هم الشياطين في الشرق والغرب وسائر القوى المستبدة ، عند ذلك سيكون قولنا (لا إله إلا الله) هونفي الوهية هؤلاء والات تكال على الله وحده ، وعندها أيضاً ستتصل قلوبنا بنور الهي فنشعر أننا بلذة التوحيد وتكون هذه الكلمة هي حصن الله الذي ندخل فيه .

ففي الحديث الشريف :

« كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي » .

ان مجرد قول لا إله إلا الله بنية صادقة واخلاص عميق ، بمجرد هذا القول سيردع الله عنا قوى الشرق والغرب ، بل وكل سلطان جائر وعدو قاهر وشيطان ماكر .. وكل فكر هؤلاء ومكرهم سيتبدد لان الامور بيد الله وحده ..

« لا يعصى الله عن غلبة » .

فلا نتصور ان الله عزوجل لا يقدر على من يعصيه ، بل ان هذا العاصي لا يمكنه أن يعصي إلا بالقدرة التي منحه الله إياها للعصيان ! ، فاذ ما سلب هذه القدرة فانه سيصبح عاجزاً عن معصية ربه .

« ءأخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً » .

ولا نتصور أيضاً أن الذي تمكن من السلطة والثروة والقوة بقادر على دفع الضر عنا ..

(وليم كيسي) كان يدير أكبر قوة خفية في الأرض أجمع وهي قوة ال (C. I. A) هذه الوكالة التي تسقط الدول وتبني الحكومات وتقيم الحروب وهي التي تقف الآن وراء اندلاع الحرب الظالمة التي شنت ضد الجمهورية الاسلامية .
وليم كيسي كان رئيساً لهذه الوكالة ، ولكن الله عذبه أشد عذاب ، وذلك بأن سلط عليه خلية فاسدة في محه فسقط وانتهى .

علينا أن لا نعتقد بالوهية أحد - والعباد بالله - وألا نخضع اليه مهما كان قوياً وليكن خضوعنا لله وحده .. صحيح ان الله عزوجل قد أمرنا بتابع قيادة العلماء ، ونحن نتبعهم لانهم علماء ولان الله أمرنا بذلك ، فطاعتنا لهم لن تكون إلا في اطار طاعة الله . وكذلك مسألة الجهاد والاستشهاد يجب أن يكونا في سبيل الله ومن أجل اعلاء كلمة الله في الأرض ودفاعاً عن الدين والقيم ، هذا النوع من الجهاد والاستشهاد يجعل القلب نظيفاً ويرقى بالانسان الى مرتبة الصديقين .

الاستقلال رمز القوة

ان الجمهورية الاسلامية تعرضت وتعرض للهجمات الشرسة وللإعلام التضليلي الجاهلي الحاقد ، وذلك لانها ترفض الخضوع والانخراط ضمن المعادلات الدولية ، بل وترفض الاعتقاد بوجود قوى كبرى على الأرض تدعى أمريكا وروسيا .

فوزير خارجية الجمهورية الاسلامية حينما ذهب الى موسكو تأخرت سفرته لثمان ساعات لان الوزير المماثل له في الاتحاد السوفيتي لم يكن قد قرر استقباله في المطار ، فأخر الوزير الاسلامي سفرته حتى يتأهب الوزير المماثل ويحضر لاستقباله ، وبالفعل حضر الوزير السوفيتي لاستقبال وزير خارجية الجمهورية الاسلامية ..

لقد أصر الوزير الاسلامي سفرته ولم يقل ان هذه دولة كبرى وعظمية ، وتملك أكبر ترسانة ذرية في العالم ، وتملك في نفس الوقت أكبر عدد من الطائرات والدبابات .. الخ .

وفي هذا رمز قوة الجمهورية الاسلامية ، فرمز قوتها في العالم هو استقلالها وشعارها القائل ..

(لا شرقية ولا غربية) .

وهذا يعني ان (لا إله إلا الله) .

أما النظرة الجاهلية القائلة بأن ارتباطنا بالشرق والغرب سيجعل النعم تترى علينا ، هذه النظرية تافهة وسخيفة لان هناك دول كثيرة في افريقيا تتبع أما المعسكر الشرقي أو الغربي ، هذه الدول لا تملك حتى خبزاً للاكل !! في حين أننا نجد الجمهورية الاسلامية وبالرغم من مرور سبع سنوات على مضي الحرب وبالرغم من الحصار الاقتصادي وغير ذلك من الظروف الصعبة والمؤامرات ، نجد ان الجمهورية مليئة وعامرة بالنعم والخيرات بل وان هذه النعم في ازدياد مضطرد .

ان آخر احصائية في الدول الغربية فقط أي في أوروبا الغربية وأمريكا وكندا والدول في المعسكر الغربي فقط أنها تملك من ذخائر الطعام فقط من نوع الغلات — الحبوب — حوالي ثلاثمائة وخمس وستون مليون طن ، أي بمقدار ما يشبع أهل أفريقيا لعدة سنوات ، ولكن هذه الدول لم ولن تعطيهم بالرغم من ان بعض الدول الافريقية تتبعهم وتخضع لمعادلاتهم ، ومما يزيد الطين بلة انها تريد احراق جميع هذه الحبوب ! ويريدون صناعة الصابون من فائض الزبد الذي لديهم .

ان الاستكبار العالمي بمعسكره لن يوجد علينا بما لديه انما يريد أن يمتص خيراتها ويسلبنا كل ما لدينا ، وهم بالاضافة الى ذلك لن يستطيعوا دفع غضب الله عنا اذا حاق وحل بنا .

فتحن ان اتبعناهم لن يدفوعوا عنا زلزالا أو صاعقة أو نكبة من النكبات التي ينزلها الله علينا ويحيطنا بها . والقرآن يقول :

«عأخذ من دون آلهة ان يردن الرحمن بضرا لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون» .

الامام الهادي (ع) بين معادلات الارض وحصن السماء

لقد عاش الامام الهادي (ع) ظروفاً حالكة في فترة امامته ، حيث كان المتوكل العباسي الخليفة الطاغية متسلطاً على رقاب المسلمين . فالتوكل العباسي كان كأسلافه مولعاً بسفك الدماء ، وجاء بالاتراك الى بلاده أي مجموعة من المرتزقة للمحافظة على سلطانه ، وقد أدخل البلاد الاسلامية في حكم الاتراك لمدة طويلة ، وكذلك أمر بهدم

مرقد أبي عبد الله (ع) وأجرى عليه الماء ليمحو معالمه كيلا يزوره شيعة أهل البيت (ع) .
ومن المفارقات ان كان للامام الهادي (ع) لقب (المتوكل بالله) من ضمن القابه ،
ولكن الامام كان يأمر شيعته بالألا يدعو بهذا اللقب . ولقد تعرض الامام الهادي (ع)
كسائر الائمة المعصومين (ع) لنفس الضغوط ، ولكنه لم يرضخ لها .

وفي مرة من المرات استدعى المتوكل العباسي الامام الهادي (ع) ليقتله ، وأمر
جلاوزته باحضاره ، وأمر حراسه من الاتراك أن يصطفوا على طرفي ممر القصر حتى اذا
دخل الامام (ع) هجموا عليه وقطعوه بسيوفهم ارباً ارباً .

يقول الرواي : رأيت الامام وقد أتى وشفتيه المباركتين تتحركان (لقد اعتصم
الامام بالله وسأله العصمة وخرج من معادلات أهل الأرض ودخل في حصن الله
الحصين ، حصن التوحيد) .

أما الحراس فقد أخذتهم هيبة الامام وكادت السيوف أن تسقط من أيديهم وأما
المتوكل العباسي فانه بمجرد رؤيته للامام (ع) قادماً عليه وعليه وقار الانبياء خف
لاستقباله وقبله وأكرمه وقال : ما الذي جاء بك يا ابن عمي في هذا الوقت .. — ولعلها
كانت ساعة متأخرة من الليل — فأجابه الامام (ع) : أن رسولك هو الذي أحضرني ،
فقال المتوكل : انه لكاذب وأمر حراسه ان يوصلوا الامام الى بيته سالماً !!

وفي رواية أخرى يدخل على الامام أحد شيعته وقد سجن لدى المتوكل العباسي ،
وهو حاجب المتوكل الذي اختلفت الروايات على كونه موالياً لاهل البيت (ع) أم غير
موال ، وكان اسمه (قراري) ، يقول : دخلت على الامام — وكان المتوكل قد أمر
حاجبه بقتل الامام — فرأيته جالساً على حصير وأمامه قبر محفور — لانه عندما كانوا
يريدون قتل شخص كانوا يحفرون قبره سلفاً ثم يجلسونه على حافة القبر ويضربون عنقه
ثم يدفنوه في نفس الموقع — ثم يتابع فيقول : أخذت أبكي ، فسألني الامام (ع) : مم
بكاؤك ، قال : أرى أمامي سيدي جالساً عند قبر محفور أمر بقطع رأسه فكيف لا أبكي
قال الامام : لا عليك انهم لا يقدرون على ذلك .. وأخذ يتلو بعض الادعية .. ثم
خرجت من حضرته (وبالفعل) بعد يوم أو يومين قتل المتوكل العباسي ، قتله ابنه
وقيادات جيشه في أول عملية انقلابية عسكرية في التاريخ .

هكذا اذا عاشوا أئمتنا ، عاشوا ضمن المعادلات الصعبة ولكنهم رفضوا الخضوع والتسليم لها وبقوا في حصن الله فأيدهم الله بنصره .

العقل دليل التوحيد

— بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون * وله من في السموات والارض كل له قانتون * هو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم * ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون * بل أتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين * فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين اليه وأتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين » .

— صدق الله العلي العظيم —

(سورة الروم الآيات : ٢٥ — ٣١)

(١)

العقل مستودع الآيات الالهية

من أبرز خصائص الانسان العقل .

ومن أعظم مميزات العقل، الانتقال من الحقائق المشهودة الى الحقائق المعنوية، من المسائل الجزئية الى الحقائق العامة، من الامثلة الواقعية الى السنن الالهية، ومن الظواهر المعروفة الى القوانين العامة الغير معروفة .

وعندما يفقد الانسان امتياز الانتقال مما يراه الى ما يفعله، ومما يبصره الى ما

يستبصره .. فانه هو والحيوان سواء .

ومن أعظم ظواهر هذه الحقيقة الكبرى ، ان الانسان حين يتأمل الكون بما فيه من آثار رحمة الله وقدرته وعظمته ، وينتقل الى معرفة ربه ، فانه ممن (يعقل) أي يحافظ على المعلومات ، ويستثمر المبصرات ، ويستفيد من الحقائق التي يراها . أما اذا لم يتأمل الكون ، ولم يصل الى حقيقة معرفة ربه ، فانه ممن (لايعقل) ، بسبب جموده عند الظاهر ، إذ أنه :

* يرى جريان الشمس لمستقرها ، ولا يعرف ان ذلك من تقدير العزيز العليم .

* ويشاهد الودق يخرج من جبال السحب ، ويتدفق كالغيث على الارض الجرداء ، ليحوها الى جنة خضراء ، ولكن لا يبصر ان هذا من رحمة الله .

* ويحس ان الانسان ينام في الليل ، ويصبح كالميت ، إذ النوم أخ للموت ، واليقظة من النوم كالبعث من بعد الممات ، ولكنه لا يكتشف — من وراء تحوله من المنام الى اليقظة أو العسك — قدرة الله ، ولا يبصر أصابع الغيب في ذلك .

ربنا تعالى شأنه بعد أن يبين في سورة الروم طائفة من آياته التي جعلها دليلاً عليه ، وسبباً لمعرفته ، ووسيلة للتقرب اليه ، يقول : —

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » .

نبينها بوضوح وتفصيل ، للذين (يعقلون) ، بينما لو ضرب القرآن الحكيم ، أبرز أمثلة الكون وأروعها ، وضمن السياق القرآني معاني الهداية في كل فقراته ، فان الانسان غير «العاقل» لن يستفيد منها .

ولوفتشنا عن معنى «يعقلون» في الآيات الكريمة المتقدمة ، وفي باقي الآيات القرآنية ، لعرفنا ان العقل هو المحافظة على شيء ينطلق باندفاع ، ولهذا يقال لمن يحافظ على الماء المتدفق من علو (أنه قد عقله) ، وللبعير المنطلق في الصحراء ، اذا مسكه أحد (أنه عقله) أي حفظه ، وهذا يسمى عقلاً ، وكذلك العلم الذي لا يستقر في مخ الانسان لكونه يأتي بخطفة سريعة كالضوء ، ولهذا يحتاج الانسان الى مزيد من النشاط والحركة وقوة الارادة والحزم حتى يعقل العلم ، ويحفظه في قلبه من التبدد والتلاشي ، يقول تعالى : —

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » .

أي يحفظون الآيات من الضياع، الحفظ بمعناه الكامل لا الظاهري فقط .
 ففي مرة رأيت رجلاً حفظ أكثر من ثلث القرآن، وقلت له ان القرآن لعن
 الكاذبين، قال : — لم أسمع هكذا آية فقرأت عليه الآية، فتعجب .. خلاصة القول ان
 السماع يختلف عن الاتباع، ويؤكد الامام علي (ع) على مفهوم الدراية بقوله : —
 « حديث واحد تدريبه خير من ألف حديث ترويه »
 إذ الرواية من اللسان الى الاذن، بينما الدراية من القلب الى القلب .

(٢)

هل العقل في إجازة؟

هناك حقائق كثيرة يغفل عنها الانسان، وأكثرها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدور العقل في
 الحياة .. من ضمنها : —

١ — ربط الحوادث ببعضها : —

إن من يرى ضوءاً منبعثاً من أنوار الاضاءة .. دون أن يعرف ما وراء هذا الضوء المنبعث
 من ماكنة تولد الكهرباء .. فان في عقله خللاً . إذ لا بد من ربط الظاهر الحاضر بالخفي
 الباطن .

وكذلك بالنسبة الى جزئيات الشريعة وكتلياتها، إذ أن أكثر الآيات القرآنية تحدثنا
 عن الخطوط العريضة للشريعة، حسب التعبير الفقهي (الاصول العامة)، وحسب التعبير
 القرآني (الهدى)، إلا أن قليلاً من آيات الذكر الحكيم — حوالي سبعمئة آية — تحدثنا
 عن تفاصيل الشريعة المقدسة وجزئياتها .. ولهذا نرى (التوحيد، الشرك، التوبة، خالق
 السماوات والارض) بمختلف المسميات، بينما لانجد آية واحدة تبين عدد ركعات
 الصلاة أو تفاصيل الصوم أو تخصيصات الحج أو دقائق الجهاد والاحوال الشخصية ..
 لماذا ذلك؟

لان المهم، أن يعي الانسان الهدف العام أولاً، وبعدئذ تتكفل السنة الشريفة
 والاحاديث المروية عن الائمة المعصومين عليهم السلام بشرح الجزئيات وتوضيحها،
 ومع ذلك ألقى الائمة — أيضاً — مجموعة من الاصول العامة، وتركوا أمر تفريعها

وتطبيقها على الحياة الى الفقهاء المراجع من بعدهم ، وهذا هو سر مرونة الاسلام وقدرة أحكامه الشريفة على التطبيق في كل عصر ومصر ، ومع مختلف الظروف ، لانها تحدث العقل ، الذي يكيف بدوره القوانين العامة حسب الشروط الموضوعية والجزئية .
إذن استيعاب الكليات ومعرفة الاصول هو الأهم ، حتى يعرف الانسان حدود الشرك ، وطرق الابتعاد عنه .. أما التفاصيل فانها موجودة في السنة الشريفة ، أو في عقل الانسان المهتدي بالسنة ، وهو عقل الفقيه العادل .

٢ - تكاملية الاحكام :-

لنضرب مثلاً :

أ - آيات القرآن تأمرنا باقامة الصلاة .

« أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان

مشهوداً » (٧٨- الاسراء) .

الآية الكريمة المتقدمة على الحديث تأمر باقامة الصلاة إنابة الى الله .

« واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين » .

لم تأت اقامة الصلاة منفصلة عن سائر الآيات القرآنية ، بل جاءت في اطار سائر آيات الذكر الحكيم ، إذ أن كثيراً من الآيات أمرت بالتوبة الى الله والتقرب اليه ، والصلاة هي الطريق والوسيلة الى هذا التقرب .. فأيات تأمر بالتقرب الى الله .. وأخرى تأمر بالصلاة ، باعتبارها وسيلة ذلك التقرب ، وهكذا آيات تأمر بالتوبة .. وأخرى تأمر بالصلاة ، لان الصلاة كما أكد عليها الرسول الاكرم (ص) حينما سأله أبوذر عنها :-

« خير موضوع ، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر »

* « الصلاة قربان كل تقي »

فالصلاة ترفع المتقي زلفى الى الله .

إذن علاقة الصلاة بالانابة ، هي علاقة السبب بالمسبب ، والوسيلة بالهدف ،

والطريق بالغاية ، ولهذا تجد الآية القرآنية تقول :-

« منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة » .

الانابة الى الله عبر التقوى .

والتقوى تتحصل بالصلاة .

ب — الحج فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ماهو السبب ؟

لان هناك أهدافاً رسالية الهية تحققها فريضة الحج ، منها صحة الانسان ، وسلامة الاقتصاد ، ووحدة الامة .

ج — آيات القرآن ، تهدف الى تنمية الثروة ، والعيش المبارك والكريم في الدنيا .

وفريضة الزكاة هي وسيلة ذلك الهدف .

إن من أخطر ما بتليت به أمتنا الاسلامية ، تجزئة الاحكام عن بعضها ، وعدم عرض الاحكام وفهمها بصورة متكاملة ، فمثلا :

• يصلون ، لكن لا يعرفون علاقة الصلاة بالنهي عن الفحشاء والمنكر .

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٥٥ - العنكبوت) .

ولا يعرف علاقة الصلاة باجتماع المؤمنين .. مع العلم ان الصلاة جامعة أي تجمع الامة .

• ويحجون ، دون أن يعرفوا علاقة الحج بالوحدة .

• و يزكون ، دون أن يربطوا بين الزكاة وبين تنمية الثروة وتوزيعها العادل .

والاهم من ذلك ان آيات القرآن الحكيم المتحدثة عن التوحيد والشرك فصلت تماماً عن الحياة السياسية في الامة ، على الرغم من أن هذه الآيات تمثل الاطار العام لحياة الانسان في الدنيا ، بل في كل جوانب حياته .

٣ — التفصيل .. وظيفة العقل : —

إذا أمرنا الله بتحقيق هدف استراتيجي أو قيمة الهية وغاية مقدسة ، ذلك يعني أن

نبحث عن تحقيق هذا الهدف بالوسائل التي أمرنا الله بها ، أو بوسائل أخرى .

مثلا أمرك صاحب أرض ، أن تبني له بيتاً ، ووضع كامل المواد البنائية تحت

تصرفك .. ماذا يكون واجبك ؟

١ — تستخدم المواد البنائية بصورة تؤدي الى بناء بيت .

٢ — صحيح انه قد طلب منك بيتاً ، ولكن هل تبني له بيتاً دون أبواب ومنافذ ؟

بالطبع كلا ، لانك في التعاليم التفصيلية لابد أن تسترشد بعقلك .

(٣)

التوحيد أساس الانطلاق

لقد أمرنا الله تعالى شأنه في الآيات المتقدّمات بالاستقامة على التوحيد ، فكيف

يمكن ذلك ؟

ان المحافظة على التوحيد ، تقتضي من الانسان أن يكون موحداً ، لا يتطرف يميناً أو يسرة ، وهذه مهمة صعبة ، لان الانسان يحمل أعظم ما يحمل زاداً الى الآخرة هو توحيد الله

عز وجل ، أما لو ذهب مشركاً ، فلا ضير انه ذاهب الى الجحيم ، بنص الآية الكريمة : —

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٤٨ — النساء) .

أي ان الله عز وجل لا يغفر ذنب الشرك ، كما لا يغفر سائر ذنوبه ، بينما يغفر الله

للمؤمنين فقط .

إذن التوحيد هو المنقذ .. وهذا ما يثبته حديث السلسلة الذهبية عن الرسول الاكرم

انه قال : —

« كلمة لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي »

ويقول الرسول الاكرم : —

« من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »

فقال له أبو ذر : — وإن زنا ، وإن سرق ، فقال الرسول الاكرم : —

وإن زنا ، وإن سرق ، بشرط أن تحتّم حياته بكلمة التوحيد .

من هذا الحديث الشريف نتساءل : —

هل من السهل ، أن تحتّم حياة الانسان بكلمة التوحيد ؟

إن كثيراً من الناس يقولون (لا إله إلا الله) ، في الوقت الذي يخضعون فيه عملياً

للطاغوت .. هذه الكلمة سوف تكون حجة دامغة على من يقوها ، كونها تنافي عبادة

الطاغوت والاصنام البشرية ، إذ كيف يجوز قول هذه الكلمة لقلقة باللسان ، وثقافة

الروح وطعام القلب مستقى من الآخرين . إن التوحيد لا يجتمع مع هوى النفس ، يقول

سبحانه وتعالى في الآيات المتقدمة : —

« بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من

ناصرين » .

أي ان من يتبع هواه ، انما هو مشرك أضله الله .

ثم يقول تعالى : —

« فأقم وجهك للدين حنيفاً » .

قال بعض المفسرين بأن (الحنيف) هو المنحرف عن الباطل ، الا أنني أرى انها تعني

الطهارة والنظافة ، لان الشرك بحد ذاته نجاسة وقذارة ورجس من الاوثان بدليل الآية

الكرمة : —

« واجتنبوا قول الزور » .

ثم يهددنا القرآن الحكيم بقوله : —

« منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا مع المشركين » .

اذا لم تكن حنيفاً مستقيماً وطاهراً ، فانك سوف تكون من المشركين ، والاستقامة

تأتي بتكليف الحياة مع هذا الهدف ، أما الذي يعيش على موائد السلطان وأمواله

ورسائله ، فانه لن يحافظ على توحيد الله ، لان الطاغوت سوف يستعبده .

وقد حدث في العراق منذ بداية مجيء صدام بشعاراته البراقة وكلماته الرنانة أن

ذهب البعض معه ، أملا في المال والجاه ، فسجل اسمه في قائمة البعثيين ، وانضم الى

الجلسات الاسبوعية التي تزخ الافكار الجاهلية زخاً ، الى أن أصبح هذا مشركاً ، ثم

جيء به لكي يكون وقوداً لقادسية صدام .. وحين تسأله : — لماذا تقصف الاحياء

السكنية الآمنة في المدن المدنية ، وعلى رؤوس الاطفال والنساء ؟

يبرر بانها أوامر عسكرية .

إن هذا هو عين الشرك ، فهؤلاء اتبعوا السلطان منذ البدء أملا في المال ، ففقدوا

استقلالهم ، واعتمدوا في أرزاقهم كلياً على النظام ، الى أن وصلوا الى هذه الحالة .. ولهذا

يؤكد الحديث الشريف على مسألة الاستقلال الاقتصادي بقوله : —

« من لامعاش له ، لامعاد له » .

ولهذا ترى المؤمن يسعى الى الكد على عياله، و يعتبر عمله هذا كعمل المجاهد في سبيل الله .

(٤)

التوحيد أساس الاستقلال

أ — الدول النامية مدانة للدول الصناعية المتقدمة، بمعدل تريليون ومائتان وخمسون مليار دولار.

السؤال الذي يفرض نفسه : — هل تقدر الدول النامية على العيش مستقلة ؟ بالطبع كلا .. لانها تشرك بالله الدولار وصندوق النقد الدولي، والمؤسسات البنكية والمالية في العالم . وكما في الاقتصاد، هو في الصناعة، مادامت الصناعة مستوردة بجميع أنواعها، من المواد السائلة والغذاء، حتى أن بعض الدول تستورد الماء من فرنسا، لان ماءها مالح بالاصل . وكما في الصناعة، في الزراعة أيضاً، بلادنا الاسلامية لا تنتج القمح لتأكله هي، بينما يصل معدل مدخرات الدول المتقدمة من القمح خلال عام ١٩٨٧م حوالي ٣٥٠ مليون طنأ .. وهذا الرقم يكفي لتغذية البلاد الفقيرة والنامية عدة سنوات، ومع وجود هذا الفائض هناك الكثير يموتون جوعاً في القارة السوداء .

وكثير من الدول النامية تعيش تحت وطأة القروض والديون حتى ان الفائض الانتاجي في بعض الدول يعطى بكامله تسديداً لفوائد الدين فقط — الربا — .

اذا كان هذا وضع الدول النامية .. فهل يسمى هذا استقلالاً؟ وأساساً هل يمكنها أن ترفع لواء الاستقلال وهي على هذه الحالة؟!

ب — أوجه هذا النداء الى الحركة الرسالية التي تحمل مشعل الثورة الاسلامية : — اذا اعتمدتم في حياتكم الخاصة والعامة، وفي دعوتكم الى الله على غيركم، فان النجاح سيصبح حلماً تتمنونه لعدة أجيال، بل ولن تحصلوا عليه .

لان النجاح، يأتي من وراء العمل والاجتهاد .. ولكن مع الاسف لم نفهم حقيقة الشرك والتوحيد بتحركنا وعلاقاتنا الشخصية، ولم نفرق بأننا مسؤولون عن المحافظة على استقلالنا ووجودنا وحركتنا وكياننا .

شاهدت قبل أيام شريطاً تلفزيونياً مسجلاً لبعض وعاظ السلاطين، الذين جلسوا في مرقد الامام علي (ع)، واصفين من يتبع صاحب هذا المرقد بالمجوس، بعد أن نالوا منهم كيلاً من الشتم والسباب.

والغريب في الامر أن أحد المطربين المعروفين، كان قد لبس لباس المعممين وشرع في مدح «الرئيس» صدام حسين صاحب الصلاة التي صلاها بدون ركوع أمام شاشات التلفزيون، (الرجل) الاجرامي، أمثلة الرذائل، ولعل أكبر جرائمه هي الحرب التي فرضها على الجمهورية الاسلامية في ايران، وحرقت فيها ما لا يقل عن ٦٠٠ مليار دولار، بالإضافة الى مسخ الشخصية العراقية، واثارة القيم الجاهلية، من قبيل (ان كل عراقي شريف كريم وعظيم) فكرة عنصرية شوفينية.

على الرغم من أن شرف العراقي وكرمه وعظمته، إنما تأتي من جهاده في سبيل الله، وأتباعه لرسول الله وأهل بيته الاطهار.

فداء لك يا أمير المؤمنين، عند قبرك الشريف، يرقى المنبر أتباع معاوية ويزيد، ويسبون أهل بيتك وشيعتك والموالين لك.. ونجد في هذا المجالس كذلك مجموعة من المضطرين، الذين قتل بعض اخوانهم وأولادهم وآباءهم.

التفرقة .. بسبب استمرار تخلفنا : -

ان الخلقيات الفاسدة والسلوكيات الرذيلة والطرق الخبيثة التي اتبعها البعض في اذكاء الخلاف بين فئات الشعب العراقي هي التي أوصلتنا الى نشر الفتاوي ضد بعضنا البعض، دون أن تصدر فتوى ضد حزب البعث العميل وبسبب تحويل المسائل الجزئية التافهة الى مادة للخلاف بين الشعب مما جعلت العراق كتلة من النار يسبب بعضه بعضاً، وهذه أشغلتنا بدورها عن المحافظة على استقلالنا وحریتنا وكرامتنا.

هذا يعني أننا لم نربط التعاليم الدينية بالاهداف والقيم الالهية، ولهذا يقول القرآن الكريم : -

« منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ».

لقد بين القرآن في البدء آيات الله في الكون، ثم أشار الى سبب الانحراف، وأمرنا

بالاستقامة، وحذرنا بأن لانكون من المشركين، وبين المشركين حيث قال «من الذين فرقوا».

في ذلك اليوم الذي تفرق فيه الشعب العراقي عن بعضه البعض، وطعنت سيوفه ظهور شعبه، وتحول كل منهم ذئباً على أخيه .. لم يفكر أحد: — بأن هنالك من سيهوي الى تقبيل أذية صدام وجلاوزته!

إذا لم تتحرك الحمية في ذات الانسان ويتكل على الله وحده، ويسقط التبريرات و يصبح كتلة من النشاط والحيوية، فانه سيجري يوماً ما وراء الطواغيت .

بينما اذا حافظ على التوحيد الذي يعطي الله به الجنة، وتحرك من أجله، وترك التكاسل والاتكال والافكار السلبية التي تخلفت الامة بسببها، واتبع وصايا الائمة (ع) في الاهتمام بالزمن وتسخيره الى الحصول على الامجاد، ووطد ثقته بالله وبالطاقات الكامنة في الانسان، اذا اتبع ذلك، فانه سوف يتحول الى فريق عمل، ثم الى أمة تحافظ على توحيدها واستقلالها وحريتها .

معرفة الله اساس الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمعون إلا قليلاً * قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءاً أو اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً * قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم الينا ولا يأتون بالبأس الا قليلاً * اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً * يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً * وما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

صدق الله العلي العظيم

(الاحزاب ١٦ - ٢٣)

معرفة الله سبحانه وتعالى حكمة الوجود الانساني والحلقة البشرية، وعلة ذلك عروج الانسان بهذه المعرفة الى معارج الكمال والجمال .
«وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون»^(١).

(الهي علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار ان مرادك مني ان تعرف الي في

كل شيء (٢) الامام الحسين (ع).

(معرفة الله سبحانه وتعالى اعلى المعارف) (٣) الامام علي (ع).

(ثمرة العلم معرفة الله) (٤) الامام علي (ع).

الا ان مواقف البشر تجاه هذه الحقيقة مختلفة ، فمنهم من يبصرها بحيث تصدق عليه سمة العاقل ويكون من ذوي الالباب الواعية لحقائق الكون وخلفياتها ، ومنهم من يجهلها فتحيط به الظلمات ويعيش العمى والضلال .

« ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى » (٥) .

اما بالنسبة للمؤمن الصادق فتشكل هذه الحقائق العمود الفقري له ، لانه يستفيد من كل حدث جديد وحالة متغيرة في ذاته معرفة متجددة بربه ، فكلما اشرفت الشمس سبح الله على تسخيره هذه الكرة الملتهبة لمصلحة الانسان ، واذا غربت واستوى الظلام فوق الكوكب حمد الله الذي آوى الخلائق في ضمير الليل الساكن ، واذا زالت كبره ، وهكذا اذا جاع أو شبع ، واذا جهل أو علم ، واذا نام أو استيقظ فقد جاء في الآية الثالثة عشرة من سورة الزخرف قوله عزوجل :

« والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * ولتستوا

على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وانا الى ربنا لمنقلبون » (٦) .

وقال الامام العسكري (ع) :

(لا يعرف النعمة الا الشاكر ، ولا يشكر النعمة الا العارف) (٧) .

(٢) مفاتيح الجنان ، دعا الحسين (ع) في يوم عرفة ص ٣٤١

(٣) غرر الحكم

(٤) غرر الحكم

(٥) سورة طه آية (١٢٤)

(٦) سورة الزخرف الآيات (١٢، ١٣، ١٤)

(٧) بحار الانوار ، ج ٧٨ ، ص ٣٧٨

الجهاد انطلاقة ايمانية

والمجاهد في سبيل الله أكثر أشراقاً وتألقاً من بين المؤمنين ، لانه بذل في سبيل الله أعلى ما يملك ، وتحرر من عبودية الدنيا ، واسقط حجب الشهوات عن عينه ، واتجه الى خالقه الذي تعرف عليه في كل ظاهرة ، فحين ينتصر يكبر الله ويستغفره ، وحين يهزم يسبحه ويحمده ، و يفعل ذلك اثناء التقدم والتأخر .

اما غير المجاهد فسرعان ما ينزلق في وحول الشهوات الدنيوية ، وبسهولة تحذعه مباحج الحياة كالزوجة والبيت والمركز الاجتماعي ، وقد يتناسى مبادئه اثناء التقدم .

ولذا امر ربنا بالاستغفار في حالة النصر والتقدم حيث قال في سورة النصر :
« اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً » .

اما اثناء الهزيمة فان تحركات الطواغيت تعطي للفرد دفعا روحياً وايماناً جديدين يزداد تقرباً الى الله بواسطتهما .

جاء في تفسير نور الثقلين عن رسول الله (ص) :

(قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا اذى ، بل ما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، فاسألوا ربكم درجاتهم ، واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم)^(٨) .

والخلاصة .. ان المؤمن يعتبر الدنيا وما فيها محراباً لعبادته ومعراجاً لروحه ووسيلة للتقرب الى ربه سبحانه وتعالى ، لان التغيرات التي تحدث في الطبيعة تحت هيمنة الله وسلطانه نعمة منه لعباده بدليل الآية الكريمة :

« وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين »^(٩) .

لذا ليس شرطاً ان تغفر الذنوب بالاستغفار ، — فكم من مصلى استولى عليه النعاس

(٨) نور الثقلين ، ج ٥ ، ص ٥٤٧

(٩) سورة هود آية (٦)

والوسواس ، وصائم افسد صومه بالغيبة والتهمة ، ومجاهد ضيع متاعه بالعجب والرياء ، وانما تغفر بالهموم والغموم والمشاكل كالسجون والهزائم والنكسات القوية ، وذلك نابع من حب الله لعباده وشفقته بهم ، فاذا فسد الاستغفار صبت الفواح لتعبد طريق الجنان .

قال الامام الباقر(ع) :

(ان الله تبارك وتعالى اذا كان من امره ان يكرم عبداً وله عنده ذنب ابتلاه بالسقم ، فان لم يفعل فبالحاجة ، فان لم يفعل شدد عليه الموت ، واذا كان من امره ان يهين عبداً وله عنده حسنة اصح بدنه ، فان لم يفعل وسع عليه في معيشته ، فان لم يفعل هون عليه الموت) (١٠) .

ان أول ما يستفيده المتفرغ للجهاد في سبيل الله معرفة الحكمة والهدف من الحياة وهي معرفة الخالق والسلطان العظيم الذي لا نفاذ لسلطانه ولا امد للملكه ولا حد لقدرته ، اما الدنيا فزائلة فانية .

وحين يصبح قلب المجاهد خشوعاً منيباً ببركة الاتصال بالله ، آتئذ يتضح له بان نعم الدنيا الزائلة على عظمتها تصبح لا شيء مقابل نعمة معرفة الله الباقية ، لان القلب المعمور بحب الله يبقى على شاكلته في القبر والبرزخ والمعاد وفي الجنة ، اضافة الى ان اعظم نعمة يسبغها الرب على اهل الجنان هي نعمة معرفته سبحانه وتعالى ، فقد جاء في حديث شريف عن الامام الرضا (ع) :

(لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزوجل ما مدوا أعينهم الى ما متع الله به الاعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤونه بارجلهم ، ولنعموا بمعرفة الله جل وعز وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع اولياء الله .

ان معرفة الله عزوجل آنس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ، ونور من كل ظلمة ، وقوة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم) (١١) .

(١٠) بحار الانوار ، ج ٨١ ص ١٩٨

(١١) بحار الانوار ، ج ٨١ ص ١٧٩

المعرفة الحكيمة

ان لمعرفة الله سبحانه وتعالى في الدنيا فوائد عديدة اهمها (المعرفة الحكيمة بملاسات الحياة) ..

(من عرف الله كملت معرفته)^(١٢) الامام علي (ع) .

فاذا عرف الله عرف السياسة وفهم الناس وتبصر السنن الحاكمة في الحياة ، ولم تعذب عنه خفاياها كالعردة الاسرائيلية في المنطقة ، والقضايا التي تحدث في العراق والجزيرة وسائر المناطق .

ان جميع هذه الاحداث والقضايا تحتاج لمنظار ايماني وبصيرة الهية ، وذلك لانها توضح حقيقتين :

الحقيقة الاولى : اكتشاف النفوس الضعيفة :

ان هذه القضايا تفرز المؤمنين عن غيرهم ، فحينما تتأمر قوى الاستكبار على مجموعة قليلة من الناس لا يملكون الا ايمانهم بربهم واصرارهم على الاستقامة — كما حدث اخيراً حيث تناقلت وكالات الانباء بأن وابلأ من القذائف والصواريخ تتساقط على مدينة طرابلس وليس هناك سوى مجموعة بسيطة لا تملك الا اسلحة خفيفة اقل بكثير مما يملكه الطرف المقابل تذوب غيوم النفاق والضلال فيتبين الصديق عن غيره ويمتاز المؤمن الصادق عن المنافق الكافر .

الحقيقة الثانية : اكتشاف الافكار الصحيحة :

حينما ندخل مثل هذه الامتحانات الصعبة نكتشف النظريات السليمة من الاخرى الباطلة ، فمثلاً حينما تروج نظرية السلام مع (اسرائيل) بوساطة امريكية وهما الدولتان الحاقدان اللتان لن يهدأ لهما بال حتى يمتصا دماء الشعوب المسلمة ويهتك حرمتها .

(١٢) روضة الكافي ، ج ٨ ص ٢٤٨

فها هي امريكا بالتعاون مع (اسرائيل) عبر الاسطول السادس تهاجم مقر قيادة منظمة التحرير وتقتصف ثلاث مناطق في تونس بست طائرات ، مما ادى الى قتل (٢٠٠) وجرح (٥٠٠)^(١٣) من ضمنهم كوادر متقدمة من منظمة التحرير، مع ان المسافة بين فلسطين المحتلة وتونس تقدر بـ (٢٤٠٠) كيلومتراً.

ذكرت اذاعة صوت الجماهير العراقية في ١٩/ محرم ١٤٠٦ هـ نبأ هذا نصه :

(تجري السلطات الايطالية تحقيقاً حول التحركات الاخيرة لثلاث طائرات عسكرية امريكية من طراز بوينغ ٧٠٧ كانت قد وصلت مطار روما يوم السابع والعشرين من ايلول الماضي يعتقد بانها ساعدت الطائرات الصهيونية في عدوانها على مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية بتونس يوم الثلاثاء الماضي ، ونسبت صحيفة الانباء الكويتية المصادرة اليوم الى مصادر عسكرية ايطالية قولها انه تم رصد تحركات طائرات البوينغ ٧٠٧ في الممر الجوي الذي استخدمته الطائرات الصهيونية في عدوانها على تونس ، واكدت الصحيفة وفقاً لتلك المصادر ان طائرتين من الطائرات الثلاث تركتا مربرضيها في ساعة مبكرة من فجر يوم الغارة وقد عادت احدهما الى ممر الهبوط الساعة ١٠/١٥ صباح امس فيماطلبت الثانية الاذن بالهبوط الساعة ٦/٣٠ مساءً ، وفرضت السلطات الايطالية على ما يبدو حراسة مشددة على الممر الذي تربض فيه الطائرات الامريكية الثلاث بهدف التحقيق لمعرفة ما اذا كانت طائرات واشنطن قد استخدمت الاراضي الايطالية في مساعدتها للعدوان الصهيوني ، اشارت الصحيفة الى انه تم تحويل طائرتين من الطائرات الثلاث التابعة للسرب الـ(١٣) لوحدة التزويد بالجو ومقرها في ولاية اوهايو الى طائرتين اخرى وقد وصلت روما حسب ادعاء واشنطن

(١٣) اذاع راديو الامارات يوم السبت ٢٠ / محرم / ١٤٠٦ هـ خبراً نصه : (افادت انباء صحفية نشرت في بيروت

اليوم ان عدد ضحايا العدوان الصهيوني على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس قد ارتفع الى (٢٠٠) قتيل و (٥٠٠) جريح !! معظمهم من الفلسطينيين ووضحت هذه الانباء ان ارتفاع عدد الضحايا يعود الى وجود (١٠٠٠) فلسطيني بالمنطقة كانوا في انتظار صرف مستحقاتهم ورواتبهم امام مقر المالية الفرعية اثناء العدوان الذي الذي استهدف ستة مراكز هي مركز منظمة التحرير ومقر الاستخبارات العسكرية ومركز المالية ومركز امين الرئاسة ومكتب قيادة جبهة التحرير الفلسطينية ومركز الادارة العسكرية والتنظيم .

للمشاركة في مناورات يجريها حلف شمال الاطلسي) .

وفوق كل ذلك يتبجح الازهابي ريغان بتأييده للغارة و يعتبرها دفاعاً عن النفس ، لينال الترحيب الاسرائيلي الذي قالت عنه اذاعة بني صهيون (ورحب رئيس الوزراء الاسرائيلي — بالتفهم الذي ابدته الولايات المتحدة لضرورة القيام بالغارة الاسرائيلية على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس) .

استفهامات حرة

ان تمعنا بسيطاً في موقف ريغان يثير بعض الاستفهامات حول هذا التأييد :

• فاذا كانت هذه الغارة دفاعاً عن النفس ، لماذا تعتبر الامبريالية ذلك المؤمن الصادق ازهابياً لانه فقط خرج مهاجراً وقتل رجلاً معادياً يفرض عليه الظلم والازهاب ، الا يعتبر الثاني دفاعاً عن النفس ؟

• لماذا يسمّى الشاب اللبناني ازهابياً لمجرد اغتياله جاسوس امريكي في ارضه ، ولا يسمى الاعتداء على غرينادا ازهابياً؟ (١٤) .

• أين القانون الامريكي الذي ينص على اعطاء الاسلحة الامريكية للدول التي تدافع عن نفسها ولا تهاجم الآخرين فقط ويحظر تسليمها للدول المعتدية ؟ ولماذا يقبل الشعب والكونغرس الامريكيين بخرقه ، اليس ذلك دليلاً على غباء الاول واجرام الآخر؟

الذئب الخؤون

من جميع ما سبق نكتشف نظرية مهمة تنص على ان السلام مع الذئب أو اللص ليس الا استسلاماً وهزيمة مبطنة .

لقد كانت مجموعة من الفلسطينيين على رأسها عرفات ولفترة لا تقل عن عشرين

(١٤) في تبرير لريغان اثناء اعتدائه على جزيرة غرينادا قال : رأينا مجموعة من اليساريين سيطروا على الحكم في

غرينادا فبعثنا باسئلتنا وطائراتنا ودافعنا عن انفسنا .

وقبله قال وزير الدفاع الامريكي اثناء حرب فيتنام : (حدود الولايات المتحدة تبدأ من جنوب شرق آسيا) .

عاماً تتصور بأن روسيا مخلصه لهم وتدافع عن حقوقهم والآن تبين العكس ، وعندما سئل ياسر عرفات قبل خمسة اعوام — اثناء زيارته للامام الخميني — عن غزور روسيا لافغانستان قال : نحن نعتبر الاتحاد السوفيتي دولة صديقة تدافع عن حق الشعوب .
وها هو اليوم يبذل رأيه ويقول : (ان غور باتشوف وريغان سيجلسان على الطا
جديدة وعلى حساب الشعب الفلسطيني) .

بينما يالطا ليست جديدة من حيث نشوئها انما هذا هو التاريخ ، والذي ينساه ينسى المستقبل ولا يفهمه ، فكما اجتمع ستالين وروزفلت وتشرشل في يالطا عام ٤٥ م وقسموا العالم ، كذلك بامكان ريغان الاجتماع مع اليابان والدول الغربية لتقسيمه من جديد ، لان الاستكبار العالمي كل لا يتجزأ ، لذا فمن يحارب (اسرائيل) — الحليف الاستراتيجي لأمريكا — ويصادق الثانية يضل نفسه ، كالدول العربية التي تدعي محاربة (اسرائيل) من جهة ، وتشتري اكبر صفقاتها العسكرية من امريكا من جهة ثانية وبشروط امريكية ايضاً من ضمنها :

١ — تحديد الموقع ، فلا يجوز للدول المشترية وضع الاسلحة والذخائر المشتراة في مكان الا بوضاية امريكية ، كما سبق ومنعت السعودية من وضع اسلحتها الامريكية في تبوك واجبرت على وضعها في مكان آخر .

٢ — تحديد جهة الاستخدام ، حيث تمنع من توجيهها ضد الاسرائيليين ، وتقرر استخدامها ضد الدول المعادية لأميركا كإيران وما شابه .

والاردي من ذلك ان الدول العربية لا تبتاع اسلحة امريكية سليمة وصالحة للاستعمال على مر الظروف والاقوات ، وانما اسلحة مؤقتة قابلة للفساد سريعاً ، بحيث لا يستفيد منها اي انقلابي أو ثائر مسلم بعد الانتصار ، وتجربة ايران دليل دامغ على هذه الحقيقة برغم تقاربها القوي مع امريكا والدول الغربية .

اذن من خلال مجمل هذه الاحداث خصوصاً الغارة الاسرائيلية على مقر منظمة التحرير في تونس وغيرها — نستشف عدة حقائق :

الاولى : ان الطريق السليم الذي يستلزم سلكه هو الاعتماد على الله سبحانه

وتعالى .

الثانية : صنع الواقع ، اذا اردنا صنع الواقع لابد ان تتحول كل كلمة الى عمل ، لان الكلمات المصفوفة لا تبني لبنة واحدة .

فلاننا نحارب ذئاباً لا يملكون ذرة من شرف الكلام واحترام القانون ، ويتخذون من اسلحتهم اسلوباً أوحداً لمقاومتنا ، لذا يجب أن نتدرب ونصنع السلاح بايدينا ونحفر الخنادق ونتقشف حتى نجتمع المال ليوم الحرب ، وننظم صفوفنا ونجتهد في العمل ونملك الارادة القوية للاستمرار في الحرب حتى النصر ، ذلك لاننا مسلحون بالله اكبر وبقوة ايدينا وتراكم جهودنا وتجاربنا وتنظيم صفوفنا .

وفي هذه الحالة من الصراع يعرف المؤمن الصادق ان لا نصير له الا الله فيزيد اتصالا به من جهة ، ومن جهة اخرى يعلم بان الله امره بالاجتهاد في العمل واختيار الطريق الاصب للوصول الى الهدف .

الثالثة : طبيعة الموقف الذي يتجدد بتجدد الاحداث ، فمثلا الاحداث التي وقعت في شهر محرم الحرام في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية^(١٥) تكشف لنا عن الحاجة الى بث الوعي السليم في الامة والاستمرار في العمل والصبر وتمييز المؤمنين عن غيرهم من المنافقين وما شابه .

ولقد ورد في الآيات السالفة الذكر جماعة تدعى بـ (المعوقين) وهم اولئك الذين يرجفون في المدينة و يبثون الاشاعات الباطلة والافكار السلبية لتجيين الناس وسلب ثقتهم بانفسهم ، طبقاً لما حدث في الكوفة حيث اندس فيها امثال هؤلاء الذين اشترت ضمائرهم من قبل النظام الاموي فبثوا افكاراً سلبية في المجتمع الكوفي كالفكرة القائلة

(١٥) اعلنت منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية بان المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية ، شهدت مظاهرات واسعة كان يهتف المتظاهرون خلالها بـ (الدولة دولة يزيد واللعة تلعن فهد) و (اخواننا في السجون للظلم هم رافضون) (وثورة ثورة حتى النصر).

وقد شهدت منطقتنا القطيف (الواقعة قرب ميناء رأس التنورة) وسيهات (قرب مدينة الظهران) مظاهرات ليلية تاسوعاء ، اضطر النظام السعودي معها الى انزال فرق من رجال الشرطة اصطدمت بالمتظاهرين وسلطت عليهم خرطوم المياه وجرح نتيجة لذلك عدد من الفريقين .

الجدير بالذكر ان هذه المظاهرات تأتي في الذكرى السادسة لانفاضة محرم التي حدثت في المنطقة الشرقية عام ١٤٠٠ ، والذي سقط على اثرها عدد من المؤمنين شهداء وجرحى .

(مالنا والدخول بين السلاطين) و (اننا ضعفاء لا حول ولا قوة لنا) ، مما ابعد ابناء المجتمع عن مسلم بن عقيل وقلوبهم ضد الامام الحسين (ع) واخيراً تسبوا في قتله وقتل انفسهم ايضاً ، فما خلى بيت في الكوفة من عزاء بسبب بطولات اهل البيت (ع) وانصارهم في كربلاء من جهة ومن جهة اخرى سيف المختار بن عبيد الله الثقفي الذي قضى على غالبية قتلة الامام الحسين (ع) ..

والمؤسف الاكثر ان هذه القضية تكررت مرة اخرى في العراق ، فقد خرج آية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قدس سره) من النجف الاشرف واتجه الى الكوفة لكي تشور الحمية والغيرة في نفوس اهاليها ، الا ان العكس هو الذي حصل ، فلم يتغير شيء الى ان جاء وفد من كربلاء واستقدموا السيد اليها .

ولكن نفس هؤلاء الناس جيء بهم الى محرقة القادسية وذبح منهم (٢٥٠) الف رجل وجرح وعوق مثلهم ، ودخل في زنزانا الاسر ما يناهز الستون ألفاً ، بصرف النظر عن المليون مشرد من الرجال والاطفال والنساء .

ان جميع هذه التجارب ينبغي تزريقها للشعب في الجزيرة العربية قبل ان يطفح الكيل ، وقصة مسلم بن عقيل يجب ان تجري فيهم مجرى الدم في العروق ، وكذلك قصة الشعب العراقي والايرواني ، وقصة الشعب الفلسطيني وخروجه من مهجر الى آخر ، لكي يعلموا بان الطغاة لن يرضوا منهم باليسير الا باستعبادهم ، ولذا عليهم الدفاع عن انفسهم والخروج الى الشوارع وبث الوعي السليم ، وتشجيع كل منهم الآخر ، وقيام العلماء بدورهم وقولهم الكلمة الصادقة والا فهم اول من يذوق العذاب في الدنيا والآخرة .

ان كثيراً من العلماء تأخذهم العزة بالاثم فيتركون المسيرة الجهادية و يتضامنون مع النظام الكافر بسبب انقياد المسيرة لعالم يصغرهم سناً .

لا شك ان هذا منطق سخيف ، مثله مثل من يؤتى بمائدة ممتازة ، فيمتنع عن تناولها لان رجلا اصغر منه سبقه اليها ، و يأكل من طعام نجس ؟

« قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم بنا ولا يأتون البأس الا قليلا ، اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى

عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد اشحة على الخير» .
ان هؤلاء المعوقين يتراجعون في حالات الخوف ، وفي حالات السلام ترى السننهم
تلتهب ناراً ضد المظلومين والمقهورين . وبالرغم من ذلك يزعمون بانهم مؤمنون بالله ،
لكنه سبحانه وتعالى يفضحهم و يبين حقيقة اعمالهم المخالفة للمسيرة السليمة فيقول :
« اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً » . ■

نهر الغفران

بسم الله الرحمن الرحيم

«من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً عليهم غضب من الله وهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدي القوم الكافرين * أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغالبون * لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون * ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم * يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون * وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * لقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون *».

صدق الله العلي العظيم

(سورة النحل ١٠٦ - ١١٣)

تعيش أغلب مجتمعاتنا متخمة بالمفاسد والجرائم مليئة بالخطايا الكبيرة، وبما اننا وجدنا في هذه المجتمعات فان جزءاً من تلك الذنوب والخطايا أبهظت كاهلنا، وهذا الذي يوجب علينا تحمل مسؤولية تلك المفاسد بقدر كل واحد منا، وذلك من جهة مسؤولية الانسان عن نفسه وشعبه وأرضه بل وحتى البهائم التي تسم في تلك الارض، وكما يقول الامام علي (ع):

«اتقوا الله في عباده وبلاده، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»^(١)

وذلك الانسان إنما جاء للدنيا حتى يفتن ويبتلى وبالتالي ليقوم بدوره كإنسان في

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

مقاومة الظلم وتطهير الارض من الفساد وايجاد البديل الذي يتجلى في سيادة حكم الله على الارض البشرية.

لكن وجود الانسان برهة من الزمن وردحاً من العمر تحت ظل الاحداث والظواهر السلبية - التي تتالت على الشعوب - راضياً عنها، بل ومتفاعلاً معها خلقت فيه تأثيراً بيئياً من حيث اشتغال صفائح أعمال الانسان على بقع سوداء من جراء تلك الايام، فالذي عاش في ظل الانظمة الطاغوتية منذ ولادته الى أن شرع بالعمل ضد ذلك النظام أو ارتسم الهجرة طريقاً لتحركه، فانه بصورة أو بأخرى ساهم في جرائم ذلك النظام ولو برضاه عنه، تماماً كالذي عقر ناقة صالح من قوم ثمود حيث كان فرداً واحداً، إلا أن رب العزة عمم البلاء على الرعية لانهم شاركوا الظالمين بالرضا، ونستشف ذلك من حديث الامام علي (ع) حيث يقول:

«أيها الناس إنما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب، لما عمّوه بالرضا فقال سبحانه «فعمروها فأصبحوا نادمين» فما كان إلا أن خارت أرضهم بالحسفة حوار السكة المحماة في الارض الخوارة»^(٢).

ومشابهاً كذلك لركاب السفينة الذي تركوا أحدهم يخرقها فاستوعبهم البحر جميعاً. لذا فان الذي يعيش في بلد تحكمه عصابة ظالمة يفرض عليه الجهاد ويُحرم تنصله من نملك المسؤولية، وأما اذا تاه عن هذا الطريق فان مسار سفينة الشعب سوف يعزب عن الانظار مما يؤدي - طبيعياً - الى العيش في أعماق الكبت والارهاب.

وهذه النتيجة طبيعية وجلية كجلاء الصبح للصبح، فشارب الخمر تتبدل معادلات حياته سواء انتشاها مجبراً أم مختاراً، وكذا محتسي السم سيتأثر بأضراره شاء أم أبى.

إذن فالمسؤولية تستغرق الحاضر والماضي، وعلى ذلك تكون مسؤولية الانسان متجهة الى النظام الذي عاش في ظله، والثقافة التصيلية التي ارتوى من معينها، والاكل الحرام الذي اشتد لحمه منه، والكسب المغصوب الذي أعال نفسه وأهله منه وغير ذلك، إلا أنه لم يحرك ساكناً في البدء فلم يقارع النظام الذي يعيث في الارض فساداً، ولم يتسلح بالثقافة التي تكشف له الحقيقة من الزيف، وغير ذلك مما قد يكون استوعب كفوراً دون

أن يتحدى ذلك أو يعرفه أساساً.

وبعد هجرة المجاهد من هذا الواقع الفاسد قد ينسى الايام التي عاشها تحت كنف الطاغوت إلا أن كتاب الله الذي لا يضل ولا ينسى يدل على البقع السوداء التي اشتملت عليها صحيفة عمل الانسان.

«ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها».

هموم الجهاد .. طريق المغفرة :

ولكن ما الذي يغسل هذه الصفحات ؟

انه نهر الجهاد في سبيل الله، فالآلام الهجرة ومشقات الجهاد والتوتر والقلق والتقصيف والقناعة والابتعاد عن الاحبة والهموم المتراكمة هي التي تسهل غفران الذنوب السابقة، وتساهم في تطهير صحيفة الاعمال من الادران.

ودليل ذلك ان أبرز جزاء الله للمؤمن المجاهد غفران ذنوبه، وهذا ما تقر به آيات سورة النحل حيث انها تبين ذنوب بعض الذين شرحوا صدورهم للكفر وجزائهم في الآخرة العذاب الاليم، ولكنهم يستطيعون التخلص من ذلك عبر باب التوبة والذي يتركز في الجهاد ضد الاوضاع الفاسدة.

«ثم ان ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم».

وجلية هذا الامر وتبيانه :

«يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون».

ففي ذلك اليوم لا تجزئ عشيرة ولا أسرة ولا صداقة ولا مال أو بنون حيث يقف كل واحد منها - وحده - في مواجهة الحاكم العادل الذي لا يجور، وإنما يسير على ضوء كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وفي ذلك اليوم يصبح الجهاد والهجرة والمشاق التي زرعت في الطريق أكبر دليل وشاهد على النجاة من محكمة العدل الالهية.

لان صعوبة الجهاد ومشاكله من حيث تشويه صيت المجاهد أمام الملأ، وسماع الكلام النابي والمثبط .. والموقف المضاد الذي يتخذه المؤمن تجاه ذلك والذي يكون على

أساس الولاء للقيم لا لغيره من الولاءات، وهذا الموقف بذاته قد يؤثر على المجاهد لان فيه صفات من البشرية، لذا فانه يتأثر من ذلك من جانب تراكم الهموم على تفكير المؤمن، إلا أن ذلك بذاته كفارة لذنوب الانسان وشاهدنا في ذلك قول الرسول الاكرم (ص):

«ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن حتى اهتم يهمة إلا كفر الله به عنه سيئاته»^(٣).

كما يقول كذلك :

«ساعات الهموم ساعات الكفارات، ولا يزال اهتم بالمؤمن حتى يدعه وماله من ذنب»^(٤).

كل ذلك إنما هي شواهد على ان سبيل المؤمن صعب للغاية وطريقه طويل، ومع ذلك فان المؤمن يجري وراء العمل الاشد حتى يحصد منه على البهجة والاشراق والتلألأ لانه كما في الحديث :

«خير الاعمال أحزها»^(٥).

ولان المؤمن يستطيع عبر ذلك غسل ذنوبه .

وهذا بدوره يثير في عقولنا سؤالاً هاماً ألا وهو: — ما هي العلاقة بين الجهاد في

سبيل الله وبين غفران الذنب؟؟؟

كل شيء في عالم الطبيعة والتشريع ذو علاقة طبيعية بشيء آخر مع حكمة ورائها، فبالعلاقة جلية بين الطعام و الشبع ، بين الثورة والنصر، وبين الجهاد والفتح ، ذلك ظاهر، أما بالنسبة للعلاقة بين غفران الذنوب والجهاد في سبيل الله، فان المجاهد عبر تضحياته والآلام التي يعاني منها والمشاكل التي تحدق به يصل الى مرحلة تطهير الارض من رجس الطغاة لكي ينشئ جيلاً جديداً مجبولاً على الحق والمسؤولية، فهدفه تركزي في انتشال الآخرين من الضلالة والظلم والاستضعاف والبؤس والحرمان لذلك يغفر الله له ذنبه .

(٣) بحار الأنوار ٧٧ ص ١٤٢ .

(٤) بحار الأنوار ٦٧ ص ١٤٤ .

(٥) بحار الأنوار ٧٠ ص ١٩٠ .

والمثال التاريخي الشاهد على ذلك هو الحربن يزيد الرياحي الذي كان أول من شهر سيفه في وجه سبط رسول الله وسد أمامه كل الخيارات إلا الخيار الذي سار فيه ، وكان ذلك أمراً من أوامر السلطة .

ولو لم يحدث ذلك لسار أبو عبد الله الحسين (ع) الى الكوفة وفتحها مثلاً حسب طبيعة الاوضاع الموجودة هناك ، إلا أنه وقف حائلاً بين وصول الامام الى هدفه .

فما الذي جعل خطيئة الحر تغفر له ؟

إنما لانه برهن عملياً على مقاطعة الطاغوت بشهر سلاحه وتقاطر دمه ورضخ جبهته ، وبذلك كان أول من خط سيرة التوابين ، وتبعه في ذلك كثيرون سواء في معمعة المعركة أم خارجها ، حيث صنع التوابون السائرون على نهجه حركة ثورية داخل المجتمع الاسلامي دأبت في أخذ ثأر أبي عبدالله ، والذي تمخض بدوره عن تقويض أركان النظام الاموي في العالم الاسلامي كله وبالتالي انقاذ الامة الاسلامية من ظلم بني أمية .

وهكذا فان نتيجة الجهاد لا تتبع من مصلحة ذاتية أو أنانية شخصية ، وإنما هي تنفيس كربة يتضور الفرد والمجتمع ألماً منها .

وهذا هو الحاصل في عالم اليوم الملي بالتفسخ والانحطاط والضلالة والكفر حيث يخالف أمر الله جهراً وتقتل الانسانية علناً ، والكثير من الحوادث تؤكد ذلك ، ففي عام ١٩٨٥ بالذات عاش العالم اكتفاءً ذاتياً من جانب وفرة الطعام الذي يستغرق كل أفراد البشر، إلا أنه في هذا العام بالذات أنهك الجوع حوالي ٤٥٠ مليون انساناً فوق هذا الكوكب .

من ضمنهم اطفال اصبحوا هياكل عظمية في غرب السودان فقدوا ٨٠٪ من وزهم الطبيعي ، في الوقت الذي يعيش ٦٠٠/٠٠٠ كلباً في فرنسا حياة مرفهة وناعمة فهي تسكن أرقى أحياء العاصمة وترتاد أغلى المطاعم وتزنه يومياً في الساحات والحدائق وتستحم بأثمن أنواع الشامبو وتجفف شعرها في صالونات التجميل وتتسوق طعامها من أرقى الاسواق ، بل وفي كثير من الاحيان يصل مصروف الكلب الواحد أضعاف الدخل الشهري لعائلات كاملة من شعوب العالم الثالث .

وأزاء ذلك تطالعنا الاخبار بأن أكثر من مليوني انسان يطوون ليلهم جوعاً بسبب

فقرهم المدقع، ليس ذلك — فقط — وإنما في كل ثانية يختطف الموت انساناً جانحاً من بين أحبته وأما في كل يوم فان (٤٠/١٠٠٠) انساناً كذلك توارهم لحودهم .
وأما مآسي الاطفال فأشجان تثير أشجاناً ووجوم يتراكم على وجوم، فن قارة أفريقيا — وحدها — استقبلت القبور ٥ مليون طفلاً عام ٨٤ م، وأصيب نفس العدد بعاهات شتى نتيجة المرض وسوء التغذية .

أما في العالم فان ٤٠/١٠٠٠ طفلاً في العالم يذعنون لحتمية الموت بصفة منتظمة، و ٢٠ مليون طفلاً ما بين ٦ — ١٢ سنة يجرمون من حق التعليم لسبب أو لآخر، و ٧٥ مليون طفلاً ما بين ٨ — ١٥ سنة يعملون تحت وطأة الظروف المعيشية القاسية، و ١٠٠ مليون طفلاً مشردون عن أوطانهم !!

فيا ترى ما هي خلفيات ذلك ؟

إنما هو وجود عصابات ظالمة في هذا العالم، فعصابة تشتت شعباً كاملاً من وطنه، تتخذ سماء الدول العربية ميداناً لطائراتها، ألا وهي (اسرائيل)، وأخرى تريد من ميزانيات التسليح وتفتتح حرب النجوم التي أرصد لها ما لا يقل عن ٢٠ مليار دولار وتجر العالم نحو دمار نووي حيث بلغ عدد الرؤوس النووية (٥٠/١٠٠٠) رأساً، وكل فرد يعيش في هذا الكوكب نصيبه ٣ طناً من الديناميت ..

هذه المصاريف تذهل العاقل الذي سمع بمآسي المظلومين في كل مكان حيث انه لو خصصت نسبت ١٠% من الميزانيات العسكرية لرفع الجوع من الارض، ولو أخذ مصروف غواصة نووية تكلف مليار دولار، لكم أعاد البسمة الى شفاه المعذنين ! ولكن هذه العصابات استأثرت بالاموال وجعلت فئة كبيرة من البشر يعيشون تحت خط الفقر الاحمر بما فيه الجوع المهلك .

وهذا مخالف بتاتا لسيرة حكام الرسالة الاسلامية الذي توالوا على الشعوب، وأبرز مثال على ذلك رجل الانسانية الخالد الامام علي (ع) الذي يكشف موقفه أزاء الجائعين من رعيته عن رؤية الاسلام في ذلك حيث يقول :

«ولعل في الحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشعب» (٦)

إذن لكل تلك المعادلات المعكوسة التي تخالف الانسانية والرؤى الاسلامية التي هي من صلب المعادلات العالمية اليوم، لذلك يسعى المجاهد في تغيير ذلك العالم وخاصة لازالة الجراثيم من فوق الارض الذين هم طفيليات تمتص ثروات الشعوب وتحولها الى ماكنة عسكرية تبتلع.. وتبتلع.. وتبتلع كجهنم حين تقول هل من مزيد.

ولذلك فان المجاهد يتعرض لابتلاءات عدة سواء من المثبتين أو الظالمين، ولاجتياز المهاجر في سبيل الله هذه العقبات يحتاج الى قوة في الارادة وتصميم وعزم، وذلك بالاتصال بالقدرة الالهية التي تعطيه زخماً للاتجاه في هذا المجال.

ومن هنا نعرف حكمة العلاقة بين الذنب الذي ارتكبه الانسان وبين الهجرة والجهاد في سبيل الله حيث ان صعوبات الجهاد تبدد ظلام الذنوب السالفة، ويؤكد ربنا سبحانه وتعالى على ذلك بقوله:

«ثم ان ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم».

وأبرز ما يلقاه في سبيل الله مكافأة من الطواغيت على عمله المشروع ضدهم هو البقاء في ظلمات السجون، وهذا ما حصل في الجزيرة حيث تعتقل السلطات السعودية الغاشمة عدداً من المؤمنين الصادقين الذين لم يكن لهم جرم سوى اقامة واحياء ذكرى أبي عبدالله الحسين (ع)، ويستخدم جلاوزة الانظمة أساليب مشينة في تعذيب المؤمنين بل ويركزون دائماً على اهانة المقدسات والقيم الاسلامية فهم يسبون الائمة، ويمزقون أعلى دستور في العالم وهو القرآن أمام المؤمن — كما حدث في سجون آل خليفة في البحرين — ويوغلون في تعذيب صفوة عباد الله عبر تجاوز المبادئ الاسلامية وخرقها لايجاد حالة انهيار نفسية عند المؤمن وبطريق غير مباشر يتراجع عن هدفه ومسؤوليته ودوره.

وفي هذه الحالة يركز أئمتنا (ع) على العيش بعزة في هذه الحياة تحت الحاكمة الاسلامية بمعنى آخر طرق أبواب الجهاد ضد الطغاة وعدم التواني والتقصير في العمل والاستمرار في الدفاع عن المستضعفين والمحرومين بكل غالٍ ونفيس، لاننا نرفض الجاهلية وتحكيم الاسلام والصعوبات التي نلقاها في ذلك يمحو الله ذنوبنا، وبالتالي نعيش طلقاء من حجب الذنب والغواية، أما اذا كان الامر غير ذلك فلا فائدة من

استمرار الحياة .

ثم يبين ربنا نتيجة التراجع عن هدى الله في خط الجهاد بجزء جهنم في الآخرة حيث يقول :

« من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا في الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين » .

كما يكشف ربنا في مؤخرة هذه الآية عن مقياس الايمان ، فاذا كان المجاهد يهوى البقاء في هذه الدنيا — لذاتها — أكثر، فان في ايمانه لضعفاً ، وأما اذا اختار الرحيل الى الآخرة فان هذا من سجية المؤمنين ، وهذا ما تكشف عنه روايات عدة حيث يقول الرسول الاكرم (ص) :

«من أصبح وأمسى والآخرة أكبر من همه جعل الله الغنى في قلبه وجع له أمره ، ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه جعل الفقيرين عينه ، وشتت عليه أمره ، ولم ينل من الدنيا إلا قسم له» (٧) .

كما يقول الامام علي (ع) :

«من كان كل همه لآخرفته ظفر بالمأمول» (٨) .

وإذا عاش المؤمن الآخرة بكل همه وتفكيره فانه سيجير كل حركاته وتوجهاته للوصول الى هذا الهدف .

وأما الذي يستحب الدنيا على الآخرة فانها ستصرعه وتجعله أداة تحركه كيف تشاء ، فيعيش العبد أياماً برحاء ورفاهية إلا أنه يلبث في الآخرة ذليلاً ، وهذا ما تنطق به الاحاديث الشريفة بطريقة غير مباشرة حيث يقول الامام علي (ع) :

«ثروة الدنيا فقر الآخرة» (٩)

«حلاوة الدنيا مرارة الآخرة» (١٠)

(٧) بحار الأنوار ٧٧ ص ١٢٧ .

(٨) غرر الحكم .

(٩) غرر الحكم .

(١٠) غرر الحكم .

أما المجاهدون فانهم رفضوا ذلك المبدأ وسلكوا طريق الهجرة .
 «ثم ان ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم» .

وفي هذه الحالة قد يصيب الانسان هاجس الكفاية من الهجرة فقط، مع العلم انه بسلك الهجرة يبدأ الانسان المجاهد مشواراً جديداً في حياته، وفي هذا المشوار يحتاج الى مزيد من الصبر والجهد والمسير على استراتيجية مرتكزة على الدين الخفيف، وخاصة على منهاج الائمة الذين سلكوا أكثر الدروب في العمل، ولذا نرى انه من المستحب قراءة الدعاء الآتي في الصباح - يوماً - .

«اللهم أحييني حياة محمد وآل محمد وأمتي ممت محمد وآل محمد» .

حتى يتشبع المؤمن بهذه الرؤية و يسلكها في عمله، لان الائمة كما أوضحنا ساروا في أكثر الدروب .

فها هو الامام السجاد (ع) يعيش أربعين عاماً في أسوأ الظروف حيث ان ظروف الشيعة بعد مذبحة كربلاء استاءت الى حد كبير جداً حتى انه كان يبحث عنهم تحت كل حجر ومدبر، وكان دور الامام السجاد في تلك الفترة العصبية إعداد جيل رسالي يتبنى الجهاد والثورة يبثه في أوساط المجتمع كدعاة رسالة . وكانت طريقته في ذلك شراء الموالي وتربيتهم ثم عتقهم في سبيل الله، وبالتالي يقوم هؤلاء بدور طليعي في المجتمع، وبذلك ينتشر الفكر الجهادي والرسالي في الامة، وكثير من الشواهد تدلل على ذلك إلا أننا نذكر هنا شاهداً واحداً : -

أخذ الحجاج موليين لعلي فقال لاحدهما : - ابرأ من علي .

فقال : - وما جزاي ان لم أبرأ منه ؟

فقال الحجاج قتلتني الله ان لم اقتلك ، فاختر لنفسك قطع يديك أو رجلك ؟

فقال له الرجل : - هو القصاص ، فاختر لنفسك .

فقال : - تالله أن يرى لك لساناً وما أظنك تدري من خلقك أين ربك ؟

فقال الرجل : - هو بالمرصاد لكل ظالم .

فأمر الحجاج بقطع يديه ورجليه وصلبه .

ثم قدم صاحبه الآخر فقال ما تقول ، فقال : — أنا على رأي صاحبي قال الحجاج فأمرت بضرب عنقه وبصلبه .

كما اتخذ الامام السجاد (ع) أسلوب ترسيخ الروح الدينية عبر الادعية الهائلة التي زخها الامام في المجتمع للوقوف أمام السيل المادي الجارف لان الشخص المثقل بأوزار المادية لا يمكنه النهوض بأعباء الرسالة الاسلامية .

وسلك الامام السجاد (ع) درباً آخر في الجهاد ألا وهو القيادة السرية للثورات التي حدثت في ذلك العصر كثورة زيد بن علي الذي كان ثائراً على نهج الائمة ودليل ذلك أن الائمة في كثير من الاحيان كانوا يباركون ثورته و يركزون على مظلوميته حيث يقول الامام الرضا (ع) فيه :

«غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله» .

كما قال الامام الصادق (ع) :

«رحم الله عمي زيداً انه دعا الى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفي بما دعا إليه» .

ولما خرج قال :

«ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه» .

ولما استشهد قال :

«مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسن والحسين

عليهم السلام» .

إذن درب الرسالة طويل ، أهم صفات الرسالين السائرين لاعلاء كلمة الله هو الصبر ، فالنصر لا يأتي بطرفة عين ، وإنما بجهود مضنية يقوم بها المؤمنون .

وهذا العمل الدؤوب في هذه الدنيا تتجلى الرحمة الالهية بسبب ذلك في الآخرة .

«يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون» .

أما في عالم الدنيا فستشرق علينا شمس حضارة جديدة وحياة سليمة تزخر بالعدالة

الانسانية وتنقذ المستضعفين في العالم .

فلا ٤٥٠ مليون انساناً ينامون جوعاً كل ليلة.
ولا ٤٠/١٠٠٠ انساناً يموتون يومياً.
وإنما سعادة حقة تحياها البشرية.

نحو علاقة امثل مع المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

«والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط * ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ * قالوا يا شعيب أصلا تك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد * قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه أن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.»

صدق الله العلي العظيم

(٨٤ - ٨٨ / سورة هود)

من الصفات المثلى التي يتمتع بها المؤمنون الصادقون حبه العميق للانسان كانسان وسعيهم الحثيث من أجل انقاذه، ونظرتهم الواقعية الى طبيعة البشر، وتكيفهم مع هذه الطبيعة، وتجردهم عن ذواتهم من أجل ذلك .

وقد جسد الأنبياء والمرسلون عليهم صلوات الله وسلامه ذلك في حياتهم مع شعوبهم، والذكر الحكيم يقص لنا ذلك في أماكن عديدة وبالذات في سورة هود حيث تتجلى سمة الاستقامة في حياة الانبياء، ومدى تضحياتهم من أجل الانسان والانسانية، وتجردهم عن ذاتهم، وتفانيهم الهائل من أجل انقاذ البشر.

ومن ضمن هؤلاء الانبياء العظام نبي الله شعيب (ع) الذي تجلت استقامته مع قومه في الآيات التي توجنا الحديث بها، حيث يأتي الى قومه ويراهم منزلقين في بؤر الفساد من

جانب انقاص الكيل والميزان، وتخريب اقتصاد البلد، وظلم بعضهم لبعض، والابتعاد عن محور التوحيد مما يؤدي طبيعياً الى الاتجاه الى محاور الشرك ويجرهم الى داء التفرقة التي تنزل بهم الويلات.

في هذا الجو المشحون بالفساد والانحراف عن سيرة التوحيد يبرز صوت مسؤول منادياً بالرجوع الى رسالة الله ومحاولاً استخدام أسلوب بليغ يستطيع النفاذ به الى عمق قلوبهم ليكتشف مواطن ضعفهم، ثم يقول لهم:

«يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين».

لان الحياة التي يسير الانسان في ركاها حياة فاضلة، فلماذا يدنسها بنقص المكيال والميزان وشدة الحرص والفساد في الارض، مع ان الرسالة تأمره بالتمسك بالقيم وترك الحرص.

«بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ»

وفي هذا المقطع من الآية الكريمة يتجرد نبي الله شعيب عن ذاته حيث يوضح بأنه لم يسع وراء مصلحة شخصية أو أنانية ذاتية، بل يؤكد على أنه سيكون أول من يأتمر بما يأمر، وأول من ينزجر عما ينهى.

«قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه».

لان بعض البشر في خضم أعماله المتوجة بمباركة الشيطان قد ينهى عن الحرص في هذه الدنيا حتى يبتعد الآخرون عن ذلك، ثم يطمح ببصره نحو الدنيا حتى يحصل على الغنائم وحده، ولكن شعيباً يبين لقومه بأنني عندما أنهاكم عن بخس الناس أشياءهم وعن التطفيف في الميزان والمكيال أو الافساد في الارض فاني سأكون أول عامل بذلك، وهو يجسد بذلك الاسوة العملية للجماهير حتى يسيروا في دربه.

ثم تتضح النظرة الواقعية عند نبي الله شعيب في مجال الإصلاح حيث نوه الى انه ليس مكلفاً بهم أو موكلاً عليهم، وإنما يقوم بذلك انطلاقاً من روح المسؤولية التي تحتم عليه

ضرورة المبادرة في اصلاح المجتمع على قدر الاستطاعة.

وهذه النظرة الواقعية هي التي تتسم بها رسالات السماء، حيث ان الله عزوجل حين ينزل رسالاته لا يطالبهم بالاعجاز من جانب تحويل المجتمع الى قة سامقة تزخر بالمكرمات والفضائل بين عشية وضحاها، إنما يطالبهم بالسعي وراء اصلاح البشر ولو باتاحة الفرصة أمامهم للبدء البطيء في سلك طريق الرسالة.

ولاجل اكتساب هذه النظرة الواقعية سواء للحركات الاسلامية أو الدعاة الى الله أو العاملين في سبيل اصلاح المجتمع، لابد من تحقق أمرين : —

١ — معرفة الانسان بذاته : —

كثيراً ما يعاني الانسان من حالة خطيرة في حياته، تتركز في جانب الافراط والتفريط في نظرتة للاحداث، مما تسلب منه الموقف السليم ازاء البشر، فتراه مثلاً ذات يوم يعجب بشخص متصف بصفات حسنة جمّة كالصدق والاحسان وحب الآخرين والاجتهاد في العمل والحكمة في الخطة وغيرها فيهم بحب هذا الشخص بل ومحسبه ملاكاً ونبراساً لمسيرته في الحياة، وفي لحظة أخرى تبدر من هذا الشخص (الملاك) بادرة سوء فيسقط من عينيه بل ويتحول الى شيطان شرير بسبب تلك البادرة.

هذا موقفان خاطئان ارتكبهما الانسان، فهو في الموقف الاول أحب ذلك الانسان وظنه ملاكاً فأصيب بداء المغالاة والافراط من حبه، مع العلم انه بشر، وكذلك أثناء البغض حيث أصيب بمرض التفريط من جانب نفي كل فضيلة عن هذا الانسان الذي كان قبلئذ منار علم له.

وما دام الامر كذلك فهل يحق للانسان أن ينزه صديقه عن مستوى الخطأ فيغالي في فضله وصحة عمله ؟

كلا .. ان ذلك يؤدي الى آثار سلبية كثيرة، فثلاً هؤلاء الذين يتزوجون على أساس الحب والعشق والوله ينتهي زواجهم غالباً بالطلاق، لان كل واحد من الطرفين كان ينظر الى الآخر نظرة مثالية مما يجعله ملاكاً مجسماً في صورة انسان، ولكن بعد الزواج تبدو الصفات المحفية عند الطرفين كحب الذات وغيره، وبالتالي فان نظرة المغالاة للطرف

الآخر تسبب هدم ايجابياته، فتنهي — طبيعياً — بالطلاق، كما أن هذه النظرة غير الواقعية تساهم في تفكك كثير من الصداقات رغم انها متوجهة في البدء بالرصانة والعاطفية الجياشة.

أما الرساليون فهم عكس ذلك لان نظرتهم موضوعية، فالقاعدة الرسالية تنظر الى القمة نظرة متوازنة وواقعية.

خصوصاً نحن الذين نحب أهل البيت (ع) ونتهج نهجهم ونسلك درهم وخطاهم ونسير على منهجهم وفكرهم وخلقهم السامي، لذا يجب علينا أن ننظر الى قياداتنا الرشيدة والمثل الاعلى والنموذج الامثل والاقترب لرسولنا الاكرم محمد (ص) نظرة سليمة ومتوازنة، لان قيادة بهذا الشكل المطلق قد لا نحصل عليها في هذا العصر، كما ان الاعتقاد بقيادة في هذا المستوى غير صحيح لان هذا الاعتقاد سيجرنا الى بعض الاخطاء من قبيل الاحباط النفسي تجاه قياداتنا أو الذوبان في القيادة ونسيان الدور المسؤول في هذه الحياة بسبب الغلو الباطل في القيادات.

هذا على صعيد النظر للقمة، أما على صعيد الذين يعيشون معنا وفي مستوانا فعلينا أن ننظر لهم نظرة موضوعية ومتوازنة كذلك، فالكل قد يصاب بحالة الخطأ ازاء الآخرين، لكن ذلك يمكن اصلاحه باصلاح كل لنفسه أولاً ثم الآخرين.

وعلى صعيد من هم دوننا فعلينا أن لانغتر بأعمالنا مثل الاجتهاد في العمل والتبتل الى الله في سكون الليال والخلق السامي وغيره فنطرد الآخرين من الاعمال الاسلامية بمجرد صدور هفوة صغيرة من هذا أو ذاك، مع العلم ان هذا الانسان الذي تنظر اليه بنظرة سلبية قد يحمل بعض الانطلاقات والانبعاثات المجيدة في حياته مما يؤدي به الى الانتقال كالصاروخ فيسبقك الى الجنة بعملية بطولية استشهادية، لذا نرى كثيراً من الاحاديث تركز على سلبات النظرة الفوقية للانسان واعتبار جانب الانا فيه، وتنسف ذلك من أساسه حيث يقول الرسول الاعظم (ع):

«من حقر مسكيناً لم يزل الله له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه»^(١).

وكما قيل كذلك ان الامام الصادق (ع) أرسل أحد أصحابه الى قرية من القرى ليلبلغ لهم، فلما رجع قال للامام: — رأيتم على غير ما نرى أنفسنا عليه، فنظر اليه الامام مغضباً وقال: — اذا نظرتم الى الناس هكذا نظرنا اليكم هكذا.

وبدل النظرة الاستعلائية التي قد يحملها الانسان تجاه الآخرين، عليه أن يحمل مسؤولية تكميل هؤلاء وأن يساهم في تقدمهم واصلاح نواقصهم، وأن يكون دوره كما الدكتور الذي يختص بعلاج المرضى وليس الاصحاء لانه أساساً إنما جاء لانقاذ المرضى وكذلك المؤمنون فان الله عز وجل لم يكلفهم بتوجيه المؤمنين الذين هم من صنفهم، وإنما أمرهم بانتشال ناقصي الايمان في المجتمع حتى يوصلوهم الى الدرجات الايمانية العليا.

ولو أن أبناء الحركة الاسلامية في العراق كانوا يتمتعون بمثل هذه النفسية و يدخلون في عمق الجماهير ليصلحوها، و ينشرون العلاقات الاجتماعية بين شعبهم لاستطاعوا أن ينتشلوا الكثير من وحل الفساد الى صعيد القيم، وهذا بدوره يساهم في نحو كثير من الخلافات الدائرة.

وهكذا اذا سبرنا غور المجتمع وأصلحنا ما فيه بقدر المستطاع اعتماداً على النظرة الرحيمة والودودة فان كثيراً من قضاياها سوف تنتهي .

وخلاصة ذلك ان البشر ليس ملاكاً ولا شيطاناً، وإنما هو ضعف من هذا وضعف من ذلك، والقرار يكون بيد الانسان حيث يستطيع أن ينتمي الى احدى الكفتين فيصبح ملاكاً اذا اتبع برامج الله، و يصبح شيطاناً اذا ارتقى في أحضان الشيطان رغم ان الصعود الى درجة الملائكة كان مفتوحاً أمام الانسان كبلعم بن باعوراء الذي كان من أفضل عباد بني اسرائيل إلا أنه خضع لتوجيهات الشيطان فأركسه الله في الدرك الاسفل حتى قال عنه:

«فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث»

(١٧٦ / الاعراف)

أو كالزبير الذي كان من أصحاب النبي الاعظم ودافع عنه وعن الامام علي (ع) من الكرب العظام، وكان يساندهما في كل المواقف، إلا أنه خرج على الامام علي (ع) فقتل، وبعكسهم تماماً الحر بن يزيد الرياحي الذي انطلق من زنازة الشيطان بعد أن

كان أول من عارض الحسين (ع) وجمع به وانطلق الى رحاب الايمان حيث خط درب التوبة بدمه.

إذن فلننظر نظرة واقعية الى الانسان .

٢ - تجاوز النظرة اللامسؤولة :

النظرة غير الواقعية للمجتمع تأتي كذلك من النظرة اليه من منظار المسؤولية، فالانسان أصعب ما عليه تحمل مسؤولياته، لذا فانه يتوسل بكل وسيلة ويتعلل بكل تبرير من أجل اقصاء المسؤولية عن نفسه، ومن ثم توزيعها على الآخرين . والشيطان بدوره يسعى جاداً لاستغلال هذه الثغرة عند الانسان فيوحى اليه دائماً بأن المجتمع لا يستحق العمل من أجله، فهم مجموعة غير صالحة للعمل ولا ترد الجميل لمن عمل لها، فيصدق الانسان ذلك و يعمل به رغم انه قد لا يفقه الى ان ذلك من خطط الشيطان .

ان من أبرز سمات المؤمنين حب الناس والتفاني من أجلهم لا من أجل تحصيل شهرة أو لقب من الالقاب ومن يريد ذلك فالامتناع أولى، من يحب الناس ويسعى لانقاذهم فعليه أن يتذلل لهم ويحترمهم ويخلص لهم ولا يتجبر أو يتعالى عليهم، ولا يبغضهم حتى لو كانوا ذوي معصية لاننا لا نبغضهم وإنما نبغض لهم المعصية، كما اننا لا نتأذى منهم، بينما نتأذى لهم محبة بهم .

وهكذا كان ديدن الرسول (ص) حيث انه في عام الاحزان بعد التحاق عمه أبي طالب السند القوي وزوجته الوفية خديجة الى الرفيق الاعلى، ذهب الى الطائف مع زيد فرشقه أطفالها بالحجارة حتى دميت قدماه الشريقتان، ومن ثم طرده أهلها منها بكل صلافة وعناد، فذهب وجلس تحت ظل شجرة ماداً نظره الى السماء باكية عيناه قائلاً :

«الهي لك العتي حتى ترضى . اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون» .

في تلك اللحظة يأتي اليه رجل، فيسأله الرسول : من أي أرض أنت ؟ فيقول من نينوى، فقال الرسول : من بلد أخي يونس بن متي ، وفي هذه اللحظة يذكر الله عز وجل رسول الاكرم بيونس الذي دعا على قومه فحبسه الله في بطن الحوت .

هذه سيرة الاسلام الذي يؤمن بالعمل من أجل الانسان بعكس المادية الحديثة التي لا تحترم الانسان بتكنولوجيتها الواسعة أو علمها الغزير أو الاجهزة العملاقة من سفن فضائية أو كمبيوترات آليّة وأجهزة علمية كلها لا تحترم الانسان إنما تهشم عظام البشرية في كل مكان حتى في بلادهم وهذه دلائل ذلك :-

ففي الولايات المتحدة الامريكية أصبح ضحايا الانتحار من المراهقين — والمراهقين فقط — أكثر من ضحايا السرطان!

وتفيد احصائيات اللجنة القومية الامريكية للوقاية من الانتحار ان أكثر من ٥٠٠٠ مراهق، بين ١٥ — ٢٠ عاماً، ينتحرون سنوياً وأكثر من ٤٠٠ ألف محاولة انتحار تحدث كل عام!

• أما في فرنسا فتقول احصائيات المركز القومي للبحث العلمي ان ٣٧% من الفرنسيين يعانون من الانهيار العصبي، و ٢٥% يكابدون الارق و ١٣٠ ألفاً ينتحرون سنوياً!

• أما في اليابان فقد انتحروا في سنة ١٩٨٤ أكثر من ٥٠ ألف يابانياً، وحاول الانتحار دون نجاح أكثر من مليون. ويعاني ١٥ مليون من الانهيار العصبي والامراض العصبية والعقلية المختلفة.

كل ذلك دلالة على ان مفهوم الانسان وروحه في الغرب قد انتهى منذ أمد بعيد، والحياة العامة في الغرب تؤكد ذلك فـ ٤ مليون أمريكي مهددون بمرض الأيدز، بينما يعيش السود في فقر مدقع، بل وأكاد أقول ان ريفان ومرافقيه ليسوا سعداء، لان أكثرهم متخرجون من مدرسة هوليوود أمثال جورج فينك الذي ألف كتاباً باسم (كيف تربح الحياة) والذي يتحدث فيه عن كتلة من العقد والسلبيات التي تراودهم أمثال أرقهم الزائد الذي يتخلصون منه بشرب الحبوب المنومة والمهدئة، وذلك بسبب الهموم المتراكمة عليهم أمثال الرعب النووي وانعدام الروح والقيم في ضمائرهم الذي يجعلهم هكذا.

هذا هو الوجه المخملي لحياتهم، أما قبضاتهم الحديدية، فيعلن عنها ريغن بأنه سيحارب الارهاب — وكما أوضحت سابقاً — فان ريغان يمتلك نظرية ارهابية يريد أن يطبقها في العالم وكتغطية وتمرير لهذه السياسة يطرح مشروع مكافحة الارهاب، ومن

أجل ذلك يبعث بأثنين من الضباط الامريكيين أحدهما برتبة جنرال والآخر برتبة كولونيل ، ومن ثم تبدأ المذبحة في الطائرة المختطفة ، رغم ان الامريكيين يمتلكون امكانيات عدة يستطيعون بها أن يشلوا قدرة الطرف المقابل لبضع ثوان كالغاز المسيل للدموع المخدر وغيره ، ولكن لم يعملوا ذلك ، لانهم كانوا يريدون اظهار قوتهم أمام المسرح الدولي .

أما نظام حسني مبارك في مصر فانه يتهاوى الى الجحيم باتخاذ مجموعة خطط تتسم باللاحزم والتردد والطيش ، ففي مسألة السفينة - اكيلى لاوروا - ترددت مصر في التعامل معها ، فأعلن الامريكيون ان مصر أخطأت في التعامل مع محتطفي السفينة ، وأثناء اختطاف الامريكيين للطائرة التي تقل محتطفي السفينة بمشاركة النظام المصري وقعت في تهديد للملاحة الجوية ولحياة الآمنين التي سنتها قوانين يونيتا ، فتهاون مبارك مع القرصنة الامريكية ولكن الشعب المصري خرج في تظاهرات صاحبة فأدلى مبارك بتصريح قال فيه «ان أمريكا أخطأت في تعاملها حين أجبرت الطائرة على النزول» فناقض كلامه الاول .

أما بالنسبة للطائرة التي اختطفت الى مالطا فانه يرسل كوماندوز (مصري) بمباركة أميركية و يشرعون في مذبحة هناك ، ولاجل تغطية هذا الحدث يرسل جيشه الى حدود ليبيا ، فينتفض عليه الشعب المصري الذي يعرف بأنه وضع الجيش في حالة تأهب قصوى يعني صرف ميزانية هائلة في الوقت الذي تعاني فيه مصر من ازمات اقتصادية خانقة .

وعموماً فاننا نستخلص من هذه الحوادث ان الذي لا يجول بخاطرهم هو حقوق البشر وسعادة الانسان ، ففي جنيف يتباحث حول ميزانيات التسليح الهائلة التي يصرفها العالم وتقسيم أموال السرقة ، لكن حقوق الانسان وازدياد الفجوة بين الشمال والجنوب ضائعة في محادثاتهم رغم ان ريغان تشدق كثيراً بأحقية حقوق الانسان في جنيف ! ان ريغان هذا الذي اشتد لحمه من الحرام وكذلك غورباتشوف لا يفكرون في

البشرية وإنما يفكرون في مصالحهم !

إذن ما هو الحل لهذا العالم ؟

إنما هو الاسلام والمؤمنون أمثال الامام علي (ع) الذي زخر حكمه بحب الانسان ، ففي

ذات ليلة باردة كان يتفقد الرعية كعادته في كل ليلة، فوصل الى خيمة، سمع منها أنين أطفال وبكاء أم ..

فاقترب من الخيمة، وسأل المرأة :

— «ما بال الاطفال يبكون !..»

قالت :

— «أضرهم البرد، والجوع ..»

.. لفت نظر الامام نار مشتعلة، وعليها القدر فسأل المرأة :

— «وماذا في القدر .. ؟»

أجابت :

— «ماء .. لا شيء غير الماء .. أخذهم به حتى يناموا ..»

أسرع هو، وخادمه قنبر الى البيت .. حمل جراباً من الطحين وشيئاً من الدهن ..

وعاد.

في الطريق حاول قنبر أن يحمل الجراب عنه .. ولكنه أبى ..

دخل الكوخ ..

طلب من الأم ان تسكت الاطفال، بينما أخذ هو يخبز الخبز .. وبعد لحظات كان

كل شيء جاهزاً .. جمع الاطفال حوله .. وبكل لطف بدأ يضع في أفواههم اللقمة ..

والام تنظر الى هذا الخادم المجهول الذي يلاطف أبناءها اليتامى من دون أن تعرف من

هو؟

لماذا يفعل هكذا بالاطفال .. ؟

فالامام يلقم الاطفال، لقمة لهذا، ولقمة لذاك وهو يقول له :

— اغفر لعلي بن أبي طالب ..

وبعد أن شبعوا جميعاً، بدأ يلاطفهم . ويتصاىب معهم . فكانوا يضحكون من ذلك .

ثم خرج ..

فقال له قنبر :

— يا مولاي .. لقد رأيت منك الليلة، عجباً، رأيتك تطعم الجوعى وهذا دأبك ..

ولكن لم أفهم معنى تصابيك معهم؟

فأجابه الامام :

— «لقد دخلنا الكوخ، والاطفال جياع يبكون .. فأردت أن نخرج وهم شبعي

يضحكون؟!»

* * *

مثل هذا الانسان أو الذين يسيرون في دربه هم الذين يقودون البشرية الى السعادة،

لانهم نموا في ذواتهم روحية حب الله وحب عباده أنى كانوا، ومن ثم يسعون الى نشر

السعادة بين ظهرانيمهم.

الايان والتكالمل (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضرراً قل هل يستوي الأعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار* انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً مما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاءً واما ما ينفع الناس في الأرض كذلك يضرب الله الامثال»

صدق الله العلي العظيم

(الرعد / ١٦-١٧)

في الانسان نواقص ذاتية واخرى عرضية.. فالكبر والحسد وحب الخلود والسيطرة انما هي ثغرات ذاتية عجت بها طينة الانسان. اما النواقص العرضية فهي تلحق بالانسان من جراء دخوله في ساحات الحياة والتصاق مساوئها به، فبسبب انحراف المجتمع، وفساد المناهج التربوية والانظمة السياسية والاقتصادية، وضلالات الاعلام والمؤسسات الفكرية.. تلحق الانسان مجموعة نواقص ومساوئ، واذا لم يكن جدياً وذكياً و يؤمن ايماناً صادقاً بيوم القيامة وبخطورة الحساب وعظمة الجزاء فسيقع فريسة هاتين الفئتين من المساوئ والنواقص.

ان اولئك الرجال الذين يؤمنون بالله والبعث ايماناً صادقاً، بامكانهم التخلص من النواقص الخارجية، ثم يسعون سعياً حثيثاً ويجاهدون انفسهم عشرات السنين لكي يصلحوا ذواتهم، واذا صلحت وابتعدت عنهم المساوئ الذاتية آتئذ يكونون مستعدين

لدخول الجنة .

ان اخراج آدم وحواء من الجنة خير شاهد لنا على ذلك .. اذ لم يكن النظام الاقتصادي أو السياسي هناك فاسداً، ولم تكن المناهج التربوية خاطئة، ولا السيادة طاغوتية، ولم توجد أي قناة من قنوات التأثير على النفس البشرية، ومع ذلك أخرجنا من الجنة !! .. لان في ذاتها مساوي حُرمت عليها البقاء في الجنة، فامتحنها الله واخرجت تلك المساوي، ثم اخرجنا من الجنة الى الارض لمتحن ارادتها في الدنيا وتصلح نفسيتهما، ثم يعودان الى الجنة نظيفين .

وبتعبير آخر.. ان الهدف من تحول الانسان من عالم الذر والاشباح والاصلاب الى عالم الدنيا بمشاكله وصعوباته ونعمه ونقمه انما هو اصلاح ذات الانسان من نواقصه الذاتية — لا مجرد اصلاح جوانبه الفوقية — .

يقول الله سبحانه وتعالى على لسان ابليس — حينما يقص قصة آدم وحواء — :

« فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١) »

أي ان ابليس قام باثارة حالة نفسية موجودة في آدم وحواء وهي حب الخلود والسيطرة، فأطاعاه واندفعا .

هنا يعترضنا سؤال : باعتبار ان الله سبحانه وتعالى اعطى آدم وحواء كل الجنة، وابعح لهما كل نعمها .. باستثناء شجرة واحدة، وباعتبار أن علاقتهما مع الرب الجليل كانت حسنة .. الم يكن من الانصاف ان يستشيراه في الاكل من الشجرة ؟ .
بلى .. كان بإمكانهما، الا ان غريزة حب الخلود والملك دفعتهما الى المبادرة الى الاكل من دون ان يسألأ ربهما — وربما عملاً باصل الاباحة أو بقاعدة الطهارة — .

تشريع لقهر النفس : —

نحن في حياتنا — أيضاً — مبتلون بهاتين الفتنين من المساويء والذنوب الظاهرة التي ارتكبتها كل واحد منا بدون استثناء، ومن يدعي عدم ارتكابه لها فانما يدعي باطلا، وادعاؤه يعتبر نوعاً من المساويء الذاتية لانه يعتقد في نفسه العصمة .
أننا جميعاً ارتكبنا جريمة الكذب على الناس، والغيبة والنميمة، والحسد وترتيب

الاثر عليه ، وخربطة الصلاة وظلم الآخرين — وان كنا في بعض الحالات مظلومين — .. أو غيرها من الذنوب الفوقية . وهذه الذنوب انما جاءت من انعدام التربية الصالحة ، والسياسة والاقتصاد السليمين ، والمجتمع الفاضل .. وبالتالي فهي لحقت بنا بسبب انحرافات في خارج ذواتنا .

لكن هناك ذنوباً اخرى لا تظهر ، الا انها واقعية وكبيرة ، وهي ذنوب الذات والنفس البشرية . ومن جملتها تفرغ الشرائع الالهية من محتواها ، فلا تكون الصلاة برنامجاً لاختضاع النفس الامارة بالسوء التي تنزع نحو الكبر .

ان في القرآن تعاليماً كثيرة تبين فلسفة الصلاة والغرض منها ، فتارة يقول :

« وأقم الصلاة لذكري » (٢)

وتارة أخرى :

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر » (٣)

فربنا انما امرنا بالصلاة لكي نحارب بها عدونا وأنفسنا المتجبرة التي تقول دائماً «أنا» . كما أمرنا بالصوم لايجاد حالة الصبر في انفسنا ، لذا فهو يسمى صبراً في بعض الحالات :

« واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين » (٤)

خطر القشرية : —

اذا تحول الانسان المسلم من المحتويات والقيم والجواهر وحقائق العبادات الى القشور والظواهر والمسائل الخارجية .. فلا بد انه لا يريد اصلاح نفسه بالشرائع الالهية ، أي لا يريد الصلاة لتزكية نفسه عن الكبر انما وسيلة للرياء الذاتي ، ولا الصوم لتزكية ذاته عن الجزء ، ولا الجهاد لاعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ، ولا السلطة لتطبيق العدالة .

في ليلة من الليالي كان الامام علي (ع) يتمشى مع صاحب له في الازقة ، فاذا بهما

(٢) سورة طه آية ١٤ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٥ .

(٤) سورة البقرة آية ٤٥ .

يسمعان صوت انسان يتلو القرآن الكريم وهو في بكاء وخشوع .

فتعجب صاحب الامام من خشوعه وزهده وقال : يا ليتني كنت مثله !

فقال له الامام : من أين علمت ذلك ؟

فقال : انه صوت متهجد في آخر الليل !

فقال الامام : وما يدريك ما في نفسه ؟

وحسب ما جاء في الروايات ان صاحب هذا الصوت كان «عبد الرحمن بن ملجم»

قاتل الامام علي (ع) .

ولا عجب من ذلك .. فالذين حملوا السيوف وخرجوا على الامام علي (ع) كانوا

اصحاب ثغفات من كثرة السجود ، وكانوا يعتقدون بأنهم يعبدون الله ، بينما هم عبدة أنفسهم .

وقد كان الواحد منهم يذهب الى مسجد رسول الله اثناء صلاة الجماعة و يصلي

خلف المجتمعين صلاة فردية ، امتناعاً منه عن الصلاة وراء رسول الله بدعوة عدم عدالته — وهو قد تعلم الصلاة منه — .

يقول الله تعالى في الآيات الآتية الذكر :

« انزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما

يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل

فاما الزبد فيذهب جفاءً »

لتكن جميع اعمالنا التي نقوم بها ليل نهار وسيلة لتزكية النفس من نواقصها

الذاتية ، ولاخضاع حالة التجبر والطغيان في داخلها ، وذلك لان مشكلة الانسان

ليس في قيامه بالعمل وانما في صدق نيته وخذاعه لنفسه :

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم » (٥)

وهذه القشرية في الحياة اكبر الاخطار على الاسلام ، فهي تعني تحويل المحتويات

الى قشور وشعارات وكلمات براقية ومظاهر خلافة . لذا فضخامة العمامة ، وطول اللحية ،

ووجود الثغفات على وجه الانسان وتظاهره بالخضوع ، ورفعها للشعارات .. ليس دليلاً

على قربه من الله ، فيلزم ان لا ننخدع بهكذا أناس ، كما يجب أن لا نخدع أنفسنا بهكذا اعمال ، وانما نتوجه الى صدق العمل وخلاصته .

« وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً » (٦)

ياترى الى أي درجة تبلغ حسرة الانسان يوم القيامة حينما يرى جميع ما عمله — من صلاة وصوم وعبادة — يذهب و يتناثر في الفضاء اللامتناهي وهو لا يحصل على شيء ، مثل الرماد الذي تشتد به الريح في يوم عاصف .

ان الفساق والخمارين والزمارين يعلمون بمصيرهم ، لكن المؤمن اذا لم يكن ايمانه وسيلة لتزكية نفسه ولاصلاح الذاتيات من نواقصه ، سوف تكون حسرته شديدة . حينئذ يكون اشد الناس حسرة علماء السوء الذين يدخلون النار ، بينما يدخل الجنة أناس بسببهم .

« أن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله عزوجل فاستجاب له وقبل منه وأطاع الله عزوجل فأدخله الله الجنة ، وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى » (٧)

ينبغي لنا كل يوم ان نستعيذ بالله من الشيطان مليون مرة ، لانه يترصدنا على كل قارعة طريق وفي كل لحظة وبكل وسيلة لينبذنا في نار جهنم . ومن مكائده محاولة تفرغ صلاتنا من محتواها واعطائها طابع القشرية ، فلانه لا يستطيع ان يمنعنا عن ادائها . يحاول تزييفها ، بادخال الرياء ، والسرعة المفرطة حيث يكون هم الواحد منا آخر الصلاة .

« كان الامام زين العابدين يصلي ذات يوم فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوه حتى فرغ من صلاته ، فسأله بعض اصحابه عن ذلك ، فقال : ويحك اتدري بين يدي من كنت؟! إن العبد لا تقبل من صلاته الا ما أقبل عليه منها بقلبه ، فقال الرجل : هلكتنا ، فقال : كلا ان الله عزوجل متمم ذلك بالنوافل » (٨) .

(٦) سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٧) بحار الانوار ج ٢ ص ١٠٦ .

(٨) بحار الانوار ج ٤٦ ص ٦١ .

قال رسول الله (ص) :

« جعل الله جل ثناؤه قرّة عينني في الصلاة وحبب الي الصلاة كما حبب الي الجائع الطعام ، والى الظمآن الماء ، وان الجائع اذا اكل شبع ، وان الظمآن اذا شرب روي ، وأنا لا أشبع من الصلاة »^(٩)

السياسة اداة لتطبيق الرسالة : —

وليس في الصلاة فقط بل حتى في السياسة.. فاذا اردنا ان نكون سياسيين يجب أن نحذر من تحويل السياسة الى اداة للسيطرة والتجبر، ولنأخذ الرسول قدوة لنا في ذلك ، فحينما دخل مكة فاتحاً طأطأ رأسه حتى التصق براحلته تواضعاً لله سبحانه وتعالى .

«روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه : لما كان يوم فتح مكة ضربت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) خيمة سوداء من شعر بالابطح ، ثم افاض عليه الماء من جفنة يرى فيها اثر العجين ، ثم تحرى القبلة ضحى ، فركع ثماني ركعات لم يركعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل ذلك ولا بعد»^(١٠) .

لكن هناك أناساً لو يعطي لهم كرسي بسيط — لا يعلمون هل يبقى لهم أم يقون له — تشوبهم حالة من الخيلاء والزهو والتصرفات الشاذة .. وينسون بانها مجرد امتحانات . فلو وجدت في نفس الانسان ذرة من الحسد ، فان الله يمتحنه عشرات المرات حتى تخرج هذه الذرة ، فاما يستغفر الله منها و يصلحها ، واما توقعه في نار جهنم . ان الروح القشرية التي تتجه الى عبادة الظواهر والشئيات ، هي السبب في (٩٠٪) من مشاكل امتنا .

كلنا سمع الاناشيد التي كان يتشدد بها العرب اكثر من اربعين سنة ، والتي من ضمنها «الآن الآن وليس غداً .. اجراس العودة فلتقرع» .

ان الاجراس قرعت ، والانشيد قيلت ، والاذاعات ملأت الدنيا صخباً .. ولكن هل عادوا او استعادوا ؟ بل اعيدوا الى مواقعهم سالمين !

(٩) مستدرك الوسائل ج ١ ص ١٧٤ .

(١٠) فروع الكافي ١ ، ١٢٥ — ١٢٦ .

لنتساءل : ما السبب في هزائمهم مع الاسرائيليين ، في سنة (١٩٤٨)، (٦٧)، و(٧٣) و(١٩٨٢م) ، وفي كل يوم ؟

السبب الحقيقي يعود الى انهم اصبحوا رجال شعارات ، ولم يجلسوا ويفكروا في المشكلة الحقيقية . فمع انهم جلسوا وكتبوا وخطبوا ، لكنهم لم يفعلوا شيئاً ، وذلك لانهم لم يتجهوا الى العمق ، فقد كانوا بحاجة الى صناعة وزراعة ووحدة واستراتيجية وتكنولوجية والى تخطيط مستقبلي . ومع ذلك لم يكن في قاموسهم سوى الشعارات .

ان (٩٠%) من الفشل الذي يلحق بالانسان انما هو توجهه الى الظواهر وانخداعه بالظواهر والقشريات ، وابرز نموذج امامنا هو تحطم المكوك الفضائي «تشانجر» .

فحسب تحليل خبراء وكالة الفضاء في بريطانيا قيل بأن الامريكيين كان بإمكانهم ارسال سفن بدون رواد الى الفضاء ، ويحصلون على معلومات ادق وافضل من السفن المقلدة للرواد .

ان السؤال المطروح في العالم اليوم — اثر تحطم المكوك — يقول : ما الذي دفع وكالة الفضاء الامريكية «ناسا» الى اختيار هذا النوع من السفن الفضائية ، وصرف «١٢٠٠٠٠٠٠٠٠» مليون دولاراً على انفجاره ؟

الزهو والخيلاء .. فالامريكيون لم يهدفوا الحصول على المعلومات بقدر ما كانوا يهدفون التظاهر بمظهر القوة ، طبقاً لما قاله فرعون لوزيره هامان تجبراً في الأرض :

« فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعل اطلع الى اله موسى » (١١)

حينما نزل اول رجلين على سطح القمر — آر مسترونغ وآلدرين — ، عمل الغربيون في العالم ضجة وصخباً لهدف اظهار قوتهم امام الروس .

ولعل الله سبحانه وتعالى اراد من — تفجير المكوك — تحذير المستكبرين وتذكيرهم بأن :

« الزبد يذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

ولكن رانت على قلوبهم ذنوبهم وخطاياهم فهم لا يعقلون .

يقول الله تعالى في صفة المؤمنين :

«الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور» (١٢)

هذه التعاليم هي هدف السياسة، أما اذا خلت الاخيرة منها، فإنها لا تسوى شيئاً، فما قيمة سياسة تجر وراءها المتاعب والصعوبات وتدخل الناس في اتون الحروب؟!

قال عبد الله بن عباس: «دخلت على امير المؤمنين (عليه السلام) بندي قار وهو يخصف نعله. فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها! فقال (عليه السلام): والله لهي أحب ألي من امرتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً (١٣) لذا فنحن إذا كان هدفنا من السياسة ربنا جل وعلا، والا فلنتركها ونتحول الى عمال مزارع في بعض القرى النائية اجدى لنا.

ضرورة مراقبة الذات : —

يجب أن نكون جديين في اعمالنا، فلا نخطوا خطوة الا ونحسبها لمن ولماذا وتخدم أي شيء، وذلك لصعوبة المسألة وخطورتها امام الله.

قال ابو عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام):

«ألا فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، فان في القيامة خمسين موقفاً كل موقف

مثل الف سنة مما تعدون»

ثم تلا هذه الآية:

«في يوم كان مقداره خمسين الف سنة» (١٤)

وقد جاء في الروايات بان الحواجز أو المواقف الاخيرة مرتبطة بنفس الانسان، فاذا

كانت الاعمال خالية من الكبر والانا وما شابه تجاوزتها والا ترد.

كذلك في السماء حواجز كثيرة تمر عبرها الاعمال، فاذا لم تقبل تلف كالحزقة

(١٢) سورة الحج آية ٤١.

(١٣) تصنيف نهج البلاغة ص ٢١٠.

(١٤) بحار الانوار ج ٧ ص ١٢٦.

و يضرب بها رأس صاحبها .
فينبغي ان يكون الانسان دقيقاً ، لان الحياة ليست هزلاً .

الايان والتكامل (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

«سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بينان مرصوص * وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين * وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين * يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» .

صدق الله العلي العظيم

(سورة الصف آية ١-٩)

القتال في سبيل الله قمة الايمان وسنام الاسلام وذروة التقوى . إلا أن له شرطاً أساسياً لو فقدته فانه يفقد جوهره ، ويتحول الى مجرد صراع على السلطة ، لاقيمة له في ميزان الرب ، وعند محكمة العدل الالهية .

وذلك الشرط هو أن يكون الهدف من القتال هدفاً مقدساً ، وأن يكون القتال في سبيل الله ، لا في سبيل السلطة ، ولا في سبيل العصبية الجاهلية ، ولا في سبيل تكريس خط ضد خط وفتنة ضد أخرى .

وحيثما يحدثنا القرآن الكريم عن هذه الحقيقة في سورة الصف فانه يتحدث بقوة

وبشمولية .

فيبدأ القرآن بتسبيح الله — سبحانه وتعالى — الذي يملك السماوات والأرض العزيز الحكيم ، — وصفتي العزة والحكمة الالهيتين تذكيران في القرآن كلما ذكرت قضية اجتماعية ترتبط بالنظام والقانون — ثم ينذر المؤمنين بلهجة عنيفة شديدة ، و يقول :

أي أولئك الذين آمنوا إيماناً ظاهراً .

«لم تقولون ما لا تفعلون» .

لماذا توجد مسافة بين أقوالكم وأفعالكم ؟

«كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» .

إن وجود فجوة بين القول والفعل سبب لمقت الله ، وإذا مقت الله الانسان فان الملائكة تمقته ، وحينما تمقته الملائكة فان الطبيعة تمقته وبالتالي يمقته الناس أيضاً .

وإذا مقت الانسان من قبل الله والملائكة والطبيعة والناس حينها يكون في أسفل السافلين .

وما الذي يريده الانسان في حياته ؟

إن أهم تطلع للانسان — كفرد — أو للمجتمع — كتجمع — هو الوصول الى العزة والذكر الحسن ، واللسان الطيب ، وأن يكون في موضع يمدحه الناس .

وحينما يهان الانسان ويذل ويمقته الله والناس فان الموت أولى له سواء الفرد أو المجتمع من حياة يكون ممقوتاً فيها من الله والملائكة والطبيعة والناس .

ولكن ما هي القضية التي تتحدث عنها هذه السورة ؟ وماذا يقصد القرآن من هذه البداية العنيفة ومن هذا العنف البلاغي في حديثه ؟

يقول الله تعالى :

«إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» .

أوما هي العلاقة بين الآيات الثلاث الأولى في سورة الصف وبين هذه الآية التي

تحدثنا عن القتال بصف واحد في سبيل الله وهي الآية الرابعة في هذه السورة ؟

العلاقة هي أن الكلام كثير في مسألة الوحدة وتوحيد الصفوف والعمل في سبيل

الله ، ولكن الفعل القليل .

فالكل ينادي بضرورة الوحدة وبالحاجة الى السلام والصلح والوثام والتآلف والتعاون، ولكن الصادقين بينهم قليلون.

ولهذا السبب فان العزة لا توجد بين هذا التجمع، لانها لا تكون إلا في تجمع كلامهم وعملهم واحد، يقولون بالوحدة و يفعلون لها. وربما تفسر هذه الآية آية أخرى حيث يقول تعالى :

« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

(سورة الأنفال آية / ٤٦)

وقد فُسرّ الريح بالقوة، وأعتقد أنها تعني العزة، ومعنى الريح هو الصيت أو الشهرة، أو الأسم، أي لا تبقى لكم سمعة حسنة أو صيت واسع حسن، أو ذكر طيب.

والانسان مستعد لكي يضحي بماله أو نفسه و بالملايين من شعبه من أجل عزته ومن أجل عزة بلده ووطنه. فاذا ذهبت العزة أو الريح والذكر الطيب. فما الذي يبقى للانسان؟

إن الآية الكريمة توضح بأن الانسان حينما يقول ما لا يفعل وحينما يقول كثيراً و يعمل قليلا حول الوحدة فان الله يمقته أي أن ريحه وسمعته تذهب.

وهذا يمثل الجانب السلبي من المعادلة، أما الجانب الايجابي منها فهو حينما نرى مجتمعاً ذليلاً ومهاناً ومحكوماً بحكم الطغاة، فلا بد أن نعرف بأنه مجتمع يمقته الله. لماذا؟ لأنه يقول ما لا يفعل في قضية القتال في صف واحد.

فالله جل وعلا يمقت هؤلاء بينما من جانب آخر يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاءً، وحب الله سبحانه يختلف إختلافاً كلياً عن حب الانسان كما أن مقتته ليس كمقت الانسان. فالانسان حينما يمقت أحداً فانه يتميز غيظاً عليه وتنتشر كل أعصابه بسبب ذلك ولكنه لا يستطيع أن يفعل به شيئاً، لأن مقت الانسان واقع في نفسه.

لكن الله جل وعلا منزه ومقدس من أن يتأثر ضميره بشيء، إنما مقته و غضبه و حبه هو فعله، فعندما نقول أن الله يحب أحداً يعني يكرمه و يعظمه، ويمقت أحداً يعني يذله

و يهينه .

فالقرآن حينما يقول :

« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

يعني أن الله يرفع درجاتهم وإسمهم و يصبح لهم الذكر الطيب ، وأن الله يدعمهم ، و يبعث الرعب في قلوب الأعداء منهم ، و ينمي مودتهم و محبتهم في قلوب الناس .

كذلك بالنسبة للمقت فانه يعني الذلة والهزيمة .

من الآيات الكريمة يتضح أن المشكلة الأساسية للأمة تعود للوحدة ومشكلة الوحدة ليست مشكلة واحدة وإنما هي إطار لمجموعة مشاكل تنتهي الى التفرقة ، وتكون الوحدة في مقابلها ، وجذر المسألة يعود الى تلك المشاكل .

ولكن حينما نعرف جذر المسألة فكيف نتخلص منه ؟

إن الله سبحانه وتعالى يقول :

« وإذ قال موسى لقومه .. الخ » .

ثم يقول :

« وإذ قال عيسى بن مريم .. الخ » .

ثم يقول :

« هو الذين أرسل رسوله بالهدى .. الخ » .

إن القرآن الكريم يحدثنا عن القتال في سبيل الله صفاً ، وفور الانتهاء من هذا الحديث يحدثنا عن ثلاثة من أعظم أنبياءه وهم النبي موسى بن عمران (ع) كليم الله ، والنبي عيسى بن مريم (ع) روح الله ، والنبي محمد بن عبد الله (ص) حبيب الله . فما هي المناسبة في ذلك ؟

السبب في ذلك أن القتال في صف واحد لا يمكن أن يكون إلا تحت راية واحدة ، وتحت قيادة إلهية ، وتحت مظلة رسالية ، لأنها تمثل أساس الوحدة .

فاذا كانت علاقة كل فرد بالقيادة هي علاقة الذوبان والاخلاص وعلاقة التفاني والحب والمودة ، فان الجميع يصبح صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص .

وليس واقع هذا الصف — فقط — قوياً ومقتدراً ، بل ظاهره أيضاً مرصوص وجميل .

فقد تكون القلوب متحدة ولكن الأجسام متفرقة ، وقد تكون الأجسام مجتمعة ولكن القلوب شتى ، أما المؤمنون فان قلوبهم متحدة ، وكذلك الأجسام تدل على الوحدة ، فحركاتهم وسكناتهم وتصرفاتهم وسلوكهم يبرهن على وحدتهم .
« كأنهم بنيان مرصوص » .

قال «بنيان» يدل على القوة و«مرصوص» يدل على الجمال .
وخلاصة القرآن الكريم في حديثه عن المجتمع في هاتين الصفتين صفة «الجمال» و«الجلال» أي صفة «القوة» و«الاناقة» يعني «قوة الواقع» و«إناقة الظاهر» أو «حسن المظهر» و«قوة الجوهر» .

فالمؤمنون « كأنهم بنيان » من ناحية القوة ، و« مرصوص » من ناحية الجمال والاناقة والمظهر الطيب .

ولا يمكن أن نكون هذا البنيان المرصوص والذي يمثل الوحدة من دون صفة الذوبان في القيادة .

ولكن كيف يذوب الانسان في القيادة ؟

إن كل شيء في الحياة بحاجة الى تمرين وتدريب ، فلا يمكن أن نحصل على مجتهد مستنبت جامع لشرائط الفتوى والمرجعية في خلال أسبوع ، ذلك لأن الانسان يحتاج الى عشرات السنين من الدراسة والتعب والارهاق والاجتهاد لكي يصل الى قمة العلم الديني وهي الاجتهاد .

كما انه لا يمكن أن نحول رجلاً غير ملتزم بالواجبات الدينية ولا متهم بالمسائل الاسلامية ، الى شخص ذائب في سبيل الله كسلمان المحدي أو كأبي ذر الغفاري أو كعمار والمقداد في فترة وجيزة ، لأنه بحاجة الى تربية والى عمل طويل .

كذلك الأمر بالنسبة لمن يريد الوحدة ، فهو أشبه بمن يريد أن يصعد سلماً ، فيجب عليه أن يصعد درجة درجة وهولاً يزال في أول السلم ، وعليه أن يحث السير ويرتفع شيئاً فشيئاً ، حتى يصل حيث وصل المقربون .

والانسان بحاجة الى أن يرتقي في صفاته كلها ، وخصوصاً في صفات الخروج عن

«الأنا» فهي عدوة الانسان ، وكما قال الرسول الأعظم (ص) :

« أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » .

وكما قال الامام علي (ع) :

« أقوى الناس ، أعظمهم سلطاناً على نفسه » .

فالمصيبة تكمن في الأنانية والنفس الأمارة بالسوء ، وفي تلك الحالة التي تجعل الانسان ينظر الى جميع الأمور بمنظاره الشخصي ، ويرى نفسه المحور وباقي الأشياء تدور حوله .

ويذكر « ديل كارنيجي » في أحد كتبه أنه إتضح من إحصاء في الولايات المتحدة أن أكثر الكلمات تردداً في التلفونات هو ضمير المتكلم المفرد « الأنا » .
والخروج عن « الأنا » أو عن الذات البشرية ليس مسافة بسيطة ، ولكن يمكن أن يخرج الانسان من ذاته اذا سار خطوة خطوة .

وهذا لا يعني أن يقتل الانسان ذاته وإنما يعلمها ويرببها ويزكيها :

« قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها » .

(سورة الشمس آية ٩-١٠)

ولكن كيف يزكي الانسان نفسه ؟

التزكية تكون بأن يرشد الإنسان الآمال والطموحات التي في نفسه ، فالانسان يحب الذكر الحسن ، وهو شيء جيد ، ولكن يجب أن يكون من طريق التقوى .
« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً » .

(سورة مريم آية ٩٦)

فحينما يكون الانسان في الطريق الصحيح فان الله يزرع حبه في قلوب المؤمنين .
والغريب أن بين قلوب المؤمنين تآلف عجيب ، يظهر حينما يرى أحدهما الآخر حتى ولو لم يكن يعرفه .

فعن الأصبغ بن نباته قال : كنت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) فأتاه رجل فسلم عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين ! إني والله لأحبك في الله وأحبك في السر كما أحبك في العلانية ، وأدين بولايتك في السر كما أدين بها في العلانية — وبيد أمير المؤمنين عود — فطأطأ رأسه ثم نكت بالعود ساعة في الأرض ثم رفع رأسه إليه فقال : إن رسول الله

(صلى الله عليه وآله) حدثني بألف حديث ، لكل حديث ألف باب وإن أرواح المؤمنين تلتقى فتشم وتتعارف ، فما تعارف منها ، ائتلف وما تناكر منها إختلف ، وبحق الله لقد كذبت ، فما أعرف في الوجوه وجهك ولا اسمك في الأسماء .

ثم دخل عليه رجل آخر فقال : يا أمير المؤمنين إني لأحبك في الله وأحبك في السر كما أحبك في العلانية — قال : فنكت الثانية بعوده في الأرض ، ثم رفع رأسه إليه فقال له : صدقت .. إذهب فاتخذ للفقير جلباباً فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : يا علي بن ابيطالب ! الفقر أسرع الى محبينا من السيل الى بطن الوادي .

فالقلوب التي تتألف هي قلوب المؤمنين ، والقلوب التي تتخالف هي قلوب المنافقين .

« تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » .

(سورة الحشر آية ١٤)

فقد يكون ظاهرهم متحداً ولكن الحقيقة أنهم مختلفون وكل قلب من قلوبهم يسير في جهة مخالفة للآخر .

فلكي نحكم السيطرة على أنفسنا لا بد أن نرشد طموحات النفس ونوجهها ، فالانسان يمكن أن يحصل على الذكر الحسن بالتقوى ، فيجبه الأطياب المؤمنون ، أما حب الأشرار فلا حاجة له فيه .

فتزكية النفس هي الصفة الأولى للخروج من الذات .

والصفة الثانية هي تزكية اللسان ، فبعض الألسنة بذينة إعتادت أن تسب وتلعن وتشتتم وتتكلم على الآخرين .

والبعض يبحث عن أخطاء الآخرين وعن سلبياتهم ، كالذبابة تبحث عن الوسخ والقذارة .

وهناك آخرون يحملون قلوباً صافية بيضاء طيبة .

وينبغي أن يكون لسان الانسان نظيفاً يبتث الايجابية فيما حوله ، كالورد الذي ينشر عبقة في الأرجاء ، وهذا إنما يكون بالعودة .

وإن حب الناس وبغضهم يجب أن يكون حسب التقييم الالهي وحسب المفاهيم

الالهية ، وخصوصاً بالنسبة للأصدقاء : فأعظم مكسب للانسان هو الصديق الطيب الذي يكون في سبيل الله .

وإن أشد الناس خسارة الذين يجدون فرصة لكسب الأصدقاء الطيبين فيضيعونها على أنفسهم .

ولهذا فانه يجب أن يفتش الانسان عن الأصدقاء الطيبين ، وأن يوجد بينه وبينهم رابطة الايمان .

ولقد كانت هناك تحالفات — قد توجد الآن — بين مجموعة من المؤمنين على الا يدخل أحدهم الجنة إلا مع البقية ، فلقد كانوا يجدون أنفسهم وكأنهم قرييون من الجنة ، ولهذا فان طموحاتهم عالية . وكانوا في مستوى الطموح ، وكانت آفاقهم العلمية واسعة ، وصلوا بها الى الجنة وهم في الدنيا ، فكانوا يتحالفون إذ مات أحدهم عليه أن يأتي الى الآخر في منامه و يبين له ما يجري في عالم البرزخ ، وإذا زار أحدهم إماماً من الأئمة أو كان في موضع من مواضع قبول الدعاء فعليه أن يدعوا للباقيين .

وهذا هو الذي يبعث الحب والايان ويجعل الوحدة الحقيقية — وليست الظاهرية — بين المؤمنين ، وبالتالي يتنازلوا عن حطام الدنيا وينشغلوا عن السفاسف والجزئيات . لأن الانسان حينما ينشغل بالتوفاه والصغائر فانه لا يستطيع أن يصل الى الكليات والى الأهداف المنشودة .

ولهذا فانه ينبغي أن تكون أيام التدريب في مستوى أيام المواجهة . ومن جملة الصفات المهمة التي يجب أن ندرّب أنفسنا عليها هي صفة القدرة على التعامل مع الآخرين والقدرة على العيش مع بعضنا .

فتجربة التأليفات والبحوث المشتركة مهمة جداً وقليلة في نفس الوقت ، وذلك لأن كل واحد يريد أن يكون العمل باسمه فقط ولهذا نجد أن المسلمين يعيشون آحاداً وأفراد .

إن مسيرة الوحدة تبدأ من الأعمال المشتركة ، من الدروس والبحوث والكتابات ، ومن الحوزات والصفوف ، الى أن يصبح كل فرد عضواً في جسد واحد مترابط .

قيادة منتصرة

— بسم الله الرحمن الرحيم

« يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير * يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون * وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين »

صدق الله العلي العظيم

(البقرة / ٢٠ - ٢٣)

(١)

الخلافة في المفهوم القرآني

حين نقرأ آيات الذكر الحكيم نجد في ظاهره القصص والاحكام ، ونكتشف في واقعه العبر والمعارف ، وهذه الازدواجية تمكن كافة الاطراف من الاستفادة من القرآن على رغم تفاوت المستويات الفكرية ، فهناك من ينبهر بانسياب القصص القرآنية وأسلوبها الجذاب ، وهناك من يغور في عبر القرآن ، حتى يلتصق قلبه بالحقائق القرآنية التصاقاً وثيقاً وواعياً .

ومن بلاغة القرآن الحكيم أيضاً ، استخدام القصص الواقعية والواضحة في تبين الحقائق المعقدة والمغيبية عن الاذهان ، ومن أبرز القصص القرآنية التي تتكرر في آيات

القرآن ، وبالخصوص في سورتي البقرة والاعراف ، قصة نبي الله آدم والاعتراض الذي قدمه الملائكة الى رب العزة والجلال بشأن خلافة آدم في الارض ، ولعل الملائكة استنتجوا من التركيبة البشرية من الروح والجسد ، أو من عالمي المادة والمعنى ، استنتجوا من طبيعة البشر ميله نحو سفك الدماء والافساد في الارض ، وربما كان كوكب الارض محطة لصنف آخر سكنه قبل الانسان ، وكان دأبه إراقة الدماء والفساد ، مما دعى الملائكة الى قياس الانسان بسلالاته السابقة ، بيد أن الله عزوجل نهرهم عن هذا القياس الخاطيء ، مؤكداً أن علمه محيط بكل شيء ، وقال تعالى : —

« قال : إني أعلم ما لا تعلمون »

كيف كانت هذه الكلمة إجابة على الاشكال العريض الذي طرحه الملائكة بصدد خلافة الانسان ؟

إن علم الله تعالى شأنه محيط بطبيعة الانسان ، فكما أن عوامل الانحراف والضلالة تركسه في أسفل سافلين ، كما ذلك تماماً ، فإن أسباب الهداية والصلاح قادرة على بلوغ الانسان وسموه الى منزلة رفيعة توصله الى قاب قوسين أو أدنى .. ولعل هذا الامتداد البشري كان زاخراً طوال التاريخ بقمم سامقة مثل الانبياء وبالخصوص حبيب الله محمد بن عبد الله (ص) الذي فاق الخلائق أجمعين ، وأصبح مثلاً أسمى لقدرة الله ، وهذا المثال يحدد مفهوم الخلافة في القرآن ، كون الخلافة الاصلية لا تطلق على سفك الدماء أو على المفسد في الارض ، وإنما تطلق على الانسان المتكامل الذي اعتمد في بصائره على الله عزوجل ، ولعل سياق القرآن وتسلسل آياته دليل على ذلك ، فبعد الآية الكريمة :

« قال إني أعلم ما لا تعلمون »

مباشرة ، قال :

« وعلم آدم الاسماء كلها »

فالخليفة المنتخب من قبل الله عزوجل ، هو آدم والخط الذي سار على نهجه من هابيل (وليس قابيل) الى نوح و ابراهيم وسائر الانبياء والمصلحين ، وهنا تتأكد حقيقة أن الخلافة في الارض إنما تكون للعالم بالله عزوجل .

« وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء

إن كنتم صادقين؟ قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا»
 إن المراد (بأسماء هؤلاء) والتي هي ضمير للجمع للمذكر هم أهل البيت (ع)،
 ولعل الروایتين التاليتين تبينان هذه الحقيقة.

١ - قال الامام أبو محمد العسكري (ع) لما قيل لهم هو الذي خلق لكم ما في
 الارض جميعاً الآية قالوا متى كان هذا؟ فقال الله عزوجل وإذ قال ربك للملائكة
 انبئني هذا الخلق لكم ما في الارض جميعاً حين قال ربك للملائكة الذين كانوا في
 الارض: -

«إني جاعل في الارض خليفة»

بدلاً منكم ورافعكم منبأ فاشتد ذلك عليهم لان العبادة عند رجوعهم الى السماء
 تكون أثقل عليهم: -

«فقالوا ربنا أتعجل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»

كما فعلته الجن بنو الجان الذين قد طردناهم عن هذه الارض: -

«ونحن نسيح بحمدك ونقدس لك»

نزهك عما لا يليق بك من الصفات ونقدس لك نظهر أرضك ممن يعصيك قال الله
 تعالى إني أعلم ما لا تعلمون إني أعلم من الصلاح الكائن فيمن أجعله بدلاً منكم ما لا
 تعلمون وأعلم أيضاً ان فيكم من هو كافر في باطنه لا تعلمونه وهو إبليس لعنه الله ثم قال
 وعلم آدم الاسماء كلها أسماء أنبياء الله وأسماء محمد (ص) وعلي وفاطمة
 والحسن والحسين والطيبين من آلهما وأسماء رجال من شيعتهم وعتاة أعدائهم
 «ثم عرضهم» عرض محمداً وعلياً والائمة على الملائكة أي عرض أشباحهم وهم أنوار في
 الاظلة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان جميعكم تسبحون وتقدسون وان
 ترككم ههنا أصلح من ايراد من بعدكم أي فكما لم تعرفوا غيب من في خللكم فالخري
 أن لا تعرفوا الغيب الذي اذا لم يكن كما لا تعرفون أسماء أشخاص ترونها قالت
 الملائكة سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم بكل شيء الحكيم المصيب في
 كل فعل قال الله عزوجل يا آدم اخبأ أسماء الانبياء والائمة
 فلما أنبأهم عرفوها أخذ عليهم العهود والميثاق بالايان بهم والتفضيل لهم قال الله تعالى

عند ذلك : —

« ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »

وما كان يعتقدده إبليس من الالباء على آدم اذا أمر بطاعته واهلاكه ان سلط عليه ومن اعتقادكم انه لا أحد يأتي بعدكم إلا وأنتم أفضل منه بل محمد وآله أفضل منكم الذين أنباكم آدم بأسمائهم .

٢ — ابن بابويه قال حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه ، قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن محمد بن اسماعيل البرمكي عن الحسين بن سعيد عن محمد بن زياد عن أيمن بن محمد عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ان الله تبارك وتعالى علم آدم أسماء حججه كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين بأنكم أحق بالخلافة في الارض لتسيحكم وتقديسكم من آدم فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال الله تبارك يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنباهم بأسمائهم وقفوا على عظم منزلتهم عند الله عز ذكره فعلموا انهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه في بريته ثم غيبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .

من هذه الروايتين نستوحي حقيقة هامة ، مفادها ان خلافة الانسان في الارض بمعنى الولاية والحاكمية وحق التشريع ، لا يمكن أن يكون في هذا الكوكب إلا للعلماء العاملين الربانيين .

(٢)

القيادة ودلائل الانتصار

إن معرفة هذه الحقيقة المتقدمة — مفهوم الخلافة والقيادة والحكومة — يعتبر الاساس في المعارف القرآنية والثقافة الاسلامية ، وتشكل هذه المعرفة حجر الزاوية فيما

يرتبط بوضع الاستراتيجية السليمة للحركة الاسلامية وللدولة الاسلامية . كون القيادة هي نظام سياسي متكامل ، يعتبر تجلياً لروح المجموعة ، ورمزاً لطبيعة التجمع ، والاهتمام بالقيادة لا ينحصر في مثال شخص فقط ، وإنما الاهتمام بالقيادة يعني ادراك طبيعة النظام الاجتماعي ، وفهم الخلفيات واستنتاج طرق العمل والوسائل ، ثم تعيين طبيعة الاستراتيجية المناسبة للمرحلة الراهنة ، باعتبار أن القيادة الفاسدة لا يمكن أن تهدي الناس الى الصلاح .. كما الغراب لا يمكن أن يهدي الناس الى المدينة ، لأن الغراب اذا كان هادياً ، فإنما يهدي إلى دار البوار !!

وهكذا فان القيادة السياسية الفاسدة المتمثلة في رجل همه الخمر والفجور والفسوق ، يملأ بطنه بالحرام ، وضميره بالفساد ، وعقله بالضلال .. مثل هذه القيادة تهوي بالانسانية الى الشقاء والعذاب ، إذ أن الانسان الفاسد لا يكون معمرًا لمساجد الله ، ولا خادماً لحرم الله ، ولا وسيلة لهداية الجماهير ، بينما القيادة الصالحة هي القادرة على أن تصل بالمجتمع الى مستوراق من التقدم والحضارة ، ولهذا كان الله سبحانه وتعالى حريصاً على أن يجتبي للانسانية قادة من أفضل الناس حسباً وخلقاً وعلماً وفضيلة وتقوى واحساناً .

القيادة .. ضمان للصحة :

إننا نعيش اليوم في عصر النهضة الاسلامية — أو لا أقل الصحة الدينية — في العالم كله ، وبالذات بين المسلمين في العراق والخليج وأفريقيا وآسيا ، وهذه الصحة لم تأت عبثاً ، وإنما جاءت نتيجة جهود كبيرة بذها المسلمون الرساليون ، وشكلت ثمرة أربعة عشر قرناً من الجهاد والبطولات والتضحيات ، وبالخصوص من بركات دماء أبي عبد الله الحسين (ع) ودماء كل من خط في الامة نهج الرسالة والجهاد .

وهذه الثمرة كانت تركة أورثها النبي الاعظم (ع) الى أهل بيته والى الامام

الحسين (ع) حيث قال الرسول : —

« حسين مني وأنا من حسين »

ثم أورثها الامام الحسين الى العلماء الربانيين والمجاهدين الذين أراقوا دماءهم في

سبيل بقاء الرسالة ، الى أن أثمرت شجرة الاسلام الخالدة على شكل صحوة اسلامية تمتد عبر العالم الاسلامي أجمع ، والمسؤول عن هذه الصحوة بالطبع ، هو كل من انتمى الى الاسلام ، كون دماء الانبياء وجهاد الاوصياء والصالحين هي أساس هذه الصحوة .

وهكذا ، فان القيادة الرشيدة تعتبر سباجاً للصحوة الاسلامية وضماناً لاستمرارها ، لكي تتحول الى حركة اسلامية تتبعها حكومة اسلامية في ظل قيادة العلماء الربانيين .

وإنني من هذا المنطلق ، أقدم نصحاً أخوياً الى كل العلماء في العالم الاسلامي ،

ابتداءً من علماء الازهر الشريف الى علماء الهند وآسيا وأفريقيا والحرمين الشريفين :

ان أعرفوا قدر أنفسكم ، لاسيما وأن المؤمل منكم حمل لواء الانبياء ، إنكم قادة الامة ،

اذا كنتم ربانيين ماضين على سنة النبي وأهل بيته الاطهار عليهم السلام .

وأقدم نصحي بالذات الى العلماء الذين ربطوا أنفسهم بالمذهب الوهابي ، فأقول :

إن الله عزوجل يبتي خلقه ويفتنهم ، ولكي لا يحتجوا عليه يوم القيامة — يوم تكون

الحجة البالغة له سبحانه — يحدث لهم ظواهر اجتماعية واضحة المعالم ، ليوقظ ضمائرهم

وينبههم للحقائق . فمثلاً رجل يقطن في أقصى الصين أو في قرية نائية في احدى الدول

الافريقية الفقيرة ، ويعيش ضمن اطار ثقافي بعيد عن تفاعلات الثقافة العالمية ، ولم

تصل اليه دعوة الاسلام والايمان .. فكيف يحتج الله سبحانه وتعالى على رجل ظروفه

هكذا ؟

صحيح أن الظروف التي تحيط بمثل هذا الرجل ضالة ومضلة ، والبيئة الثقافية

فاسدة ومفسدة ، بيد أن هناك حقائق وجدانية معينة غرزت في ضمير الانسان ، تمكنه

— لا أقل — من تمييز بعض المسائل بالذات في المسائل الاخلاقية ، وهذه ليست من ثقافة

الرسالات ، وإنما نابعة من فطرة الانسان كائناً من كان ، ولهذا ، فلو أن طفلاً وضع في

جزيرة نائية لوحده ، فانه سوف يترعرع على حب الفضائل الاخلاقية ، يمتد الكذب ،

ويشجع على الصدق ، يذم الخيانة ، ويمدح الامانة ، يرفض الظلم ، ويرضى بالاحسان .

وهكذا فان العالم الذي يدعو الى عبادة الاوثان والاصنام تسقط شرعيته ، لانه يخون

الامانة ، ويظلم الناس ، ويرتكب كل رذيلة ، وبالتالي فان هذا النموذج لا يصلح أن

يكون واسطة بين العبد وربيه . ومن هنا تكون الحجة لله عزوجل ، وكذلك لو ان انساناً

في الجزيرة العربية كان ضمن موجة اعلامية تضليلية مكثفة من قبل دعاة المذهب الوهابي ، ولم تصل إليه دعوة الاسلام الحق ، ولم يعرف فساد هذا المذهب وانحرافه في أصله وفصله وضلالته عن الطريق السوي .. لو أن هذا الانسان لم يعرف كل ذلك ، ولكنه أدرك ارتباط الدعاة الوهابيين بنظام آل سعود ، هذا النظام الفاسد والفاجر والعميل للاجنبي ، الذي ارتكب أبشع جريمة في حرم الله حين قتل الحجاج الايرانيين وهتك حرمة البيت الآمن ، ووضع الدين والقيم في خاتنة الهوامش ، وسخرت كل خطواته لخدمة الاستكبار والغرب .. إن معرفة ارتباط هذا المذهب بهذا النظام دلالة دامغة على الجرائم المزدوجة للنظام والمذهب ، ولعل أهم الاشكالات الاساسية التي توجه الى المذهب الوهابي فصله المسائل الدينية عن الواقع المعاش .

* فأين التحرك الجدي لتحرير أفغانستان ؟

* ولماذا السكوت القاتل عن جرائم الامريكيين والصهاينة في فلسطين ؟

* وما هي الخطوات الفعالة في نشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية ، في الوقت

الذي تقوم منظمات التبشير المسيحية بمشروع خبيث ومبرمج ، تتحول القارة الافريقية بأكملها الى معقل المسيحيين في عام (٢٠٠٠ م)؟!؟

* وأين الشجب والاستنكار على لبس (فهد) الى الصليب ووضعه على صدره في

زيارته الى لندن مع ادعاءه بخدمة الحرمين الشريفين وقيادة العالم الاسلامي ؟

إن اعطاء رؤية من قبل المذهب الوهابي على هذه الاحداث ، تعتبر موقفاً ضد النظام السعودي ، ولكننا الى الآن لم نر شيئاً من المذهب الوهابي ، فبالاضافة الى عمليات القهر والقتل والابادة وسفك دماء المسلمين حيث بادروا في بداية نشأتهم الى هدم مرقد الامام الحسين (ع) في كربلاء المقدسة ، وواصلوا عمليات القتل للدفاع عن حكومة آل سعود الخائنة والتي وصلت دناءة أعمالهم الى حد فاقت فيه جرائم اليهود ، كون اليهود يقومون بعملياتهم الاجرامية في أماكن عديدة بعيدة عن الحرم المكي الشريف ، ولكن نظام آل سعود قام بمجزرته الرهيبة في الشوارع المحيطة بحرم الله الآمن .. فهل بعد هذه الجرائم يحق لعلماء الدين وأصحاب الرسالة تلطيح أيديهم بجرائم آل سعود؟!؟

وهل تكون الجنة مأوى من جرى طول حياته وراء نظام آل سعود؟!؟ لو كان ذلك ،

فأن أباهب سوف يحتج على الله عزوجل و يطلب دخول الجنة مع كل جرائمه التي لن تنسى بحق الرسول الاكرم (ص) .

إن من أهم الاشكالات أيضاً على المذهب الوهابي هو ادعاؤهم بأنهم أبناء الله والدعاة اليه ، فتجد في كل منطقة مجموعة ضئيلة وشرذمة بسيطة مكونة من خمسة أشخاص ، يعتمدون في حياتهم على الامور السطحية مثل اللحى الطويلة والثياب القصيرة ، ويتغاضون بسببها عن الكبائر ، فيبررون تحاذلهم عن محاربة السوفيات والامريكيين ، وارتباطهم الصريح بالانظمة الفاسدة ، وتبريرهم لها بالاعمال الاجرامية كتبرير جرائم آل الصباح ضد المجاهدين المسلمين أو الاجازة لنظام آل سعود بخطواته الخيانية ، إن السكوت على مثل هذه الاعمال كفيلة بأن يكون هذا الصنف من العلماء حسب جهنم ووقوداً للنار اذا لم يستيقظوا و يتوغلوا في الجريمة .

وبالطبع إن للمذهب الوهابي امتدادات واسعة ، لاسيما في شرائح العلماء ، فأحدهم في مصر أفتى لخائن القضية الفلسطينية السادات بجواز ذهابه للقدس والتفاوض مع زعماء الصهانية في الاتفاقية المشينة (كامب ديفيد) ، أو ذلك الذي يحارب الجمهورية الاسلامية في ايران بكل صراحة و يبارك لاسرائيل ولكافة الانظمة الخائنة خطواتهم الاجرامية بحق الشعوب المستضعفة .

إن المباركة أو السكوت عن هذه الجرائم تعتبر مشاركة المجرم في تنفيذ جرمته ، أو لم يقل الحديث الشريف : —

« الساكت عن الحق شيطان أخرس »

الصحة الاسلامية .. مسؤولية شعبية :

إننا في هذه الايام نمتلك تياراً نظيفاً طاهراً ، يتمثل في الصحة الاسلامية التي قامت على أيدي المؤمنين الصادقين ، فشكلت جيلاً من الشباب المؤمن يصل حماسه الديني وإحساسه الجهادي ذروة ما يوصف .

ومن هنا ، فإن التخطيط والبرجعة لهذه الصحة ، هو دعامة بقاءها واستمرارها ، كون هذه الصحة تعتبر كالغيث ، اذا لم يخصص له روافد ، يتحول الى سيل جارف ، يأخذ

السيء والرديء ، أو يرجع الى الوراء فيعود الى البحر و يضيع هناك ، والقنوت القادرة على حفظ هذه الصحوه هم العلماء الربانيون الذين لا يرتبطون بالطغاة ، واختيار هؤلاء العلماء من قبل الجماهير، ينبغي أن يكون مستنداً على أساس الهي رصين ، بمعنى لا يكون الاختيار لعالم يدعو الناس الى السكوت والاستسلام والهزيمة وفصل الدين عن السياسة ، إذ قد يكون له عذري طرحه على الله عزوجل يوم القيامة ، وإنما يكون الاختيار لعالم توافق تعاليمه تعاليم الاسلام ، يتبع أمر مولاة ، ويقف أمام الظلم والظالمين ، ويسير على خطى الانبياء ، و يقتدي بأهل البيت عليهم السلام .. أما اذا رأيت عالماً يضع يده في يد الطاغية دون أي ظرف استثنائي .. فان هذا دلالة على فسادة وحرمة أتباعه ، وهل كان نبي الله موسى (ع) واضعاً يده في يد فرعون ؟ أم رأيتة حاملاً لعصاه محارباً الظالمين ، يقضي حياته في الغربة والسجن والتعبيد والهجرة الرسالية .

وهناك ظرف استثنائي وخاص يمكن أن يرتبط العالم بالنظام ، مثلما حدث للإمام الرضا (ع) حين قبل ولاية العهد في نظام المأمون العباسي ، ومع ذلك نقل المؤمنون أجمع روايات كثيرة تدل على أن الامام الرضا لم يكن راضياً على تلك الحالة ، وهكذا فان الارتباط بالنظام دون مجوز وظرف خاص لا يجوز .

الحركة الاسلامية وضرورة العلماء :

حين يكن الفكر حكرأ على مجموعة من الفاشلين وأصحاب المطامع الرخيصة الذين فشلوا في حياتهم العلمية والمعيشية ، فالتحقوا بالكليات والمعاهد الدينية ، وعينتهم مراسيم السلطات من قبل وزارة الاوقاف أئمة لمساجد ، اذا كان كذلك ، فان هؤلاء لا يصلحوا للتضحية في سبيل الله ولقيادة الامم ، كون بذرة هذا التوجه فاسدة من الاساس ، بينما اذا كان العلم والفكر طموحاً لدى علماء يريدون به قيادة الجماهير ضد طغاة البلاد .. فان هذا يكون أهلاً للقيادة .

وهناك ملاحظة هامة على المعاهد والمؤسسات الدينية والرسمية ، إذ أن هذه المعاهد والمؤسسات تعتبر الاشراك والحبائل التي اصطادت المتدينين وجيرتهم لصالح الانظمة ، بينما الدين لا يحتاج الى مثل هذه المؤسسات المرتبطة بالانظمة ، ولهذا فان الحركة

الاسلامية مدعوة اليوم وأكثر من أي يوم مضى الى تعلم الفقه والتفسير وبصائر التاريخ وسائر المعارف الاسلامية بعيداً عن قنوات الانظمة ، ثم يقودوا الجماهير بصفة العلماء وبمساعدة أصحاب المال والثروة .

إن البرمجة لهذه الصحوة الاسلامية ، يجب أن تكون مستقلة ، وبعيدة عن رقابة السلطات ومؤسساتها ، وبهذا تنمو القيادات الرشيدة في الاوساط الاسلامية .

أما اذا كان منبع القيادات في الامة هو المؤسسات الرسمية والحكومية ، فاننا آتئذ — فقط — ندرك سر سكوت العلماء بعد المجزرة الرهيبة التي قام بها نظام آل سعود ، باعتبار أن الكل توقع أن لا تمر الجريمة السعودية دون عقاب ، وإنما ستجوب المظاهرات الصاخبة أرجاء البلاد الاسلامية منددة بالجريمة النكراء ومنادية بسقوط نظام آل سعود ، ولكن الذي حصل عكس ذلك تماماً إذ غارت الامة في نوم عميق ، بسبب التخدير الفكري من قبل علماء البلاط الذين وقعوا في مصيدة المال والرشوة .

إننا على رغم هذا السكوت ، نعتقد اعتقاداً جازماً بأن الفئة القليلة التي عقدت العزم على مقاومة الطغاة والوقوف أمام المستكبرين أنى جاؤوا بأساطيلهم العسكرية .. هذه الفئة هي المنتصرة ، وكما أكد ذلك سبحانه وتعالى : —

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله »

إن مياه الخليج سوف تصبح مقبرة للامريكيين وحلفاءهم الغربيين ، إن لم يثوبوا الى رشدهم ويسحبوا أساطيلهم بسرعة ، وهذا ما يصرح به حكماء الغرب إذ ينصحون القيادة الامريكية سراً وعلناً بعدم التورط مع الجمهورية الاسلامية ، كونها ليست دولة فقط ، وإنما هي شعب ذو حركة عقائدية مشبعة بالروح الثورية ، وهذا يعطيها مقومات النصر ، بينما يضع أمام الامريكيين خيار أن يكونوا طعماً لاسماك الخليج ، لان بصائر التاريخ يدل على أن كل الحضارات المادية أنتهت وتلاشت بنفس القوة التي اعتمدت عليها ، فحين اشتهر قوم عاد بنحت بيوتهم في الصخور والجبال .. فان هذه الصخور هي التي خنقتهم ، ولما افتخر فرعون بالانهار التي تجري من تحته ، فان هذه الانهار هي التي ابتلغته ، وحين يعتبر البترول في الوقت الحاضر رمزاً للحضارة المادية ، فانه سيكون هو قاتلهم ، باعتبار أن الله تعالى شأنه يريد أن يتجلى في هذه المنطقة بنصره لكافة

الشعوب المستضعفة ، فيقضي على المستكبرين في وقت وصلوا فيه الذروة من التفاخر
بالقدرة والتباهي بالعزة .. وأنثذ فقط تتحقق السنة الالهية العادلة التي ترفع المستضعفين
الى أعلى عليين ، وتضع المستكبرين في أسفل سافلين .

قيادة واعية متطورة

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفرجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة فيبلاً * أو يكون لك بيت في زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا * قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا * قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً * » .

« صدق الله العلي العظيم »

(سورة الاسراء ٩٠-٩٦)

المجتمع الانساني كيان متكامل ومتفاعل يؤثر بعضه في بعض وبالرغم من ان الناس حينما ينظرون الى هذا المجتمع لا يمكنهم التمييز إلا من خلال زاوية معينة ، فيفسرونه تفسيراً ناقصاً وربما خاطئاً .. إلا اننا حينما نجمع خبرات المجتمع ونكمل نظرتنا بنظرات الآخرين وعلمنا بعلمهم ، يتبين لنا التواصل والتفاعل بين اجزاء هذا المجتمع .. ويكون مثلنا آتذ مثل اولئك العميان الذين اتوا فيلا ، فوضع كل واحد منهم يده على جزء منه ، واعتقد بأن هذا الجزء هو كل الموجود امامه .

إلا انهم حينما اجتمعوا الى بعضهم ، واعطى كل خبرته الى الآخر ، اجتمعت لديهم الافكار وحصلت عندهم رؤية متكاملة تجاه ما وجدوه .

كذلك المجتمع لا يمكن للانسان ان ينظر اليه إلا من زاويته هو ، لذا نحن بحاجة

الى الآخرين ليكملوا معارفنا .. فقد قال امير المؤمنين الامام علي (ع) حديثه المعروف :
« من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقوبها » (١) .

اذن لا بد ان ننظر الى المجتمع المتكامل نظرة سليمة ، ونحاول تحليل احداثه من حيث المجموع ، والا وقعنا في اخطاء جسيمة جداً .

القيم الالهية منبع الشرعية القيادية :

القيادة لا يمكن ان تنبعث الا من القوانين التي تحكم المجتمع الذي تقوده ، والقوانين لا تنبعث الا من قيم الافراد ، والقيم لا تنبعث الا من اهداف الافراد ، التي تنبعث من تشكيلة نفوسهم وطبيعة شخصياتهم ، وهي بدورها تؤثر في ثقافتهم وتراثهم وكثير من العوامل المحيطة بهم .

الا ان اعظم شيء يؤثر في مسيرة التجمعات هو ما يطلق عليه القرآن مسمى « الشاكلة » حيث يقول :

« قل كل يعمل على شاكلته » (٢) .

وما تسميه نصوص الاسلام « النية » .. أي الهدف الرئيسي من حياة الانسان ، فهو يحدد نوع ثقافة الانسان وطبيعة علاقاته وحقيقة قيمه ومجتمعه ، وبالتالي طبيعة قيادته . وفي الآيات التي تليت من سورة الاسراء ، يوجهنا القرآن الكريم الى نقطة هامة ، وهي علاقة المجتمع بقيادته ، ومدى تفاعل هذه العلاقة مع القيم .. حيث اوضح بان المجتمعات ذات بعدين .

الأول : البعد القشري :

ان المجتمعات الجاهلية تنظر الى القادة بصفتهم مبعثاً للرزق ومصدراً للعطاء المادي ، ولذلك حينما ارسل الله تعالى اليهم رسلا ، تساءلوا عن قدرتهم المادية « فهل يملك ذهباً أو فضة ، وماذا يمكنه اعطاؤنا من القوة ، واين موقعنا من تصوراته ؟ » .
« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً * او تكون لك جنة من

(١) نهج البلاغة ، ص ٥٠٠ ، حكمة ١٦٦ .

(٢) سورة الاسراء آية ٨٤ .

نخيل وعنب فتفجر الانهار خلاها تفجير» .

اي ان ايماننا بك مشروط بحلك لمشاكلنا ، فتفجر الارض ينايع وانهاراً ، وتستصلح الاراضي الجذباء التي نعيش عليها . اما ان نؤمن بك ومن ثم تغدنا بذلك .. فلا .

« او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً » .

فان لم تكن قادراً على العطاء ، فلا اقل تستطيع الاخذ ، وان لم تكن متمكناً من نفعنا ، فلا اقل تقدر على انزال الضرر بنا . ونحن اما نعطيك رغبة في عطائك أو رهبة من عذابك .. حيث تساقط علينا كسفاً من السماء .

« أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً » .

ان الاصرار على رؤية الله سبحانه وتعالى ومشاهدة الملائكة ، بيان لطبيعة اخرى في المجتمع الجاهلي ، وهي طبيعة الشهود والحضور والقشرية ، اذ كانوا يريدون ان يشاهدوا الله على هيئة مجسمة امامهم .

« او يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء » .

اي ان لم تكن قادراً على العطاء والاخذ ، أو النفع والضرر ولا تتمكن من تجسيد القيم التي تبشرنا بها ، فلا اقل ينبغي ان تكون في مستوى ارفع من عامة الناس جسدياً ومالياً ومادياً ، حيث يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء

الثاني : البعد الرسالي :

المجتمع الرسالي مجتمع يؤمن برسول بشر ، لا يملك اي مقدار من الماديات الفانية ، فيعيش على الارض بدل ان يسكن بيتاً من زخرف ، ويحمل بضاعته على ظهره ، ويفتخر بانتمائه الى سلك الفقراء ، مادام رسولا يستمد شرعيته من قبل الله سبحانه وتعالى ..

« قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا » .

ان من سمات المجتمع الرسالي ابتعاده عن القشريات وايمانه بالغيب ، بعكس المجتمعات الاخرى التي تصاب بداء القشرية والشهود ..

« وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى إلا ان قالوا ابعث الله بشراً رسولا *

قل لو كان في الارض ملائكة مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا » .

البشرية أو الملكية ليستا مهمتين في الرسول ، انما العمود الاساسي اعتماد الرب له واستمداده الشرعية من الرب الجليل .

« قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم انه كان بعباده خبيراً بصيراً » .

حينما يكون التجمع ذا جوهر الهي ، وتكون قيادته قيادة سليمة ، تستمد الشرعية من تجسيدها للقيم الرسالية ، وليس مما تملك من المال ، أو ما تستطيع حله من المشاكل ، أو ما توزع على الناس من الرتب والوجاهات ، وليس بحب الناس المصلحية لها .. يكون المجتمع مؤهلاً ان يخطو حثيثاً نحو التقدم والحضارة .

القيادة الرسالية منطلق التقدم :

ما الفرق بين هاتين القيادتين ، واحدة تستمد شرعيتها من الامكانيات ، واخرى تستمدتها من القيم ؟

١ - ان القيادة التي تستمد قدرتها من الامكانيات ، تربي ابناءها على الخمول والكسل والاخذ ، وتجعلهم شعباً مستهلكاً ، وتضاعف لديهم البطالة . بينما القيادة الاخرى تربي بحرهما الجماهيري على الشجاعة والاقدام والعطاء والانتاج .
وفرقت كبير بين هذين الشخصين ، فالاول همه الاستهلاك ، والآخر صفته الانتاج والعطاء - بون شاسع بين الامام الصادق (ع) الذي كان يأخذ من تلامذته ديناراً من الذهب ثمناً لدراسة يوم واحد ، وبين الآخر الذي كان يعطي لكل فرد يأتي الى درسه ديناراً من الذهب يومياً ، وذلك ان الاول يربي افراده على الحركة والنشاط والاجتهاد ، بينما الآخر يربيهم على الكسل - .

لذلك فالحكومات العميلة والقيادات غير الشرعية ، ربت شعوبنا على الاستهلاك .. وقد قالها « هويدا » رئيس الوزراء الايراني في عهد الشاه المقبور بكل صراحة : دعوا الآخرين ينتجون ونحن نستهلك ما دمنا نملك بترولاً .

والوضع الحالي الذي تقننه رسوم ونظم الانتاج والاستيراد في دولنا ، من اكبر الادلة الدامغة التي تكشف هذه الحقيقة .. فالانتاج الخارجي والواردات الاجنبية التي تقحم اسواقنا المحلية لا تخضع للجمارك والرقابة ، في الوقت الذي لا يتمتع فيه الانتاج الداخلي بالحماية الاقتصادية .

وحقيقة ذلك ان لهذه الدول قيادة مبنية على اساس الاخذ، وهي تخاف من تأر الجماهير ان لم توفر لهم الخبز والزبد وسائر الامكانيات المادية، باعتبارهم مجتمع جاهلي يجري وراء الماديات وينهال عليها، حتى لو وجد الحق في جهة ثانية، على غرار ذلك الرجل الذي قال: « الصلاة مع علي أتم، والطعام مع معاوية ادم، والصعود على التل اسلم » .

ومن هذا المنطلق كان معاوية بن ابي سفيان يبحث عن اسلوب لتوزيع المناصب والعطايا على اعوانه ومردته .

٢ - ان قيادة التجمع الرسالي التي تستوحي شرعيتها من القيم، تصب كل تفكيرها واهتمامها في التربية الاخلاقية للناس، والتخطيط السليم لهم، وقيادتهم والاقترام بهم في المجالات التقدمية الجديدة .

بينما القيادة الاخرى، قيادة محافظة تخشى من اي فكرة جديدة أو تحول وتطور جديد، وبالتالي تصبح قيادة جامدة ومجمدة، اي تجمع الآخرين وتوقف مسيرة التطور عند الجمهور. وهذا الفرق يتجسد في قياداتنا الرسالية من جهة، والقيادات الاخرى من جهة ثانية .

فالقيادات السياسية في مجتمعاتنا تخشى من التطور والابداع، ومن الحركات الاجتماعية والافكار الجديدة، ودائماً تريد ان تحافظ على الموجود باسم القداست والاصالة والتراث وبغيرها من الاسماء المختلفة الاخرى .
وقد دخل ضمن هذا المسار تلك القيادات التي كانت تدعي التقدمية، وما ان وصلت الى الحكم اصبحت محافظة .

٣ - القيادة الرسالية القائمة على اساس القيم تكون قيادتها سليمة وحكيمة حيث انها تقود المجتمع باتجاه القيم الصالحة والعدالة الاجتماعية، وباتجاه نشر العدالة في العالم ونصرة المظلوم والمستضعف، بينما القيادة الاخرى - باعتبار ان انبعاثها ومركزيتها قائمة على اساس الظلم - لا تستطيع ان تقود الناس إلا الى الظلم والتمييز والتعالي في الارض .

الاخلاص جوهر المسيرة الاسلامية :

ينبغي لنا جميعاً أن نستوحي من الآيات السالفة الذكر افكاراً تنفعنا في حياتنا ، لأن كل واحد منا يعيش في الهرم القيادي ، او في هرم المجتمع الذي ينتهي الى القيادة . وكل واحد يمكن ان تكون علاقته بقيادته قائمة على اساس المصالح والماديات والقيم الجاهلية الزائفة ، ويمكن ان تقوم على اساس القيم الشرعية والاوامر الربانية .

فكما ان الصلاة — مع ان ظاهرها واحد — تختلف في جوهرها ، فتارة تكون خالصة لوجه الله تعالى ، وتارة تكون رياءً ، كذلك العلاقة مع القيادة ، فقد تكون الطاعة والعمل المتواصل معها موجوداً ، إلا ان النية غير خالصة لله تعالى .

ان النية التي تجعل العمل في الاتجاه السليم ، وتعطي للعمل لروحه الحقيقية غير موجودة ، وحتى ان كانت موجودة في بداية القبول بهذه القيادة ، الا انها مع مرور الزمن تتحول الى الاتجاه المعاكس ؛ لأن الشيطان قادر بمكره وكيده ان يفرغ الطقوس الدينية والممارسات الرسالية من جوهرها .

كذلك طالب العلم .. ففي بداية انخراطه في سلك الحوزات العلمية يكون مخلصاً لله تعالى ، فيندفع نحو النصوص التي تؤكد على ضرورة العلم ، واهمية طالب العلم ، واجره عند الله سبحانه وتعالى ، لكنه مع تحركه في هذا المجال يأتيه الشيطان ويقلل من اهدافه بدون ان يشعر ، الى ان يوصله الى قشرة بدون محتوى .

أو الذي تكون اهدافه مفعمة بحب المال والجاه والسمعة ، الا انها خالية من اخلاص النية لله سبحانه وتعالى ..

ونفس هذه المعادلة تنطبق على العلاقة مع القيادة ، فيمكن ان تتفرع الاخيرة في مجال علاقتها بالمجتمع ، ويصبح اكبر همها التفكير في حل المشاكل المادية ، والاهتمام بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية لهذا المجتمع .. تاركة الامور الحساسة كالتخطيط السليم والعلم الجدي والبحث عن مشاكل الامة .

ولقد امتلأت صفحات التاريخ بتلك الحركات التي ابتدأت وهي تحمل اهدافاً عظيمة جداً ، لكنها انتهت الى تجمع مغلق وعنصري ، يدير نفسه بنفسه .

لهذا علينا جميعاً أن نتخذ من هذه التجارب والعبر التاريخية التي مرت على الآخرين

درساً لانفسنا ، بحيث نكون حذرين من التحول في هذا المجال .. علماً بان القضية الاساسية في صراع الجاهلية مع الاسلام ليست الكثافة العددية ، انما التركيز النوعي والكيفي ، بمعنى ان لو كانت هناك فئة قليلة ، ولكنها صبورة ومتوكلة على الله سبحانه وتعالى ومنسجمة مع بعضها ومهتمة بقيادتها ، في الوقت الذي تكون فيه هذه القيادة فكرية وسياسية واجتماعية وقوية قادرة على اقتحام المشاكل .. فان هذه الفئة تتمكن من التغلب على الفئة الكبيرة ..

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » (٣) .

اذ ليس المهم التفكير في الكثافة العددية بقدر ما هو مهم التفكير في نسبة الايمان المنغرسه في نفوس تلك الاعداد ، وماهية العلاقة العامة والاخرى الخاصة بالقيادة :

الجهل دعامة لترسيخ القيادة الجاهلية :

ان وجود القيادات الجاهلية في الساحة ، ووجود الانظمة العميلة والكافرة في الوطن الاسلامي ، ليس بسبب قوتها انما بسبب ضعف ما يقابلها ، اذ ان الانظمة العميلة تشبه الظلام الذي يبقى و يستمر الى ان يأتي النور ، واذا بقي الظلام لفترة طويلة فليس بسببه وانما لانعدام النور .. لذلك قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » .

فلو قدم الجليل زهوق الباطل على مجيء الحق ، لكان لنا ان نفكر بان سقوط الجاهلية يسبق وجود القيادة الاسلامية البديلة . انما القرآن يبين بأن وجود القيادة السليمة تسبق سقوط الجاهلية .

وبقاء الباطل اليوم الذي تمثله القيادات الجاهلية ، انما بسبب فراغ القيادات الرسالية ، ففي مصر مثلاً ، حيث تستمر سيطرة حسني اللامبارك على البلاد ، انما لأنه استطاع ان يملأ الفراغ الذي كان من المفروض ان تملأه القيادات الرسالية .

ولكن اين المؤمنون الذين يتفقون على شخص يمثلهم ؟ واين هو ذلك الشخص ؟ واين تلك الصفات المثلى التي لا بد ان تتوافر عنده ؟ .

ان خروج امامنا المنتظر (عج) متوقف على اكمال (٣١٣) مؤمناً صادقاً ، وقد ورد في بعض الاحاديث بأنه يخرج مباشرة بمجرد اكمال عدد انصاره . فاين هم اليوم ؟ لذا نحن بحاجة الى ذلك التجمع الرسالي المتكامل ، الذي من ابرز صفاته طبيعة علاقاته ببعضه ، والتي تتجلى في صورة علاقاته بقيادته .

ونحن في واقع الأمر نملك في مجتمعنا الكثير من هذه القمم التي ارتفعت بسبب علاقاتها واتصالها بالانبياء العظام والائمة الاطهار (عليهم الصلاة والسلام) .. الا اننا لا نملك اولئك الذين يلتفتون حولها على هذا الاساس ، مما يدعوننا لا يجادهم وبشكل مكثف ، بحيث تكون العلاقة فيما بينهم ايمانية بحتة .

وإذا تحقق ذلك ، فان بقاء الانظمة الفاسدة لا يستمر طويلا ، لأن مثل هذه القيادة الرسالية مثل الشمس حينما تهزم جحافل الظلام اذا وردت في الساحة . مما يعني ان مسؤولية استمرار هذه الانظمة ليست بعيدة عنا ، وقد طفح الكيل ضد هذه الانظمة الفاسدة المجسدة للفساد المملوءة حياتهم بالردائل والارجاس .

الاستراتيجية الحكيمة ؟

لقد تعجب الكثير واندھشوا من المواقف الاخيرة التي اتخذها جهال مجلس التعاون الخليجي ، لكن الذي يعلم خبايا نفوس هؤلاء لا يندھش .. لأن الله سبحانه وتعالى قال :

« والبلد الطيب يخرج نباته باذن الله والذي خبث لا يخرج إلا نكداً » (٤)

وقال : « كل يعمل على شاكلته » .

وايضاً :

« الخبيثون للخبيثات » (٥)

ان مثل هذه الوجوه لا يمكن ان نتوقع منها إلا مثل هذه الافعال ، ومنذ اليوم الاول والى الآن لم تتغير عاداتهم وصفاتهم ، إلا ان بعض المسؤولين هنا وبعض البسطاء هناك خدعوا بهم ، وبافكارهم التي توحى بحيادهم في هذه الحرب المفروضة .

(٤) سورة الاعراف آية ٥٨ .

(٥) سورة النور آية ٢٦ .

وفي الحقيقة .. ما من قطرة دم اريقت في هذه المنطقة إلا وتحمل مسؤولية شيوخ الخليج وامراؤها ، ابتداءً من الرجعية السعودية وانتهاهاً بالنظام الحاكم في سلطنة عمان . فهؤلاء هم الذين يتحملون الدماء والحرب بكل مآسيها وفجائعتها .

وفي الاجتماع الذي عقد في الطائف وحضره فهد وخالد وكيسنجر والمملوك حسين وسفراء امريكا في الكويت والاردن والجزيرة ، حرض كل هؤلاء الكلب العقور صدام حسين — الذي كان حاضراً معهم في الاجتماع — واغروه بمحاربة الجمهورية الاسلامية .. وقال له فهد آنذاك : ما من حجر يرفع من العراق إلا ووضعناه مكانه .

لذا علينا جميعاً نحن نشاهد في الافلام الوثائقية القرى المهدامة وجثث القتلى العراقيين والشهداء الايرانيين ، ونجد الالوف من المجرحين والمشوهين بالاسلحة النارية والكيميائية ، ونسمع عن مئات الالوف من النساء والارامل والاطفال اليتامى والآهات التي تتصاعد في الليل ، وحينما نقرأ في الجرائد عدد المعوقين المسلمين الذي بلغ حوالي مليون معوقاً .. علينا ان نلعن فهد — لعنه الله تعالى وضاعف عذابه الأليم — لأنه هو المسؤول .

ان الانسان مسؤول عن لحظات عينه وخطرات قلبه ، افلا يكون هذا اللعين مسؤولاً عن ايجاد حرب مدمرة شرسة في هذه المنطقة ، وكيف لا يكون المأمور الكويتي مسؤولاً وهو الذي فتح موانئه لتنقل عبرها اجهزة الدمار الى العراق .

وقد وصلتني اخبار من مصادر موثوقة ، بأن سيارات كانت تحمل الذخائر من ميناء الشعبية الكويتي مباشرة الى المدافع والجبهات لتضرب الناس وتدمر المدن . وبعد كل ذلك يطلب هؤلاء وبكل وقاحة من الجمهورية بأن تدع صدام ، بعد ان ورطوه في جحيم هذه الحرب .

اذا كان هناك خطأ استراتيجي في الجمهورية الاسلامية من اول الحرب الى الآن .. فهو عدم اشراك هذه الدول الخائنة في جريمة صدام .

فليس الخطأ ان الجمهورية الاسلامية الآن تهدد هذه الدول الخبيثة والانظمة الجبانية ، انما كان منذ اليوم الاول ، حيث لم يشرذ المؤمنون في ايران من خلف نظام صدام ، والرب الجليل سبحانه وتعالى يقول :

« فشرد بهم من خلفهم » .

ان المسؤولية مشتركة .. وذلك لأن صدام مجرد آلة صماء ، واولئك الذين أغروه ودفعوه الى اتون هذه الحرب .

ولو قال المسلمون اليوم بأن الحرب ستستمر حتى اسقاط نظام العمالة في العراق واولئك الذين دعموه ، لكان يحق لهم ذلك شرعياً وعقلياً ودولياً ، فالاسلحة والاموال التي تنفق على الحرب تأتي من دول الخليج ، لكن الذين يذهبون ضحية ذلك هم شبابنا في العراق وغيرها .

لذا لا يمكن ان يغفر المؤمنون لهذه الانظمة تعاونها ، لكن يبدو — ان الله في خلقه شؤوناً — ان حكمة الله وعزته وشدة انتقامه وبأسه تدفع هؤلاء الى دخول الحرب بانفسهم ، حتى يعطوا للمؤمنين فرصة الانقراض عليهم .

وربما يسمح بعض الناس لهؤلاء المشايخ بالبقاء ، لكن الله سبحانه وتعالى مع حبه للبشر إلا أنه لا يرضى ببقاء هؤلاء المشايخ . فقد كان احد الانبياء — وقيل موسى بن عمران — يدعو على قومه كثيراً ، والله سبحانه وتعالى كرامة لهذا النبي يستجيب دعاءه وينزل عذابه على خلقه .

ولكن في ذات يوم امره الله سبحانه وتعالى بأن يذهب الى صانع الكواز — آليات فخارية — ، ويشترى منه مصنوعاته ومن ثم يكسرها .

فتعجب صاحب الكواز من هذا الفعل ، وفي المرة الاخيرة منع بيع الكوز اليه وقال له : انني اتعب نفسي كثيراً على صنع كل كوزة ، وانت تأتي وتكسرها امام عيني . عند ذلك ناداه الرب الجليل ان : يا موسى اني خالق البشر لارحمهم ، ولم اخلقهم لاعذبهم .

لذا يمكن ان يتساهل انسان في بقاء صدام ، ولكن هل يمكن ان يتساهل الله في ذلك ؟ !

ويمكن ان يقول انسان : فلنتعاون مع هؤلاء السلاطين والشيوخ ، ونقيم معهم علاقات حسن الجوار ، ولكن هل يمكن ان يقيم مع الظالم والكافر — الذي احرق البلاد واهلك العباد — حسن الجوار؟ وهل يمكن ان نتخذ من الكافرين اولياء .

«يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءهم من الحق» (٦) .

.. لكن كأن القدر يدفع بهم الى مصيرهم .. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يقيض للمسلمين رجالاً يقاومون مشايخ البداوة بعد ما توضحت سياساتهم الخبيثة تجاه الاسلام والمسلمين .

عزة ايمانية

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً * ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً * واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرناه نجياً * ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً * واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً * واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً * ورفعناه مكاناً علياً * أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبتنا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً * » .

صدق الله العلي العظيم

(سورة مريم آية ٤٩ - ٥٨)

من أهم الدروس التي يتلقاها الانسان من القرآن وبالذات من سورة مريم هو درس الحياة التي تعطي الانسان بصيرة للتعايش مع الحياة وقوة ارادة للتعامل مع الذات .

والقرآن الكريم يختار لنا نماذج من أسمى وأرفع الشخصيات البشرية وهم الأنبياء (ع) ليكونوا لنا قدوات .

ولكن كيف يكون النبي قدوة للانسان ؟

انما يمكن ذلك في حالة تذكر الانسان للنبي والسير على نهجه والا فلماذا نصلي على الرسول الأكرم (ص) كلما ذكر اسمه ؟

ذلك لأن الصلاة على الرسول ذكر له ، وذكر الرسول شرف لمن يذكره وعلاقة وصلة

بينه وبين من يذكره ، وهو في الوقت نفسه درس ومنهج لمن يذكره .
ولهذا نجد ان القرآن يأمرنا في سورة مريم بأن نذكر الأنبياء على ألسنتنا .
ولا يكفي أن يؤمن الانسان بالأنبياء ، لأن كل مسلم يؤمن ايماناً ظاهراً بالنبين
جميعاً ، ومن أوليات العقائد الاسلامية الايمان بكل النبيين وألا يفرق الانسان بينهم
أبداً .

ألا أن هذا لا يكفي لجعل الانسان تابعاً للأنبياء وخطهم وسيرتهم ومنهجهم ،
ولا يعطيه القوة التي يحتاجها في مواجهة صعوبات الحياة ، ولا يحصل على البصائر التي
يحتاجها لمعرفة الطريق السليم بين الطرق المختلفة التي تتزاحم عليه .
ولكن ذكر الأنبياء والانتماء اليهم ، والاتصال بخطهم هو الذي يعطي الانسان
المنهج الصحيح والبصيرة السليمة .

ولهذا فان القرآن الكريم يبين لنا ذلك في ذكره للأنبياء في هذه السورة .
فبعد أن يذكر ربنا النبي العظيم ابراهيم الخليل (ع) وكيف انه حينما اعتزل قومه
وما يعبدون من دون الله أعطاه الله اسحاق ويعقوب ، تلك الذرية المباركة التي ظلت
تهب النور والهدى للأجيال ، يقول تعالى :

« ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا » .

فلقد أصبحت هذه الذرية الطيبة — ذرية ابراهيم — ذكراً شريفاً عبر التاريخ فقد
أعطاهم الله السنة خير تلهج بذكرهم .

وإذا كان هناك من عذب ابراهيم في حياته واهانه واذاه وهجره من بلده وموطن
اقامته فان في التاريخ آلاف الملايين من البشر لا يزالون يلهجون بذكر ابراهيم و يسلمون
عليه متى ذكر .

ثم يذكر الله مثلاً آخر فيقول :

« واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً * وناديناه من جانب

الطور الأيمن وقربناه نجيا * ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً * » .

إن الله سبحانه وتعالى قرب إليه موسى ذلك الراعي المطارد الذي كانت تلاحقه
أكبر قوة بشرية ذلك اليوم ، ونجاه وأعطاه الامامة والقيادة .

ثم يقول ربنا :

« واذكر في الكتاب اسماعيل » .

ولكن لماذا ذكر اسماعيل ؟

ذلك لأن هذا النبي الكريم كان صادقاً في وعده .

« انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً » .

و بسبب صدق وعده والتزامه بعهده ذكره الله ولا بد أن يذكره كل انسان مؤمن .

و يذكر الله لنا مثلاً آخر حيث يقول :

« واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً * ورفعناه مكاناً علياً » .

فلأنه كان صادق القول ، وصادق العمل ، وصادق اللهجة ولأن حياته كانت حياة

صدق ، كان لا بد أن نذكره .

« اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن

ذرية ابراهيم واسرائيل ممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً

وبكياً » .

هؤلاء الأنبياء العظام الذي يجب على المؤمن أن يقتدي بهم ، ويجب على النبي أن

يذكرهم في الكتاب ، انما تجمع صفاتهم الخيرة المباركة صفة أصيلة وجذرية وهي

اتصالهم بنبوع الخير والقدرة والقوة والهيمنة والسلطان وهو الله سبحانه وتعالى .

وهذا الاتصال الروحي بين قلوبهم وبين معرفة الله هو الذي أعطاهم تلك الصفات

الخيرة ، حيث جعل اسماعيل صادق الوعد فقد انتظر رجلاً لمدة عام كامل ، على قارعة

الطريق ، بعد أن نسي ذلك الرجل ميعاده معه .

فما الذي يجعل هذا النبي (اسماعيل بن حزقيل) أو (اسماعيل بن ابراهيم) في

هذا المستوى الأرفع من الصدق ومن الالتزام بالعهد والوعد ؟

ان السبب في ذلك هو الايمان الصادق ، فالله تعالى يقول :

« اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً » .

ان القلب الواحد لا يحتمل ايمانين أو لسلطانين ، فيجب أما أن يكون ذكر الله

والاتصال به ومعرفته هو السلطان على قلب الانسان وأما أن يكون السلطان هو

الشیطان ، وهوی الانسان والطاغوت وسائر الهة الدنيا المزيفة .
ولقد استطاع هؤلاء الأنبياء والقديوات أن يطردوا سلطان الشيطان ، فبقي في قلبهم سلطان الرحمن ، وهو الذي كان في قلب ابراهيم ، الذي جعله يجلس على منجنيق نمrod فيأتي عمه اليه و يطلب منه الايمان بسلطان وملك نمrod فيرفض نبي الله ذلك ، رغم ما يواجهه من مصاعب وأذى ، ثم يرمى به في الفضاء و يأتي له ميكائيل و يقول له :
«أمرني لأقول للرياح أن تطفئ هذه النيران ، قال : لا أحتاج اليك ، فان لي رباً يراني ،
قال : أسأله ، قال : علمه بحالي يغنيه عن سؤالي ، فتضج ملائكة الأرض والسماء
بالسؤال الى الله ليفرج عن عبده ورسوله .

ولكن ابراهيم يعلم بأن هذا امتحان من الله تعالى ، فاذا كانت المصلحة والحكمة
الالهية في أن يحترق بالنار ، فان النار تصبح بالنسبة اليه جنة ، لأن في تلك النار رضوان
الرب ، وربما أراد الله سبحانه وتعالى أن يفتنه بأخر وأعظم فتنة .
فالانسان الذي يرمى به في النار وهو يحس بلهيبها فلقد كانت النيران تحرق الطير من
بعد فرسخ ، ورغم ذلك يصمد ، لأن قلبه متصل بالرب ، و يعلم بأن التقدير الالهي هو
التقدير السليم مهما يكن ، ولهذا فانه حينما وصل الى النار .
«قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم» .

(الأنبياء آية ٦٩)

ان القلب المتصل بالله هو قلب أشد وأقوى من الجبال ، وأكثر بأساً من الحديد
والفولاذ .

والاتصال بالله يمثل مفتاح شخصية المؤمن . فبعد أن يأمرنا القرآن بتذكر الأنبياء
والرسل ، فانه يخبرنا بأن السبب في كونهم أبطالاً لا يخشون شيئاً وأن سر بطولتهم
وعظمتهم وسر استقامتهم و صبرهم وصدقهم في الميعاد يكمن في إتصالهم برب العباد ،
و حينما تتوفر هذه الصفة في الانسان فانه يكون عزيزاً .

فالعزة كلمة واحدة ولكن لها معاني بعدد أنفاس الخلائق وبعدهد حبات الرمل في
الصحاري وقطرات الماء في البحار .

فعزة النفس هي التي تجعل الانسان المؤمن يربأ بنفسه عن الدنيا وعن السفاسف

وعن توافه الحياة وهي التي تجعل الانسان صابراً قوياً لا تهزه المصائب ، لأنه يعتقد بأنه أكبر منها .

والعزة هي التي تجعل الانسان المؤمن صامداً أمام التعذيب والاغراء والدعاية المظلمة وأمام كل الصعوبات في الحياة وهي التي تجعل الانسان في لحظة يختار الموت بعزة على الحياة بذلة ، ويطلق تلك الكلمة التي لا تزال تدوي في أفق التاريخ (هيهات منا الذلة) .

والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ذلك لأنهم يقدرون أنفسهم و يكرمونها و يعظمونها و يعتقدون بأن أنفسهم أكبر مما حولهم ، لأنها هي الكبرى بل لأن الله جل وعلا أكبر .

فهذا النداء الرباني (الله أكبر) الذي يدوي في آذاننا صباحاً ومساءً ينعكس في قلوب المؤمنين بصورة أخرى .

فالمؤمن حينما يسمع هذا النداء فانه ينعكس في ضميره زارعاً عظيمة الله في عظمة المؤمن .

فما دام هو مؤمن فهو أعظم بايمانه وليس بذاته ، وبتوكله على الله وليس باعتماده على نفسه .

وإذا بحثنا في عمق التاريخ وتدبرنا في الحوادث وقرأنا ما خلف السطور وليس ظاهرها لوجدنا ان هذه العزة هي المحرك الأول في التاريخ .

فالاستقلال روح التاريخ ، والعزة روح الاستقلال وإلا فلماذا يطلب الانسان الاستقلال ؟ ولماذا ضحت الشعوب في سبيل الاستقلال بكل غال ورخيص ؟

ذلك لأن العزة روحها ولأن الانسان عزيز وبقدر عزة شعب و بحجم ايمانه بذاته وبقدر ايمان أبناء هذا الشعب بأنفسهم وبقدر ارتفاعهم الى مستوى قيمهم تكون تضحياتهم في سبيل عزتهم ، فحينما نجد شعباً مهاناً وشعباً ذليلاً وخاضعاً لطاغوت ومستسلماً لارهاب ملك جبار فلا بد أن نعرف أن تضحية هذا الشعب من أجل قيمه قليلة وبالتالي ايمانه بذاته وعزته في نفسه ضعيفة .

فالعزة هي التي تحرك التاريخ وتكاد أن تحرك السياسة الدولية أيضاً فهي تسمى في

لغة الصحافة اليوم (الهيبة) فيقال ان هيبة الولايات المتحدة الأمريكية تمرغت في أحوال فيتنام .

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تملك عشرات المليارات من الدولارات وتملك جيشاً من أقوى الجيوش ولكن لا تملك وراء هذه القوة عزة في النفس ، فان هذه الدولة المسماة بالكبرى سوف تتحطم .

ولذلك نرى ان استراتيجية المؤمن في الحياة ليست قائمة على أساس الحصول على المال والسلطة والثروة انما على أساس الحصول على العزة فاستراتيجيتهم في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية ، وفي سياستهم الدولية وعلاقاتهم الدولية تقوم على أساس العزة ، وقراراتهم انما تكون نابعة من هذا المنطلق .

وهذا الذي يجعل الجمهورية الاسلامية — مثلاً — تبقى على قرارها الذي اتخذته تجاه المؤامرة الاستكبارية ذلك بفضل النفوس العزيزة في هذا البلد ، وبفضل رفض الأمة المؤمنة بل بفضل رفض المؤمنين فقط في هذا البلد لسياسة السيطرة ولسياسة الاستكبار والمستكبرين ولسياسة التذليل والترويض فقد كان قرارهم — ولا زال أن لا سلام محتواه استسلام ، ولا صلح محتواه عداء واعتداء وبقوا على هذه الكلمة يشتركون في المحافل الدولية ، ويندهبون الى الهيئات الدولية ، ولكنهم يحملون معهم لافتة بحجم جغرافية ايران ، وبقوة ايمان المؤمنين ، تتلخص في كلمة (لا) والتي تعني عزة الانسان ولهذا نرى الملايين ينحدرون الى جبهات الحرب ليقرروا هذه العزة ، (عزة المؤمنين) .

وقد حدثت في الفترة الأخيرة عدة حوادث حول هذه العزة أو (الهيبة) .

الحادثة الأولى : وهي صغيرة في حجمها ، كبيرة في دلالاتها وهي صعود مجموعة من الشباب المؤمنين الى باخرة أمريكية في عرض البحر وطلب تفتيشها .

ومع ان العلم كان مرفوعاً على سارية هذه السفينة والعلم يمثل رمز عزة البلد ، فالجنود في كل بلد يكلفون بالسلام أمام العلم ويحلفون بأن يدافعوا عنه . ولكن لأن البحارة الاربعين الذي كانوا على ظهر هذه السفينة يحملون نفوساً جبانة وكان تشبثهم بالدينيا تشبثاً ذليلاً ، لذلك استطاع المؤمنون القلة أن يصعدوا الباخرة بعد أن هددوا بتفجيرها حينما رفض البحارة في البداية الانصياع لأوامرهم .

القصة في ذاتها صغيرة ومن حق الجمهورية الاسلامية ان تفتش باخرة ، ولكن حينما نجعل هذا الحدث في اطار كبرياء الاستكبار العالمي وفي اطار الهيبة للدولة العظمى في هذا العالم وفي اطار التبجح بقوتهم وبسيطرتهم وبامتلاكهم للقوى النووية . فاننا نجد ان القصة أصبحت قضية أخرى وكبيرة . كما هو الحال بالنسبة الى احتلال السفارة الأمريكية في طهران ، فالأمر لم يكن يتعدى دخول سفارة واحتجاز مجموعة جواسيس دبلوماسيين .

لكن المسألة دخلت في اطار آخر وحاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تثار لعزتها وهيبتها ولكرامتها ولكبرياءها ولكنها فشلت وهذه المرة تراجعت لأنها شعرت بأن هناك ارادة أقوى من ارادتها والحرب صراع ارادات .

أما الحادثة الثانية فهي : اسقاط الطائرة الأمريكية فوق خليج سرت ، وهذه تمثل قضية مهمة ، فحينما يتحير اسطول امريكي أما أن ينسحب وأما أن يبقى مسمرأ في أرضه ، فهذا يعني أن العزة قد ذهبت . وقد يتساءل البعض عن الهدف والفائدة التي يمكن أن تعود على الانسان الذي يقوم بتفجير نفسه ومن قتله لعدوه ومن أن يهاجر أو يهجر أو يسجن ؟

يجب أن نعرف أولاً هدف الانسان في الحياة ، فاذا كان هدفه أن يبقى عزيزاً ، فان الفائدة تكون بأنه حافظ على عزته وان الاستعمار والاستكبار والجبارين في الأرض يعتمدون كلياً على ما يسمى بالهيبة . فلا يوجد شيئاً في داخلهم وإنما (هيبة) فقط وحسب التعبير (نمر من ورق) فهو بحاجة الى رجل يقف أمامه حتى يتلاشى الورق وتظهر حقيقة هذا النمر .

ولقد استطاع الأبطال في لبنان أن يفرضوا أنفسهم على التاريخ وبيّنوا حقيقة هذا النمر .

فالمعارك التي تجري اليوم في شرق بيروت هي في الواقع ثمرة الانتصار . فحينما ترى عدوك يحارب بعضه فهذا يعني أنه منهزم . ولهذا فقد انقسموا الى طائفتين ، طائفة منهم واقعيين كالقوات اللبنانية حالياً ، الذين يعترفون بهزيمتهم ويطالبون بتغيير المعادلة والحفاظ على ما يمكن إبقاؤه ، وهناك طائفة أخرى تبقى محافظة ومتحجرة فهي لا تزال

تعيش في كبرياتها وتحالف تلك الطائفة مما يؤدي الى نشوب حرب بين الطائفتين ، وهذه الحرب هي ثمرة اتحاد تلك الطائفة الأخرى .

ومن الجانب الآخر هناك نوع من الاتحاد الذي حصل بين أكبر قوة شعبية في لبنان وهي قوة المسلمين وبالذات الشيعة منهم ، فلقد جرى نوع من التآلف بين حركة التوحيد وحركة أمل وحركة حزب الله وسائر الحركات العاملة في تلك الساحة ، وهذا التآلف هو الذي أدى الى أن يدفع الطرف الآخر ضريبة هزيمته .

لهذا فان عزة المؤمنين تظهر اليوم جليلة واضحة ، فحينما يقوم مجموعة من الأبطال في منظمة العمل الاسلامي بعمليات جهادية رائعة في قلب بغداد فانهم يزرعون الهزيمة والخوف والرعب في نفوس الجبارين وسيحصلون غداً النصر والتحرر .

وحينما نزرع الرعب في قلوب الطغاة فانهم لا يملكون إلا أن يعترفوا بنا ، وينهاروا . ولقد ظهرت ارهاصات انهيارهم .

فحينما تقدم امرأة متزوجة وعندها طفل على عملية انتحارية وتقاوم الجلادين وتقذف بالقتال عليهم . وهي الشهيدة (أم حيدر) - رضوان الله عليها - مع كونها أم لطفل . وهذا أمر غير عادي ، إذ كانت في لبنان مجموعة من الأخوات البطلات اللاتي أقدمن على عمليات انتحارية ولكن الفرق شاسع بين امرأة متزوجة وأم لطفل ، وبين فتاة شابة .

ثم يتقدم والد هذا الطفل وزوج الأم الشهيدة دون أن يفكر في أن له طفلاً لا بد أن يربيه ولا بد أن يهتم به ، و يقوم بعملية جهادية أخرى و يستشهد أيضاً (رحمة الله عليه) . ان مثل هذه العمليات تدل على عزة الشعب العراقي وعلى ان كرامة هذا الشعب لم ولن تموت ، كما تدل على ان الانسان أقوى من الارهاب ، وعلى ان الايمان أشد وأصلب من كل وسائل الطغيان . وكلما اقتربنا الى الله واستوحينا من الآيات القرآنية الكريمة روح العزة والاستقلال ، كلما استطعنا أن نربي شعوبنا على الدفاع عن الذات ومقاومة الطغاة .

ويكفي الشعوب في مقاومتهم للطغاة أن يجعلوا حياة الطغاة جحيماً فنحن لا نريد أن نقتل أهل العالم كلهم ، وليس هدف المؤمن أبداً أن يفني المستكبرين جميعاً وان

استطاع على ذلك ، انما هدف المؤمن أن يزرع الرعب في نفوسهم حتى يتراجعوا عن غرورهم وعن كبريائهم الكاذبة و يصبحوا أناساً عاديين . فنحن لا نريد أن يخضع العالم لنا ، ولكن لا نريد أيضاً أن يحاولوا اخضاعنا بقوة الارهاب ، ولا نريد الذلة .
فالشعب الافريقي يمثل أكبر دليل على ان الشعب الذي يفقد عزته يقع في وحدة من الصعب عليه أن يتخلص منها .

فحينما نقارن — مثلاً — بين الشعب في جنوب افريقيا وبين الشعب في فيتنام نرى ان الفارق كبير، والسبب ان الشعب الافريقي فقد عزته في بعض مراحل حياته فأذلم الاستكبار وأذقهم الأمرين .

وان زيارة رئيس الجمهورية الاسلامية في ايران الى بلاد في افريقيا لها بالاضافة الى معانيها الظاهرة — حسبما أظن — معنى هاماً وهو ان مصر كانت هي السد الذي يقف أمام اجتياح الدويلة الذيلية التابعة للاستكبار وهي دويلة الصهاينة في فلسطين للقارة السوداء والاستفادة منها أرضاً ومعادن وشعباً وسوقاً إستهلاكية ، وذلك لكونها دولة عربية افريقية كبرى .

فمشروع الدويلة الصهيونية في فلسطين ليس مجرد وجود مجموعة يهود في هذه المنطقة ، وإنما هو خطة استكبارية لايجاد موضع قدم في هذه المنطقة والانطلاق منها الى سائر المناطق .

ففي افريقيا زرعوا جنوب افريقيا ، وفي آسيا اغتبطوا باليابان ، وهكذا في بقية المناطق ، وفي منطقة الشرق الأوسط أرادوا اسرائيل كقاعدة متقدمة للانطلاق الى تغليب الشعوب أكثر فأكثر ، وقد استطاعت شعوبنا بجهادها وتضحياتها ، وكذلك المخلصون في الجيوش العربية بتضحياتهم والمخلصون من الكتاب والثوريين والحركات الوطنية أن يفشلوا القسم الثاني من مشروع وجود اسرائيل وهو تحويله الى قاعدة متقدمة في الوطن العربي وتحويل الوطن العربي الى أرض والى معادن وبتروول وسوق استهلاكية وبالتالي الى محور لعمل دويلة الصهاينة .

فما استطاع أن يحققه المخلصون في البلاد العربية هو وقف تنفيذ القسم الأهم من مشروع دولة الصهاينة ، فتقدمت هذه الدويلة الى افريقيا ، ولقد كانت الدول العربية

سابقاً تقف أمام اجتياح اسرائيل لافريقيا ، ومصر كانت تقطع علاقاتها مع أي دولة افريقية تعترف باسرائيل أو تجعل معها علاقات اقتصادية أو سياسية ، لكن نفس الدولة — اليوم — تحولت الى العكس . مما جعل أرض افريقيا ساحة مكشوفة للاحتلال الاسرائيلي ، الذي يستخدم فيه كل الوسائل ماعدا القوة العسكرية ، وكنا نحتاج الى قوة جديدة تدخل وتمنع هذه الدول من الانطلاق في ركب اسرائيل وتلك الدولة لا بد أن تكون الجمهورية الاسلامية ، وهذه الزيارة ستكون لها هذه النتائج أو لا أقل ستستطيع أن توقف بعض هذه الدول من الاسترسال في هذا الطريق الشائك .

وبالتالي نحن ينبغي أن نزرع في نفوس الأمة حب الله الذي يتحول الى عزة بالنفس وإلى عزة ايمانية . والعزة الايمانية تتحول الى درع الاستقلال والاستقلال يصبح حصناً للتقدم المادي والمعنوي انشاء الله .

ايمان مستقر

بسم الله الرحمن الرحيم

« ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم * فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً واتقوا الله ان الله غفور رحيم * » .

صدق الله العلي العظيم

(٦٧ - ٧٠) سورة الانفال

هدف الانسان من حياته الدنيا هو تجربة ارادته وتنميتها وتصليها ، حتى يتهيأ لدخلو الجنان ، وهذه الحكمة الالهية البالغة لا تتحقق الا عبر الصعوبات التي لا بد ان يمر بها الانسان .

معوقات الهدف !:

ان ضلوع الانسان في هذه الدنيا ، وحبه لنفسه ، واهتمامه براحته ، وشهوات النفس البشرية تدعوه الى البحث عن أيسر الطرق وأسهلها .

ومن ضمن هذه الاستراتيجية التي يضعها الانسان لنفسه يراوده تفكير مريب مفاده ، انه ما دام يعمل في سبيل الله ، فلا بد أن تتعبد الطرق له حتى يصل الى هدفه المنشود ، وهذا نابع من أن هذا الانسان يعتقد بأن علاقته مع الله عز وجل لا بد ان تنتج مثل هذه الآثار ، فهو مثلاً يريد من هذه القوة نتائج ظاهرة كقوة السلطة بدلاً من الافراد الذليلين الذين تترتب امورهم وتسعى احقاق مآربها عبرهم .

والتوسل بهذا الحق الذي ينسجه الانسان حول نفسه مسألة خاطئة ، لأن الحكومة حين تكلف شخصاً بعمل ، فهذا نابع عن أنها عاجزة عن تحقيق هذا العمل ، بينما الله

عزوجل قادر على أن يخلق عشرات الملايين من المجرات الهائلة بكلمة واحدة [كن] ،
اذن ما هو الهدف من تكليف الانسان بمثل هذه المهمات ؟

الهدف من الواجبات ليس هو نهاياتها ، وانما هدفها الفعل والسعي والحركة
والتجربة ، حتى تخلق لدى الانسان ارادة حديدية عبر هذه المسائل ، فيكون الهدف هو
الوسيلة وليس الهدف ، فالله عزوجل حين يأمرنا بالجهاد عبر قتل الظلمة ، فليس اعدام
الظالم هو المسألة ، لأن الله عزوجل قادر على أن يأخذ روحه ، بينما الهدف هو تحرك
الانسان ذاته ، والمندوبات الاسلامية توحى بذلك ، فحينما يزمع الانسان الذهاب الى
مسجد أو مقبرة أو روضة مقدسة ، تأمره بأن تكون مشيته بخطى وثيدة ، حتى يحسب له
أجر أزاء كل خطوة ، فلو كان الهدف هو الوصول فقط الى هناك لما أمر بهكذا ، ولكن
الهدف هو حركة الانسان .

ولهذا نرى اولياء الله حين يذهبون الى الحج حفاة مشاة على الاقدام ، رغم وجود
وسائل النقل ، الا انهم يحسون ان هذه المشقة تجلب لهم الاجر ، كالامام السجاد
(عليه السلام) الذي يذهب الى الحج مع ركب من أهل المدينة ، فيلتقي ركب أهل
الكوفة بهم — والمعروف عنهم معرفة آل البيت — فلما رأوه ندموا على ان المدنيين لم
يأبهوا بالامام فكلفوه ببعض الاعمال ، ثم يطلب أهل المدينة المعذرة من الامام ، ولكن
الامام قال : — لأنكم لم تعرفوني رافقتكم في هذه المرحلة .. ومن ثم يأمر غلامه
بالانتقال الى ركب آخر ، والامام علي بن الحسين كان يعمل ذلك لأن الهدف من الحج
هو ترويض النفس عبر التواضع والعبودية للآخرين ، والذي لا يتحقق إلا عبر الذهاب
مشياً على الاقدام ، ومع ركب لا يعرفونه .

والآيات القرآنية التي توجنا بها الحديث تريد أن تصلب ارادة المسلمين عبر المعارك
الرسالية التي خاضوها ضد اعدائهم .

« ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض » .

وتقوية هذه الارادة حتى تصنع عند الانسان روح الشجاعة فيتهيأ بها الى دخول
الجنة ، لأن الجنة لا يدخلها جبان خائر الارادة ، وهذه الدنيا انما هي محطة تدريب
يكتسب الانسان منها صفات جيدة عبر الدخول في أعمال متعبة ، تصنع منه انساناً

فاضلاً .

« أفضل الاعمال أحزها » .

فكلما كان العمل شديداً على الانسان ، كلما رغب فيه أكثر ، ولذلك يقول الامام الصادق (ع) عن عمار بن ياسر (رضوان الله عليه) :

« ما خير بين امرين كلاهما لله إلا اختار اشقهما على نفسه » .

والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كان يمارس هذه العادة ، حيث مات أحد يتاماه الذين يرعاهم ، فجزع له كثيراً ، فقيل له : الايتام كثيرون ، وسنأتيك بيتيم آخر بدله ، مع العلم ان موت الاطفال في تلك الايام كان بكثرة .

فقال الرسول (ص) لا يوجد يتيم مثل هذا أحب أن أخدمه ، فقالوا وكيف يا رسول الله ، فقال : كانت اخلاقه سيئة ، ولهذا كان يؤذيني كثيراً ، ولكنني كنت احصل بسببه على ثواب عظيم ، فمقياس رسول الله (ص) في العمل هو العمل الشاق والمتعب ، ولذلك يقول الله عزوجل في كتابه الحكيم الى نبيه الاكرم :

« طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .

(١-٢ سورة طه) .

فهو يقف الى الصلاة حتى تتورم قدماه ، ويشد على بطنه حجر المجاعة ، وقد كان من شدة تعب انه يضع حبالا بجانبه ، حتى اذا وصل به التعب الى حد لا يطاق أمسك به لثلا يقع ، وكذلك الامام علي (عليه السلام) حينما اشتعل رأسه وكرهته شيباً وفي اخريات حياته ، يجده احد اصحابه منهاراً من كثرة التعب ومغالبة النعاس له ، فيقول له : لماذا لا تريح نفسك ؟ فيقول الامام : اذا ارتحت ليلا خسرت نفسي !! واذا نمت نهاراً ضيعت رعيتي !!

هذه مسيرة القمم السامقة في التاريخ ، أما نحن فقد نرسم لانفسنا احداثاً خيالية ، نصل بها الى اهدافنا ، مع العلم ان الله عزوجل يقدر على صنع ثورات عديدة ، لأن امره بين الكاف والنون ، ولو عمل الله ذلك !!! فماذا سيحني الانسان ؟ لن يجني شيئاً ، لأن الأجر على قدر المشقة .

لا بد ان تكون استراتيجيتنا لانفسنا هي اتعابها وارهاقها ، لأننا كلما نرى العرق

يتصعب منا من كثرة العمل ، حينها نعرف أن وجهة مسيرتنا سليمة ، أما اذا كنا في حياة هادئة نفكر في ترفيه النفس وراحتها ، فلنعلم بأن مسيرتنا تتجه الى مسلك آخر .

طلاب العلوم .. والتهيئة الذاتية :

والطالبون للعلم الديني — أكثر من غيرهم — لا بد أن يتمتعوا بارادة قوية وخشونة تسمح لهم بتجاوز المشاكل في الحياة ، ولأنهم يتحملون عبء تبليغ الرسالة الى الشعوب فعليهم تجاوز ضغط الحكومات وسائر ضغوط النفس كالتعب الجسدي والملل والخلود الى الراحة ، كما عليهم ان يتركوا الاسئلة الاسرائيلية التي تحجج بها بنو اسرائيل عن تنفيذ امر الله حين امرهم بذبح بقرة .

« فذبحوها وما كادوا يفعلون »

(٧١ — سورة البقرة) .

وهذه الروحانية قد تنخر في بعض الافراد ، حتى أنك لتراهم يبحثون عن الطرق الميسورة دائماً لراحة انفسهم ، بينما الرجال ينبغي أن يتصيدوا السبل الشاقة حتى يصلوا الى القمم ، كالذين يتسلقون الجبال ، فيفتشون عن القمم السامقة ، حتى يصلوا اليها عبر طريق شاق ومتعب ، حتى يربوا انفسهم ويدرّبوها .

وطلاب العلوم الدينية يتطلعون الى قمة عالية ، إلا وهي قمة الايمان واليقين والتحمدي ، وهذه القمة لا تتأتى لمن تنحو نفسه تجاه الضعف ، وانما لمن هو صلب الارادة .

وفي سبيل ترويض النفس ، قد يسلك الانسان المناهج الصوفية مثل الوقوف ساعات طويلة ، وتعليق اجسامهم على الشجر ، وربط اجسادهم بحبال والمكوث معكوسين على البئر ، إلا ان الاسلام لا يحبذ هذه الوسائل ، لأنها بعيدة — كل البعد عن الانسانية ، وربما تساهم في نفور كثير من الناس عن الدين .

لذا لا بد من سلوك طريق سليم في سبيل ترويض النفس ، فالصلاة (٥١) ركعة في اليوم والليلية تساهم في ذلك ، وقد كان المسلمون الاوائل معروفين بهذه الخصلة ، وقلما يتركونها ، لأن هذه الصلاة والزيادة فيها ايضاً ، تؤدي الى تربية النفس تربية قاسية ، فاذا صلى الانسان — مثلاً — (١٥٠) ركعة فانك تراه منهك القوى ذابل العضلات ، ومن شدة ذلك تراه يصل الى الفراش نائماً ، كالامام علي بن الحسين (ع) العليل الذي

كان يملك بستاناً فيه (٥٠٠) نخلة ، فيصلي قرب كل نخلة ركعتين حتى يصبح عدد ركعاته الف ركعة ، فيقول زيد بن علي (ع) كان يحب أبي الى الفراش حبوا ، لأن قدماه ما كانت تطيقانه ، وكل هذا الاجهاد من أجل رضوان الله تعالى .

وأما طلبه العلوم الدينية — اليوم — فإن الاسفار التبليغية التي يقوم بها الطلاب لتوعية الامة الاسلامية ، رغم ان حياتهم السابقة كانت جيدة ومملوءة بالامكانيات الترفيحية ، ولكنه يترك سعادته وأمنه ويذهب الى مواقع الدراسة الدينية ، واثناء هذه الدراسة يمارس ادواراً متعبة حتى يربي نفسه ويهيئها ، حتى ينشر الوعي الاسلامي في افريقيا أو آسيا أو اوروبا ، كل هذه وسائل لايجاد الروحية الصلبة عند طلاب العلوم .

وفي الايام التي تخوض فيها طلاب العلوم غمار الدراسة الدينية ، عليهم أن لا ينسوا هذا المجال عبر عمل المندوبات الاسلامية كصوم شهري رجب وشعبان ، مع التهجد في الاسحار ، وهذه المندوبات لا يختص بها طلاب العلوم انما جميع العاملين في سبيل الله عليهم ان لا يطمثوا هذه الدنيا لأنها زائلة .

ولذا عليهم ان يعملوا هذه المستحبات ، ومن ثم يهاجروا في سبيل الله ، لأن الهجرة هي اعظم نقلة حضارية في حياة الانسان ، قال الامام الصادق (ع) في قوله تعالى :

« يا عبادي الذين آمنوا لا تطيعوا اهل الفسق من الملوك * فان خفتموهم ان يفتنوكم على دينكم فان ارض الله واسعة » وهو يقول : « فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض » فقال : « ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها »^(١) .

والانسان الذي يطلب المجد والتحرر والاستقلال لا بد أن يهاجر ، وينبذ تقديس التراب والقيم الجاهلية التي طالما اوجدت في الامة ثغرات ضعف عميقة ، أودت بها الى فقدان لذة الحياة ، لأن لذة الحياة في صعوباتها ، كما حجبته عن بناء حضارة اسلامية خالدة .

وعامل التشجيع — كثيراً — ما يساهم في الهجرة ، سواء الهجرة من الذات في المجتمع أم الهجرة الى خارج المجتمع ، والتي تعطيه صلاحية التخلص من سلبات ذلك المجتمع وضغوطه المؤثرة .

الامة وطلاب العلوم .

تشتاق الامة الاسلامية — كثيراً — الى طلاب العلوم الدينية ، لما يسدوه لها من توجيهات وتعليمات اسلامية تنقلهم من ارض المادة الى سماء القيم ، فقد وصلتني قبل ايام رسالة من السودان يستصرخ طلاب العلوم الدينية في الجمهورية الاسلامية للعمل في السودان ، ويدعوهم فيها الى الذهاب الى هناك حتى يؤدوا دورهم الاسلامي لتوعية الشعب السوداني المسلم ، [ان الشعب السوداني يحتاج الى الاف الاطنان من الكتب] ، كما كتب لي شخص آخر عن اوضاع المسلمين في المكسيك ، وهكذا سائر الشعوب الاسلامية ، فهللوا الى العمل عبر الكتابة وارسال كاسيتات الفيديو والاشربة لتلبية صرخات الامة الاسلامية .

فلنلبي هذه الصرخة المدوية التي يطلقها المستضعفون في رحاب الارض ، حتى لا يلحقنا الاجل الذي سيزورنا ليلا ونهاراً ودون ان نعطيه تأشيرة دخول ، فيسلبنا أعر ما نملكه في هذه الدنيا ، وهي فرصة الحياة ، ولذلك يجب ان نختار موقفاً سليماً ، فاما ان نترك انفسنا ونكون طعمة للأجل ، فلا ينفعنا العمل ، أو نستعد لتحدي شهوات انفسنا ، واتعاب انفسنا ، حتى نصل الى اهدافنا المرتقبة .

وربنا عزوجل يحذر من الترهل والكسل والابتعاد عن تحمل المسؤوليات ، لأنه يعتبر — في بعض الاحيان — ذنباً عظيماً .

« لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم » .

وتتوضح تسميته بالذنب من خلال هذا المثل ، لورأى انسان رجلاً اعمى يقترب من بشر ، فسكت الرجل ولم يدل بشيء ، وسقط الرجل ، فيعتبر هذا السكوت مساهمة في قتل هذا الرجل ، فكيف بالموت المعنوي حين يتيه شعب كامل في نفق الضلالة ، فيدخل النار !!!

لذا فأصحاب المجاميع الدينية يتحملون قسطاً من مسؤولية هذه الضلالة ، حيث يقول الحديث الشريف :

« لنحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم » .

وطلاب العلوم قادرين على العمل بجهد حين يفجرون معادنهم المكنونة داخل ذواتهم

عبر الطرق الحديثة ، والله عز وجل سيؤيدهم اذا بدأوا بالمسيرة .
واذا حمل طلاب العلوم هذه النفسية فانهم سيصقلون مواهبهم وطاقاتهم لما فيه خير
الامة وصلاحها ، ومن ثم يستطيعون تكييف انفسهم بدور عظيم في المستقبل اللامع
الذي ينتظر الشعوب الاسلامية بعد سقوط صدام حسين ، والذي سيعطيها املاً قوياً قد
يكون أكبر من الامل الذي اعطاه انتصار الثورة الاسلامية في ايران .

الرسالة اولا

بسم الله الرحمن الرحيم

« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون * وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون » .

صدق الله العلي العظيم

(٣٠-٣٤ / سورة الروم)

الهداية أساس الهدف

الهدف الاول والاسمى من بعث رسالات الله هو هداية الانسان وإخراجه من ظلمات الجهل والهوى الى نور العلم والتقوى .. وبالرغم من وجود هدف آخر لها يتمثل في تحكيم سلطان الله في الارض ، وهو الذي أشار اليه ربنا سبحانه .

«وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله» (٦٤ / النساء)

إلا أن هذا الهدف يأتي في الدرجة الثانية ، سواءً من ناحية الاهمية أو الزمنية ، ذلك لأن الهدف الاول والاسمى والاعظم هو هداية الانسان وتهيئته للدخول في جنات عدن ، وبتحقيق هذا الهدف ، تتحقق سائر الاهداف والغايات ، وبعد أن يهتدي الناس الى رسالات الله ويخرجون من زنانات الهوى والجهل الى نور العلم ، تبدأ المساعي لاقامة حكم الله في الارض .

وحسب هذا الترتيب المتقدم ، ينبغي دراسة رسالات الله جميعاً ، وتاريخ رسالة محمد بن عبد الله (ص) بصورة خاصة ، حتى نستطيع عبر هذا المنهج معرفة هدف الرسول

الاكرم والائمة المعصومين .. الذين ركزوا في حياتهم على جانبين : —

١ — هداية الناس .

٢ — الامساك بزمام السلطة السياسية — سلطان الله —

الهداية قبل الحكم

وبمراجعة سريعة لسيرة الرسول الاكرم والائمة المعصومين نكتشف ان الامر اذا كان دائراً بين هداية الناس الى الحق أو سلطانهم على الناس .. كانوا يولون الاهمية للهداية على السلطة ، وكانت هذه الاولوية جلية في قبول الرسول الاكرم دخول أبي سفيان والمنافقين وسائر اقطاب المعارضة في الاسلام ظاهراً — حيث دشّن الرسول بهذا التعامل عصر التقية — مع توجيههم بشتى الوسائل الممكنة كتأليف قلوبهم عبر العطاءات السخية والخلق العظيم الذي يتمتع به الرسول الاكرم ، ليدخلوا في الاسلام ، ويكثفوا أنفسهم مع الحضارة الاسلامية الجديدة .

إن تغيير مجتمع جاهلي موغل في الظلم والفحشاء والمنكر بعيد عن قيم السماء ، لا يمكن عبر مرحلة بسيطة من الزمن ، وقد أشار القرآن الحكيم الى هذه المسألة بصريح العبارة حين قال :

« الاعراب أشد كفراً ونفاقاً » (٩٧ / التوبة) .

« ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة » (١٠١ / التوبة) .

فهل من المعقول أن يتغير المجتمع الجاهلي من أقصاه الى أقصاه منذ نزول سورة المائدة الى حين وفاة رسول الله ، ويهجر الجاهلية بكل أصنافها ليلتحق بنور الاسلام الوضاء .. ولذلك فان من أكبر الاخطاء التي وقع فيها بعض المؤرخين هو القول بعصمة كل من التحق بالرسول الاكرم عن الخطأ .. ان هؤلاء المؤرخين أنفسهم لا يعتقدون بعصمة الرسول ، ويلحقون طبقة الاصحاب بالعصمة ، ويررون كل ما جرى بعد رسول الله من خلافات وصراعات وحروب طاحنة بمسألة اجتهاد الصحابة ، و يؤمنون بأن الثواب من الله عزوجل لكل من اجتهد سواء ، أخطأ أم أصاب ؟ !

إن هذا غير معقول .. لأن الله سبحانه وتعالى جعل رسالاته جارية على سننه ، ومن

أهم هذه السنن اختيار الانسان وحرية في انتخاب طريقه في الحياة .

لقد قبل الرسول الاكرم اسلام بني أمية وأقطاب المعارضة من قريش ، وأغدق عليهم الاموال ، لكي يحصل — بدءاً — على الشروط الموضوعية التي تمهد لنشر رسالات الله ، وحتى تخضع كافة القوى السياسية الحاكمة في الجزيرة العربية بصورة مؤقتة ، ولكي لا تقف هذه القوى حجر عثرة أمام انتشار نور الاسلام وهداية البشر . ثم ترك باقي هذه المسؤولية على كاهل أهل البيت عليهم السلام عبر التأكيد على دورهم في أحاديث جمة فهُم سفن النجاة والقرآن الناطق .

وفي طليعة هذه الاحاديث ، حديث الغدير الذي يعتبر اطاراً عاماً لكل الاحاديث حيث قال الرسول الاكرم :

« من كنت مولاه فهذا علي مولاه » .

مما يدل على أن مسؤولية سائر الائمة المعصومين هي ترسيخ دعائم الاسلام في المجتمع ، وبعد أن كانت مسؤولية الرسول الاكرم نشر الاسلام وترسيخ قواعده واقامة حكم الله ولو ظاهراً ، تبدأ مسيرة التربية والتعليم والتزكية المستمرة على كاهل الائمة المعصومين ، عبر محاربة النفاق ومقارعة الشجرة الملعونة في القرآن « بني أمية » ومواجهة الشبكة المترامية الاطراف المتجذرة في أرض الجزيرة العربية التي كونتها القوى المختلفة كبني أمية ومن يتحالف معها . والتي كونت مع بعضها نظام مصالح في المجتمع الجاهلي ومحاربة سائر هذه الجذور العفنة لاقتلاعها من أرض الجزيرة العربية .

الهداية قبل الحكم في منهاج الامة

واجه آئمة آل بيت رسول الله كل هذه الانشدادات الجاهلية بأدوار مختلفة . . وقد نجحوا في ذلك لاكمال رسالة الله . . حيث لم يكن عبثاً أن تنزل آية إكمال الدين بعد غدير خم ، انما جاءت تأكيداً لهذه الفكرة حيث قال عزوجل :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام

ديناً » (٣/ سورة المائدة) .

ولذلك لم يكن عبثاً أن تكون آخر وصية لرسول الله أراد كتابتها ، لولا المقولة التي شاعت بين البعض آنئذ (ان الرجل ليهجر) (حسبنا كتاب الله) لولا هذه المقولة كاد الرسول أن يكتب كتاباً لن يضل المسلمون بعده أبداً لومتسكوا به .

إن من يعتقد بفشل حكم الامام علي بعدما أقام حكماً دام (٥) سنوات ، الذي يعتقد ذلك عليه أن يتذكر أن الامام علياً كان يؤدي دوراً رسالياً هاماً في المجتمع الاسلامي بل في أداء رسالات الله جميعاً حيث جاءت رسالة الاسلام مهيمنة ومكاملة لسائر رسالات الله في الارض ، كما أن عليه أن يتذكر الروايات المستفيضة التي وردت في فضائل الامام (ع) .. وحاشا لله وحاشا لرسوله أن يورد كل هذه الفضائل عبثاً .

الامام علي قام بدوره كاملاً .. والمسألة الرئيسية التي ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار .. هي أن دور الامام علي لم يكن دائماً الجلوس على كرسي الحكم ، لأن الدور الذي يؤديه مُبلِّغ رسالة يختلف عن دور الحاكم .. والدور الاول والاهم لكل الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين هو تبليغ رسالات الله ، وعدم الخلط بين أنفسهم وبين رسالات الله ، بالرغم من أنهم جسدوا رسالات الله .. ولكن حين وجد الامام علي مصلحة الرسالات الالهية والامة الاسلامية في تنحيه عن الحكم فعل ذلك ، ولو أنه يفعل ذلك وتشبث بالكرسي وحمل الناس على طاعته بالسيف بعد رسول الله عبر المطالبة بالحكم بصورة عنيفة وحادة .. لاقتنع الناس بفكرة مفادها ان الامام علي بن ابي طالب حكم وسلطان .. ليس على سواد الامة بل حتى على أصحاب رسول الله .. لكل هذه التشابهات رأى الامام علي أن يتنحى عن الحكم ، لأن الامة لما تنضج .. وهو يستطيع تأدية الدور الرسالي الاساس وهو خارج الحكم .. ثم بقي الامام علي هذه الحالة الى أن تكاثف طلب الجماهير الى نمط الحكم الذي يؤمن به الامام .. وقد جاء الطلب من أصحاب رسول الله ، ومن الذين كانوا يرون في أنفسهم أنداداً للامام بل أحق منه بالخلافة .. ومع ذلك حين عصفت رياح الفتن بالمسلمين وقتل الخليفة الثالث ، وكادت سفينة الامة تغرق في بحر الفتن ، وجد جل أصحاب رسول الله أن ربان هذه السفينة وقائد الركب يتجلى في الامام علي (ع) ، ولهذا تجد أكثر من (٢٠٠٠) شخصاً من أصحاب رسول الله ، ينضوون تحت لواء أخضر في صفين يدافعون عن الامام علي وعن رسالات الله ضد بني أمية ، وكان بينهم (٧٩) صحابياً ممن اشتركوا في معركة بدر ، و (٧٠٠) شخصاً اشتركوا في بيعة الشجرة والذين رضي الله عنهم ، أكثر اصحاب الرسول الاكرم دافعوا عن الامام علي حين أحسوا بأن الشجرة

الملعونة في القرآن والتي قاومت الرسالة منذ أول يوم بعثت لتقاوم الرسالة من جديد .. ليس دفاعاً عن شخص الامام وانما عن حرمة الاسلام، وانبروا في الدفاع بكل قوة حين عرفوا بأن الامام لا يعمل لطلب الحكم .. بل أنه هو الذي قدم أجل خدمة للمسلمين بفضحه الشجرة الملعونة عبر التاريخ .. وقليلاً ما نجد الآن بعض السخفاء يؤمنون بخرافة أن «معاوية من الخلفاء الراشدين»، فالموالون للامام علي كانوا يرون أحقية الامام علي وسائر الائمة بالخلافة .. والبعض يعتقد ان الخلفاء الراشدين أربعة .. والبعض يضيف اليهم الامام الحسن حيث بايعه اصحاب رسول الله .

وتجد نفس هذا التسلسل الذي اعتمده الامام علي (ع) يقوم به الامام الحسن .. حيث نرى الامام الحسن يهادن — إن صح التعبير — معاوية بشرط اعادة الحكم مستقبلاً الى الخلفاء الشرعيين ، الامام الحسن يعلم خيانة معاوية .. ولكنه يريد هداية المسلمين الى أن جهازاً كجهاز معاوية لا يمكن أن يحكم باسم الاسلام .. ولو كان الامام الحسن يحارب معاوية لاشتبه عليهم بأن الامام طالب سلطان كما معاوية ، وبتعبير آخر يحارب لاجل الشخص لا لأجل الرسالة .. ان الحكم ليس إلا وسيلة لتحقيق هدف أسمى .

والامام الحسين يبقى في مكة المكرمة عدة أشهر .. ولا يتوجه الى العراق حتى تصله (١٢٠٠٠) رسالة بعضها تحمل توقيع مجموعة من الناس ، وأكثر هذه الرسائل من قيادات الجيش الكوفي (لأن الكوفة كانت حامية الجيش ، والجيش الكوفي كان أحد جيشين في البلاد الاسلامية وكان الجيش الآخر هو جيش الشام .. وكان أكثر أبناء جيش الكوفة من اليمن والجزيرة العربية، وقسم قليل منهم كان من عرب العراق) .. وانتظر الامام الحسين فترة الى أن نضجت فكرة الدفاع عن رسالة الاسلام جاء اليهم ، على رغم أن كان يعلم بأن مصيره هو الشهادة .. وقد صرح بذلك في أول حديث له في مكة المكرمة حين قال :

« خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أوهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف ، وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكر بلاء .. »

ذهب الحسين الى العراق ، لأنه صاحب رسالة .. وهذه الرسالة التي يكمل بها رسالة جده رسول الله (ص) لن تتحقق إلا بآراقة دمه وشهادة أخوته وأبناءه وأولاد أخيه وخيرة أصحابه وممن بقي من أصحاب رسول الله ، إضافة الى سبي نسائه .

وهنا أيضاً اختلفت معالم الحركة الرسالية . عن الحركة السياسية فمن غير المعقول أن يضع صاحب السياسة .. استراتيجيته على أساس الشهادة .. بينما نجد صاحب الرسالة . يمشي الى الموت بخطى ثابتة . و يضع الشهادة غاية مسيرته .

وهكذا كان الامام مصباحاً للهدى وسفينة للنجاة .. ومن هنا أيضاً بقيت هناك مهمة علينا نحن المسلمين وهي تخليد ذكرى أبي عبد الله الحسين (ع) لأنه صاحب رسالة وليس صاحب ملك .. وهو نائر استشهد في كربلاء ، وتحول الى مسيرة رسالية .

ومن أهم مسؤولياتنا تجاه أبي عبد الله الحسين ، هو تعميق الولاء ، والذي يعني الولاء لنهجه وخطه ، وانني لذلك أوصي الاخوة الرساليين بتلاوة زيارة عاشوراء ، التي تعتبر منهج حياة .. حيث تشتمل على كلمة لو كتبت بماء الذهب على صحائف من فضة لكانت بذلك جديرة وهي :

« اللهم أحيني محيا محمد وآل محمد ، وأمتني ممت محمد وآل محمد » .

حيث نطلب بهذا الدعاء من الله حياة على نهج الرسول وآله ، كما نطلب أن نموت كما ماتوا .

بلى أو لم يبحث الائمة عن موتهم دون أن يبحث الموت عنهم .. إذ هذه الحياة والممات منهجان للانسان المسلم يركزهما في نفسه عند قراءة زيارة عاشوراء .. كما تتضمن مقطعاً آخر يؤكد هذه الفكرة .

« اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله

اللهم عنهم جميعاً » .

أو تقول مائة مرة :

« السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الارواح التي حلت بفنائك ، عليكم مني

جميعاً سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ، ولا جعله الله آخر العهد مني

لزيارتكم » .

إن تكرار هذه المقاطع دلالة على حاجتنا كل يوم الى تعميق الولاء لخط أهل البيت (ع) ، والذي يعني بديهياً تعميق خط الرفض في النفس لخط الطغيان والظلم .. والرفض لا يكون للحاكم فقط ، وإنما لمن يشايعه و يبايعه و يتابعه .
وفي ظني أن المراد من « المتابعة » هي حالة الاسترسال واللاقرار واللابالية واللاموقف عن أعمال خط الظلم .. وحين تكرر ذلك مائة مرة ، فانك ترفض السكون واللاموقف واللابالية واللامسؤولية .. وتجسد في نفسك روح المسؤولية ، بل وتعلن اللامسؤولين ، الذين يقولون « مالنا والدخول بين السلاطين » ويتعللون بهذه المقولات التثبيطية التي تبث في الامة روح الانهزام والتراجع حتى لو كان مبدأهم الذي يعتنقونه هو خط الثورة والرفض ..

لقد خاطب الامام الحسين الذين حاربوه في كربلاء بالقول « يا شيعة آل أبي سفيان » نافياً انتماءهم الى الشيعة ، والذي كان أحدهم عمر بن سعد ابن عم الامام الحسين المحسوب على الخط الهاشمي ، ولما سأله الامام الحسين : لماذا تقتلني ؟ أجاب : خوفاً من بني أمية .. ان الكثير يحاربون الاسلام وينخرطون في جيوش الظالمين لمحاربة المسلمين يرضخون لقرار الحاكم خوفاً منه .

حين قتل الامام الحسين في كربلاء .. ارتفعت غشاوة عن قلوب المسلمين ، فنحن الذين دعواناه .. قتلناه ظامناً قرب الفرات .. وتجد تطبيقاً لهذه الندامة بعد دخول زينب الكوفة ، حيث بدأ الكوفيون يبكون و ينتحبون — البكاء يتحقق بجريان دمع الانسان ، أما الانتحاب فلا يتحقق إلا بالبكاء الشديد والمستمر — ، وبعدها رأت منهم زينب ذلك قالت : « اتبكون و تنتحبون »

على رغم أنكم أنتم الذين قتلتم الامام الحسين (ع) .
إن شهادة الحسين في كربلاء وسيلة لهداية الناس .. وفقاً لما قاله الرسول الاكرم :
« ان الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة » .

و يؤكد هذا حادثة وقعت في يوم عاشوراء ، حين شوهد ابليس يبكي فقال له أصحابه .. لماذا تبكي وهذا يوم فرحك لأنك قتلت ابن رسول الله وأدخلت فينا من الناس في النار ، فقال : — إن مقتل الحسين هو سبب في دخول الملايين الى الجنة .. أي

الامام الحسين منعطف خطير للاتجاه الى رسالة الاسلام ، ومن هذا الموقف نستشف المفارقة الهامة بين صاحب الرسالة الذي يتنازل عن كرسي الحكم ويهادن من يعارضه ويعرض نفسه للشهادة مضحياً بها في سبيل بقاء الرسالة — المحور — وبين صاحب السلطان .. كما أن هذا هو الفارق الرئيسي بين الحركات الاسلامية والحركات السياسية غير الدينية .. فصاحب الحركة الاسلامية الوريث الشرعي لخلافة النبي الاكرم محمد بن عبد الله (ص) يبحث دوماً عن الرسالة ، ويدور معها حيثما دارت .. ولا يفكر في المناصب لنفسه أبداً .. ولهذا تجد ان ابناء الحركة الاسلامية يرفضون التحزب .. هم قد يدخلون في أحزاب أو تنظيمات اسلامية مختلفة ، لكنهم يرفضون التحزب على حساب قيمهم ودينهم ورسالتهم ، ولا يكونون كما قال عنهم الله :

« من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون » .

بل يكونون كما قال عنهم تعالى :

« منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين » .

أي أن المحور هو العودة الى الله ، وكلما أبعدتهم الاهواء عن محور التوحيد جذبتهم المعرفة اليه مرة أخرى .. فيعودون اليه و ينطلقون منه .

حقيقة الفتوحات الاسلامية

هل كانت فتوحات المسلمين للعالم غزواً أم استعماراً أم احتلالاً عسكرياً ؟ إن هذه الانتصارات كانت فتحاً ، لأن المسلمين اذا دخلوا بلداً يساونون بين أنفسهم وبين أهل البلد .. ولا يجبرونهم على الدخول في الدين ، وكانوا يركزون على مبدأ المساواة بين المسلمين والكفار إذا أسلموا .. أسلمت امرأة من الموالي حديثاً .. وامرأة قرشية عانت من مشاكل شعب أبي طالب والهجرة الى المدينة والخلافات بين المسلمين .. والامام علي يساوي بينهم في العطاء ، فاعترضت القرشية ، فدفع الامام علي حفنة من التراب في يدها وقال : اني لا أجد فرقاً بين حبات التراب .

« كللكم لآدم وآدم من تراب » .

هذا اذا انتموا الى الاسلام .. وأما اذا لم ينتموا فكانوا يحصلون على حقوق متساوية مع حقوق المسلمين تقريباً .. ولهذا المعاملة الحسنة لم يجد الناس في الفتح الاسلامي

احتلالاً أو استعماراً.. بل دخلوا في الاسلام وتكيفوا معه حتى أن بعضهم كانوا ينضمون الى الجيش الاسلامي بعد أيام أو أشهر ليشاركوا في فتح بلاد أخرى ولولا قانون المساواة الذي يشرعه الاسلام، لما كان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ويدافعون عن الاسلام بهذه الصورة.. وأساساً لو استخدم المسلمون سل السيوف وقطع الرقاب، لاشتدت الحروب بينهم وبين القبائل بصورة كبيرة، ولصعب انتشار الاسلام في البلاد المفتوحة.

العراق .. كيف تنتصر الثورة؟

إذا قننا القضية العراقية بتجمع أو بحزب أو منظمة أو دولة، وحددنا في من يدخل عبر قناة معينة فقط. أما الآخرون من الاحزاب والمنظمات والمراجع وسائر الناس لا يمثلون الاسلام إلا إذا دخلوا عبر هذه القناة.. ان هذا يعني التنازل عن فتح العراق.. ونحن بهذا وقعنا في المحذور حين خلطنا بيننا لبشر وبيننا كأصحاب رسالة، لأن صاحب الرسالة لا يؤمن بجمهورية جماعته بقدر ما يؤمن بجمهورية الاسلام.. ومثالا رائعاً على هذه الحقيقة، قال الامام الخميني في قم المقدسة بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران.. وإبان دعوة الناس الى التصويت لصالح الجمهورية الاسلامية قال (أحوا التراب على رأسي لو كنت دفعت هؤلاء الناس الى الشهادة من أجل أن أكون حاكماً عليكم)، وقال (انني أجد ثقل دماء الشهداء على كتفي) كانت روح الايمان وراء هذه الكلمات.. ولا بد أن تكون هذه الكلمات منهجاً لكل العاملين في البلاد الاسلامية، وخاصة للمسؤولين في الجمهورية الاسلامية فيما يرتبط بالقضية العراقية.. فالمطلوب هو التنازل عن الذات والحزب وعن ما يرتبط بهم كإنسان.. ويزوبوا بعدئذ في العمل.

في الحقيقة ان الجمهورية الاسلامية في ايران لا تريد بسط نفوذها السياسي في المنطقة عبر الحرب.. وهذه الحقيقة لا بد أن تتجلى في ممارسات عملية كالتعامل مع فئات العراق العاملة سواء عدم جعل النفس محوراً ومقياساً للدخول الى الجنة، لان الامام علياً - قسيم الجنة والنار والقرآن الناطق - في ممارساته السياسية لم يجعل نفسه محوراً ومقياساً.

إذا تعاملنا بهذا الشكل مع القضية العراقية.. فان القضية سوف تراوح في

مكانها .. أما اذا أشعرنا شعب العراق بأنه هو الحاكم فاننا سوف نحقق تقدماً أسرع نحو الانتصار.

ان ولاية الفقيه تعني ولاية الاجدر والاكفأ والاعلم من أبناء الامة وأقدرهم على تطبيعه، الشخص الذي تتوفر فيه هذه الصفات يكون جديراً بحكم المسلمين وامامتهم وسواءً انتمى الى الهند أو باكستان أو العراق أو أفغانستان، ومعنى ولاية الفقيه أيضاً هي العالمية الاسلامية أن الحزب هو حزب الله والبشر هم عباد الله ولا قيمة للون ولا للعنصر .. وهذه الولاية لا تعني استعماراً لبلد ما .. ولكن اذا دار البعض حول فقيه، وأراد هذا البعض أن ينضوي الكل تحت إشرافه ويكون هو المحور والمقياس، فان الآخرين سيرفضون .. بل إن البعض بسبب ممارساتهم الخاطئة للاسلام ينعون الناس عن الهداية ويصدونهم عن سبيل الله ..

العالم مثلاً اذا كان متكبراً على الناس .. يمنع الناس من الانخراط في سلك العلم لتكبره وتجيده والاسلام ينهى عن هذه الحالة .. اذ يؤكد ذلك الحديث الشريف :

« ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم » .

إن التواضع هو المطلوب من العالم .. لأنه إن تكبر أبعد الناس عن نفسه وعن نور العلم الذي يمثله، إن الحق هو الحق .. لذا على الحركات الاسلامية وعلى المسؤولين في الجمهورية الاسلامية وعلى العاملين في سبيل الله جميعاً ان ينضوا تحت لواء الحق . بالنسبة للقضية العراقية .. لو أننا فتحنا المجال لجميع الناس بالاشتراك في قضية العراق دون أي تقييد لصالح أية فئة .. فاننا آنئذ نقوم بدور كبير في تحريك الجماهير العراقية ضد النظام، مما يعني بالبداهة اسقاطه .

لا بد أن نكون حملة رسالة .. ندور معها حيثما دارت، ونفصلها عن أنفسنا، ونجعل المقياس على حسب العطاء للقضية .

قبل فترة ظهرت اشاعات حول الحركات الاسلامية .. وفي هذه البرهة من الزمن امتدت اللسان الطويلة لتتال من قدسية المراجع .. ومن ثم قد تتال هذه اللسان على الدين والشرف .

إننا مسؤولون عن كل قطرة دم تراق على جبهات القتال أو في داخل العراق ..

وسوف يحاسبنا الله حساباً عسيراً إن لم نكن في أشد حالات الوعي والتقوى .. والتقوى لا بد أن تكون في أعلى درجاتها عند من يشتغل بالسياسة .. و يؤكد هذه الفكرة قول الامام العسكري (ع) :

« من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فعلى العوام أن يقلدوه » .

إن درجة التقوى عند السياسي يجب أن تكون عظيمة وقريبة من تقوى الصديقين ، لأن أمانة الامة الاسلامية أجمع في عنقه .

في القضية العراقية على قيادات الحركة الاسلامية وعلى المسؤولين في الجمهورية الاسلامية في ايران أن يكونوا في أشد حالات التقوى في أنفسهم .. ولنقتد في ذلك بالامام الحسين (ع) .. إن الامام ضحى بسبعته في كربلاء .. حيث قال الناس إن هؤلاء مجموعة من الخوارج .. بل وأفظع من ذلك سبي نساؤه وانتهاك حرمة .. وقبل الامام ذلك لأنه قال :

« العار أولى من دخول النار » .

مع العلم ان الامام الحسين لوباع يزيد لحصل على شرف ظاهري .. ولكنه ترك ذلك ، وجاء الى كربلاء .. وقتل بصورة فجعية .. وأهين جثمانه الشريف بعد استشهاده .. وانتهكت حرمة .. وأسرت نساؤه من أجل بقاء الدين .

التعافي والتكاتف الاجتماعي

بسم الله الرحمن الرحيم

«وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله أنه لا يجب الظالمين * ولن انتصربعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور» .

صدق الله العلي العظيم

(٤٠ - ٤٣) سورة الشورى

العفو.. خطوة متقدمة نحو التكاتف الاجتماعي

كلما ازداد قرب الانسان من آيات الذكر الحكيم علماً وعملاً.. كلما تحول ذلك الى حيوية ونشاط يكفل استيعاب المعاني الحقيقية للحياة، إذ أن مقياس الحياة والموت الحقيقيين يكمن في قيم القرآن.. ومن هنا تصح مقولة أن كثيراً من الاحياء الذين يمشون فوق البسيطة متوغلين في الجهل والذلة والجهل يعتبرون أموات، بمسماه الواقعي، بيد أن الشهيد الذي كرس حياته في العلم والعمل الصالح يعيش حياً رغم موته الظاهري، باعتبار أن قيم القرآن وتعاليمه تعطي نشاط الانسان دفعات قوية باتجاه الانطلاق والتقدم والرقى.

ومن أبرز الوصايا القرآنية التي تتكرر في ثنايا آيات الذكر الحكيم.. مسألة التعافي بين المجتمع الايماني.. لا أن يوجه العفو تجاه الظالم الذي يزيده العفو ظملاً وتجرواً على عباد الله، وفي هذا يقول الامام السجاد (ع) :

« ان علمت ان العفو يضر، من تعفو عنه.. انتصرت، قال الله تبارك وتعالى (ولن

انتصر من بعد ظلمه ، فأولئك ما عليهم من سبيل» (١)

وتأكيداً على هذه الفكرة في حادثة حكم الامام علي (ع) بقطع يد سارق ، إذ طلب هذا السارق العفو من الامام .. فتأمله الامام ثلاثاً وسكت .. ثم أمر بقطع يده .. فقال السارق : ألم أطلب منك العفو؟ .. فأجابه الامام : إن العفو في هذه الحالة ليس في محله .. لأن من لم يرتدع عن جريمته المتكررة .. كان حقاً أن يؤخذ بقوة دون رأفة .
والفرصة التي تتجلى فيها حالة العفو .. تكون في وقت القدرة والقوة .. الله سبحانه وتعالى يعفو عن العباد يوم القيامة .. وعفوه مقرون بقدرته ، لا من باب الضعف .

إن فائدة وفلسفة العفو في الواقع الاجتماعي لا تعني اعطاء الفرصة للمتماذي في الجريمة وانتهاك حدود الله .. بقدر ما هي خطوة متقدمة نحو أبعاد جو الذنب وشبح الجريمة عن المجتمع ، ويعتبر العفو خطة سليمة لابعاد تحكيم الذاتيات .. خصوصاً وأن أغلب الصراعات الاجتماعية يكون منشأها المصالح الذاتية الراجعة الى حب الذات ، هذا في الوقت الذي تحتاج فيه المجتمعات الايمانية الى أكبر قدر ممكن من تآلف القلوب وتحاببها .. وصفاء النفوس وتوادها .. لتكون مانعة لحجب الضغائن والاحقاد وسوء الظن .. خصوصاً وان الانسان اذا حمل في قلبه على أخيه بسبب بعض النظرات .. تنخفض درجات التعاون الى الصفر ، باعتبار ان الانسان بطبعه يتعاون مع من يحبه ، بينما اذا كان يحمل في قلبه على آخر ، فان هذا الحمل سوف يكون مدعاة الى ترطيب جو العلاقة بسحب الحقد .. وبالتالي الى اللاتعاون .. كون انشغال الانسان بالتفكير في الصراعات الاجتماعية وشحن تفكيره بالبغضاء كفيل بتقليل العمل من قبل هذا الشخص ، حتى أن الطالب الذي يدرس في جامعة ، مركزاً تفكيره على من تكلم عليه .. نال منه .. وخطط للايقاع به .. فان تفكيره سوف يكون مشتتاً لا يستفيد من العلم في توجيهه نحو العمل الصالح .

القرآن الكريم يأمرنا بالعفو ، لان الانسان دائماً يزعم بوحى شيطاني أنه أكبر مما يراه الآخرون ، فهم يظلمونه ويهضمون حقوقه ، بينما الاسلام يؤكد على ان المؤمنين يطلبون من الله دائماً أن لا يرفعهم في الناس درجة ، إلا ووضعهم في أنفسهم بقدرها ،

فاذا صار عالماً كبيراً أو كاتباً قديراً أو تاجراً رفيعاً .. ينظر الى مستواه أقل من حجمه حتى لا يصاب بحالة التكبر .. يقول الامام علي (ع) في دعاء كميل :

« واجعلني في كل الاحوال متواضعاً » .

حتى تكسبه حالة التواضع هذه النظرة السليمة ، لأنه إن لم ينظر الى نفسه بهذا المستوى ، فانه سوف يحقر الناس بسبب نظراته الخاطئة معتقداً أنهم ظالموه .. بينما اذا اعتمد مبدأ العفو، فان قلبه سوف يصبح زكياً نظيفاً ، تاركاً صفائر الامور الناتجة من سوء الظن .. مندفعاً نحو العمل المخلص .. وحينها يلقي الله سبحانه وتعالى محبة هذا الشخص في قلوب الآخرين .. فاذا عفوت عن شخص أخطأ في حقك ، ترى في قلبه محبة لك بفضل الله تعالى .. وهكذا تنتشر المحبة في قلوب المؤمنين .. ولعل الصلاة التي يصلحها المؤمن في عمق الليل مع هدوء الطبيعة وسكون الاصوات .. ونيام الناس ، ومن ثم الدعاء للاخوة المؤمنين .. هذا الدعاء يورث قلوباً متحابه متألفة قادرة على صناعة المعجزات .. لان القلب المشغول بأسباب التعب والارهاق يفقد نصف قدراته وطاقاته . وبالتالي يفشل في عمله سواء كان مادياً معيشياً أو معنوياً ، وقد ثبت علمياً ان توتر أعصاب الانسان يفقده كثيراً من خلايا المخ .. مما يؤخر من نتائج العمل ، وبالتالي فان (٨) ساعات من عمل الانسان لا تعادل ساعة واحدة من الجهد الفكري .. كما ان (٨) ساعات من الجهد الفكري لا تعادل ساعة واحدة من حالة العصبية ، كون عصبية الانسان تحرق خلايا الانسان حرقاً دون رجعة .. وبدل أن يصرف الانسان (١٠٠٠٠) خلية في الظروف العادية ، قد يصل الى صرف نصف مليون خلية بسبب العصبية الزائدة ، بينما اذا انتفت هذه العصبية من تفكير الانسان فسوف يعيش مرتاح القلب لا يشعر بتعب أو إرهاق .. لان التعب يأتي من القلب لا الجسم .. واذا صرف الانسان جهوده في التفكير السليم ، فسوف تشع في روحه النشاط والحيوية ، وأنثذ يطول عمره في سعادة هنيئة .

العفو .. سبب العزة

يقول الرسول الاكرم (ص) :

« عليكم بالعفو، فان العفولا يزيد الصبر إلا عزاً، فتعافوا يعزكم الله » (٢)

مؤكداً على أن العفو اذا انتشر في الواقع الاجتماعي، فانه سوف يورث العزة الحقيقية، لان تعافي المجتمع عن بعضه البعض، وسموه في مكارم الاعمال، كفيل بايجاد مجتمع متماسك قوي، بينما اذا كانت هذه الصفة معدومة، فان اخطبوط الصراعات الداخلية سوف تنخر في وجود الكيان الاجتماعي، فتفرقه.. ليصل بالطبع الى الذلة، بينما اذا توحد المجتمع وقويت جبهته الداخلية، فان صراعه سوف يكون باتجاه العدو الاصلي.. وقد اعتمد الرسول (ص) وقادتنا الائمة الاطهار على مبدأ العفو حتى حين الشدة.. ولذلك فان هناك بعض الروايات تؤكد أن الرسول (ص) استشهد بالسسم الذي دسته له امرأة يهودية في شاة قدمتها للرسول.. فلما وضع الرسول قطعة من اللحم في فمه المبارك، نطقت هذه القطعة بأنها مسمومة، فلفظها الرسول (ص).. بعدئذ أمر بتلك اليهودية.. فلما حضرت، قال لها: مادعاك الى ما فعلت؟ فقالت: قلت في نفسي ان كان هذا رسولا، فسوف لن يؤثر عليه السم، وان كان ملكاً أرحنا الناس منه.. على رغم ان بعض الروايات تقول انه كان يتألم بسبب السم لمدة سنتين.. والمعروف ان السم يؤثر تأثيراً بالغاً في جسم الانسان.. ومع ذلك عفى الرسول عن هذه المرأة اليهودية.. وهكذا الامام السجاد (ع) حين كانت جارية له تصب الماء عليه، فوقع الابريق على رأس الامام فجرحه، فقالت الجارية مباشرة « والكاظمين الغيظ » قال: « كظمت غيظي » فقالت: « والعافين عن الناس » فقال: « عفوت عنك ». فقالت: « والله يحب المحسنين » فقال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

إن أخلاقيات العفو هذه كانت من أجل رسم التاريخ المستقبلي على هذا الاساس.. ولهذا نرى الحث المتكرر من الروايات حول العفو..

* يقول الرسول الاكرم (ص):

« تعافوا تسقط الضغائن » (٣)

يقول الرسول أيضاً:

(٢) بحار الأنوار، جزء ٧١، ص ٤٠١.

(٣) كنز العمال.

«من عفا عن مظلمة ، أبدله الله بها عزاً في الدنيا والآخرة» (٤)

وكما يرغب الانسان في عفو الله تعالى شأنه عنه .. فانه لا بد أن يعفون أخوته

المؤمنين .. وحينها يقول تبارك وتعالى :

«أنا أولى بالعفو منك» ..

يقول الامام الصادق مؤكداً ذلك :

«أعف عن ظلمك ، كما أنك تحب أن يعفى عنك ، فاعتبر بعفو الله عنك» (٥)

وحينها يحصل الانسان على الدرجة الرفيعة من الله تعالى ، فتلغى الاحقاد وتتآلف

القلوب .. بينما اذا أخطأ انسان على آخر .. فان المخطيء قد ينسى ، ولكن الطرف

الثاني ينشغل بهذا الحدث كثيراً ، حتى أنه ليصاب بعقدة الذنب .. ولو أنه عفى عن

صاحبه لارتاح ضميره .. وتفرغ للعمل بشكل أكبر .

يزداد العفو قيمة حين يكون في مستوى القدرة .. فمثلا عفو الحاكم عن الشعب ..

أما اذا كان الحاكم يأخذ الناس بالشدة ، فانهم لا يطيقونه .. بل و يثورون عليه ..

ولكن اذا عفى عنهم ، فانه سوف يملكهم .. وهكذا فعل رسول الله (ص) حين ملك

الجزيرة العربية ، ملك قلوب أهلها .. بل قلوب البشرية أجمع الى الابد .. وعلى رغم أن

قريش جهزوا (١٧) حرباً تتسم بالشراسة والوحشية البعيدة عن الاعراف الانسانية ..

مثل ما فعلوا بعم النبي حمزة بن عبد المطلب الذي كان من اتراب الرسول واصدقائه منذ

الصغر .. ومع ان شهادة عمه كانت بطرق وحشية للغاية ، رغم ذلك يتعامل معهم

معتمداً أسلوب العفو كما في الحوادث التالية :

• فحين فتح قلاع خيبر .. وحصل على مغنم كثير من الذهب ، أمر بتوزيعها على

فقراء مكة .. وهم آنئذ كانوا كفاراً .

• أحد الذين هدر الرسول دمه .. كان هارباً ، فجيء به الى الرسول ، ولما عرفه ،

عرض عليه الاسلام .. فلم يسلم .. وبعد أيام اسلم .. وهو تاجر كبير كان يملك غلال

(٤) كنز العمال .

(٥) بحار الأنوار ، جزء ٧٨ ، ص ٢٨٤ .

منطقة اليمامة التي يتغذى أهل مكة على ثمارها .. هذا الرجل بعد أن أسلم منع الطعام عن أهل مكة .. فلما سمع الرسول بذلك ، أرسل اليه رسالة يخبره فيها بأن أسلوب المحاصرة الاقتصادية ليس من شيم الاسلام ، وأمره بارجاع الطعام .

« حينما دخل الرسول مكة فاتحاً ، كان بإمكانه أن يعمل السيف في رقاب أهل مكة .. يستعبد رجالهم و يسلب أموالهم كعادة الحروب العربية .. ولكن الرسول ذهب الى الكعبة .. نادى بصوته مخاطباً أهل مكة : ما تظنون إنني فاعل بكم ؟ فقالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم .. فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

إن الظروف النفسية التي يعيشها المجتمع الاسلامي اليوم تتطلب منه التواضع فيما بينه ، لايجاد قلوب صافية .. خاصة وأن قسوة الحياة ومصائب الهجرة ومشاكل الطغاة تؤثر في الانسان حتى ليحتاج الى عود ثقاب لأشعال برميل من بارود ، أي صاعق يفجر القنبلة فقط .. ولعل هذا الصاعق ينفجر في جلسة عادية يتجاذب فيها الجالسون الحديث .. يحدث اختلاف بسيط ، واذا به يتفجر فجأة مولداً العداوة والبغضاء . إن المجاهدين في الساحات الاسلامية هم أحوج ما يكونون الى خلفية هادئة من صوب المجتمع .. لكي يكون هذا الهدوء منطلقاً نحو جهاد الظالمين .. لاصراع الاخوة المؤمنين .. و يؤكد الله تعالى على ذلك في الآية الكريمة قائلاً :

« ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم » .
 بمعنى أن حماس المؤمن وحيويته ونشاطه يجب أن يوجه باتجاه حرب الاعداء الظالمين .. وحينها لتتفجر كل الصرخات ، وليظهر كل الحقد والبغض ضد هذا العدو ، لا أن يوجه ذلك في ضرب المجتمع بعضه ببعض .

و يؤكد السياق القرآني بعدئذ أن توجيه الحقد ضد العدو ، كما أن حالة التعاون والعفومع المؤمنين بحاجة الى عزيمة شديدة تمكن الانسان من كظم غيظه وتهيئة نفسه في سبيل توجيه كل الحراب نحو العدو الاخطر .. لا الاخوة المؤمنين وتؤكد الآية الكريمة ذلك قائلة :

«ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور» .

هناك تفاسير عديدة لـ «عزم الامور» بيد أن التفسير الاقرب هو أن الانسان يحتاج الى عزم شديد من أجل تحقيق معادلة العفومع المؤمنين ، والشدة مع الظالمين .

الجهاد والدين

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وحنات لهم فيها نعيم مقيم * خالددين فيها أبداً ان الله عنده اجر عظيم * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم و اخوانكم اولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون * قل ان كان آباؤكم و ابناءؤكم و اخوانكم وازواجكم و عشيرتكم و اموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره و الله لا يهدي القوم الفاسقين * لقد نصركم الله في مواطن كثيرة و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتمكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم و ليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنوداً لم تروها و عذب الذين كفروا و ذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء و الله غفور رحيم . »

صدق الله العلي العظيم

سورة التوبة (٢٠ - ٢٧)

ان أختيار الله سبحانه و تعالى لبشر من عباده ، ليصبحوا مجاهدين في سبيله و ينقذوا عباده من الضلالة و الجور الى ظل الهدى و العدالة ، شرف عظيم و توفيق كريم و مجد ائيل لا يبلغه الانسان عبثاً ، و من دون ان تكون فيه طيبة قلب و همة عالية و ارادة يسعى نحو تحقيقها بقوة .. لن يكون موفقاً لان يكون ممن يختاره الله لهذا العمل .

و اذا فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً و درجة و وصفه بالعظمة ، فانه يعني ان

الوصول الى هذا المستوى الارفع لن يكون بسهولة ، بل بحاجة الى بذل مزيد من السعي والعمل على تغيير النفس .

فالله سبحانه وتعالى حكيم ، ولا يضع الامور الا في أماكنها .. فهل يعطي شخصاً حبة بدون ان يكون اهلاً لها . وهل يمنحه رسالته ويجعله محلاً لتوفيقه ورحماته وفضله من غير أن يصل الى مستوى رحمته ؟

ولوانه يفضل شخصاً على آخر ، أو يعطيه من فضله العظيم ، حتى يكون مجاهداً في سبيله ومنتقداً لعباده ، دون أن يهب من هذا الفضل للآخرين .. فانه سبحانه يكون بذلك قد ظلمهم .

« وما ربك بظلام للعبيد » (١).

اذن .. فحينما نجد شخصاً مجاهداً ونغبته على ما حصل عليه ، فلا بد ان نعرف بانه لم يصل الى ذلك الا باستحقاق وبما توفر فيه من طيبة القلب وقوة الارادة واجتهاد السعي .

ونحن اذ نعيش في شهر رجب الاصب — الذي يصب فيه الرب رحماته على عباده صباً — لا بد أن نتعرض لرحمات الله ونفحاته وفضله ، وندعوه بخلوص القلب و يقين الفؤاد على ان يرزقنا فضله ويجعلنا من المجاهدين ويختارنا لتبليغ رسالاته بين عباده .
عن عامر بن شبل قال : سمعت رجلاً يحدث عن انس بن مالك ، انه قال : قال رسول الله (ص) :

(ان في الجنة قصرأ لا يدخله الا صوام رجب) (٢).

منهجان لتصعيد العمل :

ان الله سبحانه وتعالى يحب عباده ، ويحب من يعمل من أجلهم ، ويحب خلقه ، ويحب المحسنين لهم ، واي احسان اعظم من العمل في سبيل هداية الناس وتوعيتهم

(١) سورة فصلت آية «٤٦» .

(٢) بحار الانوار، ج ٩٧، ص ٤٦ .

وانقاذهم من ضلالة الدنيا وجحيم الآخرة . واذا أردنا ان نكون في هذا المستوى فلا بد من اتباع المسائل التالية :

أولاً .. التوبة الى الله سبحانه والعودة اليه .. فهو لا يهجر عباده ولا يتعد عنهم ، انما هم الذين يهجرونه و يعصونه و يتحدون سلطانه و يكفرون بنعمائه ولا يشكرون آلاءه . وهذه المناسبات افضل الفرص للعودة الى الرب ، فلماذا لا نعود الى تلك الرحمة الواسعة ، وذلك الفضل العميم والحنان العظيم والحب العميق والأنس الكريم ؟
فماذا وجدنا في ربنا ؟

هل غير فينا عادات احسانه ، أو قصر في حقنا ؟

بالطبع لا .. بل اعطانا كل ما نريد واكثر ، وأمرنا بان ندعوه ليعطينا .

فدعنا نصلح أنفسنا ، ونقيم ما بيننا وبين ربنا ونهدم الخراب والفساد الذي اعترى علاقانا مع صاحب الملكوت ورب القدرة والعظمة . فان اصلحنا ذلك ، اصلح الله ما بيننا وبين أنفسنا ، وبالتالي بين الطبيعة والناس — أيضاً .

ثانياً .. اذا أردنا تغيير العالم الذي يحيط بنا ، فلا بد من تغيير أنفسنا التي تحيط بنا ، لان تغيير النفس يساوي تغيير الكون .. وهذه معادلة هامة ، فهي تعتبر اعظم معادلة في الكون .

اذ ان تغيير النفس يعني تغيير جميع الصفات المتراكمة عليها ، والتي يستصعب تغييرها ، ولا يعني تغيير الملابس او الهيئة والبيت والمركوب ، وبالتالي لا يعني تغيير العادات الصغيرة التي نهتم بها ، انما تغيير أصعب الاشياء . فالشيطان لا يهجر الانسان إلا اذا اغضبه ، ولا يغضبه الأخير الا اذا عصاه في احب الاشياء إليه .

من هذا المنطلق لا يحق لاي انسان ان يجعل شرطاً مسبقاً على ربه ، يبيح له البقاء على صفة معينة من الصفات الرديئة كالغضب وتحدي الآخرين وما شابه .

التغيير في بعدين :

ان تغيير السلبيات لا بد ان يكون على نمطين ، نمط الانسان كفرد ، ونمط آخر كتجمع ، فباعتبارنا نعيش في تجمع معين لا بد أن تتغير بعض الصفات الرديئة فينا ،

فعلقاتنا يجب أن تعود من علاقات الحب والمصلحة الى علاقات القيم والحق ، ويجب ان يخضع سلوكنا وتحركنا وكل ما يحيط بنا الى رقابة شديدة جداً من القيم ، بالاضافة الى اخضاع العادات والتقاليد اليها .

هناك اناس كثيرون يريدون ان يتغير العالم ويتحول الى كتلة من الرضا والاخلاص ، ولكنهم ليسوا مستعدين ان يغيروا عاداتهم وافكارهم واولويات حياتهم وعقائدهم بالنسبة الى اشخاص معينين .

وإذا رأينا شخصيات وحركات وانتماءات فشلت ، فلانها لم تكن في مستوى المسؤولية والتحدي ، كرؤساء اليوم واصحاب السلطة في العالم ، فهم بدورهم يحسبون بانهم يريدون خيراً لبلادهم ، لكنه لا يتناقض ومصالحهم ، ولا يخالف اهواءهم وعاداتهم وعلاقاتهم ببعضهم ، وهو خير مشوه ، لان الله سبحانه وتعالى لم يجعل الخير الا في مخالفة الشر ، اما الخير الذي ينسجم مع الشرفلا وجود له ، والحق الذي لا ينسف الباطل لا حقيقة له ، واساساً لا يمكننا الوصول الى الحق الا عبر رفض الباطل ، وكلمة « لا اله الا الله » فيها نفي للباطل واثبات للحق .

وما يجري حالياً في بلاد الخليج اكبر شاهد على ذلك ، فالحكومة السعودية تأتي وتقرر الغاء الميزانية لستة شهور ، تصوراً منها بان الناس لا يزالون أهل رعي وتجوأل في الصحاري ، لذلك بامكانهم ان يقرروا ما شاءوا أو يشحدوا مثل هذه القرارات الاقلام المأجورة التي تلمع صورهم وتبرر قراراتهم .

ان الاقلام المأجورة لآل سعود جاءت لتبرر تأجيل الميزانية — وكأنه مسلمة من المسلمات — بانخفاض معدل التصدير النفطي ، وهبوط اسعاره التي نزلت الى الحضيض ، وتناقص قيمة الدولار الذي تقبضه مقابلاً للنفط المصدر للخارج .

مفارقة هامة :

وعلى ضوء ذلك لدينا سؤال نوجهه اليهم :

• لو افترضنا ان الناس تحملوا عواقب وآثار الميزانية ، فهل بامكان الامراء والوزراء

والمحسوبين عليهم التنازل عن سرقاتهم ونهبهم لثروات الشعوب ؟

وهل تستطيع العائلة المملوكة ان تجعل ما سرقته من اموال الشعب المسلم هناك في المزد العلني لبيع أو يتحول الى صناعات وطنية ومشاريع رفاهية ؟
 بالطبع لا يمكنهم ذلك ! .. اذن فلماذا كلما انخفض النفط في قيمته أو معدل انتاجه ، تتوقف مشاريع البناء والتعمير والتصنيع والبعثات العلمية ، ولا تتوقف مشاريع السرقات ومنجزات العاب القمار ؟!

هذا معناه ان هؤلاء ينشدون حضارة سليمة بدون ان يدفعوا ثمناً واحداً قبالتها و بعكس ما يحدث في الجمهورية الاسلامية تماماً .

فقد جاء في تقارير الغربيين — وهم اعدى اعداء الامة الاسلامية — بان اقتصاد ايران اقتصاد متين وقادر على تحدي انخفاض اسعار البترول ، وادارة الحرب ، وعلى امضاء وتنفيذ المشاريع الاقتصادية القائمة . وربما سمعنا جميعاً وبصورة منتظمة الاختراعات الجديدة في الجمهورية والمشاريع التنموية ، بالرغم من الفوارق الكبيرة بين السعودية والجمهورية الاسلامية :

• فمعدل تصدير البترول في الجزيرة اكثر مما هو عليه في الجمهورية ، فالاولى تصدر قرابة (٤,٥) ملايين برميل يومياً ، ترتفع الى الضعف في بعض الاحيان بينما في ايران لا تتعدى براميل النفط المصدرة من ايران سوى (٢) مليون برميل ..
 • كما ان عدد النفوس في الجزيرة لا يتجاوز العشرة ملايين ، بينما عدد نفوس الشعب الايراني يناهز (٤٠) مليون نسمة .

• تعاني ايران من تبعات حرب عدوانية مفروضة ، سببت كثيراً من الآلام والمصائب ، بينما في الجزيرة لا شيء من ذلك موجود .

اذن .. فلماذا تلغى الميزانية هناك ، ولا تلغى في ايران التي ما تزال تحتفظ بقدرتها ومتانتها الاقتصادية ، برغم وجود الحرب وانخفاض البترول وتراكم المصاعب وتوقف الصناعات وغياب المستشارين والضغط الاقتصادي من الخارج ؟

لان الصفقات الهائلة التي تعقدها الحكومة السعودية بين الحين والآخر مع الانظمة الرأسمالية (٣) ، لا يوجد لها مثيل في ايران ، باعتبارها دولة قائمة على الحق ، ولان أول (٣) ذكرت صحيفة (الأوبزيرفر) البريطانية في النصف الثاني من شهر اكتوبر الماضي : ان قيمة صفقة

من يقدم التبرعات فيها هو الرئيس قبل المرؤوس ، وقد عين في الدستور الاسلامي في ايران بند ينص على ضرورة تسليم المسؤولين الكبار قائمة بما يمتلكونه ، واول من اعطى هو الامام الخميني « حفظه الله » ، فكان ما يمتلكه اقل مما يمتلكه اي انسان في ايران .

ولقد اخبرني من قرأ وصية حجة الاسلام والمسلمين الشيخ فضل الله المحلاتي «رحمة الله عليه» - الذي استشهد في عملية تفجير الطائرة المدنية الايرانية من قبل نظام البعث في العراق - بان ديون الشيخ المحلاتي كثيرة جداً ، مع انه كان عالم دين وخطيباً ومسؤولاً كبيراً في الجمهورية الاسلامية وكان يمثل الامام في الحرس الثوري . بينما اي رجل آخر مثله كان بإمكانه ان لا يكون مديناً ، ولا نعجب هنا ! ان تطبيق الاسلام في ايران لم يرفع شعاره دجلاً وزيفاً كما يقوم بذلك آل سعود .

ولقد زرت شخصياً بيوت كثيراً من المسؤولين فلم اجدها تعدو عن كونها شقة متواضعة ، بدون اي حق في ملكيتها ، انما مؤجرة باسعار طبيعية .

ولكن حينما يوجد بلد كالجزيرة ، يكون من هم في رأسه سراقاً مع أنهم يطرحون أنفسهم بناء حضارة . فيشتري أحدهم طائرة بسبعين مليون دولار ، و يصنع يختات بثلاثين مليون دولار (٤) .. فليس من المستغرب انهيار الاقتصاد والغاء الميزانية هناك ، وبالتالي تكريس نواقص الشعب وزيادة آلامه .

سلم الاولويات عند افراد الرسالة :

ان الوضع الاقتصادي القائم في الجزيرة لم يكن ليقع صدفة ، انما كان بسبب انعدام

الاسلحة السعودية المشتراة من بريطانيا التي أعلنت في شهر سبتمبر الماضي كانت (٤) مليارات جنيه ، الا انها ستصل الى (٨) مليارات جنيه استرليني اذا ما أضيف اليها صفقة قطعة الغيار ووسائل التدريب والصيانة وإقامة بعض المنشآت .

(٤) افادت وكالات الانباء ان اميراً سعودياً هو الامير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز ، قد تبرع بمبلغ (٢٥٠/٠٠٠) دولار لعائلة طفل امريكي عمره (١٤ سنة) ، وبعد ان شاهد حالة هذا الطفل في برنامج تلفزيوني ، وعلم انه يحتاج الى نقل قلب وورثتين لكي يعيش ، كما وعد بتحمل جميع تكاليف علاج الطفل والتي تقدر بـ (٥٠٠,٠٠٠)

روح الايمان عند حكام الجزيرة - السعودية - وبالتالي انعدام روح المسؤولية وعدم الاكتراث لبیت مال المسلمين . ونحن ايضاً اذا لم يترسخ في انفسنا تحدي الذات والأهواء والعادات الشيطانية فكلنا سنواجه ذات المشكلة ونقع فيما وقعوا فيه .

وفي الآيات الآتفة « ٢٠ - ٢٧ من سورة التوبة » يبين الباري عزوجل انه اذا كانت هذه الامور هي سلم الاولويات عند الانسان ، وهي احب اليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فهو ليس في مستوى الجهاد وحمل رسالة الحق ، لان الذي يريد حمل رسالات الله الى الناس لينقذ بها العباد ويحظى بهذا الشرف العظيم ، لا بد ان تكون اولوياته حسبما بينها القرآن الكريم والتي اولها الرب الجليل ، ثم يليه الآخرون .

اما اذا لم يكن المسلم مستعداً للهجرة من بلده ، واقتلاع نفسه من ارض المادة ، ولم يكن متهيئاً للتنازل عن بيته وارضه ومحيطه الذي يحبه ، في سبيل الله ، فان الله تعالى لا يمكن ان يهبه شرف تبليغ رسالته .

ونبينا موسى (ع) خير شاهد ودليل ، فلم يختاره الله مبلغاً للرسالة من بين الناس عبثاً ، وانما كان بفعل جهد كبير عاناه في سبيل الله .. ولقد قال تعالى في كتابه :
« وعجلت اليك ربي لترضى » (٥) .

فقد كان يبحث عن رضى الله تعالى حتى انه جاء على عجل ، وبقي يتعبد ويتلقى رحمة الله ونفحاته وفضله لمدة ثلاثين يوماً كعادته ، لكنه استزاد عشرة اخرى :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة » (٦) .

وذلك دليل على ان قلبه واسع ، وان نفسه تتقبل هذه الرحمة ، لان علاقاته بالآخرين منقطعة ، ولان الله تعالى حينما قال له : « فاخلع نعليك » (٧) ، خلع كل علاقاته بالارض وليس فقط نعاله ، لان النعال كان مجرد رمز للعلاقة بالارض .

فقد ترك زوجته واولاده وماشيته ، وجاء بعصاه فقط ، فأمره الله تعالى ان يلقياها ، فنبذها .. لان هدفه كان رضوان الله تعالى ، وهو اعظم من الأهداف الاخرى .

(٥) سورة طه آية «٤» .

(٦) سورة الاعراف آية «١٤٢» .

(٧) سورة طه آية «١٢» .

لهذا فمن يحب الجهاد في سبيل الله فليستعد له حتى يكون في مستواه . والهجرة اعظم شيء يمنح الانسان وسام الجهاد ، لانها رمز لترك حالة الجهل وعبادة الذات والتوجه الى حالة عبادة الله تعالى والمعرفة والتوحيد .

« الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفاترون » .

فالذي يفوز هو الذي يوفق باتباع هذه الاهداف الحقيقية ، اما الآخرون الذين يبذلون هذه الحياة الغالية والجوهرة الثمينة في مقابل التوافه فمصيرهم لا يعلمه الا الله .

« يشهرهم ربهم برحمة منه ورضوان وحنان لهم فيها نعيم مقيم * خالدن فيها ابدآ ان الله عنده اجر عظيم » .

ان الله في هذه الآية يرغبنا في اجره والجهاد في سبيله ، فمن أراد الاستماع اليه والتحلي بطاعته فليبدأ في هذا الشهر ، فانه موسم البيع والشراء حيث يتم بيع النفس الى الله عزوجل وشراء الجنة .

واذا وصل كل منا الى هذه المرحلة وقرر البيع ، فليصغ للقرآن الحكيم حينما يقول :
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتوهم منكم فاولئك هم الظالمون * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامرهم والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

هاتان آيتان يحدد فيهما ربنا العلاقات المثلى مع الآخرين ، ففي الاولى يأمرنا بان لا نتخذهم اولياء ان كانوا فاسقين ، اما في الثانية فيأمرنا بان لا نفضل علاقاتنا معهم على علاقاتنا مع الله سبحانه وتعالى .

« لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتمكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم انزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » .

الهجرة ليست كل الطريق :

علينا جميعاً ان نعرف قدر أنفسنا وقدر نعمة الله علينا ، وهي نعمة التوفيق ، بان جعلنا اهلاً للهجرة واختيار التفرغ للعمل في سبيله ، وهي نعمة كبيرة ، تحتاج الى سنين طويلة من الشكر . ولو كان الانسان يطير بشيء فرحاً ، فلا بد ان يطير بهذه النعمة فرحاً . ولو لم يكن الله سبحانه وتعالى لينعم علينا بهذه النعمة — لسبب أو لآخر — وكنا الآن خدمة الطغاة ، لكان يؤلمنا وخز الضمير ويقض مضاجعنا ادراكنا بعدم سلامة الطريق .

لكن — والحمد لله — نحن نعيش الآن وضماثرنا مرتاحة وأنفسنا مطمئنة ، لان الله سبحانه انزل علينا سكينته .

الا ان القمة السامقة التي بلغناها الآن ، لابد ان تكون منطلقاً للعروج الى قمة اخرى حتى تنتهي — إن شاء الله — الى قمة القمم وهي الشهادة في سبيل الله تعالى . اي ان علينا ان لا نجعل مهجرنا مكاناً ومأوى لنا فقط لا غير تحت تبرير الهجرة ، وانما يجب أن نستغل هذه الفرصة المناسبة ، ونحاول القفز الى قمم اسمى من هذه القمة . وكلما نستطيع من الاجتهاد في العمل والارهاق للنفس ، فعلينا ان نبذل اكثر ، لان السيطرة على النفس ليست بالشيء الهين ، فهي كسيارة بدون فرامل لا يمكن السيطرة عليها الا بعد اصلاح كامل .

ومن اسباب السيطرة على النفس وترويض الذات ترك بعض المباحات ، فقد قال الامام علي (ع) في كتابه الى عثمان بن حنيف الانصاري — وكان عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من أهلها ، فمضى اليها :

« أقنع من نفسي بان يقال : هذا امير المؤمنين ، ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، او اكون أسوة لهم في جشوبة العيش ! فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات » (٨) .

وذلك لانه قال في مقطع آخر :

« وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر ، وتثبت على

جوانب المزلق » (٩) .

(٨) نهج البلاغة ص ٤١٨ .

(٩) نفس المصدر .

القرآن والنهضة

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم رجاً و جنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً * إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً * ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئلاً * »

صدق الله العلي العظيم

(سورة الاحزاب ٩ - ١٥)

(١)

البصائر القرآنية .. وتنمية الادراك البشري

إن أعظم صفة تخلق من القرآن الكريم هادياً وبشيراً .. هو قدرته على تقريب الانسان الى الحقائق الكونية بشكل يجعله يلامسها ويحس بها .. ثم يندفع للتفاعل معها ، وتنفيذها على واقع نفسه وحياته الدنيوية .. ولذا فان آيات الذكر تسقط الحجب السميكة التي تفصل الانسان عن سائر الخليفة واحداً فآخر .. حتى يكشف بالتالي سنن الله سبحانه وتعالى الحاكمة في الارض والحياة .

بيد أن المشكلة الرئيسية التي تكمن في طريق معرفة مجموع الحقائق الحاكمة .. هي أن الانسان عادة ما يلحظ الحقائق القريبة والظاهرة ، ويجهل أو يغفل أو يذهل أو يتناسى الحقائق البعيدة والغائبة ، على رغم أن بعض هذه السنن لها دور أساسي في رسم ملامح المستقبل ووضوح المسير ، باعتبار ان معرفة بداية الطريق ليست مسألة شائكة ، لان المهم هو أن يسير الانسان برؤيته الاصلية الى آخر المطاف . فمثلاً أن يقف شخص أمام غابة كثيرة الخضرة واسعة المساحة .. إنه في هذه الحالة يرى الاشجار الامامية بصورة اعتيادية ، بينما يستصعب نفس الشخص أين يجيل بصره ليعرف آفاق الغابة .. وعلى قدر هذه النظرة المحدودة ، يكون مدى وعي الانسان ، فالذي يرى شجرة واحدة ، لا يلم بظروف الغابة كاملة ، بينما اذا اقتحم هذه الغابة ، فانه سيكون على دراية شاملة بأوضاع هذه الغابة .. وهذا الوضع الجديد يحتم على الانسان معرفة خريطة العمل الذي ينوي القيام به ، ومعرفة النتائج المترتبة على الاقدام .

إن القرآن الكريم — بدوره — يفصل للانسان الامثال والحقائق بصورة واضحة لا صعوبة فيها .. فأية واحدة كفيلة بتلخيص عبر التاريخ ، وسورة كاملة قادرة على شرح حوادث سياسية واجتماعية واقتصادية لملايين البشر .. ولذا فان الانسان مدعو الى دراسة هذه التجارب من ثنايا الذكر الحكيم ، وذلك لعدم تمكنه من ادراك كافة الوقائع البشرية كونه بحاجة الى أكثر من مليون عام .. وهذا يتعارض مع عمر الانسان الذي لا يتجاوز المائة عام .. ومن هنا يكون الانسان بحاجة ماسة الى دراسة القرآن .. فمثلاً الآية الكريمة :

« خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين » (١٩٩ — الاعراف)

هذه الآية تشتمل على ثلاث جمل قصيرة يحتوي كل منها على كلمتين أو ثلاث ، لكنها مع هذا الايجاز الدقيق تشكل خريطة شاملة للسلوك البشري المتكامل .. هذه الخريطة التي لو سعى لها علماء الاجتماع ومخلو النفس واختصاصيو السلوك البشري قروناً من الزمان .. لما قدروا على اكتشاف أبعاد هذه الجمل الثلاث ، ولما وصلوا الى أبعادها الحقيقية ، هذا في الوقت الذي يلخصها لنا الوحي الالهي بصورة واضحة تبتعد بأفاننا المحدودة الى الامور المخفية وراء الالكمة .. ومن هذا المنطلق تبرز الحاجة البشرية

الى بصائر القرآن لمعرفة قياس حسن وقبح الاعمال بشكل واقعي ، فمرة يكره الانسان شيئاً .. ونهايته تكون بعدئذ فاضلة ، وأخرى يجب شيئاً ، وعاقبته تكون سيئة .. بينما القرآن الحكيم يوضح لنا هذا المقياس في الآية الكريمة ببصيرة قرآنية ..

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » (٢١٦ - البقرة)

إن معايشة القرآن .. لا تعني صداقة ظاهرية مع ظاهر الآيات بقدر ما هي ملامسة معنوية ، يتفاعل معها الانسان في تطبيقها على نفسه .. وقد عشت هذه الحالة بالتجربة ، فأحسست أن القرآن كممثل الشمس - كما يعبر عنه الامام الصادق - تشرق كل يوم ، لتعطي آفاقاً جديدة ورونقاً آخر لذات اليوم سواء بظهور جديد أو بخلايا جديدة في روح الانسان .. والقرآن هكذا تماماً حيث يعطي العقل الانساني بقراءته اليومية بعداً ووعياً آخر .. حتى أن اقتباسات الانسان واستيحاءاته من القرآن تتطور الى الافضل مع مرور أيام من التفاعل الواقعي مع القرآن .. هذا يعني بشكل آخر أن يكون القرآن حديثاً وبصيرة للانسان .. هذان المفهومان اللذان تكررنا في الآيات القرآنية يؤكدان ان القرآن يعايش مرحلة الانسان ، فالحديث يعني ان القرآن يتجدد ويخاطب الانسان بلغة الحدث الذي هو فيه ، وكذا البصيرة التي تبصر الانسان بين فترة وأخرى بموقفه السليم من الأحداث المتجددة ، لهذا قال الشاعر المعروف (اقبال) فيما يخص القرآن :

(إن أعظم نصيحة بدلت في منهج حياتي ، هو كلام والدي حينما قال لي : اقرأ القرآن وكأنه نزل عليك) .

وهكذا فانني أؤكد أن قراءة القرآن بصورة توحى بأنه نزل على الشخص ذاته يعطيه نوراً يكتشف به خلفيات الاحداث ، وطبيعة العلاقات المفروضة ، ومنهج الحياة الفاضلة استلهاماً من بصائر القرآن وهداه .

(٢)

كيف تتفاعل البصائر القرآنية مع النهضة الاسلامية ؟

مع تصاعد أنباء النهضة الاسلامية العالمية العارمة في مختلف بلاد الاسلام ، من

فلسطين حيث المقاومة الصامدة أمام عساكر الجنود الصهاينة منذ أربعين عاماً إلى أفغانستان ذات المواجهة العنيدة أمام قوى السوفيات الغازية وسائر البلاد الاسلامية .. مع تصاعد هذه الارهاصات يفرض السؤال التالي نفسه على واقع الاحداث المعاصرة .. وهو:

ما هي بصائر القرآن الحكيم للحالة النهضوية التي تعيشها هذه الامة ؟ وما هي العبر التاريخية التي تنفع الامة في صراعها الضاري مع عملاء الاستكبار؟

الاستمرار.. ضمان الانتصار:

قبل الشروع في شرح بعض البصائر القرآنية ، هناك ملاحظة يعتبر ذكرها من أولويات انتصار النهضة الاسلامية ، تلك هي الاستمرار في المسيرة التصاعدية حتى تحقيق المطالب المنشودة ، إذ أن كثيراً من الافراد يرسمون في أذهانهم خططاً كثيرة وأساليب متعددة للوصول الى هدف ما ، بيد أن هذه الخطط والاساليب تتوقف وتراجع بمجرد حدوث طارئ قد يعيق المسيرة التنموية ، ولهذا فان الذين يصلون الى النهايات المحددة هم فئات قليلة جداً بالقياس الى المجموع العام .. والنهضة الاسلامية المتصاعدة هذه الايام تكررت مثيلاتها في تاريخنا الحديث ، فقبل مائة عام تقريباً انبثقت نشاطات وتوجهات وتفجرت حركات دامية في مختلف البلاد الاسلامية من آسيا وأوروبا وأفريقيا ، حتى أن بعض الحركات الاسلامية امتلكت قواعد شعبية واسعة ضمت أحداها ٦ مليون انسان ، وانتهى الى حركة أخرى ٢٥ مليون انسان ، بينما تساقطت تحت لواء الحركات الاسلامية منذ فترات طويلة ملايين البشر .. جعلت في بعض الاحيان قياس حجم التضحيات أمراً مستصعباً .. كما أن بعضهم كادوا يصلون الى النصر ، ولكن قبل أمتار قلائل من الانتصار تنزلق أرجل البعض ، فيهبط من أعلى القمة الى أودية عميقة تقتل كل مكتسبات هذه الحركات .. ومن هنا فان الثائرين لا بد أن يناقشوا تجارب هذه الحركة ، حتى لا يقعوا في الشراك الشيطانية الخادعة .. فمثلاً ..

* في أفغانستان ، كانت هناك ثورة مسلحة دموية ضد أكبر امبراطورية موجودة آنشد .. الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس .. بيد أن نتيجة هذا الجيل الثوري

تمخض عن فآرة النظام الملكي المتوغل في الرجعية والعمال ، و بعدئذ بدأت مسيرة الوجود السوفياتي في أفغانستان ، فجاؤوا أولاً مع وجود البريطانيين ، وتقاسموا غنيمة البلاد وفي الاخير اقتحم السوفيات أفغانستان ، وارتكبوا المجازر المتواصلة الى الآن .

• في العراق كانت ثورة الخامس عشر من شعبان — ثورة العشرين — التي حققت الكثير من الاستقلال والاندفاع نحو الايمان ، وأظهرت قوة المرجعية الاسلامية .. لكن بعد هذه التضحيات نصبوا ملكاً لا يخدم العراق .. الى أن وصلت الحالة الى عهد صدام حسين .

• في مصر كذلك كانت ثورة سيد أحمد عرابي .. والتي حققت مكاسب كثيرة .. ولكن البريطانيين سيطروا في النهاية .

إن فشل بعض هذه التجارب الثورية ، لا يعني إغلاق قاموس الثورة ضد الغاصبين ، كون الثورة الاسلامية مسيرة استراتيجية وتكتيكية لا بد منها عبر نهضة مقدسة مدروسة الخطوط والاساليب ، مغلقة بذلك نقاط الضعف التي تدخل منها الهزائم .. ولعل بصائر القرآن الحكيم تزداد حاجة في هذه الفترة بالذات ، إذ كلما خاض المجاهدون تجارب جديد في النضال ، واقتحموا أبواب واسعة لمحاربة الاجرام ... كلما اشتدت الحاجة لاسعافات القرآن في المنعطفات والمنزلاقات التي يمر بها الثائرون .. ومن أولى البصائر التي تذكرنا بها الآيات التي توجنا بها الحديث مايلي :

١ - لا .. للتعب ! :

من أولى الاستراتيجيات الاساسية لعملية التغيير والثورة .. هي أن لا يتعب المجاهدون من جراء تفاعلات هذه المسيرة .. وهذا الذي يعني اعتماد الحذر كمبدأ أساسي خوفاً من السقوط نحو الشراك الشيطانية ، وتنمية الارادة الصلبة الكفيلة بالوصول الى القمة ، كون التعب والسهو والتغافل في طريق الجهاد عن مستلزماته ، يعني السقوط من القمة الى قعر الوادي .. هذا السقوط الذي يذهب بجهود وتضحيات جمّة قدمت أثناء الطريق بسبب الغفلة أو التعب .. فمثلاً القائد لو تعب في وسط المسيرة الثورية .. فان ذلك يعني ضياع دماء مراقبة وعطاءات عظيمة في لحظة واحدة .. وهذا ما يستلزم

إبعاد التعب عن تفكير الانسان منذ البداية .. حتى لا يضيع كثيراً من الجهود ، واذ انخرط في السلك الجهادي ، فان الاستقامة هي الخيار الافضل بدل التراجع والعودة ، لاسيما وان التعب في مقياس الحرب يعني الهزيمة ، والهزيمة تعني فقدان كل شيء يملكه المحارب قبل دق أجراس الحرب ، لان الحرب إما غالب أو مغلوب .. بينما اذا اشتد وطيس المعركة بين المجاهدين وأعدائهم ، فانهم مدعوون الى انتظار الفرج الالهي .. ففي معركة الاحزاب .. الخندق ، التي تعتبر من أشد الحروب على رسول الله (ص) ، إجتمع حلفاء قريش للقضاء على القوة الاسلامية بشكل مبرمج .. ولكن الامام علي (ع) حين غلب عمرو بن ود العامري انتصر ميزان القوة الاسلامية ، فقال الرسول (ص) :

« ضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين »

لقد شكلت هذه الغزوة مأزقاً كبيراً للثلة المؤمنة آنئذ ، وكانت لفلسفة هذا البلاء

أمران :

الاول : لمعرفة حقائق الرجال .

الثاني لكي يتخذ المؤمنون الرسول (ص) قدوة وأسوة . خصوصاً وأنهم قد يقعون في

ظروف مشابهة للظروف التي عاشها رسول الله (ص) .

٢ — دراسة التجارب :

تقول الآية الكريمة :

« يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم رحماً

وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً »

لعل في هذه الآية المتقدمة إشارة واضحة الى ضرورة دراسة حياة الرسول (ص)

مقرونة بالملاحم البطولية التي كانت في عهده .. والامر بالذكر في الآية المتقدمة يدل

على وجوب ذكر قصة هذه الملاحم البطولية .. ولذا قال الامام السجاد عن تعلم فنون

الحرب : ان دراسة حروب الرسول (ص) كانت توازي تعليم القرآن ، كون هذه الحروب

سوف ترسم خريطة العمل ، وتعطي البصائر الاستراتيجية الهامة .. فمثلاً في غزوة

الاحزاب أرسل الله رحماً هائجة على جنود المشركين .. فأصاب الفزع قلب أبوسفیان ،

حتى أنه قال : جئنا نحارب جنود الرسول المتواجدين فوق الارض .. فجاءتنا ريح من السماء لا قبل لنا بها .. إذ كانت هذه الريح تقلع الخيام ، وتقلب القدور الموضوعة على النار .. على رغم ان القدر آنئذ كان يتسع لجمل كامل .. ثم اضطرتهم هذه الضغوط الى الهرب .. ثم يقول سبحانه وتعالى :

« إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا »

وأحاط الاعداء بالمسلمين من كل جانب . حتى كانت أبصار المؤمنين لا تثبت على شيء من شدة خوفهم ، وكانوا يحسون بأن قلوبهم ترتفع الى حناجرهم من شدة تلاحق الضربات والالوهام قامت بعملية تشكيك في صحة المواقف .. والقرآن الكريم يقول :

« هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً »

ومع هذا البلاء المحيط من الالوهام « الوسواس المثبطة » .. لا بد أن يتذكر مقتفوا نهج الرسول (ص) هذا البلاء الشديد المصاحب للاراجيف والمثبطات والظنون .. ومع هذه العوامل المثبطة أيضاً يبرز دور المنافقين في الظروف الصعبة لممارسة أدوار التثييط .

« إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً »

فيمتنع عن دفع المال بحجة الحاجة ، ويرفض النصرة لاجل أولوية عمل آخر ، ويهرب من المظاهرة ضد الظالم وسائر الاعمال المقدسة بسبب التقية والصبر والعفو ، والآية المتقدمة تؤكد على « والذين في قلوبهم مرض » دلالة على أن هناك فئة أيضاً غير المنافقين تساهم في إثارة هذه الانحرافات وبث الضلالات عبر نظراتهم السلبية .. ومعرفة هذا الصنف تأتي كثمرة من فوائد البلاء ، إذ تنكشف حقائق الكثير من الناس .

« وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا * ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً * ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً »

يضاف الى بث الاشاعات التي يقوم بها المنافقون ، محاولة رسم خطط مشبوهة لترويج الخطوط التراجعية عند المسلمين سواء بالتعذر بعورة البيوت ، أو بحجة أن

خطوطهم العسكرية مكشوفة أمام العدو.. وكل هذه الاساليب تستهدف — كما يعبر عنهم القرآن — الفرار من ساحة المواجهة .

ثم يذكر الله سبحانه وتعالى بالقضية المركزية في الجهاد قائلاً :

« ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤولاً »

إن الثبات أمام طوارئ الاحداث من البنود الاساسية في المعاهدة مع الله .. ومعهادة الرسول (ص) والقيادة الشرعية تدخل ضمن المعاهدة الالهية .. ولذا فان مخادعة القيادة أو التراجع عن العمل الجهادي أو الهرب من المجموعة المؤمنة .. كل ذلك يعني خداعاً صريحاً لله سبحانه وتعالى . والله سبحانه وتعالى عالم بكل ما يعمله البشر ولوم وراء المجاميع المنتمي اليها .

القوة العسكرية .. الحصن الاخير للقوى الكبرى :

لقد وضعت القوى الكبرى ثقلهم في ميزان دعم الانظمة العميلة .. ولما لم يجد هذا الثقل الاعلامي والتقني ، اضطروا الى دعم هذه الانظمة بالقوة العسكرية ، فالخليج يبقى مسرحاً لاكثر من ثمانين قطعة عسكرية أوروبية وأميركية وروسية لاجل الحفاظ على هذه الانظمة ، وقوات السوفيات العسكرية المتواجدة في أفغانستان لدعم حكومة نجيب الله ، وهكذا فان الاميركيين موجودون في منطقة الشرق الاوسط بقوة عسكرية هائلة عبر الوجود الصهيوني ، باعتبار ان هناك حلفاً استراتيجياً بين امريكا والكيان الصهيوني كما ان بعض الجيوش الاميركية المتناثرة في العالم تساهم في تثبيت بعض الانظمة السياسية ، فعندما قتل السادات برصاصات الاسلامبولي وضع الجيش الثالث الاميركي تحت انذار (ج) الذي يعني أشد أنواع الأنداز، الى أن جاؤوا بمبارك .

إن وضع الحالة الاسلامية في سائر البلاد الاسلامية تعيش وضع تكتل الاحزاب على القوة الاسلامية .. هذه الاحزاب التي تتخذ من مخططات العنف والارهاب وعمليات الاغتيال وسيلة رادعة لكبت هذه القوة .. في أندونوسيا شكلت في الفترة الاخيرة فرق الموت التي تقوم بتصفية العلماء دون علم ذويهم ، وهكذا يستخدم الاميركيون هذه الاساليب في تشيلي والسلفادور.. لكي تتغاضى المنظمات الدولية عن المنادة بحقوق

الانسان .. كما ان مثل هذه العمليات حدثت بعد شهادة رسول الله (ص) إذ لما صفى أحد المعارضين السياسيين لفقوا بيت شعريدل على أن الجن هو الذي قتل هذا المعارض .. وهكذا فان معاوية استخدم جنوداً من عسل أيضاً لدس السم في ثناياه الى المعارضين السياسيين .

إن كبر الكثافة السكانية للمسلمين « التي تقدر بـ ١٣٠٠ مليون مسلم لا تعني توجيههم بالكامل الى حلبة الصراع ضد المستغلين .. بل أن هناك أقلية مستضعفة تمارس هذا الدور، وهي محاصرة بقوة من قبل المستكبرين ، وفي هذه الحالة فانهم بحاجة الى سنة واحدة أخرى من الصبر والعمل الصادق ، وأما بعد هذه السنة ، فاني أتنبأ بحدوث بعض النتائج والمكاسب خلال السنة القادمة ، فالسوفيات يبحثون عن طريقة عزيزة للخروج من أفغانستان ، ولعل زيارة وزير الدفاع الاميركي (كارلوتشي) الاخيرة الى الخليج ، من أجل ترتيب طريقة للانسحاب المشرف أو التكتيكي أو الحكيم .. على حسب التعبيرات التي ينسجها الاعلام للتغطية على الهزيمة .. مع العلم أن الشرف ليس للمنسحب ، بل للذي وقف صامداً مجاهداً أمام مؤامراتهم الظالمة .. وهذا الصمود غير نابع من المصالح الشخصية ، بقدر ما هو نابع من المنطلق الديني الذي يورث الاستقلال والشرف والانسانية عبر الجهاد والتضحية ، وإلا فان العبودية للطاغوت والعيش في جحيم الدنيا والآخرة سوف يكون هو المصير .

الجيش العراقي .. مدعو للثورة :

إنني أدعو أبناء الجيش العراقي الى التفكير من أجل انهاء الحرب التي فرضها نظام صدام عليهم .. خصوصاً وان صدام أيضاً تخبط في قرار الشروع بالحرب .. فبعد أن وقعت اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م في عهد الشاه ، دعا الى الغائها .. وما إن جاء نظام الجمهورية الاسلامية في ايران حتى بدأ حربه الظالمة .. فدمر البلاد .. وقتل الشعب ، وأصبح أمثولة في التاريخ خلفت حوالي نصف مليون قتيل ومليون موقوف .. ثم يصير على استمرار الحرب على رغم انه هو الذي نقض اتفاقية الجزائر بسبب شهوة حاكم ضال .. ومن ثم يذهب صدام ، ويبقى الجيش العراقي يعيش فترة ندم على الايام التي قضاه في

عصر صدام . كما ندم الذين شاركوا في قتل الامام الحسين (ع) بعد رجوعهم الى الكوفة .

إن أفراد الجيش العراقي مدعوون الى القيام بعمل شريف لغسل عار عهد صدام .. ويكون ذلك بتشكيل خلايا ثورية تضم معها العسكريين الاحرار والشرفاء .. ثم تنضم هذه المجاميع الى الثوار الاسلاميين الذين يضيقون الحنّاق على النظام في مختلف المدن العراقية .. وفي الارياف كذلك حيث توجد مجاميع من الاحرار والضباط والجنود الذين حملوا السلاح ضد نظام صدام .. إن جمع هذه القوة المتنامية كفيل باسقاط نظام صدام ، ومن ثم تحكيم السيادة الوطنية في العراق ، وبدل أن يقاتل الجنود العراقيون أخوتهم الايرانيين منذ ثمان سنوات يتوجهون لقتال الصهيونية وابعادها من فلسطين المحتلة بعد أن يؤدي كل واحد من الجيش مسؤوليته تجاه الرسالة .

اننا على أعتاب مرحلة جديدة .. نحتاج الى صبر واستقامة .. وتكفيء على إرادة اسلامية صلبة تقهر القوة الاستكبارية ، معلنة عن بزوغ فجر اسلامي مشرق ، تاركة ورائها كابوساً مزعجاً رفع عن صدر الامة الاسلامية ، ومن هنا فسوف تتحطم الهيبة الاستكبارية ، وبتحطمها سوف يضعف العملاء ، مما سوف يمكن كل حركة اسلامية في بلد اسلامي من الانتصار .

الدين المنتصر

بسم الله الرحمن الرحيم

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ».

صدق الله العلي العظيم

(سورة الصف ٩-١٤)

لان رحمة الله سبقت غضبه ، ولأنها وسعت كل شيء ، ولأن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان ليرحمه لا ليعذبه ، فلقد جعل عاقبة هذه الحياة الحسنی ، وقضى أن يختم الدنيا بأفضل يوم وأحسن عهد ، وذلك بعد ظهور الامام الحجة بن الحسن المنتظر (عج) . ولقد أخبرنا في محكم كتابه وفي آيات عديدة وصریحة بهذه الحقيقة الدامغة ، فقد قال :

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

فلا ريب ان هذه الحقيقة لما تقع ، ولا تزال الانسانية تنتظر ذلك اليوم الأغر الذي يرفرف فيه لواء العدل والحق فوق ارجاء العالم أجمع .

ولكن كيف يتحقق هذا الهدف ، وما هي مسؤولية الانسان تجاهه ، وأساساً ما هي علاقة الانسان بذلك المنقذ المنجي الذي سيظهره الله ليظهر به دينه على الدين كله ؟ وبتعبير أبلغ ما هي علاقتنا ونحن نعيش في عصر الغيبة بسيدنا ومولانا الحجة ابن الحسن امام العصر والزمان ؟

حقيقتان هامتان :

وفي الاجابة على هذه الأسئلة لا بد أن نقول بأن القرآن يفسر بعضه بعضاً .. فربنا يقول بعد الآية السابقة :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم .. » .

ان هذه الآية توحى لنا حقيقتين :

الأولى : ان تحقيق هذا الهدف يتم على يد أولئك المؤمنين الذين قرروا بأن يكونوا مجاهدين حقاً ، وان يعقدوا صفقة تجارية رابحة مع ربهم ، يدفعون فيها أنفسهم ويجاهدون بأموالهم لينجيهم الرب من عذاب أليم ولينالوا رضوانه .
إذن ليس من الصحيح الاعتقاد بأن مسائل غيبية لا بد أن تتدخل لتغيير مسار الحياة ، فربنا يقول :

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون .. » .

ثم يقول :

« يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم »

ثم يستمر السياق ليبين ماهية هذه التجارة .

فالقضية تتعلق بالانسان ، فهو الذي يجب أن يحمل راية الجهاد ويضحى بماله ونفسه ويكتسب الجنة وينجي نفسه من النار ، حتى تتحقق ارادة الله في اظهار دينه على الدين كله .

بين الجهاد العاطفي والذاتي :

الثانية : ان الجهاد في سبيل الله ، نوعان :فمن نوع يأتي بفورة عاطفية مرحلية ، فيبادر الناس الى حمل الرايات وينادي المنادون بالجهاد ، بسبب تأثرهم بالأجواء المحيطة

ويندفعون الى ساحة المواجهة .

هذا النوع جيد . ولكن هناك نوعاً آخر من الجهاد هو الذي يحقق المسيرة الحضارية ويجعل الانسان يصل الى الهدف الأسمى من خلقه الكون ، إلا وهو اظهار الدين على الأرض كلها .

وتحقيق هذا الهدف الأسمى وهو غلبة الدين الالهي ، على كل الأفكار والمبادئ الوضعية يتطلب فئة ، باعت نفسها لله ، ودخلت في صفقة تجارية لا تراجع عنها ، سواء كانت رايات ترفع للجهاد أم لم تكن ، وسواء كانت هناك أجواء تحرض على الجهاد أم لم تكن ، وسواء كان النصر محققاً أو لم يكن ، وسواء أكان الطريق مرصوفاً بالعباد أو موحشاً .. فهؤلاء طبيعتهم جهادية ، تراهم يبحثون عن الجهاد في كل أفق ، ولا يقولون نحن ندافع عن أرضنا أو عرضنا أو مالنا أو أنفسنا ، إنما هم مجاهدون بالفطرة سواء كانت الظروف مواتية أو غير مواتية ، لأنهم يعتبرون الجهاد ، الجسر الأقرب الى الجنة ، والطريق الأقصر لرضوان الله ، والسبيل الأفضل للنجاة من النار ومن الذنوب المتراكمة على النفس ، الذي يتطلع اليه كل مؤمن أنى كان .

فكل انسان له بيت مخصص في نار جهنم ، ونحن واقعون فيها شئنا أم أبينا ، وذلك ما أكدته مصادر التشريع الاسلامي .. فقد قال الله في كتابه الكريم :

« وما منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر للظالمين فيها جثياً » .

(سورة مريم / ٧١-٧٢)

إذن فالهدف الأسمى والتطلع المهم للانسان المؤمن هو النجاة من النار . وما التهجد في الليل والجهد في البحث عن الثواب إلا للتخلص من هذا الجحيم . وكذلك المجاهدون فهم يسعون لتحقيق هذا الهدف ، ولكن بطريق أقصر .. فقول الله :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم » .

دلالة على ذلك ، لأن الخطاب موجه الى المؤمنين وليس الى امام أو نبي أو الى المسلمين أو عامة الناس .

ولأن الحديث موجه الى المؤمنين ، أصبح له مستوى رفيع يتمثل في مخاطبة الانسان الذي يبحث عن النجاة .. أما الرجل الذي لا يعرف معنى جهنم ولا يؤمن بالآخرة ولا يفكر في الخلاص من نار جهنم ، فالحديث لا يمس به شيء . وليس له فيه نصيب .

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » .

هنا قد يتبادر سؤال الى الذهن يقول : بأن الحديث موجه الى المؤمنين ، فلماذا يؤكد النداء الالهي مرة أخرى على مسألة الايمان ؟

والجواب هو أن هذا التأكيد ، ربما يكون توجيهاً الى الدرجات العلى من الايمان .

معادلة التجارة الربانية :

هذا بالنسبة لما يعطيه الفرد المؤمن ، أما ما يأخذه فهو ما بينه الرب الجليل فيما يأتي :

١ - « يغفر لكم ذنوبكم » .

وهو أهم هدف يسعى لتحقيقه المؤمنون ، وذلك لأننا جميعاً مذنبون في حق أنفسنا ، ولو غفلنا عن ذنوبنا فان عقاب الله لا يضل ولا ينسى ، بل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وباعتبار اننا جميعاً مذنبون ، فلا بد أن نبحث عن طريقة للنجاة ، وهي تتمثل في الجهاد حسب النوع الثاني - كما مر - ، والذي يقول بان الانسان ينبغي أن يكون مجتهداً لله ومتطوعاً ومخلصاً في سبيله .

« ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم » .

ان القرآن يقول بأن الانسان ليس بإمكانه ادراك معنى الجنات ، لكن باختصار انها الفوز العظيم ، فهي ليست بساتين عادية ، أو سقفاً من فضة ، ومعارض عليها يعرجون وبيوتاً من ذهب ، لأن جميع هذه المظاهر أمور بسيطة لا أهمية لها .. فالله تعالى يقول عنها :

(٣٥ / الزخرف)

« وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا »

ولكن حين يشرع في التحدث عن مظاهر الجنة يقول :

«ذلك الفوز العظيم»

٢ - «وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب» .

وهذه نتيجة مهمة يسعى لتحقيقها الانسان المؤمن ، حيث يشرع في الجهاد و يصمم على مقارعة اعداء الله سبحانه وتعالى .

ثم يستمر السياق ليؤكد على صفة الاخلاص المطلق لله سبحانه وتعالى والنصرة للحق حيث يقول :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله » .

أي ، كن جندياً في جيش الحق ، متطوعاً في جند الله ، انساناً متفرغاً في سبيل الله ، وأخيراً كن رجلاً تبحث عن أي شيء يرتبط بالله ، وعن أي مظلوم أو حق مهتضم أو أمة مستضعفة تدافع عنها ، كما كان اسلافنا في غابر الزمن ..

« كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله » .

ان الحواريين - كما يبدو من هذه الآية - تقدموا مرحلة مهمة ، فعيسى (ع) أمرهم بأن يكونوا أنصاره الى الله ، لكنهم تقدموا مرحلة وقالوا : نحن أنصار الله .. أي اننا سلكنا هذا الطريق وتقدمنا فيه ، لدرجة وصلنا الى النتيجة ، فأصبحنا انصار الله جل وعلا . ولذلك قال الله في بداية الآية :

« كونوا أنصار الله » .

لعلنا نسمع الكثير ممن يزعمون بأنهم ينوون الانتماء الى هؤلاء ليكونوا من أنصار الله ، أو انهم سيكونون كذلك في المستقبل .. ولكن يأتي آخرون ويقولون مباشرة نحن أنصار الله ، وبون شاسع بين هذا وذاك .

« قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين » .

من هم أنصار الله :

لوتدبرنا في كلمة «ظاهرين» ، وربطناها مع العبارة السابقة « ليظهره على الدين كله » ، لاستنتجنا بأن هؤلاء أنصار الله الذين يمكن أن نضرب بهم مثلاً من واقع الحواريين الملتفين حول عيسى بن مريم ، وهؤلاء هم الذين يظهر الله بهم دينه فوق هذا

الكوكب .

ثم ان هذه الآية تبيّننا عن سؤال طرح آنفاً وهو ما هي وظيفتنا نحن اليوم ، وما هي علاقتنا بالامام الحجة (عج) ؟

ان احاديثنا تبين بأن الامام الحجة (عج) ، كالشمس المغيبة وراء الحجب ، فهي تعطي اشعتها لكن الانسان لا يرى عينها ، ولا يعرف في أي منطقة توجد من هذه السماء الواسعة . أي أنها تبث الخير والبركة الى الأرض ولكن من موقع مجهول ..

وكذلك الامام الحجة (عج) ، فهو موجود بيننا لدرجة حينما يظهر يشعر الكل بأنهم رأوه في أماكن مختلفة — كما أشارت الى ذلك الأحاديث الواردة في هذا الصدد — ، لكنهم قبلئذ لم يكونوا يعرفونه .. ولذلك على الانسان المؤمن ان يكون مؤدباً في كل مكان ، وخاصة في مجالس الدعاء والعزاء والعلم وفي البقع والاماكن المقدسة ، لأن الامام المنتظر قد يكون من الحاضرين .

في ذات يوم ذهب مجموعة من الناس الى مسجد الكوفة ينتظرون لقاء امامهم .. فحينما اكملوا اربعين يوماً وجدوا شخصاً مهيباً نورانياً بين اظهرهم ، وكانوا يتمازحون ويلقون المخدرات على بعضهم البعض ، فاذا بواحدة منها تقع على ذلك الشخص .

وبعد ان انتهوا جلسوا يفكرون في امرهم ، وكيف انهم بعد جهد اربعين ليلة مليئة بالتهجد والدعاء لم يحظوا برؤية الامام (عج) ، ثم أخذوا يلقون باللائمة عليه — مع انهم كانوا أحق باللائمة — ، فاذا بذلك الرجل المهيب يقول لهم : جاء وضر بتموه بالمتكأ . وحالما انتبهوا لم يجدوا أحداً أمامهم .

لذا فمن اهم ما يشعر به المؤمن فيما يرتبط بعلاقته بالامام الحجة ، هو تأدبه وتهذيبه لنفسه ، لأنه يعلم ان امامه وشفيع ذنوبه وقائده الى الجنة في المستقبل ، تعرض عليه في كل يوم اعمال المؤمنين جميعاً . فاذا وجد انساناً من شيعته يذكر الله باستمرار و يفعل الخير ويسعى الى الصالحات ، يستبشر ويفرح كثيراً و يدعو له ، اما اذا وجد صحيفته سوداء يحزن ويتأثر .

جوانب العلاقة مع الامام الحجة :

اذن فعلاقتنا بالامام الحجة (عج) لها عدة جوانب :

الأول : تهذيب الانسان لنفسه واهتمامه باعماله وتصرفاته ، خصوصاً بالنسبة لمن تطوع في سبيل الله من العلماء والخطباء والمجاهدين في سبيل الله ، لأن علاقة هؤلاء بالامام أمتن من علاقة غيرهم ، فهم بمثابة ضباط في جيشه .. فان قدر له الخروج في عهدهم ، فلا بد أن يراقبوا أنفسهم أشد مراقبة .

الثاني : علاقة الانتظار .. وهي تعطي معنى الانذار ، بان يكون الجيش تحت درجة الانذار القصوى . واذا كان كذلك فيعني ان يكون كل من سلاحه وعتاده وصفوفه وتنظيماته وعلاقته ببعضه في مستوى التحدي ومستعد للانطلاق للعمل في أية لحظة . وهذا ما يعنيه الانتظار .

وقد لا يكون الجيش الذي وضع تحت الانذار الشديد محباً للقاء عدوه ، فترى كل واحد منهم يهجس خيفة من قدوم الاعداء ، بينما المؤمنون الذين يعيشون تحت أعلى درجة للانذار ، يحدو بهم الشوق دائماً للقاء الامام ، وكلما أصبح عليهم يوم جديد ، سألو الله تعالى بأن يكون موعد ظهور الحجة (عج) .

لذلك فهم مستعدون في كل لحظة لسلك الطريق .. وقد جاء في تاريخ علمائنا الذين عاشوا أيام السيوف والرماح ، أنهم كانوا يهيئون لأنفسهم سيوفاً يتدربون عليها كل يوم جمعة بعيداً عن أعين الطغاة ، استعداداً لظهور امامهم وابقاء أمتهم على درجة عالية من التدريب والاستعداد .

وهذا ما يعنيه الانتظار ، فهو لا يعني النوم والتربص ، أو أن ننتظر حتى ظهور الامام الحجة (عج) ثم نتدرب على السلاح وننظم أنفسنا . ان هذا تصور خاطيء لا يرضى به الشرع ولا العقل .. وقد قال الله سبحانه وتعالى في بداية السورة التي استعرضنا بعض آياتها :

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

فلا بد ان ننظم انفسنا وصفوفنا استعداداً لظهور الامام (عج) .

واذا قلنا بذلك فلا نعني به لقلقة اللسان فقط وإنما لا بد أن يعيش قلب الانسان بحب امامه ، وهذا الحب هو الذي يجعل الانسان يطبق اوامر الله بسهولة و يسر ، فمن احب احداً ، اتبعه واطاعه .

لذا على كل انسان مؤمن ان يجدد عهده مع الامام في كل يوم ، وان لم يكن ذلك عبر الأدعية والزيارات المعهودة ، فلا أقل عبر السلام عليه والدعاء له بالحفظ والتسديد . وقد جاء بأن الانسان حينما يدعوا لأمامه ، تكافئه الملائكة بالدعاء إليه . بالاضافة الى دعاء الامام اليه ، فهو من أحبه جازاه بحب اكبر ، ومن ابغضه ولم يحبه رد عليه بالمثل .

الثالث : طاعة من امر الامام بطاعته .. فالجندي في المعركة لا ينتظر القائد الاعلى يأتيه ويخبره بالواجبات ، مع انه يحبه ويتبعه ، ولكن عبر سلسلة القيادات الهابطة اليه ، كالعقيد والمقدم والرائد والنقيب . ونحن باعتبارنا نعيش في ايام الانتظار علينا ان نطيع من امر الله والامام بطاعته ، وهؤلاء يتمثلون في الفقهاء العدول الذين هم نواب الامام ، ثم في التسلسل الى من يمثل ذلك الفقيه بالنسبة اليه .

ادراك السنن

بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً * ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً * سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

صدق الله العلي العظيم

(الفتح / ١٨ - ٢٣)

(سنة الله) عبارة نجدها في مواضع شتى من آيات الذكر الحكيم ، وحينما نتدبر في هذه العبارة وفيما قبلها وما بعدها نجد هذه البصيرة :

[إن القرآن يُثبت هذه العبارة عندما يُريد تبيان حقيقة هامة لا بد للإنسان أن يعيها لانها تسيّر الحياة ، ولانها عنوان تاريخ الانسان ورمز حركة البشرية] .

وهذا يعني إن الخليقة تتحرك عبر أنظمة يجريها ربنا سبحانه وتعالى ، وإن هذه الانظمة موجودة في حياة الانسان كفرد وكذلك في حياة المجتمعات ، كما هي موجودة في المادة كالارض والجبال والبحار والمنظومات والمجرات .

ولا تشذ المجتمعات عن هذه الحقيقة ، ولكن لان الانسان قد امتلأ قلبه بالفراغ وحبه للشهوات فانه بحاجة الى من يذكره بهذه السنن وتلك الانظمة .

غفلة الفرد عن الحقائق الانسانية :

يستطيع الانسان — وبسهولة — أن يعرف بأن للارض جاذبية ، وان الشمس مفيدة للجسم والتربة ، وإن النار حارقة والماء سائل ، لان هذه الحقائق لا تحجب الانسان عن معرفتها شهواته وأمنياته وظنونه ، لانها حقائق واضحة من مصلحة الانسان معرفتها والاهتداء لها .

ولكن مشكلة الانسان تكمن في معرفة الحقائق الانسانية ، في معرفة ان الظلم دمار ، وان الاختلاف هزيمة ، وان الهيبة خيبة ، وان الكسل مقرون بالفشل . هذه الحقائق الواضحة — كما هي الحقائق الاخرى — جارية سواء شئنا أم لم نشأ .

إن معرفة هذه الحقائق بحاجة الى من يذكر الانسان بها ، وهي بحاجة الى نوع من الفاعلية لدى الانسان كي يتعرف عليها ، ولكن لماذا يحتاج الانسان الى (مذكر) ؟ إن الانسان لا يحتاج الى من يوصيه ويذكره عندما يريد التعرف على حقيقة الجاذبية الارضية ولكنه يحتاج الى من يذكره ويوصيه ويؤكد عليه حينما يتعلق الامر بحقيقة أخرى كإنّ الظلم يدمر المجتمعات ، وإن الاختلاف يسبب الهزائم ، وان الهيبة من المستقبل والخوف من اقتحامه مقرونة بالخيبة ، وان الكسل ينتهي الى الفشل .

فالانسان يتبصر الحقائق المادية بسهولة ويُسر ، ولكنه لا يتبصر الحقائق المعنوية بنفس تلك السهولة وذلك اليُسر . فمثلاً عندما يعرف الفرد إن الجاذبية تسبب سقوطه من على الجبل فان معرفة هذه الحقيقة ستنتفعه ، أما أن يعرف حقيقة أخرى وهي مثلاً (إن الظلم يسبب الدمار) ، فان هذا سيكون مخالفاً لشهواته العاجلة ومصالحه الآنية ، لان هذا يعني بالنسبة له أن يكف يده عن الظلم ، أو يعني بالنسبة للبعض التنحي عن كرسي الحكم والتنازل عن ثروتهم ، وهذا ليس بالامر السهل ، والهين أن يتنازل الانسان عن جميع امتيازاته بمجرد معرفته إن الظلم يسبب الدمار . كانت الشهوات تمنع الفرد عن معرفة السنن الالهية المتعلقة بحياته وحياة مجتمعه ، كان الفرد بحاجة الى من يوصيه ويذكره .

ولقد جاء الانبياء والأئمة وأولياء الله ليذكروا الناس بهذه السنن ، وكذلك نجد عند قراءتنا لنهج البلاغة ، وتدبرنا في القرآن الحكيم ، وروايات أهل البيت (ع) ،

ووصايا الحكماء نجدها جميعاً توضح هذه السنن . ففي القرآن تتكرر الآيات المتحدثة عن هذه السنن ولكن بأساليب مختلفة ، فهي تتحدث مثلاً عن الخسران الذي هو عاقبة كل الظالمين وكيف إن الدمار كان عاقبة الكفر والضلالة .

أما تكرار القرآن لذكر هذه السنن فيعود الى أن الانسان محبوب عن رؤية هذه السنن والحقائق بشهواته وأهوائه . ولو تعلم الانسان عشرات المئات من القوانين العلمية المتعلقة بالمادة ، ولو احترق الفضاء وغاص في المحيطات وعرف دقائق المعلومات وفي كافة المجالات ، ولم يعرف بعد ذلك سنن الله في حياته الانسانية لما نفعته تلك الحقائق شيئاً .

الثقافة المادية دمار وانحطاط :

لقد بلغت المانيا الهتلرية أيام مجدها شأواً عالياً في معرفة القوانين العلمية ، حيث كانت صناعتها الاولى هي معرفتها بالقوانين الفيزيائية والكيميائية معرفة دقيقة وشاملة .

هذه الدولة اجتاحتها حالة من العصبية المستيرية التي قادت الشعب الالماني الى الدمار ، ليس الى دماره فحسب وإنما الى دمار العالم معه ، وقد قتل من الشعب الالماني وحده عشرة ملايين انسان !!

أحد المفكرين الغربيين كتب حديثاً حول مدى أهمية العلم — العلم بمعناه الضيق عند الغربيين والمتمثل في الثقافة المادية — . يقول هذا المفكر :
(إن كثرة العلماء والمثقفين بالثقافة المادية في الامم لا تُجدي نفعاً ، لان الذي يقود الانسان هو في الواقع روحه وشهواته وعصبياته) .

ويضرب مثلاً عن المانيا الهتلرية فيقول :

(إن المانيا لم تكن تنقصها الاعداد الهائلة من العلماء في مختلف المجالات ، كمن كان ينقصها العقل !) .

أي انهم كانوا لا يعرفون السنن الالهية في الحياة البشرية فقادتهم العصبية النازية الى الدمار .

إن العالم يتقدم اليوم تقدماً هائلاً في مختلف المجالات ، كالمجالات التكنولوجية والاعلاماتية وغيرها . وقد يتوصل العلماء بعد عدة أشهر الى صنع العقل الالكتروني الذكي الذي يستطيع التحدث مع الانسان وأن يبتكر ويخترع اختراعات جديدة . فهؤلاء العلماء يُمْتَنون أنفسهم بالتوصل في سنة ألفين بعد الميلاد الى صناعة عقل يقوم بالاختراعات الجديدة ، وفي ذلك الوقت يستقيل الانسان من مهمة العلم والتعلم وما أشبه لان العقول الالكترونية ستقوم لوحدها بتطوير العلم تطوراً هائلاً !!

وسواء صدقوا في زعمهم هذا أم كذبوا فان ذلك لن ينفعهم شيئاً ، لان هذا التقدم المادي الهائل الذي بلغته البشرية لم يكن في صالحها ، بل كان في ضررها ومثال على ذلك ما تم صنعه حتى الآن من القنابل الذرية ، حيث صُنعت حتى الساعة ثلاثين ألف قنبلة ذرية باستطاعتها جميعاً أن تدمر الارض لعدة مرات !

لقد مات في العام الماضي — عام ١٩٨٦ م — عشرة ملايين طفل ، أو أُصيبوا بعاهاات مستديمة بسبب ستة أمراض وهي الدفتريا ، السل ، شلل الاطفال وغيرها من الامراض التي توجد لها لقاحات . هذه اللقاحات كان بإمكان البشرية توفيرها بـ (١٠ ٪) من الدولار لانقاذ حياة كل انسان ، لكن هؤلاء الذين صرفوا في العام الماضي ألف ألف مليون دولار لصنع الدمار ولا زالوا يصرفون ، هؤلاء عجزوا عن اعطاء عُشر الدولار (عشر سنتات) لانقاذ حياة طفل !!

إن التقدم العلمي مهما بلغ يكون مجرداً عن المعنى اذا لم يواكبه تقدماً روحياً ، والتقدم الروحي هو معرفة سنن الله في الحياة الانسانية ، والقرآن يذكرنا بهذه السنة :

« سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

إذاً علينا أن نعرف سنن الله في كل شيء حتى في المسائل السياسية لان السياسة جزء من حياة البشر ، فالسياسة ليست حقيقة علمية مادية ، وإنما هي مرتبطة بحياة الانسان كإنسان ، ونحن إن لم نعرف سنن الله في مجال السياسة فاننا سنبقى متخلفين ، وسوف نعاني من الويلات الى الابد ، لان القرآن يؤكد :

« ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

فـ (لن) نفي الى الابد ، وهي نفي مؤكد يعني إنه لمن المستحيل أن يغير الله سنته ،

فإنه عزوجل لا يبدل سنته في الكون بمجرد أن ندعوه في منتصف الليل لئسقط صداماً وحزبه وأزلامه .. ، كما إن الله لن يستجيب لاهل الارض إن رفعوا جميعاً أيديهم بالدعاء بعدم خروج الشمس، أو أن يرفع الله الجبال من مكانها.. «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض».

فسنة الرب لا تتغير بالأهواء والتمنيات، والله لا يستجيب دعاء عباده إلا بعد أن يسيروا في الطريق الصحيح.

الاخلاص لله نصرٌ محقق :

تتحدث الآيات المتقدمة الذكر عن قضية السنن الالهية ، وقد نزلت بمناسبة (بيعة الرضوان) فلقد كان المسلمين متوجهين الى مكة ليحجوا فيها ولكن اعترضهم الكفار ومنعوهم دخول مكة ، فهنا أمرهم النبي (ص) بمبايعته ، وكان ذلك تحت شجرة وقف رسول الله (ص) تحتها ثم قدم إليه المسلمون يبايعوه على الموت .. وكان إن نزلت هذه الآية :

« لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم »

وكان المؤمنون في تلك اللحظة مستعدين للتضحية بكل شيء ، حيث عاهدوا رسولهم على مقاتلة الكفار وتدميرهم وتطبيق أوامره بحذافيرها .

ولما علم الكفار بأمر هذه البيعة أيقنوا بأن الرسول وأتباعه حازمين في أمرهم وانهم سيحاربون بقوة ، فانهزموا نفسياً وقبلوا بالصلح ، وعاد المسلمون في تلك السنة ليعودوا في السنة القادمة الى الحج ..

« فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً »

إن ما حدث كان مجرد بيعة ، فالمسلمون لم يضرخوا بسيف ولم يطعنوا برمح ، ولكنهم كانوا مخلصين في نواياهم ، فكانت بيعتهم بيعة صحيحة خالصة لله تعالى ، لذلك جعلها الله سبباً للفتح القريب ، لانها انتهت بالصلح (صلح الحديبية) الذي كان فتحاً للمسلمين ، فتحاً بدأ بمكة وانتهى بانتشار الاسلام في العالم .

وبعد بيان هذه الآيات التي تتحدث عن البيعة يقول القرآن :

« سنة الله التي قد خلت من قبل »

أي إن هذه سنة وحقيقة تاريخية ، وهذا قانون الهي ، فحينما يكون المسلمون يداً واحدة وتكون قلوبهم ونواياهم خالصة ، و يباعدون قائدهم دون تلكؤ أو جبن ، آتخذ يستطيعون الحاق أكبر الهزائم بأكبر الاعداء .

الشهيد الصدر رمز ثوري :

فقدنا ونفقد - نحن المسلمين في العراق - ومنذ سبع سنوات علمائنا وخيرة شبابنا وأبنائنا وفي طليعتهم آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رض) .

هذا الرجل الرمز الذي كان من المفروض أن يلتف حوله الشعب العراقي و يباعدوه ويتوجهوا تحت لوائه لمحاربة حثالة من المنحطين البعثيين الحاقدين ، هذا الرجل الشريف سُلّم للنظام وسط خذلان عام من قبل الكثيرين في العراق ، وأُعدم صبراً ثم أُخفي قبره ، وبعد ذلك سالت في العراق أنهر من الدم وكذلك في ايران وفي أكثر من موقع في العالم الاسلامي ، كل ذلك بسبب خذلان طائفة من المسلمين لعالمهم وسيدهم ، وهذه حقيقة وسنة الهية .

إن أي رجل يحمل راية الاسلام وتتوفر فيه صفات القيادة ويكون مخلصاً في عمله ونواياه يجب على المسلمين اتباعه ، أما أن يقول البعض اني أحب هذا الرجل أولاً أحبه ، أو انه ينتمي الى المدينة الفلانية وأنا أنتمي الى مدينة أخرى ، أو هو يمثل الحزب الكذائي وأنا من حزب آخر ، هذه التفاهات غير صحيحة وهي التي كانت السبب فيما جرى ويجري في العراق . فلو التفت المسلمون في ذلك الحين حول قيادة الشهيد الصدر الذي ناداهم بضرورة الثورة ضد النظام الطاغوي في بغداد ، لسقط النظام بمجرد مبايعة الشعب له .

« لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يباعدونك تحت الشجرة »

فالنظام البعثي ليس إلا وجوداً تافهاً ، ولكنه يستمد قوته من الشعب ، فالشعب هو الذي يجعل الطاغوت طاغوتاً ، وخوف الشعب ورغبته في المغانم العاجلة ، وابتعاده عن سنن الله ، كل هذه الامور تكسب الحاكم قوة وتزيد في فرعة الطاغوت على الشعب .

واننا لوبقينا على هذا الوضع لسبعين عاماً ولم نغير ما أمر الله بتغييره فينا ، لن ينتصر العراق ولن نستطيع أن نثار للشهيد الصدر والشهيد الشيرازي وسائر الشهداء الابرار من أبناء الشعب العراقي المؤمن ، فسنة الله سوف تجري ولا يمكن الاستهانة بالذنب أو بالخيانة فالله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وهو بالتالي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وهذه الذنوب لا تسجل فقط وإنما تتحول الى جزء من مسيرة تاريخية في حياتنا .

إذاً علينا أن نفهم حقائق الحياة وسنن الله في الكون ، وإن لم نفهم فان الله قد أعذر وأبلغ حجته علينا ، وبتن ذلك في القرآن وعلى لسان النبي (ص) والائمة (ع) والعلماء .

النظام البعثي بين كماشتين :

ان التغيير الهام الحاصل في داخل العراق والذي نشهده اليوم ، هذا التغيير بدأ من قبل مجموعة من الشباب المؤمن ، اما فيما مضى فقد كان الشعب العراق يقول :

(انشاء الله سيهجم الجيش الاسلامي في ايران و يهزم صدام وحاشيته ويحرر العراق !) .

وما هذا إلا انتظارٌ سخيْف ، المطلوب منا أن نقوم بالدور الذي رسمه لنا الله على أكمل وجه ، فالله جعل الحياة دار ابتلاء ينبغي التحرك فيها كل على قدر استطاعته ، فحتى لو كان أحدنا عاجزاً عن أداء أية خدمة أو دور فان مجرد السعي ، وبمجرد معرفة الله بأن هذا الفرد ينوي الجهاد ، مجرد ذلك يكفي للاحاق الهزيمة بـصدام لان الله يعلم ما في القلوب ..

رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعَلَمَ ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً »

فبمجرد ان علم الله باخلاصهم أنزل عليهم السكينة والفتح . واخواننا في العراق بدأوا يحسون بأهمية التحرك انطلاقاً من أنفسهم . ففي مدينة واسط قام الشباب المجاهدون وفي خلال أيام قلائل بسبعة عمليات ضد رموز النظام ، وهذا هو التحرك الحقيقي الذي بدأ من قبل الشعب نفسه .

وعندما يتحرك الانسان العراقي من الداخل آتخذ تستطيع قوات الاسلام أن تهزم النظام، وحينها سيقع النظام بين كماشتين، بين الثورة الداخلية وبين الهجمات الحدودية.

وحينها لن يُجدي الدعم الاجنبي المنصب على النظام الحاكم نفعاً، كما لم تنفع الامكانيات والمعونات الهائلة التي أعطاها (نيكسون) في سياسة (فتنة) الحرب للعملاء في فيتنام الجنوبية، حيث ان كل تلك المعونات ذهبت لان الشعب لم يرغب بنظام (سايكون) في تلك الآونة، والثورة الداخلية بالاضافة الى الهجمات الخارجية هي التي أنهت نظام (سايكون).

وكذلك الامر بالنسبة للعراق، فعمليات كربلاء الخامسة كانت من العمليات الناجحة في سلسلة العمليات العسكرية التي جرت في هذه المنطقة. فافتحاح تلك الدفاعات العراقية التي زعم أصحابها انها لن تُقتحم، هذا الافتحاح كان مفخرة للقوات الاسلامية في ايران، ولكن اذا بحثنا عميقاً نجد انها في نفس الوقت مفخرة للضباط الاحرار والجنود في الجيش العراقي الذين قاموا بدورهم في فتح الطريق أمام القوات الاسلامية.

هناك قصتان تسربتتا من داخل العراق حول عملية كربلاء الخامسة، القصة الاولى

تقول:

عاد أحد الجنود الجرحى من المعركة الى الجبهة الخلفية فسأله ضابط الاعداد: لما تراجعت الى الخلف؟ فأجاب: لان العتاد قد انتهى. فلم يكلف الضابط نفسه عناء التأكد ولم يطلب من الجندي الدليل على صدقه وإنما اكتفى باطلاق النار عليه بحجة انه جبان. عندئذ تقدم أحد الجنود الذين شاهدوا الحادثة وسأل الضابط عن سبب قتله الجندي فقال: لانه جبان فاذا بالجندي العراقي الحريق للضابط الذي أعدم الجندي الاول.

أما القصة الثانية فتقول:

عاد مجموعة من الجنود الجرحى الى الخلف وهم يحملون أمرهم، فوقفت أمامهم فرقة الاعداد المكونة من اثني عشر فرد من التكاثرية المجرمين وسألوهم عن سبب تراجعهم الى

الخلف ، فقالوا : نحن جرحى وكذلك أمرنا ، فقالوا لهم المجرمين البعثيين : كلا بل أنتم جبناء قررتم من المعركة . يقول أحد الشهود العيان فاذا بواحد من الجنود ابتعد قليلاً من الموقع وأمطر فرقة الاعدام هذه برشاشته وأفناها بجميع أفرادها ، ثم قال لنا تفرقوا وجلس الى جانب احدى النخيل وأشعل سيجارته وكان شيئاً لم يكن .

هذا الجندي البطل وغيره من العسكريين الاحرار في داخل العراق بدأوا بالالتحاق بجند الاسلام ، وهم الذين سيحسمون المعركة لمصلحة الاسلام .

أما أن يجلس الواحد منا و ينتظر الآخرين ليحرروا له عراقه فان هذا أسلوب خاطيء في التفكير ، وقد أقسم الله بعزته وجلاله أن يخيب أمل ورجاء من رجى غيره . إذاً علينا أن نقطع رجاءنا بالخلق ونتصل بالخالق لانه هو الذي خلقنا ورزقنا وهو الذي وعدنا بالنصر . ومتى ما توكلنا على الله وقطعنا رجاءنا من سواه وبدأنا بتفجير طاقاتنا الحقيقية آنئذ نستطيع أن نغير وجه التاريخ .

وعلى الشعب العراقي المهجر والمهاجر في خارج العراق ، في ايران ، سوريا ، أوروبا وسائر أنحاء العالم عليه أن يوحد طاقاته وليعلم سنن الله وليبايع قيادته ، برضى وإيمان ، واندفاع واخلاص .

أما اذا استمرت هذه الحالات النفسية وأصبح هننا الوحيد هو ابعاد بعضنا البعض عن القضية فاننا سنبقى فيما نحن فيه الى الابد ، بل وسيسلب الله منا النعم التي أنعمها الآن علينا .

تساؤل الطغاة أمام سنن الله :

ان سنة الله جارية في كل مكان وأن ، فعندما ننظر الى شعب أفغانستان مثلاً نجد ان نصف هذا الشعب المسلم الآن بين مشرد وقتيل وجريح ، ومع ذلك نجد ان الروس وهم قوة كبرى بدأوا اليوم يفكرون جدياً في الانسحاب من أفغانستان ، ولعل أفغانستان المنطقة الوحيدة التي ينسحب عنها الروس في تاريخهم بعد آذربيجان التي انسحبوا عنها أيضاً في تاريخ مضي . وبالرغم من ان وجود الروس في أفغانستان يعتبر قضية استراتيجية هامة لهم ولكن صمود الشعب الافغاني هو الذي طبق سنن الله ،

و (غور باتشوف) أو غيره لا يمكنه الوقوف أمام سنة الله ، وهذه حقيقة .

أما في مصر فاننا نجد ان الانتخابات المصرية أسفرت عن قوة الجناح الاسلامي في المجلس النيابي ، فقليل من الحرية التي منحت للاسلاميين في مصر تجلّ فوزهم بغالبية المقاعد بعد الحزب الحاكم الذي قام بتزوير وتزييف الانتخابات ، ولو أنهم أعطوا الحرية الكاملة للشعب المصري لوجدوا ان الشعب يسيطر على كافة المقاعد النيابية بممثلية الاسلاميين .

ان الحزب الحاكم في مصر زور وضلل الناس برفع شعارات اسلامية ، وغير حاكم مصر نصف الممثلين عنه في المجلس لخداع الشعب المسلم .
وحتى اليسار أيضاً رفعوا شعارات اسلامية في مصر .
— ولكن كيف حدث ويحدث كل هذا في مصر؟

مصر التي دخلها الفرنسيون وخرجوا منها معتقدين انهم أعدموا في مصر كل روح اسلامية ، وكذلك فعل الامريكيون والاسرائيليون ، لكن مع ذلك نجد الروح الاسلامية تتجلّى في مصر من جديد ، ولعلنا سنشهد في هذا العقد اقامة حكومة اسلامية في مصر — باذن الله — ، لان سنن الله — كما ذكرنا — لا ولن تتغير ، ولان الشعب من المتوكل على الله اذا اراد تغيير وضعه فان الله ينصره .

والمسلمين في العراق ، في الخليج ، في أفغانستان ، في لبنان ، في باكستان وفي أي منطقة في هذا العالم ، اذا اتبعوا سنن الله فانه سينزل سبحانه وتعالى نصره عليهم .

الفصل الثاني : شروط البناء المستقبلي

اعداد متكامل

اصلاحات منهجية

تحصيل القيم الحضارية

ابعاد حضارية

المؤسسات الذاتية

تراث موجه

اغتنام الفرص

برامج رسالية في كل حال

اعلام مبدع

اعلام ناقد

تطوير حضاري

النهضة بمنظور واقعي

نهضات متتابعة

نفوس حيوية

ادوار ريادية

قراءة للمستقبل

نحو نظرة اعمق

استقلال منهجي

اعداد متكامل

بسم الله الرحمن الرحيم

«والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم * وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد * وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادٍ الذين آمنوا إلى صراط مستقيم»

صدق الله العلي العظيم

(سورة الحج ٥١ - ٥٤)

(١)

إختلاف مظاهر الطبيعة ... دلالة على القدرة

الإلهية

لم يكن التفاوت الذي يحكم خلقه البشر المتواجدين فيها على هذا الكوكب الارضي عبثاً .. بقدر ما هو تأكيد على حاجة البشر وعجزهم الذي يضطرهم للجوء الى الله سبحانه وتعالى ، وهذا يعطي دلالة قاطعة على أن صاحب هذه الخلقه واحد وليس أكثر، لا يختلف ولا يتطور ولا يزول .

وتكمن فائدة اختلاف المخلوقات في صنع التكامل بين بعضهم البعض .. فمثلاً على صعيد تواصل النسل .. خلقت الحيوانات على أساس الزوجية .. كما الكهرباء حيث يعطي تفاعل الشحنتات السالبة مع الموجبة طاقة قادرة على التشغيل .. وهكذا

بالنسبة للذرة الجزئية المتناهي في الصغر إذ يتركب من ذرات سالبة وأخرى موجبة ..
 يكون نتيجة تفاعلها تركيب آخر وجديد .. إن هذا التركيب البديع في أجزاء الكون
 دلالة على تدبير وهيمنة وتنظيم .. يستمد قدرته من الله عزوجل ، كون هذا الجزء ليس
 إلهاً موجوداً بذاته .. بقدر ما هو جزء يستمد استمراريته من الله عزوجل ، ولو كان يستمد
 وجوده من ذاته ، فلماذا لا يهيء تركيبية متقدمة عظيمة ومتكاملة لا تحتاج الى أي شيء
 آخر؟!!

ان هذا الاختلاف دليل على ربوبية الرب الواحد ، على رغم ان مقامه الأسمى لا
 يحتاج الى أجزاء تعطي روح التكامل ، كونه هو الغني الحميد والقوي العزيز المقدر
 الجبار والمهيمن المدبر ، يخضع كل شيء لقدرته . ويحتاج الى غناه .. وهذا التكامل في
 الخلق ينعكس على الانسان أيضاً .. إذ أنه خلق زوجين مختلفين يحتاج الذكر منهما الى
 الانثى ، والعكس كذلك ، كما أن تشكيلة المجتمع أيضاً قائمة على الحاجة الى
 الآخرين ، وهذه الحاجة تفسر اتجاه فئة من الناس الى مهنة معينة ، بينما يتوق البعض
 الآخر الى التوجه نحو العلم .. وهؤلاء أيضاً يختلفون .. فقسم منهم يهوي الفيزياء ..
 وآخر يعشق الكيمياء .. وآخر يجذب الرياضيات .. وفئة أخرى لا تنسجم مع العلم ..
 وتحب العمل .. وبسبب اختلاف هذه النزعات .. يسير المجتمع نحو التكامل ..
 باعتبار ولو أن المجتمع بأكمله سار وراء العلم مثلاً .. فمن يكفل باقي الجوانب
 الاساسية التي تقوم عليها الهيكلة الاجتماعية؟!!

واختلاف هذه النزعات أيضاً دلالة على حسن التدبير والتنظيم والتقدير عند الله
 سبحانه وتعالى .. خصوصاً وان هذا الاختلاف سبب للتكامل الشامل وأداة لنمو
 الانسان بتسخيره للطبيعة من حوله .

بيد ان هذا الاختلاف بين أجزاء المخلوقات قد ينحرف عن مسيرة التكامل
 المطلوبة ، يتحول الى صراع يتفاوت مستوى الشدة والضعف فيه .. وهذا الصراع لا يعتبر
 من سمة الحياة ، بقدر ما هو شذوذ عن مسيرة التكامل .. إذ أن الله تعالى شأنه أوجد في
 الاساس هذا التفاوت كسبب للتكامل ، فمثلاً تعارف الشعوب والقبائل المصرح به في
 القرآن الحكيم هو مقدمة لتعاونهم البناء ، وبالتالي تكاملهم ، لا سيما وأن كل شعب

يملك ميزات خاصة بطبيعته ، مما يفرض عليه الحاجة الى خاصيات الشعب الآخر ، فشعب يتسم بالجلد والحيوية والنشاط . ويتصف شعب آخر بالفكر والعلم وتدوير العقل ، واذا تعاوننا سيصلان الى نوع من التكامل . وهكذا ميزات الارض والوطن .. إذن فالهدف من الاختلاف هو الوصول الى التكامل .

(٢)

كيف نتجاوب مع الصراع ؟

إن وجود حالة شاذة تعكس مسيرة الاختلاف .. تتطلب إيجاد قانون يعالج هذا الشذوذ ، ليضمن عدم تحول هذا الصراع الى مفاصد مركزة في المجتمع . وأول خطوة في هذا القانون تتمثل في الاعتراف بالواقع الفاسد .. أملاً في علاجه واصلاحه لان من لا يعترف بالظلام .. لا يفتش عن نور ، ومن يصم آذانه عن حوادث الجريمة ، لا يبحث عن طريقة لاصلاح المجرم أو معاقبته ، وهذا الاعتراف بالصراع يعتبر الخطوة الاولى للقضاء على الصراع .. ويؤكد القرآن الحكيم على أن الصراع موجود ضمن هذه الحياة في آيات عديدة ..

« ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم »

« قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين »

وهذه العداوة ليست حكمة في خلق الله عزوجل ، لانه أعظم وأجل من أن يجعل الناس يتعادون مع بعضهم ، بل ان هذه العداوة ناشئة من وسوسة الشيطان في الصدور ، ونزغته باتجاه الحسد والكبر والتعالي والتفاخر .. وبالتالي الصراع ، ولهذا نرى في قصة الصراع بين هابيل وقابيل ، انعدام أسباب العداوة ، إذ أنهما ينحدران من ذات الوالدين ، وينتميان الى بيثة واحدة ، لقلية تربية من نفس الوجه ، وكانت الثقافة والسلطة تحوط بالاثنين كليهما ، دون أدنى تضارب لمصالح طرف ما .. ولكن مع تعادل هذه الظروف احتدم الصراع بين الطرفين الى أن قتل قابيل هابيل ، والدافع الاول الذي حمل قابيل لقتل أخيه هابيل ، كان الشيطان الذي أوغر في قلب قابيل الحسد ،

ودفعه لارتكاب هذه الجريمة .. وتروي الآيات القرآنية فصول هذه القصة ، فتقول :
 «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من
 الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ، * لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما
 أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوأ بإثمي
 وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه
 فقتله فأصبح من الخاسرين»

فبدل أن يتجه قابيل لاصلاح نفسه كمقدمة أولى لقبول قربانه ، أو عز إليه الشيطان
 بهذا الفعل الشنيع ، ان العداوة والبغضاء والصراع ليست حقيقة أرادها الله من خلقه
 للخلق ، بل هي سلوك شاذ إنحرف إليه الانسان بسبب همزات الشيطان الرجيم .

(٣)

التفاعل الحضاري مع الصراع .. طريق التقدم

لا يمكن لاي أحد إنكار مظاهر الصراع بين الامة الاسلامية وأعدائها
 الحقيقيين .. داسين برؤوسهم في التراب خوفاً من تبعات هذا الدخول .. على رغم ان
 حقيقة الصراع الموجودة دفعتهم الى صنع أسلحة فتاكة والبرمجة لخطط شيطانية ماكرة
 تستهدف امتصاص أكثر من ١٠٠٠ مليار دولار على شراء الاسلحة التدميرية الهائلة
 لكي يدمر الانسان أخيه الانسان في سباق الحروب القائمة .. هذا بالاضافة الى صنع
 أسلحة متطورة تكفل اعدام الانسان أكثر من ١٥٠٠٠ مرة ، هذا مع العلم ان اعدام
 الانسان مرة واحدة .. يكفي لتدمير حضارة البشر، ومن ضمن مظاهر هذا الصراع قيام
 الكيان الصهيوني الغاصب خلال هذه الايام بمنع وصول الطعام الى اخواننا
 الفلسطينيين ، وبعد فترة طويلة سمح هذا الكيان الظالم بادخال شاحنة واحدة محملة
 بالطعام الى مخيم فلسطيني في قطاع غزة .. لكنه فرض على عشرة آلاف شخص التزود
 بالطعام خلال ساعة واحدة لا أكثر، مما يعني إمعاناً في سلب حقوق الشعب الفلسطيني
 المسلم .. وتحقيراً لمطالباته المشروعة ، وقهراً لمطالبه العادلة .

هذه بعض من ملامح الصراع . ولو فكرنا نحن - المسلمين - في التغافل عن هذا الصراع ، رافعين شعار سلام البشرية ، لوعملنا ذلك ، لكننا نحن الخاسر الاكبر بل الوحيد في هذه المعركة الحاسمة .

والاعتراف بالصراع لا يعني ميلنا لاشعال الحروب المدمرة ، وإرادتنا لزيادة العداوة والبغضاء ، بقدر ما يكون هذا الاعتراف هو مقدمة لتعاملنا مع هذا الصراع ، لا سيما وأن أعظم المشاكل التي يعيشها المسلمون اليوم .. هو عدم معرفتهم بالنوايا الخبيثة التي يضمورها لهم أعداؤهم الحقيقيون ، هؤلاء الاعداء الذين يقودون بغطاء محكم خطوات خبيثة للقضاء على الاسلام والمسلمين ، سواء على صعيد الاعلام أو على صعيد الواقع العملي .. وكمثال بسيط على ذلك كتبت احدى الصحفيات في احدى الصحف الاميركية بعد تصاعد الانتفاضة الفلسطينية في الاراضي المحتلة « ان ما يحدث في فلسطين ، هو بسبب عدم توجه العرب نحو مفاوضة (اسرائيل) » أو بعد المآسي التي تجرعهما الشعب الفلسطيني المسلم من هذا الكيان الدخيل ، إذ سلبت حقوقه وشرده من وطنه وأرضه ، وعرض لخطوات العسكر الارهابية .. أو بعد هذه الاعمال الاجرامية ، يركع الشعب الفلسطيني للحكومة الصهيونية مقبلاً أيديها بل أرجلها؟! إن هذه الدعوة الاعلامية ، خطوة مشبوهة لتضييع الحق الفلسطيني .

إن الصراع الذي يدور بيننا وبين الاعداء صراع عنيف ، لا بد أن نؤمن به لننتصر فيه ، لكن المشكلة تكمن في عدم الايمان بوجود هذا الصراع العنيف .. على رغم ان المسلمين يوم كانوا أقوياء في حالة سلم مع دول الغرب ، كانت الدول الاوروبية تستعين في شق طريقها الحضاري بالمسلمين الذين أعطوهم كل ما يحتاجون ، ولما تبدل ميزان القوة ، إذ ضعف المسلمون ، أطلقوا عليهم أيام الدولة العثمانية لقب «الرجل المريض» واستأسد عليهم باستخدام طرق خبيثة كالذبح الرهيب والتحطيم المقيت .. وغطوا على هذه الخبث ستار من الحضارة والتمدن ينوون تصديره الى البلاد الاسلامية ، ولكنهم صدروا أمراض حضارتهم فقط ، واحتفظوا بالعلم والتقنية والتقدم ، ففي العراق وبسبب قوة المستعمر البريطاني قاموا بمذابح رهيبة ، حتى أن الاوروبيين كانوا يذهبون الى بعض ولاة القبائل للتفرج على مسرحيات من القتل المتعمد .. حتى

أن أحدهم قتل طفلة عمرها ٧ سنوات .. ولما سئل عن سر إقدامه على هذا العمل ، قال : أريد أن أعرف كيف يموت هذا الصنف من الاطفال .. إن إرهاب الدول الاوروبية قديم .. وقد استخدموه ضد بعض فصائل شعوبهم .. ولعلّ ذبح (الهنود الحمر) ومحاولة انهائهم من الوجود أوضح دليل على خبث طرقهم .. على رغم ان هذه الفئة هم أمريكيون بالاصل ، و يتميزون عن البيض بلبسهم بعض الملابس الحمراء .

اغتيال العلامة السيد مهدي الحكيم .. خطوة جبانة :

ومن ضمن خططهم الخبيثة في الايام الاخيرة ، استدراجهم لاحد أبناء رسول الله (ص) الى السودان ، الذي كان عالماً ومجاهداً ينتمي الى عائلة المرجع آية الله العظمى السيد محسن الحكيم .. ومن ثم يقتلونه مظلوماً ، بعد أن قتل حزب البعث كوكبة كريمة من أبناء المرجع الراحل في سجون العراق .. إن عمليات الاغتيال هذه تحظى بتوجيه شبكات الارهاب الاستكبارية ، مع سكوت ومباركة أديعاء السلام وحقوق الانسان المؤيدة لنظام البعث في العراق .. لقتل هذا السيد المظلوم وأمثاله من المجاهدين .. ان هذا الشريط المتواصل من عمليات الارهاب لا ينفصل عن خطوات الامويين والعباسيين في قتل المجاهدين الرساليين من أبناء فاطمة الزهراء (ع) ، حتى قيل أن مدينة بغداد من الناحية التاريخية شيدت على عظام الرساليين من أبناء الرسول (ص) .. على رغم ان القرآن الحكيم والرسول الكريم (ص) أكدوا بمقدار كبير على حب أهل البيت (ع) إذ يقول الله تعالى في كتابه الحكيم :

« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى »

(٤)

الاعداد ، لازمة الانتصار

ان الاعتراف بالصراع ينفعنا بشكل كبير في اعداد النفس . باعتبار ان من يتوقع صراعاً من طرف ما .. يسعى الى الاهتمام بعوامل القوة لديه .. حتى يخوض القتال ..

و ينتصر بالتالي .. وبما أننا نعيش اليوم هذا الصراع بكل مصاديقه .. ينبغي علينا اعداد أنفسنا لخوض هذا الصراع بكل قوة لتمكن من الانتصار.

الاعداد .. في الدين والحضارة :

تعتبر التقوى من أبرز صفات المتقين .. بينما الوقاية هي من أعظم صفات المتحضرين الناجحين في الحياة ، وبين التقوى والوقاية علاقة متينة نستكشفها من خلال جانبين من الامثلة الدينية والحضارية .

* من جانب الدين .. تأمر التقوى الانسان بالابتعاد عن الجرائم ، وتجنب المنكر، كون ارتكاب هذه المعاصي بوابة الدخول في نار جهنم ، وحين ينكشف الغطاء ، تتوضح حقيقة دخول الانسان في نار جهنم .. وتمثيل القرآن بالنار يأتي مناسباً وموازياً لنفس الحالة في الآخرة .. فمثلاً يقول :

« ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً »

إن الاستيلاء اللامشروع على مال اليتيم وأكله ، يعني إدخال النار في جسم الانسان عبر هذا العمل .

وكذلك بالنسبة للظلم والكذب وسائر الصفات الرذيلة التي تأمر التقوى بالابتعاد عنها .

* من جانب الحضارة التي تعتمد على الوقاية ، فتتنظيم قانون المرور قواعد السير ، يمنع للحوادث المرورية ، واتباع هذه القوانين تقي الناس من حوادث الاصطدام . وكذلك يقرر القانون الحضاري ان الكسل والترهل من أسباب التخلف بجميع أشكاله . ، من الاقتصاد الى السياسة الى العسكر .. وبالتالي تفقد الاستقلال .. وتستخذي مقومات البقاء . وكذلك تؤمن الحضارة بضرورة تنمية الحس العلمي لدى المجتمع عبر بناء الجامعات الاكاديمية والمعاهد العلمية التي تعطي دفعاً باتجاه التقدم الاجتماعي كما حدث لليابان حيث تمكنوا هذه الايام من اختراع كمبيوتر يستطيع القيام بدور مشابه لدور الاعصاب عند الانسان .. وهذا الانجاز يعتبر الجيل الخامس في مسيرة الانجازات المرتبطة بالعقول الاليكترونية على حسب برمجة سهلة وطريقة مبسطة جداً ... وفي قبال

هذه الانجازات المتقدمة ، ترى مدة التخلف الذي نعيشه نحن ، حتى ان الكثير لا يعرف العقل الاليكتروني أساساً .

إن التقدم سار بشكل متسارع في اليابان . على رغم انهم اتصلوا بالغرب في نفس الفترة التي اتصل فيها المسلمون بالغرب .. ولكن مع ذلك يبدو التأخر والتخلف من الصفات المزمنة لدينا .. على رغم كثرة الاصوات المنادية بسلوك درب الحضارة .. فشكيب أرسلان قبل أربعين عاماً كتب كتاباً ضمنه بعض أسباب تخلف المسلمين وبعض أسرار تقدم غيرهم .

والسيد جمال الدين الافغاني في بداية الستينات أطلق صرخته المدوية للمسلمين ، داعياً إياهم للعودة الى الحضارة . ولكن كما يقول الشاعر:

لقد أسمعت لونا ديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي

إن معنى الوقاية في الحضارة ، ينسجم مع مفاهيم الدين .. حيث يقول الرسول (ص) :

« درهم في الوقاية خير من قنطار في العلاج »

ضرورة الاعداد :

يقول الله سبحانه وتعالى :

« ولوأرادوا الخروج لاعدوا له عدة »

(٤٦ - التوبة)

ان هذه الآية الكريمة تؤكد على ضرورة الاعداد لدخول الحرب ، لان الحرب بحاجة الى قيادة وسلاح وتنظيم وانضباط وتعبئة روحية فائقة لضمان الانتصار ، خصوصاً وإن طغاة الارض يخربون بلادنا بتخطيطهم الماكر ، و بدراسة هذا التخطيط ، يتأكد لنا امتلاكهم لشبكات سرية مسلحة تستخدم وسائل شيطانية .. وتدمير هذه الشبكات الواسعة يكون بادراكها ومقاومتها .. لابطالها .. كما يجوز تعلم السحر لابطال السحر .. فمثلاً بالنسبة لنظام البعث قام خلال سنة ونصف تقريباً بأربع عمليات خبيثة بواسطة أيادي الاستكبار العفلقى ..

١ - قتلوا الشابين في باكستان نعمة محمد مهدي ، ومهدي محمد ، ومثلوا بهما شر تمثيل .

٢ - أطلقوا النار على أحد العلماء المجاهدين في بانكوك .. ولكنه نجا بفضل الله .

٣ - قتلوا أحد الدكاترة في ايطاليا برميته من مبنى .

٤ - اغتيال العلامة السيد مهدي الحكيم في السودان .

لقد قاموا بهذه العمليات الاجرامية تحت غطاء كثيف في السرية ، مما يدفعنا نحو السرية في أعمالنا الثورية ، باستخدام سلاح التنظيم والتنسيق ، حيث يقول الامام علي (ع) :

« الله .. الله .. في نظم أمركم »

والآيات المتقدّمة في البداية تأمر بالعمل الجاد ، بعيداً عن الاماني والاحلام التي لا تصنع سوى خيال زائف ، كون الشيطان هو الذي يلقي أماني الانسان ، بل حتى ان الشيطان يلقي في أماني الانبياء ان تمنوا ، وهذا يدفع للدخول الى ساحة الواقع الاجتماعي ، دخول القوي البطل المؤمن المدن نفسه لانقاذ أمة مظلومة ومستضعفة ومحاربة ، معتمداً في ذلك على الوعي المستقبلي والنشاط والحزم والاعداد المستمر على ضوء بصيرة إيمانية ، ووعي حضاري يستبق الزمن ، وإلا فأن أي غيبوبة وتقصير لدورنا في الصراع بجميع أشكاله سوف يكرس الواقع الفاسد .. وسندم عليها في الدنيا والآخرة .. ويؤكد القرآن الحكيم على بطلان الاماني قائلاً :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته »

ان تعميم الآية المتقدمة للرسول والانبياء دلالة على أهمية موضوع العمل على ساحة الواقع .. دون العيش في خيال الاوهام والامنيات ، وتعتبر هذه الآية منهاج حياة وبصيرة نور تنير الحياة الشخصية والاجتماعية في الدنيا والآخرة .. وتؤكد على تجاوز التمني الذي يدفع الانسان عادة نحو السعي وراء العمل الاسهل والابسط ، وهذا النمط من العمل لا يمكن تحصيله في ثنايا الجهاد والصراع ضد الاعداء ، لا سيما وأن الجهاد يتطلب أموراً صعبة على واقع الانسان الروتيني ، فالجهاد بحاجة الى قوة واقتدار كاف لتحمل الصعوبات ، وهكذا كان العظماء في التاريخ إذ يختارون أصعب الطرق على

أنفسهم لمواصلة الجهاد وتحقيق الاهداف المنشودة .

ثم تؤكد الآية التالية ان الذين يبحثون عن الراحة .. يذهبون مع الفتن والاماني ..
تقول الآية :

« ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاقٍ بعيد »

ثم تعطي الآية الاخيرة برنامجاً هاماً للنصر إذ يقول :

« وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله هادٍ الذين آمنوا الى صراط مستقيم »

يستخدم صاحب العزة والاكرام في هذه الآية كلمتين :

١ - العلم المركز « وليعلم الذين أوتوا العلم » .

٢ - الايمان المضاعف « فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم » ..

والعلم المركز والايمان المضاعف ركيزتان هامتان للوصول الى الطريق المستقيم الذي

يعني تحقيق الاهداف السامية .

اصلاحات منهجية

بسم الله الرحمن الرحيم

«والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وأن الله هو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وان الله لعليم حلِيم * ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفوٌ غفور * ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير * ذلك بأن الله هو الحق وإنما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير»

صدق الله العلي العظيم
(٥٨-٦٢/سورة الحج)

(١)

الاسلام قوة حضارية :

إن أمة تهتدي بهدى الكتاب الحكيم دستور الرسالة الالهية الخاتمة والتي تحمل بين جنباتها تعبيراً صادقاً عن كل سنن الله في الكون .. وإن أمة تهتدي بسيرة رسول عظيم بعثه الله خاتماً للمرسلين ومهيماً على التاريخ كله ما مضى منه وما سيأتي الى يوم القيامة .. وإن أمة تملك في تاريخها تراث السبط الشهيد ، وتحمل على أكتافها مسؤولية ثارات الحسين (ع) ... إن أمة هذا شأنها أمة لم تذلل ولن تذلل .

أمة هذا شأنها لا يمكن أن يقود زمامها شرذمة من الأعراب الجاهليين يريدون تجديد الجاهلية الاولى ، كما إن أمة هكذا مبدأها لا يمكن أن يدنس أرضها المحتلون الأجانب .. فهي تحمل قيمة عظيمة تدفعها الى نبذ كل هذا التخلف ... أو تعلمون ما هي ؟ .

إنها قيمة الشهادة في سبيل الله ... حيث يهدف كل واحدة من أبناء الأمة الخالص

الوصول إلى أفضل خير وأعظم بر عبر الشهادة في سبيل الله .
 أو لا يحق لأمة مثل هذه الأمة أن تتحدى كل الحضارات وتصبح أعلى الامم .. بل
 أن يبلغ مجدها الثريا؟! .

(٢)

لماذا التخلف؟

في الفقرة الماضية رأينا ما يصنع الاسلام بأمة تلتزم بأمره وأحكامه ، وتجنبي آثاره
 ونتائجه ...

ولكن لماذا نرى — أحياناً — العكس اذا نظرنا إلى امتنا الاسلامية .

فمن جانب نرى الصهاينة الغاصبين ، الشرذمة القليلة من شذاذ الآفاق المنبوذين في
 كل مكان من العالم يحتلون بقعة مقدسة من أراضي هذه الأمة ... و يعربدون في
 أرجائها ... و يتشرون في كل بقعة من بقاع هذه الأمة المقدسة الأرهاب والخوف
 والاعتداء المتكرر .

ومن جانب آخر نرى شرذمة من الأعراب يتحكمون في مصير بلاد الحرمين الشريفين
 ومبعث النبي الأكرم ومنطلق نور الإسلام ... ولا يزالون منذ سنين عديدة يفسدون في
 تلك الأرض الطاهرة و يعدمون الشباب و يقهرون الناس و يسيطرون على ثروات الأمة
 و ينشرون المبادئ السلبية الهدامة في العالم بهذه الثروات . أو نرى شخصاً كصدام
 المجرم يحكم العراق منذ أكثر من سبع سنين ... ينشر القتل و يرهب الشعب و يعيث
 الفساد في أرض الرافدين الطاهرة .

أولا يحمل هذا الوضع تناقضاً هائلاً بين ما يهدفه الاسلام ، وما هو حاصل للمسلمين
 فعلاً؟! !

وهل من الممكن لأمة تمتلك نور القرآن وسيرة الرسول وهدى أئمة آل البيت وملحمة
 كربلاء ...

• أمة كذلك يكون صدام حاكماً فيها؟! !

• وأمة تمتلك هذه المبادئ يكون آل سعود متسلطين عليها؟!

• وأمة تتحصن بنور الاسلام، تحتل الصهاينة أعلى بقاعها؟!

لا بد أن يقف المفكرون طويلاً عند هذا السؤال، وليتباحثوا حوله في كل واد (لماذا لا تزال امتنا مقهورة؟).

حين نجد - اليوم - ثورة اسلامية منتصرة كالثورة التي انتصرت في ربوع الجمهورية الاسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني - حفظه الله - يتعجب البعض وتأخذ الحيرة والدهشة ويستبد به العجب فهو يعتقد أن الاسلام عجيب إذا صنع ذلك! ويقول: كيف ذلك... وهل كتب على الأمة الاسلامية أن تكون أمة مقهورة مظلومة ومحرومة ومعتدى عليها من قبل كل الأمم؟!

إن هذه الثورة هي من طبيعة هذا الدين... بل هي بنت السيرة المقدسة ووليدة التاريخ الحافل بالنضال والتضحيات... ولذا إذا لم نجد ثورة في بلد آخر كالعراق أو الجزيرة، لا بد أن نتعجب بل نزداد حيرة، ونقول: لماذا؟

إن امتنا الاسلامية قائمة على أساس (لا إله إلا الله) وهذا الأساس يعني اسقاط الاصنام الحجرية والبشرية وكل ألوان الطغيان والفرعنة في الارض تمهيداً لأقامة حكم الله في الأرض.

هذا هو الأساس في الأمة الاسلامية... لكننا لا نزال نرى العكس... على الرغم من أن تغييرات هائلة برزت على سطح العالم الاسلامي... شعب مصر تحرك... شعب العراق استيقظ... شعب لبنان وفلسطين بدأ يتحرك... إلا أن التساؤل لا يزال قائماً... لاعتبارات عديدة أهمها أن أمة القرآن لا تكون بهذا الشكل... وأمة تتبع منهج أبي عبد الله الحسين ليست هذه الأمة... فهي أمة مجيدة مستقلة... إذن ما هي أسباب التخلف؟

هناك سببان رئيسيان هما: -

١ - فساد المنهج الثقافي والتربوي:

لقد انحرف المنهج الثقافي والتربوي في هذه الأمة، انحرف كلياً أو جزئياً عن روح القرآن وعن سيرة آل بيت الرسول (ص).

نساؤنا لا بد أن يبدأن بمنهج تربوي سليم منذ الأيام الأولى لولادة طفلهنّ الجنين ... وهذا المنهج يختلف عن المنهج الذي تتبعه امهاتنا اليوم .
 المرأة المسلمة — اليوم — لا بد أن تزق الشجاعة والحكمة والتضحية برضاعتهما لطفلها زقاً ... بينما على آباتنا أن يربوا أبناءهم ليكونوا حملة مشعل (لا إله إلا الله) وحملة راية أبي عبد الله الحسين ... وبمعنى آخر يكون أبناؤهم إنساناً قرآنياً بالكامل يتربى على الشجاعة والحرية والمبادرة ... على الرغم من أن بعض الآباء ينهجون منحى القمع تجاه ابنائهم مع القاء الأفكار السلبية في روع ابنائهم من قبيل أن على الانسان أن يمشي في طريقه مستقيماً لا ينظر يميناً ولا شمالاً ولا يُعير أهمية لأيّة مسؤولية اجتماعية ملقاة على كاهله .

وبدل ذلك على الآباء أن يشجعوا أبناءهم على الهجرة في سبيل الله بل وعلى التضحية بالنفس ... وإلا سيصبحون كما تروي لنا هذه الرواية :

قال الرسول الأكرم (ص) « ويل لأبناء آخر الزمان من آباءهم » فقيل : يا رسول الله من آباءهم المسلمين أو الكافرين ؟ فقال : « بل من آباءهم المسلمين » .

إن المنهج التربوي الذي يجنبنا عن القرآن ويفصل معيشتنا الحياتية اليومية عنه ، وكأنه وضع ليُقرأ في مناسبات عامة فقط ... إن هذا المنهج هو المسؤول عن تخلف الأمة ، لأنه يوضح لنا بأن ملحمة كربلاء حدثت في عام (٦١ هـ) بين الأمام الحسين ويزيد ... ونحن الآن لا نعيش ذلك العصر ... فلماذا الثورة والجهاد ما داموا هم في زمانهم ونحن في زماننا ؟ !

هذا المنهج خاطيء ... لأننا لا بد أن نفتدي بأئمتنا الأطهار وقادتنا الحكماء وولاية امرنا الشرعيين ... باعتباره البداية لنصرة الله ... أولم يقل سبحانه وتعالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغِيَ عليه لينصرته الله ان الله لعفوٌ غفور » بمعنى آخر إذا كان الإنسان مؤمناً بالله بصدق وحق ... فواجبه الشرعي الانتصار لنفسه وحياء مبادئه والمبادرة في الحياة دون أدنى خشية من أي طاغية متعجرف .

٢ — فساد النظام الاجتماعي :

وقد أصبنا بهذا الفساد حين تَرَكْنَا القرآن ... وصبغنا حياتنا الاجتماعية بصبغة

لم يأمر بها الله عزوجل ... ولأننا لم نعد تجربة التاريخ في صياغة الأجماع الإسلامي الصحيح .

حين حدث ذلك ... امتلأ نظامنا الاجتماعي بالسلبيات ، وانحدر بسببه من قمة شاهقة الى واد سحيق ... احتوشته أسود الغيبة اللثيمة فتمزق مجتمعا الإسلامي تمزيقاً ، على الرغم من أن أحاديث أهل البيت تدعم الوحدة والتعاون وتبث الأمل وتزرع الإيجابيات بين أبناء الأمة الإسلامية .

«يقول الباري عزوجل : «إن هذه أمتكم أمة واحدة» .

(الانبياء - ١٢)

« يقول الرسول الأكرم : «الأمل رحمة لأمتي ، ولولا الأمل ما رضعت والدة ولدها ، ولا غرس غارس شجراً» (١) .

« يقول الإمام علي (ع) «إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم» (٢) .

« يقول الإمام علي عن بعض الأمم الغابرة : «ألم يكونوا أربابا في أقطار الأرضين؟ وملوكاً على رقاب العالمين؟ فانظروا الى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة وتشتت الألفة واختلفت الكلمة والأفئدة وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين ، قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته ، وبغي قصص اخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين» (٣) .

لأن الأمة بحاجة الى الأمل والتعاون وروح الاقتحام والانتقام من الأعداء ... وهي لا تحتاج إلى نصائح بالخنوع والجلوس بين جدران البيوت تاركين المسؤولية الاجتماعية أو تداول الأحاديث المهلكة والمفسدة والتي تركزت التوجيهات في فترة من الزمن حولها ... إن البعض يترك العمل ، وينشرب بين الناس روح السلبية ، فيتحدث عن العاملين في الساحة و يسجل اخطاءهم دون سلوك مسيرة الدخول في العمل والتصحيح ... إن هذه

(١) بحار الأنوار، جزء ٧٧، ص ١٧٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جزء ٣، ص ١١٢ .

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢ .

السلبيات هي المسؤولة عن وضع الأمة المتردي ... وخاصة الذين يحتلون مواقع حساسة في الأمة وبدل أن يصححوا وضع الأمة الانحراقي ينشرون السلبيات و يركزونها ... هؤلاء مسؤولون يوم القيامة عن كل ما يجري في الأمة من آلام ومصائب ، وأكاد أقول أن الله سبحانه وتعالى سوف يعذبهم كما يعذب المجرمين ... أو لم يساهموا في بقاء الأمة على هذا التخلف؟! بسبب بث روح اليأس وتثييط الناس عن العمل والجهاد ... مع العلم أن الأحاديث الشريفة تنبذ اليأس وتبث روح الأمل .

« يقول الرسول الأكرم : « لا تيأس من الزمان اذا منع » (٤) .

« يقول الأمام علي (ع) : « قتل القنوط صاحبه » (٥) .

« يقول الأمام علي (ع) : « لا تيأس لشر هذه الأمة من روح الله لقوله تعالى : أنه

لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (٦) .

(٣)

نداء الى سائر الرسايلين :

إلى كل مسلم يزرع — الآن — تحت نير الطاغوت ... في العراق أو في الجزيرة وسائر

البلاد الاسلامية :

أيها الأخوة : .. كفى ذلاً وإهانة ؟ كفى تخلفاً !! ولمَ الأنتظار؟!!

قبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران عام (١٤٠٠ هـ) ... كانت مقولة شائعة تعتبر

الانتصار مسألة خيالية ... ولكن ها هي الثورة انتصرت في ايران الاسلام ... فلمَ

اليأس ؟ وما هي حجة من يدعي الأتماء الى الدين ومذهب أهل البيت ثم يُجَبَّن

الناس بدل التشجيع ... و يزرع فيهم اليأس بدل الأمل ... ويمزق الصفوف بدل

الوحدة و يدعو الى التخاذل بدل الجهاد ... ما هي حجتهم إذا قال لهم أبا عبد الله الأمام

الحسين : — أنتم تدعون الموالاتة لي والسير على نهجي ، فأين تضحيتكم وجهادكم ... أنا

ضحيت بنفسي وعائلتي ... حتى طفلي الرضيع ... بل انتهكت حرمتي في سبيل

(٤) غرر الحكم .

(٥) غرر الحكم .

(٦) نهج البلاغة ، حكمة رقم ٣٧٧ .

الله ... فماذا فعلتم أنتم ؟

إن النظام الاجتماعي والتربوي هو المسؤول عن هذا التخلف ... وإلا فأمة القرآن ليست هذه الأمة ... وأمة تستوحي منهجها وتعاليمها وقيمها من سيرة السبط الشهيد لا يمكن أن تؤدي الى هذا الوضع الفاسد ... لأن من يسير على نهج الحسين الثائر لا بد أن يغير النظام الاجتماعي في الأمة ، ليتحول بحيث تكون المراكز الحساسة بيد المجاهدين السائرين على خط الأمام الحسين ... وليتحوّل النظام التربوي والفكري الى نظام تُستوحي قيمه من القرآن وسيرة أهل البيت ... ولتكون الوجهة العامة للأمة وجهة ثورية ... تحوّل أموال الخمس والزكاة وسائر الحقوق الشرعية في مصب الجهاد والخلاص من الطغاة ... وهذا يكون بمساهمة المفكرين والكتاب والخطباء الفعالة في توجيه المجتمع الى هذا المنحى ... ليكن الهم الأول خلاص الأمة من هذا الوضع الفاسد ولتصب كل الجهود والامكانيات في بوتقة واحدة تُنكس رؤوس طغاة أمريكا وروسيا ... أما أن تستغل المنابر ومواقع التوجيه للتشهير ببعض وتمزيق الأمة والحديث عن السلبيات ، فهذا حرام ، لأنه يساهم في بقاء هذا الوضع المشين في الأمة .

أيها الاخوة في العراق والجزيرة والبحرين ولبنان ... لتكن الخطوة الأولى في عملكم الانخراط ضمن خلايا المقاومة السرية التي تأخذ التقية منهجاً لها (التقية ديني ودين آبائي) ... انطلاقاً من الأمر الالهي في القرآن الحكيم : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » . وانبعثاً من سيرة السابقين في الصدر الأول من الاسلام .

إن تكوين خلايا سرية تقاوم الطغاة ضرورة جهادية ، ولا يمكن لأي شاب يدعي الاسلام دون الأنخراط في فئة مؤمنة صالحة تتدارس وضع المجتمع تمهيداً لانقاذه من براثن الوضع الفاسد .

تحصيل القيم الحضارية

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من التار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كَالَّذِينَ تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » .

صدق الله العلي العظيم

(١٠٢-١٠٧/آل عمران)

((١))

العالم بين الاستكبار والاستضعاف :

بعد أيام حين يجتمع اثنان من قيادة الاستكبار العالمي ، ليتقاسما مكاسب استكبارهم وطريقة استغلال الشعوب .. يتساءل المسلمون دوماً بقولهم : أين نصيبنا ؟ وما هو الفارق بين اجتماع مضى بين رئيسي القوى العالمية في الأرض قبل أشهر وبين هذا الاجتماع الجديد ؟

وهل تغير شيء فيما يرتبط بنا نحن المسلمين ؟ وهل سيدور في بساط بحثهما ما يدعونا إلى التفاؤل ؟

مجموعة أسئلة تتبادر إلى ذهن كل مسلم .. حين يرى مدى التخلف العميق الذي

يحيط بأمتة الإسلامية .

الواقع إننا حصلنا على قليل من المكاسب خلال فترة ما بين الاجتماعين .. بل ان تلك المكاسب تكاد لا تبين حيث : —
 * لا تزال القوى الكبرى ماضية في سياساتها العداونية بحق الشعوب . سيما الشعوب الاسلامية .

* ولا تزال هذه السياسيات تسعى الى تحكيم الاستغلال والقهر والقمع وفرض العملاء على البلاد الاسلامية .. ليكون هذا النمط هو الحاكم بين الطرفين .
 * ولا يزال الرعب النووي وسباق التسلح وتصدير البطالة والتضخم الى البلدان النامية لكي تمتص الخيرات وتنهب الثروات .

* ولا تزال المفاسد العريضة التي تنخر روح الانسان كالميوعة والاخلاق الهابطة وارتفاع نسبة الانتحار والادمان على المخدرات .
 لا تزال كل هذه المفاسد موجودة .. بل وتزايد يوماً بعد يوم .. ونحن المسلمين نتساءل : — ما الذي جنيناه خلال هذه الفترة ؟

قد أسلفنا .. ان ما كسبناه شيء يسير .. ولا يسوي شيئاً حسب المقياس الدولي ..

لماذا ؟

لأن علينا — أساساً — أن نغير من وضع هذه الاستراتيجية الخاطئة التي تحكم العالم .. بمعنى أن نغير فلسفة الاستكبار والاستضعاف ، وتقسيم العالم الى يَسْتَعْلِ ، وآخر يُسْتَعْل ، أو عالم يَقْهَر وآخر يُقْهَر ... وهذا التغيير لا يتم بكسب نقاط جزئية ومسائل بسيطة ، كهداية انسان هنا ، أو القيام بعمل ثقافي هناك ، أو حتى بعمل عسكري هنالك ، إن هذه المسائل لا تتساوى مع الوضع الدولي ، فلا بد أن تكون الجهود متظافرة ، والاعمال كبيرة ، والخطط استراتيجية ، والاهداف بعيدة الى درجة تستطيع تغيير المعادلة الخاطئة التي تحكم العالم .. وهذا لا يكون إلا بفهم حقيقة هذه المعادلة وخلفياتها .

وتنبع أهمية القرآن الحكيم من هذا الجانب ، فهو يبين هذه المعادلة ، و يعكس ما وراثياتها ، أو ليس الله تعالى شأنه يؤكد ذلك بقوله «إن هذا القرآن يهدي للتي هي

أقوم».

(٩٨ - النحل)

أو ليس رب العزة يرشد البشر الى النور والهدى عبر القرآن ، ويقول الرسول الأكرم في شأن ذلك « القرآن هدى من الضلالة ، وضياء من الاحزان ، وعصمة من الهلكة ، ورشد من الغواية ، وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة ، وفيه كمال دينكم »^(١)

أو ليس الرسول (ص) ينحي باللائمة على كل من لم يلتزم بأوامر القرآن وارشاداته الحياتية ، وينذره بفساد حياته .. حين قال :-

« اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فإنه شافع مشفع وما حل مصدق ، من جعله امامه قاده الى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه الى النار »^(٢) .

إن البشر حين يعيشون بدون القرآن ، يفقدون النور الذي ينير لهم الطريق .. فتحشوشهم الظلمة والابهام والمشاكل .. واذا اتصلوا بنور القرآن تبدد الأبهام وتلاشى الظلام ، وغمر النور أرجاء الحياة .

ونحن نعيش ضمن الجوال العالمي الفاسد .. قد ينبج صوت عميل يرى بأن المسلمين لا يتمكنون من تغيير هذا الواقع بسبب قصور دستورهم عن اعطاء حل واقعي لهذه المشاكل .. إن هذه الأصوات هراء ... فالقرآن الحكيم يشتمل على حلول لمشاكل البشرية أجمع لو اتبعوا منهجه وخطاه .

والسؤال المطروح هو.. لماذا تتحكم معادلات الاستكبار والاستضعاف على البشرية ؟ ولماذا يجلس اثنان - فقط فقط - من ابناء البشر ليتقاسما الغنائم ، وكأنهما سارقان يوزعان حصص السرقة ... وياليتها سرقة بسيطة ... انما هي السيطرة على مصير الارض كاملة .

فكيف نغير هذا الوضع الفاسد ؟

(١) تفسير العياشي جزء ١ - صفحة / ٥ .

(٢) تفسير العياشي جزء ١ - صفحة / ٣ .

لا بد أن نطرح هذا السؤال على القرآن ، حتى يعطينا اجابة شافية لهذه الحالة .

(٢)

القيم الحاكمة ودورها في تقدم المجتمع

هذا الكون العريض لا يسير عبثاً .. وانما بتدبير حكيم .. حيث هناك مقاييس و موازين تحكم هذا الكون .. وحسب التعبير الحديث : السنن والقيم التي تتحكم في مسيرة الانسان وحياته وفي التاريخ .. ما هي تلك القيم ؟

قيم عديدة تفرض نفسها بنفسها كالعدالة والأيمان والاتصال بالغيب والاستقامة على الطريق والابتعاد عن انحرافات الهوى ووساوس النفس الامارة بالسوء والسعي والتعاون والتفكير العلمي والمنهجي والموضوعي والعمل الحضاري .. وكما أن الجاذبية الارضية تجذب الحجرة اذا اسقطت من علو بسبب قانون الجذب .. أو نور الشمس الذي يعطي الأرض باسراقه الدفء والحيوية والمواد المعدنية ... أو الرياح التي تسيّر حسب قانون خاص ... كما هذه القوانين التي تحكم هذه الظواهر ... هناك قيم يفهمها العقل والقطرة البشرية ... وهي لا ترى بالميكروسكوب تحت المجهر ولا تخضع للتجربة العلمية الدقيقة ... لأنها ليست قانوناً ... إنما هي قيم .

والقيم تنقسم الى قسمين :-

اولاً : قيم يلتزم بها الاستكبار :-

العالم الاستكباري - الغربي - يلتزم بقيم هامة أهمها ما يلي :-

أ - السعي .

ب - التعاون .

ج - التفكير العلمي والمنهجي .

وما نجد في العالم الغربي من تقدم صناعي وحضاري وبعث الانسان الى القمر ... والركبة الفضائية الى المريخ والتفكير في استغلال الفضاء مستقبلاً حيث يتم التفكير في كيفية الاستفادة من الطاقة الشمسية بصنع محطات في الفضاء الخارجي تستقبل الاشعاعات المركزة وتنقلها على شكل طاقة ، أو التفكير في صنع مدن في الفضاء والاستفادة من الصاروخ لنقل الانسان الى مسافات بعيدة خلال دقائق معدودات بدل

طائرة الكونكرد الحديثة والأسرع من الصوت ... كل هذه الانجازات هي افراز طبيعي ونتاج أكيد لمن يلتزم بالقيم الثلاث المذكورة ... وهذه القيم هي التي صنعت معجزة قرن الواحد والعشرين ، وهي صنع الكمبيوتر الذي يضع — بدوره — كل شيء الآن ... حيث يوجد (٦٠٠٠٠) انساناً آلياً يخدمون البشر فوق هذه الارض سواء في صناعة السيارات كسيارة تويوتا التي يقوم الانسان الآلي باكثر تجهيزاتها ... كما أن الانسان الآلي يقوم بأكثر من (١٠٠) خدمة في بيت الانسان . فهو يكنس و يطبخ و يفتح الباب ويحيب على التلفون وغيره .

ان كل هذا التقدم الحاصل في الغرب انما هو بسبب التزامهم بالقيم المذكورة .

ثانياً : قيم يلتزم بها المستضعفون : —

يعتمد المستضعفون على قيم عديدة منها أن الظلم لا يدوم ، تدمير الله للكفار كما دمر قوم عاد وثمود ، واتباع الرسول الأكرم ، والأيمان بأن الاسلام يعلو ولا يعلى عليه انطلاقاً من قوله تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » .

(١٣٩ — آل عمران)

إذن انقسمت القيم ... وقسم طبقها الغرب ... وفي الآخر حاولنا نحن المستضعفين أن نلتزم بها ، ونبرر بها عدم تطبيقنا للقيم الأخرى ، والتقسيم في طرح هذه القيم هو الذي يجلب الدمار للعالم ... فالغرب سوف يدمرهم كفرهم وظلمهم وابتعادهم عن طريق الله ... ونحن المستضعفين سوف يدمرنا تقاعسنا وتفرقتنا وابتعادنا عن العلم والعمل العلمي .

و يوجد أمامنا أحد خيارين لانقاذ العالم : —

الطريق الأول : هو أن يتغير الغرب ... عبر مراجعته لحساباته وآثار حضارته ...

و يتبع القرآن ليصلح حالهم .

الطريق الثاني : أن يتبع المسلمون المستضعفون قيم السعي والتعاون والعمل العلمي ... لأن الاسلام دين الحياة ... جاء به الرسول الأكرم مبشراً بحضارة إلهية فيها خير الدنيا والآخرة ، وبما أن القرآن الحكيم يعطي المجد والقوة والكرامة لقوله تعالى « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » فلنعتقد بقيمة السعي ... أولم

يقول تعالى شأنه تأكيداً لهذه القيمة « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » (٣٩- النجم) ... ولنعتقد بقيمة التعاون ... أو لم يأمرنا الله عزوجل بهذه القيمة حين قال « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ... ولماذا لا نلتزم بقيمة العمل المنهجي ، والرسول الأكرم يقول « ولكن الله يحب عبداً اذا عمل عملاً أحكمه » (٣)

صحيح اننا مسلمون ... ولكن هل يعني هذا التخاذل والتبرير بالاعتماد على القيم الالهية كتمير الظالمين وغيره ... كلا ... لا بد أن نسعى واقعياً لتغيير هذا الوضع ، وإلا فإن الحرب العالمية الثالثة اذا اشتعلت ، سيتحول العالم كله الى ليل ، لأن السحب الداكنة التي تتكون من الحرائق الهائلة على الارض تحجب نور الشمس ... فيحدث الشتاء النووي الذي تستحيل الحياة معه ... وحسب ما يقول الخبراء فإن (١٠٠) مليون أمريكي سيلقون حتفهم في الدقائق الأولى من بدء الحرب النووية .

(٣)

كيف نغير المعادلة ؟

لن يتسنى لنا تغيير المعادلة الدولية الفاسدة ... إلا عبر المرور الى تغيير المعادلة الداخلية ... أو لم يقل ربنا عزوجل :
« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

(١١/الرعد)

والخطوة الاولى في هذا السبيل هي : —

١ — الثقة بالنفس بداية التغيير.

إن التغيير في العالم يبدأ من مجموعة صغيرة وفئة معدودة ... بل من فرد واحد . اذا ذهبنا الى الغابات رأيت واحة واسعة الارحاء كثيفة الاغصان متعالية الاوراق ... اذا رأيت ذلك لا تعتقد أن هذه القطعة من الأرض نبتت مرة واحدة ... وإنما بالتدريج ... إذ أن شجرة الصنوبر مثلاً كانت بذرة واحدة ولكنها إثمرت وانتقلت الى أن زحفت أفقياً وعمودياً ... ولذا الانسان اذا بدأ بنفسه ونقل الوهج الوضاء في ذاته

الى الآخرين أعطاهم الحيوية والنشاط ... ومن هنا تبدأ مسيرة التغيير ... وهناك أحاديث توصي الانسان بالثقة بنفسه وقدراته .. منها : —

« يقول الأمام علي (ع) (هلك امرؤ لم يعرف قدره) (٤)

و يقول ايضاً (العالم من عرف قدره) (٥)

و يقول ايضاً (من جهل قدره جهل كل قدر) (٦)

٢ — التقوى سند المستضعفين

يقول ربنا عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

القرآن الحكيم في هذه الآية يطالبنا بأعلى مراحل التقوى .. وهذا ما يؤكد «حق تقاته» أي كما ينبغي .. وهذه الآية تتعرض الى نكتة لطيفة فهي تطالب بالتقوى في بعدين : —

أ — البعد المعنوي «حق تقاته» .

ب — البعد الزماني والكمي «ولا تموتن إلا وأنتم مسلمين» .. أي تستمر حالة التقوى في مستواها الارتفاع حتى الموت .

ثم تتعرض سائر الآيات الى بعض القيم .. كقيمة الوحدة بقوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» .

وتطالبنا بقيمة السعي والتحرك حين يقول ربنا «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» .

(٤)

لتكن التقوى جوهر تحركنا

يأتي يوم القيامة ... واذا بالبعض يخيم على وجهه السواد ... بينما يأتي آخرون وجوههم ناصعة البياض كالثلج ... وهذه النتيجة تنعكس على حسب العمل الذي

(٤) نهج البلاغة، حكمة ١١٥٥ .

(٥) نهج البلاغة، حكمة ٣٠٤ .

(٦) غرر الحكم (٢٩٠) .

يقدمه الانسان في هذه الدنيا الزائلة ... فإذا كان الانسان صاحب تقوى وذا تفكير وحدوي يسعى و يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعمل الصالحات ... هذا الانسان يبيض وجهه ... لأن يوم القيامة حساب بلا عمل ... والكل يومئذ يبحث عن مصير نفسه « وانفساه » و يغتم بمشاكله ومصائبه حتى أنه ينذهل عن أقرب المقربين له في هذه الدنيا ... أو لم يقل سبحانه وتعالى مشيراً الى ذلك :

« ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه »

(٣٧/عبس)

« يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .

(١-٢/سورة الحج)

آنذ ... أين المنقذ ... ومن هو حبل النجاة ؟

إنها التقوى ... فإذا كانت التقوى محور تحركنا ساعدتنا على تجاوز المشاكل اليومية ... بل وتزرع في النفوس الحركة النشيطة والحوية المباركة ... أما اذا كانت النبتة غير خالصة ... حتى لو صاحبته موجة من العمل ... فإن هذا الفرد يعود الى ذات النقطة التي بدأ بها ... كحمار الطاحونة الذي يتحرك من نقطة معينة من الصباح الى المساء آملاً في العمل ... رغم أنه يدور في حلقة مفرغة ... ويرى نفسه ليلاً عند نفس النقطة التي بدأ منها ... أي أن الزمن ضاع في جدليات فارغة وأعمال تافهة وخيال وأمنيات دون أي واقع ... وبالتالي يصاب بالانهيار النفسي والتعب ... هذا كله بسبب ضعف التقوى في النفس ... أما اذا كانت النفس مفعمة بالتقوى ... تراها تسير بجهد واجتهاد ومخالفة هوى النفس ... فهو لا ينام إلا قليلاً ، احساساً منه لأهدافه العظمى والمقدسة ... ذات مرة جاء ابن آية الله الشيخ جعفر كاشف الغطاء لينام ... فلما رآه أبوه قال : — ما هكذا ينامون ... وقال له انظر لي ماذا أفعل ؟ جلس على الارض ووضع رأسه بين ركبتيه لحظات وابنه يرتب فراش نومه ... وجلس ، قال يا بني هكذا ينامون .

إن علماءنا الأبرار كانت نفوسهم مليئة بالحياة والنشاط ، فترى أحدهم يكتب (٣٠٠) كتاباً ... وهم يستيقظون ليلاً يستغفرون بالاسحار ... و يواصلون العمل بالنهار ... قلوبهم لاتعير أهمية الى مسائل الدنيا من قبيل الأكل والنوم ... والاحصائيات تؤكد أن أطول الناس أعماراً في المهن هم رجال الدين ... لأن المؤمن لا يهتم بأمور الدنيا ... بل تظلل قلبه سحابة من السكينة الربانية حتى لو كان في أصعب الظروف مثل وقوعه تحت ايدي الجلادين الظلمة ، تراه يقف كالجبل الراسخ لاتهزه العواصف ولا تهده الجبال ... وقد سطر الرساليون من اخواننا المعتقلين في سجون الطغاة ملاحم بطولية بتحديهم الرسالي لكل وسائل التعذيب ... مما أدى الى حرق أعصاب السجانين الذين تحولوا الى مسجونين ...

إن التقوى تساعد على تحمل مشاكل الحياة وصعوبة العمل . والحركات الاسلامية بدورها لا بد أن تتجاوز مرحلة الصراع فيما بينها ... فالهدف هو محاربة الطغاة ... بينما التمزق الداخلي الذي يوجه صراع الحركات فيما بينهما يتعب أبناء الحركة الاسلامية لأنهم يدخلون في صراع الحسد والحقد وغيره ... وبالتالي يقل النشاط ويزداد عمر الطغاة ، على الرغم من أن الواجب على أبناء الحركة الاسلامية أن يتوجهوا الى الهدف الاسمي هو اسقاط الحكومات الباغية واقامة حكم الله ... أما الصراع على وهم الحكم أو وهم القدرة انما هو ناتج من قلة التقوى التي تؤثر على كثير من الاعمال ... ترى الانسان يراثي بعمله ... ولا يعمل بعيداً من الشهرة ، على الرغم من أن العمل البعيد عن الشهرة والاجواء أئمن عند الله سبحانه وتعالى .

« انما يتقبل الله من المتقين »

ابعاد حضارية

بسم الله الرحمن الرحيم

«يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً * إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً * ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً *»
صدق الله العلي العظيم

(سورة الاحزاب / ٧٠ - ٧٣)

حين تعيش أمة من الأمم ظروف المحنة والصعاب، حيث تتراكم عليها المآسي وتحيط بها المشاكل، عليها في هذه الحالة أن تستخرج معادنها الخيرة، وتبلي سرائرها الطيبة، وتضع على المحك كل امكاناتها وطاقاتها، بل وتراجع نفسها وتاريخها، وتعيد النظر في أفكارها ونظرياتها. وأنذ ليس فقط تستطيع هذه الأمة أن تتجاوز ظروف المحنة، وانما أيضاً أن تحولها الى مدرج من مدارج الكمال، ومنطلق من منطلقات التقدم والرقى .

وقد نجد أمة تواجه محنة وتقر بظروف صعبة فتتلاشى وتنتهي . بينما نجد أمماً أخرى حين تواجه المحن، تخرج منها اصلب عوداً، وأشد عزمًا .
وهنا يأتي السؤال : لماذا نجد بعض الأمم تستفيد من المحن، بينما نجد الأخر تنهار أمامها ؟

قبل ان نجيب على هذا السؤال، لابد أن نعرف أن هناك حقائق نستطيع أن نسميها بالحقائق الحضارية لطبيعة الدور الذي تلعبه في حياة الأمم . وهذه الحقائق

تختلف عن القضايا السياسية الطارئة .

والناس عادة حينما ينظرون الى الأحداث، لا يرون إلا الظواهر التي هي معلولات. ولا يتعمقون الى الحقائق التي هي العلل.. ينظرون الى ظاهر الحياة الدنيا وهم عن واقعها غافلون.. يستمعون الى البيانات العسكرية حينما تندلع حرب بين دولتين، و يقيّمون هذه الحرب بمدى كثافة نيران هذا الجيش أو ذاك ، و بقوة المدفعية والطائرات، و بعدد الجنود وطبيعة تدريبهم .

وعادة يكون هذا التقييم خاطئاً لأن من ينظر الى الظواهر، لا يمكن أن يكتشف ماوراءها من حقائق .

فمثلاً: في الحرب العالمية الثانية، كثير من البسطاء في العالم، توقعوا انهيار الحلفاء أمام دول المحور — المانيا قبل التقسيم، و ايطاليا واليابان — وسيطرت دول المحور على العالم .

وسبب هذا التوقع أنهم نظروا الى ظاهر قوة المانيا التي كان يقال عنها أنها لا تقهر، بفضل أسلحتها الجديدة، وكفاءة جيشها وأنضباطه .

لكنهم في الحقيقة غفلوا عن حقائق آخر كانت أهم، والتي كان لها الدور في تغيير مسار الحرب فيما بعد . كمكرب بريطانيا تلك الدولة التي وان غابت الشمس عنها، إلا أنها كانت قادرة بمكرها وحيلتها الثعلبية أن تدخل أمريكا في الحرب، بالرغم من بعد أمريكا آلاف الأميال في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي .

أنهم لم ينظروا الى الأماكن الكامنة في الشعب الأمريكي، ذلك الشعب الحديث العهد بالعالم، والذي كان يبحث عن دور في هذا العالم الواسع .

ثم لم ينظروا الى امكانات الشعب الروسي المقاوم، وقدرته على الصمود أمام الغزو الأجنبي . لذلك كانت توقعاتهم خاطئة وأنتهى الأمر بالمانيا ودول المحور أن تنهزم أمام الحلفاء .

ان قدرة الشعب على الصمود أمام المشاكل، وعناده في مواجهة التحديات، والأماكن الكامنة فيه، والثقافة التي تقوده، وطبيعة القيادة التي توجهه، هي مقياس أنتصار الشعب أو هزيمته . وهذه الحقائق عادة لا ترى، لذلك يخطأ المحللون لنتائج

الحروب .

الحرب البعثية الاسلامية والتوقعات الخاطئة :

وأمامنا اليوم هذه الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية . فقليل من المحللين في العالم ، سواءاً العسكريين منهم أو السياسيين ، كانوا لا يتوقعون تطور الحرب بهذا الاتجاه . إنما كانوا يزعمون بأن الجيش المنهار والحكومة الناشئة والشعب المشتت الأهواء ، سيكون سبباً لاستسلام القيادة الاسلامية أمام ضغط الحرب التي بدأها صدام بـ (٤٥) لواءً مدجج بالسلح ، ومتهيء للحرب ، وبضمانات دولية قدمها الأستكبار للنظام البعثي .

بينما الذي حدث هو العكس تماماً . والسبب هو أن هؤلاء المحللين أخذوا القلم وبدؤا يسطرون عدد الدبابات والألوية ، وطبيعة التدريب والأسلحة ، وطبيعة الأحزاب الموجودة ، وأخذوا يتعاملون مع الأرقام وكأنهم يتعاملون مع النخيل في البصرة . أنهم كانوا يتعاملون مع البشر ولكن بمقاييس الجمادات والنباتات ، لذلك أمسى تحليلهم تحليلاً سخيفاً يضحك منه المؤرخون غداً .

ولكي تتحققوا من الموضوع ، راجعوا الصحف العربية التي صدرت في تلك الأيام — بداية الحرب — ، وقيّموا كيف كان رجال السياسة يتوقعون ، وكيف أنتهى الأمر . لأنهم لم يدرسوا ما ورائيات الحرب ، ولم يعوا طبيعة الشعب المسلم في إيران ، وطبيعة ثقافته وقيادته ، وطبيعة إيمانه بهذه القيادة ، وعناده في مواجهة التحديات .

من هنا نعرف بأن وراء ما يسمى بالقضايا السياسية الظاهرة ، حقائق حضارية كامنة . وإذا اردنا ان نكون حكماء ، فلا بد أن نتوغل في عمق هذه الحقائق لا لكي نفهمها فحسب ، وإنما لكي نستخر الحياة لأهدافنا المشروعة .

وهنا اعود واتساءل .. ما الذي يجعل أمة تنهار أمام محنة بسيطة ، وأمة أخرى تتصلب أمام محن متتالية وصعبة ؟

لماذا أنهارت كثير من الدول في آسيا امام الغزو الأجنبي ، كالهند ذات الأربعمئة مليون نسمة ، والصين ذات السبعمئة مليون نسمة . بينما نجد شعباً صغيراً نسبياً ، متواضع في موارده ، محدوداً في قطعة من الأرض ، وهو الشعب الياباني ، خرج من

الأزمة وهو اشد وطأة واوى وأعز؟

وبالمناسبة أورد تصريحاً نسب الى الرئيس الأمريكي نشرته إحدى الصحف العربية ، أنه قال : أن علينا ان نلتحق باليابان تكنولوجياً ، وبالائحاد السوفياتي عكسرياً !

أقوى دولة اقتصادية تمنى لو تلتحق باليابان في تطورها التكنولوجي !

لماذا نرى شعباً منبوذاً كالشعب الصهيوني الذي أجمع ابناءؤه من شرق الأرض وغربها ، والذي يعاني من عدم التجانس والأنسجام ، ويعيش التصارع الى أبعد حدوده ، قد استطاع أن يكون له دولة في قلب العالم الإسلامي ، والتي استعبدت (الف مليون) مسلم بعبديتها وعدوانيتها .

وهذه الدولة استطاعت أن تثبت نفسها ، وان تتقدم تكنولوجياً ، وتصنع طائرات (كفير) المتطورة ، وتصنع مايقارب المئتي من الرؤوس النووية ، وتستخدم تطوراً نووياً خاصاً بها .

وفي المعرض الزراعي الذي اقيم في اسرائيل قبل شهرين ، شارك فيه الكثير من وفود الدول العربية ، واشترت اضافة للمنتجات الزراعية ؛ التكنولوجيا ، حيث تعاقدت مع الشركات الاسرائيلية على نقل التكنولوجيا الزراعية الى بلادها .

ومن الطبيعي كانت وفود مصر والاردن والمغرب هي الوفود الظاهرة . ولكن هناك وفود لدول عربية شاركت هي الأخرى كما قالت وكالات الأنباء .

الشعب الاسرائيلي ايضاً تعرض الى حروب ، وكما يقول القرآن الكريم : « ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون » ، فالحرب حرب بالنسبة اليك وبالنسبة الى عدوك . دمار ؛ تشريد ؛ قتل ؛ خسائر ؛ تضحيات . ولكن كيف تخرج الدول العربية من الحرب مهزومة وتوقع مصر على صك السلام ويخرج الصهاينة منتصرين .

وحتى الآن لازالت مصر وبعد توقيع معاهدة الأستسلام ، مديونة ب (٣٦) مليار دولار ، وهي تعيش أزمات اقتصادية متنامية .

في عام (١٩٧٤م) كانت مصر من الدول المصدرة للمواد الغذائية ، أما الآن فهي ليست فقط من الدول المستوردة للمواد الغذائية ، وانما لا تملك الأموال لشراء مايسد

حاجاتها من المواد الغذائية .

هذه الدولة خاضت الحرب ، وتلك ايضاً خاضت الحرب ، ولكن تلك خرجت قوية ، وهذه منهزمة ضعيفة !

قد تقول بأن اسرائيل ارتبطت بامريكا ، واقول لك : ومصر ايضاً ارتبطت بامريكا . وفي هذه الأيام ستجري مناورات مشتركة بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية وقبل عدة أشهر ايضاً جرت مناورات مشتركة بين مصر والولايات المتحدة الامريكية .

قبل ايام وفي ذكرى حرب اكتوبر، اقيمت مناورات في مصر كان من ضمن الجالسين في منصة الاستعراض بعض الخبراء والمسؤولين الأمريكيين ، والذين لم يكتشف الناس تواجدهم في مصر إلا بسبب الصاروخ الذي اطلق على منصة الأستعراض فأخطأها .

ان اليابان احتلت ولا زالت تحت الاحتلال ، حيث لا تزال الولايات المتحدة الامريكية تحتفظ بقوات في اليابان . كذلك المانيا الغربية ودول اخرى ولكن مع ذلك نرى الى اين وصلت اليابان .

ونحن نعلم « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها » ولكن كيف يمكن لشعب أن يتحدى هذه السنة ؟ بالطبع لا يتحداها إلا بسنة الهية اخرى حين يقول ربنا سبحانه وتعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

المشكلة هي الغفلة عن الحقائق .

نحن حين تلقنا أمواج الاخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ونعيش في دوامة الاحداث اليومية ، نغفل عن حقائق الأمور ، وهذه هي مشكلة الانسان .

فالانسان حين ينشغل بالظواهر عن الحقائق ، فكأنما يقول لنفسه : أنا لست مسؤول عما يجري ويحاول تبرير واقعه وانهزامه . وحينما يُسأل : لماذا انت منهزم ؟ يقول : الدولة الفلانية عندها قوة وهي مرتبطة بمعاهدات دولية وأنا ليس عندي قوة ! وأن الشرق والغرب لا يسمحو لي !

الثقافة هي السبب ..

ان السبب الحقيقي للغفلة هي نسوع الثقافة . فلو كانت ثقافة الأمة ثقافة التحدي والهجوم والمبادرة ، ثقافة تعطيها الايجابية والتفاؤل ، ثقافة الوحدة والتعاون ، فان هذه الأمة لا تزداد مع مرور الزمن إلا علواً ، ولا يمكن لأية محنة أن تهزمها ، بل هذه الأمة ستكون قوية الى درجة تتجاوز بها المحن وتصنع منها انتصارات .

اما لو كانت الثقافة ثقافة التبرير ، ثقافة تجعل كل فريق يلقي اللوم على الفريق الآخر ، ثقافة محتواها السلبية والتشاؤم ، فلن يكون مصير الأمة سوى الهزائم المتتالية . ويأتي البعض من ضعاف الأيمان و يبرر واقعه وانهزامه فيقول : ان الهزائم كانت دائماً حليف المؤمنين .

ويستشهد على كلامه بحياة الرسالين عبر التاريخ ولا يأخذ منها إلا جانب التضحية والتشريد والقتل ، و ينسى ان قوام الدين انما كان بسبب تلك الدماء الزواكي .

انه لا ينظر الى جانب الانتصار الذي يحدثنا القرآن عنه : انتصار آدم على ابليس ؛ وانتصار ادريس على طغاة عصره ؛ وانتصار نوح على الكفار ؛ وانتصار ابراهيم على نمرود ؛ وموسى على فرعون وعيسى على الطغاة وبالتالي انتصار نبينا محمد (ص) .

هؤلاء جميعاً نصرهم الله ، وهم كانوا قدوات الأيمان والصلاح ، وكيف لا ينصرهم الله وهو القائل في كتابه : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

ماذا تعني هذه الآية ؟ هل تعني أن على الانسان ان يصلي و يصوم ثم ينهزم ؟ !
« ونريد أن نمنّ على الذين أستضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين » .

هل يقول لنا ربنا في هذه الآية أنكم كتب عليكم الأنهزام !
ان الثقافة السلبية هي ثقافة التفرقة ، والتي تعني ان اسلحتنا موجهة الى اجسادنا بدل ان نوجهها الى اعدائنا . لذلك تجددنا حينما نواجه المحن ، لا نخرج منها اسوداً .

الحركات الاسلامية في مواجهة المحن

وهنا يبرز دور الحركات الإسلامية . فالحركات الإسلامية حركات رسالية حضارية قبل أن تكون سياسية . فهي تسعى لتغيير شيء في داخل الانسان وهو ثقافته . أن هدفها ليس الوصول الى الحكم ، وحتى لو وصلت الى الحكم فأنها إنما تريده من أجل أهدافها الحضارية . فما فائدة حكمها لو بقيت الثقافة الجماهيرية ثقافة سلبية تدعو الى الاختلاف والى الانطواء والانزهاض أمام المشاكل .

كثير من الناس — في ظني — سعوا الى النصر بنيات صالحة ، ولكن حينما رأوا الحكم يعني تحدي المشاكل ، وهذا لا يمكن ان يحققه الحاكم بمفرده من دون مساعدة الآخرين ، وحينما كان الآخرون سلبيين ، وجد الحاكم نفسه قد تورط في بحر المشاكل الى اذنيه .

من هنا فان وجود حاكم صالح بذاته من دون وجود الأرضية التي يعتمد عليها في تطبيق مناهجه ، فانه لا ينفع شيئاً . بل ربما سيكون الحال أمر لو لم يكن هذا الرجل الصالح حاكماً ، لأنه في حالة الحكم ، سوف لا يكون دوره اكثر من ان يوقع على سلبيات الآخرين ، و يكون مظلة لسلبياتهم .

انظروا الى عبد الناصر الذي جاء بالشعارات الرنانة : سوف نعمل في مصر جنه .. سوف نلقي اليهود في البحر ، ولكنه حينما جاء الى الحكم ، اذا به يحول مصر الى دولة مخابرات لم يسلم هو شخصياً منهم ، ومن دولة المخابرات تحولت مصر الى دولة الهزيمة .

ورأينا في عام (١٩٦٧) وفي هجوم واحد أنهار كل شيء واعترف الرجل واستقال . بالطبع .. قليل من الناس كانوا يعرفون الاسباب الخفية وراء هزيمة حزيران ، وسموا هذه الهزيمة بنكسة ، ولكن اي نكسة هذه التي بقيت من عام (٦٧) الى (٨٦) م . ان النكسة تعني ان الحرب كرّ وفر . أما حرب حزيران كانت هزيمة وكان سببها دولة المخابرات التي شكلها عبد الناصر .

لا بد ان تصنع المنهج السليم والثقافة السليمة . والانسان السليم والأمة المؤمنة . والحقائق الحضارية على الارض اولاً ثم تحكم بها وفي هذه الحالة ، حتى اذا ذهبت انت وجاء حاكم آخر فانه سيحكم في الاتجاه الصحيح . لأن الظروف حينئذ ستكون صالحة

والمؤسسات نظيفة .

وهنا ليس المهم من يحكم — أنا أو أنت — لأن هذه المؤسسات تستطيع ان تدير البلد بأفضل ما يكون .

الحركات الاسلامية لا بد ان تعرف بان الاسس التي تضعها اليوم في تعاملها مع بعضها ومع الحياة ، وفي تربيتها الكوادر والجماهير ، في بث الثقافة الايجابية المتفائلة في الأمة ، هي التي تستطيع غداً ان تستفيد منها . لأن الأسس اذا كانت سليمة ، فإن حكمها — اي الحركات الاسلامية — هو الآخر سيكون سليماً . اما اذا كانت الاسس خاطئة . فلا نستطيع غداً ان نحكم بالخير وان كان على رأس النظام رجل صالح ، فمجرد صلاح الرأس أو مجموعة مسؤولين لا يقضي بصلاح المسيرة ان لم يكن هناك تغيير جذري في المجتمع وفي ثقافته ومؤسساته .

لذا على الحركات الاسلامية ان تثبت بانها البديل الافضل بين سائر البدائل عن النظام الحاكم . وان لم تثبت الحركات الاسلامية قدرتها على تجاوز سلبيات الامة ، وقدرتها على خلق الواقع الجديد والمتطور ، فانه سوف لا يؤمن بها احد .

في العراق .. واجبنا تجاه المحن .

دعنا نتحدث بصورة اوضح ونأخذ مثلاً من واقع الشعب العراقي الذي هو في نفس الوقت يعتبر قضية وعبرة لسائر الواقعيات .

اذا لم تستطيع الحركات الاسلامية في العراق ان تذوّب الفوارق العرقية بين الكردي والعربي وسائر الاقليات ، ولم تستطيع ان تتجاوز الفوارق الطائفية بين السني والشيوعي ، ولم تستطيع ان تذوّب الافكار المختلفة في بوتقة واحدة ، فان الغد سيكون عسيراً جداً .

طبعاً .. الاختلاف طبيعة الحياة ، فلا احد يستطيع ان يقول انا لا اعمل الا مع الذي يكون مثلي . هذا لا يمكن لأن الله سبحانه وتعالى خلق الناس شعوباً وقبائل « وجعلناكم شعوباً وقبائل » « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

اننا اذا لم نوسع صدورنا اليوم لاخواننا المناضلين لهذا النظام الفاسد والمشاركين معنا في المآسي والظروف المحيطة فلن يمكننا غداً ان نقود العراق .

ان وحدة المآسي ، وحدة عظيمة وأصرة قوية يجب على الحركات الاسلامية في العراق ان تستغلها وتوظفها في صالح القضية المصيرية التي نعيشها في جهادنا ضد النظام الحاكم في العراق .

اننا اليوم يجب ان نتجاوز اشكالاتنا ، لكي غداً حينما نواجه الصعوبات نستطيع ان نواجهها بقلب واحد وبيد واحدة واذا لم نتفق اليوم مع قلة المشاكل ، فكيف سنتفق غداً مع كثرة القضايا واختلافها ؟ !

اننا نحن الآن متفقون على الاولويات وعلى الحقائق ولكن غداً من سيضمن اتفاقنا عليها ، لأن غداً سنواجه حين الحكم قضايا كبيرة وكثيرة .

الفتح الأول .. تطور لصالح القضية .

من جهة اخرى — ايها الأخوة — .. ما جرى في الفترة الاخيرة في شمال العراق كانت تطورات ايجابية لمصلحة الشعب المسلم في العراق ، سواءً في الشمال أو في الجنوب .

ان تشتبك قوات عراقية في هجومها على مراكز البعث مع القوات الاسلامية وتكتسب انتصارات في اكثر من موقع ومنطقة هذه قضية رائعة .

ولكننا كنا نأمل ان تتطور الاحداث الى ما هو الافضل ، وكنا نأمل لو ان الحركات الاسلامية تجدها المواقع الامامية في مثل هذه المعارك . كنا نأمل لو أن التعاون بينها وبين الجمهورية الاسلامية كان امتن واثق وافضل ، وان تكون (سبع سنوات) من تواجد هذه الحركات على ارض الجمهورية الاسلامية كافية لنموها بل لتصاعدها ونمو قدراتها العسكرية والاعلامية والسياسية لتتصدى لهذا النظام . وكنا نأمل لو ان كل المعارضين للنظام يتوحدون تحت راية واحدة يجارون بظلمها نظام البعث في بغداد . ان هذه الآمال لم تتحقق مع الأسف . ولكن لا يعني انها لن تتحقق بالمرّة ، فنحن نرجو من الله سبحانه ان تتحقق .

الثورة: تغيير حقيقي لا ترف وأتكال .

اننا يجب ان نقيم الاحداث ، وهذا التقييم هو الذي ينبغي ان يكون رائدنا لتحليلات سياسية ناضجة وحكيمة .

القضية قضية تغيير حقيقي . لعل الواحد منا يتصور خطأ ان القضية ليست مرتبطة بأفراد الحركة الاسلامية الرسالية في العراق او في اي بلد آخر و يقول : انني أدبت واجبي !! وعلى الجمهورية الاسلامية ان تدعمني وتنصرني وتعطيني امكانات و .. و .. لكي اتحرك ، ولكن بتصوري ان هذا نوع من التبرير ونوع في الثقافة السلبية التي ابتليت بها أمتنا .

الجمهورية الاسلامية في ايران انما انبثقت بفضل الحركة الاسلامية في ايران في يوم لم تكن هناك دولة أو جهة تدعمها ، انما توكلت على الله سبحانه وتعالى ، وفجرت طاقاتها واعتمدت على جماهيرها وبالتالي انتصرت باذن الله .

وانت ايضاً — المنتمي للحركة الاسلامية وللثورة الاسلامية في العراق — اعتمد على الله ، فجزر طاقاتك وبأمكانك ذلك ، لان الله سبحانه وتعالى لم يجعل الانسان محكوماً بأرادة انسان آخر . ان الله اعطى الانسان حريته في الدنيا وضمن وكفل له هذه الحرية . لذا بإمكانك ان تتحرك .

ان المبادرات الشخصية والتحفز الشخصي والاندفاع الذاتي لكل واحد منا هو الذي يساهم في تطوير الحركة الاسلامية لأن الحركة في مجموعة افراد ، كل واحد منهم اذا اندفع ذاتياً ، وحرك نفسه وفجر طاقاته ، يأتي النصر . وهذه الحالة الروحية هي التي تجعل الحركة الاسلامية حركة حضارية .

في الحرب العالمية الثانية جاء رجل الى هتلر واعطاه تقريراً كان قد اعده قال له : اقرأ هذا التقرير فلو اقتنعت به ، أمر بتطبيق المشروع الذي يتضمنه وسوف يتغير اتجاه الحرب لصالحك . اخذ هتلر التقرير ولأنشغاله بمتابعة المعارك العسكرية ، لم يقرأه ولم يهتم به ، وبعد الحرب قال السياسيون بانه لو كان هتلر قد قرأ هذا التقرير وعمل بما يتضمنه لكان مصير الحرب قد حسم لصالحه ، لأن كاتب التقرير كان ذلك الرجل الذي سمي فيما بعد بـ (أب القنبلة الذرية) ، وكان قد اقترح على هتلر تخصيص مبالغ لصنع القنبلة الذرية .

انني استوحي من هذا المثل فكرة ، انه مبادرة انسان لصنع قنبلة ذرية يغير مصير الحرب . وفعلاً ففي الولايات المتحدة الامريكية بسبب صنع القنبلة الذرية ايام الحرب ،

استطاعت الولايات المتحدة ان تهزم اليابان .

قد يمكن لانسان واحد من ابناء الحركة الاسلامية ومن ابناء الثورة الاسلامية ان يبادر الى عمل أو مشروع أو يطوّر فكرة في اي مجال و يغيّر وجه التاريخ .
ان الله سبحانه وتعالى حينما يبين لنا في سورة الاحزاب نتائج الحرب ، يبين امانة الله على الانسان و يقول : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبىن ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » . فكل واحد هو حامل رسالة ومسؤولية ، لا بد ان يؤدي دوره ، ولو تعمقنا فيها والتزمنا بها لتمكنا من صنع الكثير .

اننا نرجو من الله سبحانه وتعالى ان يوفق ابناء الحركة الاسلامية أنى كانوا ، وفي اي منطقة ليلتفتوا الى هذه الحقيقة : توكلهم على الله ، وتفجيرهم لطاقتهم الذاتية ، وتربيتهم للاجيال ، وثقيفهم للناس بالثقافة الايجابية ، وهذا هو الطريق الصحيح لتغيير وجه التاريخ للانتصار ، ومن ثم الوصول الى المكاسب الحضارية للامة .

المؤسسات الذاتية

— بسم الله الرحمن الرحيم

« حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم * أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ان كنتم قوماً مسرفين * وكم أرسلنا من نبي في الاولين * وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون * فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الاولين * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم * الذي جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون »

صدق الله العلي العظيم

(الزخرف / ١ - ١٠)

(١)

التوازن النفسي بين الاخذ والعطاء

إن التطابق الكامل للعقل الانساني مع الوحي الالهي .. هو دليل واضح على أن وحي الله حق .. خصوصاً وأن الانسان يتعرض لموجات متتالية وعنيفة من المؤثرات المادية والضغط المختلفة والتي تنعكس عليه بشكل طبيعي نحو الحب أو البغض أو الطموح في الوصول الى منصب وعدم الرضا بحالة ما ، والشيطان بدوره يقوم بدور خبيث في تأجيج مستوى بعض الامواج المتلاحقة بسبب المؤثرات والضغط ، يجعل بعضاً منها عنيفاً وقوياً يؤثر عليه في سلوك خط معين .. فمثلاً كل الناس يحبون العيش في رفاة وسعادة .. ولكن الشيطان يهزم في قلب الانسان ويدفعه للكذب والغيبة والسرقمة من

أجل الوصول الى الرفاه .. مع ما يرافق ذلك من تحريف لمسيرة الانسان من مسيرتها الصحيحة الى مسيرة متعرجة منحرفة ..

ومثال آخر بالنسبة لحالة الجذب والعطاء عند الانسان ، باعتبار أن كل انسان يمارس هذين الدورين في أغلب عملياته الحياتية .. فهو يتنفس الاوكسجين .. ويأكل الطعام .. ويتناول الشراب .. ويتعرض لمجموعة من الاشعة المفيدة للجسم عبر الدفء مثلاً .. ثم أن هذا الانسان نفسه يسعى ويتحرك ليصرف من طاقته في مجال العطاء .. هذا المثال المادي المحسوس ينطبق على روح الانسان أيضاً .. فكما تشتهي شيئاً .. فهي تحب ان تعطي أيضاً، .. لان لذة العطاء في كثير من الاحيان تساوي لذة الاخذ .. والدافع الذي يحمل الاب الذي يقطع الفيافي ويركب الاخطار ويتوغل في المشاكل لتوفير طعام لعائلته ومسكن لاهله ، إنما هو إحساسه بأن لذة العطاء تفوق لذة الاخذ بأضعاف مضاعفة .. حتى أنه لا يهنا في أغلب الاحيان بطعامه وشرابه ، دون أن يرى أطفاله حوله ، إن شعور هذا الاب بلذة العطاء والاخذ جار على روح الانسان التي تحتاج الى مثل هذا التوازن .. ولو وفرت لشخص ما جميع أسباب الراحة والسعادة ، ولكنه سجن في غرفة تمنعه من التحرك .. فانه سوف لن يذوق طعم السعادة ، باعتبار ان العطاء هو جزء مكمل لسعادة الاخذ ، بمعنى أن الاخذ وسيلة للعطاء ليس إلا .. وكذلك بالنسبة للسيارة الجديدة التي تعتبر آخر ما توصل اليه مصمموا السيارات .. لو وضعت مهيشة بأدوات السير مشحونة بالوقود في كراج مغلق .. سوف لن يستفيد منها أحد على الاطلاق لانها أخذت دون أن تعطي .. وكما الامثلة المادية التي تسعد بالعطاء أيضاً ، هناك روح الانسان .. فالمجاهد في سبيل الله الذي ينتقل بين خنادق الحرب ، ويسكن في مطامير الجهاد .. ويطوي مسافات طويلة للعمل الخالص .. يحس بلذة العطاء أكثر مما يحسها القاعد في بيته الذي ينحصر تفكيره في حدود بيته دون أن يعيش أهدافاً بعيدة ومحددة ، على رغم أن المجاهد حسب المقياس الفيزيائي والمادي يساوي سائر أفراد البشر .. لكنه بملاحظة ما يحمل في نفسه الكبيرة من طموحات وتطلعات ، هو عالم واسع وعظيم ، بالمقياس الى ذلك الرجل القاعد والمتأطر بحدود ضيقة للغاية .. وقد أكد الامام علي (ع) وفاطمة الزهراء والحسنان على ذلك حينما دفعوا طعام افطارهم ورزقهم

الوحيد الى الفقير والاسير والمسكين على أن اللذة التي يشعر بها المضحى هي أكثر بكثير من لذة الحالات العادية .. والسبب راجع الى أنها لذة إيثار الانسان .

إن حالة توازن الانسان النفسي بين جانبي الاخذ والعطاء .. يحس بها ضمير الانسان وعقله ، لانها جزء من طبيعته ومن وجوده وكيانه .. و يؤكد الوحي الالهي على أن نجاح الانسان وفلاحه يكون بايثاره :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »

أما الذي يشبع بطنه .. دون أن يشبع جوعة العطاء في نفسه .. لا يحس بطعم الراحة .. ويمكن للانسان أن يجرب هذه الحالة عملياً .. ففي ليلة ما يأخذ ديناراً واحداً من رجل آخر بطريقة شرعية ، وفي ليلة أخرى يعطي نفس الدينار الى رجل فقير .. وسوف يرى — بعدئذ — أنه يرتاح في الليلة الثانية أكثر من الاولى .. إن العلم الحديث يؤيد هذه النظرة حين يقول : ان الانسان بعد أن يمتص اللذات ، يراوده احساس بالكآبة ، بينما من يتحرك يشعر بنشاط واضح يعطيه التفاؤل والامل .. ولذا فان القرآن الحكيم يهبط بتعاليمه الخيرة لكي ينبه العقل ، و يوقظ الصفات الخيرة في ضمير الانسان ، لا سيما وأن الشيطان عادة يسعى الى تضخيم جانب ما عند الانسان لكي يخدعه .. فتضخيم حالة الاخذ ، وإضمار حالة العطاء .. يجعل الانسان يميل نحو الشعور بلذة الاخذ أكثر ، نظراً للخسارات الظاهرية التي يصورها الشيطان بأنها ضريبة سفروضة الدفع .. في الوقت الذي يُنسي الانسان ان العطاء انفاق في سبيل الله وتجارة معه ولذة في الحياة .. ومن هنا فان نزول الوحي إنما يكون لايقاظ العقل ووضعه في حالة توازن .. ومن ثم دفعه في الاتجاه الصحيح .. و يشير القرآن الحكيم الى ذلك بقوله :

« حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »

إذ يقسم سبحانه وتعالى في البداية بالقرآن وما يحويه من حقائق .. و يقول ان العربية لغة للافصاح والتوضيح .. وقد ورد عن الامام الصادق (ع) ان الله سبحانه وتعالى أنزل رسالاته وكتبه باللغة العربية .. إلا أنها كانت تقع في مسامع النبيين بلغات أمهم .. ولكنها وقعت في مسامع نبينا الاكرم محمد (ص) باللغة العربية ، وهذا تشریف للنبي .. وتعظيم للرسالة الخاتمة المهيمنة على الرسالات جميعاً . وبعد القسم تؤكد الآيات

المتقدمة بصائر هامة نستنتجها من (لعلكم تعقلون) وهي :

١ - العقل مادة الانطلاق :

أن هدف القرآن الاساسي هو أن يعقل الانسان ما يجري في الكون .. بيد أن من لا يعقل القرآن .. ولا يحوله الى غذاء روحي ، ومادة لتفجير الطاقات الفكرية .. لا يطلق عليه منتفعاً بالقرآن ، كونه قرأ القرآن هزيمة دون ادراك آياته ومعانيه .. ولو أنه قرأه بتؤدة ، متوقفاً عند آياته ، متدبراً في كلماته وحروفه .. مطبقاً لتعاليمه على نفسه ومجتمعه .. ماضيه وحاضره ، لاستضاء بنور القرآن في دربه الطويل ، خصوصاً وأن نور القرآن ينعكس على الانسان ، لكي ينظر الى الطبيعة من خلال القرآن ، بخلاف الذين لا يعتبرونه هدى وبصيرة ورؤية وموقفاً .. فانهم لا يحققون الهدف الاسمي من القرآن وهو إيقاظ العقل من سباته ، واستثارة دوائه الفكرية وكوامنه العقلية من ركام الانحرافات والاساطير والشهوات ، واستخراجها للاستفادة منها في الاضاءة .

٢ - مطابقة العقل للوحي :

حين لا يطابق العقل الوحي ، أو العكس ، ينبغي الوقوف عند هاتين الحالتين مع شيء من التأمل والملاحظة ، لان العقل يسير بطريقة نحو الوحي .. وهذه الرواية تؤكد على ذلك :

جاء رجل الى رسول الله (ص) وقال : أنا أعيش في البادية ، وأريد منك كلمة واحدة .. ليكون لي فيها الخير في الدنيا والآخرة ، فقال له الرسول : أقبل .. فأقبل ، ثم قال : أدنو .. فدنى ، ثم قال : إقترب .. فاقترب .. فوضع الرسول (ص) يده المباركة على قلبه وقال : يا هذا ما أمرك هذا فاعمل به .. وما نهاك فانه عنه .

فالعقل يأمر بالوحي .. والوحي يوقظ العقل .. وهما متفقان ، ولذا يقول الامام الكاظم (ع) :

« ان لله على الناس حجبتين : حجة ظاهرة ، وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل

والانبياء والائمة عليهم السلام ، وأما الباطنة فالعقول» (١)

ثم يقول سبحانه وتعالى :

« وأنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم »

إذ ينبعث من اللوح المحفوظ عند الله سبحانه وتعالى وسائر الكتب الالهية من صحف ادريس وتعاليم نوح وزبور داود وتوراة موسى وانجيل عيسى .. لكن القرآن الحكيم هو الكتاب الام .. وهو علي حكيم بالنسبة لسائر الكتب في اللوح المحفوظ .. وعلى رغم أن هاتين الصفتين من صفات الله عزوجل — إلا أنه أعطاها للقرآن — فما هو سر هاتين الصفتين ؟

نجيب على هذا السؤال في الفقرة الثانية .

(٢)

الأمة الاسلامية .. نحو العلوّ والحكمة

إن التزام المجتمع الاسلامي بتطبيق أحكام القرآن .. كفيل بعلوّ وحكمته ، ذلك أن علوّ القرآن وحكمته تنعكس على الامة الاسلامية لتجعلها خير الامم من جانب الحكمة والعلو .. ومن هنا فان الامة التي لا تسمو ولا تعقل ليست باسلامية ولا قرآنية .. لان اتباع القرآن يورث هذه الصفات ، فالايان رمز العلو .. والعلم رمز الحكمة ، وهذان الشرطان من ركائز المجتمع الاسلامي الذي لا بد أن يسير نحوهما . إذ أن الايمان يعطي الاستقلال والطموح والسعي والتضحية والاستقامة على الطريق ، والعلم يوفر الهدى وبصيرة التحرك ، إن هذين الشرطين يؤثران بشكل كبير في مسيرة المجتمع الحضارية .. فلو ملك مجتمع متخلف الايمان ، لبانت آياته على جوانبه بشكل تقدم حضاري ورخاء اقتصادي ، لان الايمان يدفع للعمل الجدي بشكل دائم .. ولذا فان الفرص ينبغي أن تستغل أحسن استغلال .. وفي هذا يقول الامام علي (ع) :

« ما من فراغة لابن آدم .. إلا وأعقت ندماً يوم القيامة »

(١) بحار الانوار، جزء (١)، ص (١٢٧).

ان من بعض أسماء يوم القيامة ، أنه يوم الحسرة ، فالكفار يأكلون أياديهم و يقرضونها قرصاً .. وكذلك المؤمنون يتحسرون حين يرى كل منزلة الشخص الآخر الذي كان معه في نفس الخندق .. ولكن الجواب يأتيه .. بأن ذلك المؤمن عمل لله أكثر منه .. فحفظ بعض آيات القرآن .. وأرهب نفسه للعمل الدؤوب . وقام الليل متهجداً .. وتابع نهاره بنشاط وإرادة فولاذية .. ومن هنا فان آثار الايمان تفرض أن لا تكون الامة المؤمنة أمة مستهلكة .. بقدر ما هي أمة تأكل من ثمرة انتاجها ، وتصنع احتياجاتها معتمدة على النشاط والطموح العالي .. ولكن المسلمين الآن يعيشون أزمة تخلف واضحة ، فصناعاتهم مستوردة ، وزراعتهم بدائية ، وسائر حياتهم المعيشية معتمدة على الغرب .. في الوقت الذي يقدررون فيه على العمل المخطط وبتفكير صائب للوصول الى مرحلة من التقدم الصناعي وبالتالي في الاعتماد على النفس .

(٣)

طريقنا .. نحو التقدم

في فترة صراعنا الحضاري مع أعداء الدين .. نحتاج الى قضيتين أساسيين :

١ - الطموح :

ان طموحاتنا العالية تستطيع أن تقودنا نحو المراكز العليا والاعمال الكبيرة .. بالطبع مع مراقبة العمل الجاد لهذا الطموح .. لان الله سبحانه وتعالى يقول :

« وأن ليس للانسان إلا ما سعى »

(٣٩ - النجم)

٢ - التغيير الاجتماعي بداية التقدم :

ان صراعنا مع الاعداء لا يمكن أن يكون عن طريق السياسة أو استخدام السلاح فحسب .. بقدر ما هو راجع في الاساس الى الحسم في الحقل الاجتماعي ، وتأكيداً على هذه الفكرة يقول تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

(١١ - الرد)

إن التغيير يبدأ من النفس .. الى المجتمع .. ولذا القرآن يركز في الآية المتقدمة على كلمة (قوم) أي مجتمع كامل ، فاذا تبدلت أخلاق المجتمع وقيمه وهيمته .. فانه سوف يبدأ رحلة النهضة ، التي تكفل تغيير فساد السياسة والعسكر ، وبالتالي فان نظرة الامم الى هكذا مجتمع سوف تتغير .. فالثورة الاسلامية في ايران أوجدت معادلة جديدة داخل المجتمع الايراني، إذ تغيرت الثقافة الجامدة الى ثقافة الثورة والجهاد ، والتفكك الاجتماعي تحول الى علاقة الوحدة والعمل المشترك .. ومواقف الاشتراك في العمل السياسي تبدلت تماماً ، فبعد أن كانوا يخافون من الشهادة قبل الثورة ، أصبحوا يعتبرون التظاهرة فاشلة ، إن لم يشفعها دم شهيد .. ثم تفاعلت هذه المتغيرات حتى أسقطت الشاه المقبور .. حتى أن العسكرية الاسلامية أصبحت قوة رهيبة تخيف المستكبرين ، وتجعلهم يحسبون ألف حساب للدخول معهم في معركة .. وبعد أن كان الاميركيون يسرحون ويمرحون في عهد الشاه .. تراهم الآن يحسبون ايران غابة للاسود القوية التي لا تخاف الموت وتعشق الشهادة .. وكل هذه المكاسب حدثت بسبب التغيير الذي حدث في المجتمع .

إن المسلمين في كافة الاراضي الاسلامية مدعوون الى التفكير في التغيير الاجتماعي قبل التغيير السياسي ، بمعنى أن هذه المجتمعات لا بد أن تطبق الاسلام على نفسها قبل أن تصل الى مرحلة الحكم وهذا التغيير يتسنى بمايلي :

١ - ضرورة الانتماء :

ان كل مسلم موجود في المجتمعات الاسلامية ملزم بالانتماء الى مؤسسة فاعلة في أي بعد حضاري .. دون أن يبقى منفصلاً عن هذه المؤسسات ، لان الانتماء الى مؤسسة اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية يسبب تنمية روح الانسان وتفجير طاقاته وامكانياته ، فينظر الى الحياة نظرة جديدة ، بعكس اذا عاش فرداً حيث سوف تتعشعش في نفسه الحالات السلبية .

٢ - تكوين كيان اجتماعي ذاتي :

ينبغي أن تكون لدينا مؤسسات في مختلف الحقول ، بعيدة عن نظر المؤسسات الحكومية الرسمية ، باعتبار أن المؤمن لا يجوز له أن يتحاكم الى الطاغوت أو يذهب اليه أو يتعامل معه .. الرسول (ص) يؤكد ذلك يقول :

« اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوانهم ، من لاق لهم دواة ، أو ربط كيساً ، أو مد لهم مدّة قلم ، فاحشروهم معهم »^(٢)

إن الاعتراف بالطاغوت أو التحاكم اليه ، ولو في جوانب بسيطة .. لا يجوز .. والبديل يكون حينها بتشكيل مؤسسات حضارية خاصة بالمجتمع .. وهذه المؤسسات تكون على الشكل الآتي :

أ - مؤسسة طلابية .. ينتمي اليها الشباب المؤمن المتدين للاسراع في تطبيق حكم الاسلام في المجتمع .

ب - مؤسسة اقتصادية خيرية ، تتكون من مجاميع صغيرة لعمل الخيرات تجاه المستضعفين .. يساعدون العوائل الفقيرة في المجتمع ، و يثقفون الجاهلين بمشاريع لمحو الامية .. يدرسون الكبار و ينشرون الوعي في القرى والارياف .. و يعينون المجاهدين .. وهذا يحدث في ايران حيث تنضم بعض المجاميع للقيام بأعمال خيرية لمساعدة عوائل الذين يذهب أبنائهم للجهاد .. وهذه الفكرة يمكن تطبيقها في أي بلد ولو بصورة سرية تضم أعداداً قليلة لتمكين المجاهدين من مواجهة الطغاة .

ج - مؤسسة اقتصادية ذات نفع خاص .. وذلك لفتح مشاريع اقتصادية من أجل تنمية المسيرة الاقتصادية للمجتمع ، واقتطاع قسم من الارباح في سبيل نصره الاهداف الاسلامية الخيرة .

د - تكوين مؤسسات رياضية عبر تشكيل فرق لكرة القدم والتنس وغيرها .. حتى لا تأتي الحكومة بآبن الرئيس ، وتجعله رئيساً لهذه المؤسسة .. مثل ما فعل صدام حسين وفهد بن عبد العزيز .

إننا اذا أسهمنا في تكوين هذه المؤسسات الاجتماعية الخاصة بنا .. فاننا سوف نقاطع مؤسسات النظام الفاسد .. وهذا بدوره يفرض على الحكومة الرحيل دون رجعة .

الحوزات الدينية .. جهاز مستقل :

لقد عمل المستكبرون طويلاً بجميع أساليبهم للسيطرة على أجهزة الحوزات الدينية .. وخاصة بأسلوب الاغراء ، بيد أن علماءنا الكرام كانوا يفضلون العيش الضنك على قبول هدايا الطواغيت الذين يستهدفون تبعية الحوزات . وقد جسد هذا الموقف أحد المراجع الكرام .. فبعد الحرب العالمية الثانية زار السفير البريطاني بعد انتصارهم أحد المراجع في النجف الاشرف .. وقال السفير: لقد نذرنا لله بدفع بعض الاموال لكل رؤساء المذاهب في العالم .. عملاً (بالاحتياط الشرعي) !! وقد جئنا لك بـ (٢٥٠٠٠٠) ديناراً ، فرد عليه المرجع ، ألا يوجد متضررون من الحرب ؟ فأجاب السفير: بلى ، فقال له المرجع : خذ المبلغ الذي في يدك .. وهذا ضعفه أيضاً ، لتساعدوا كافة المتضررين ..

وحينها عرف الانجليز ان الحوزات العلمية جهاز مستقل ، لا يمكن أن يتبع أوامر السفارة البريطانية .

الحركات الاسلامية .. مسيرة مستقلة :

إن الحركات الاسلامية في سائر العالم الاسلامي تقترب من النصر .
 * ففي أفغانستان ، أستطيع أن أقول .. أنها حركة منتصرة ، إذ أنها حررت حوالي (٩٠%) من الاراضي الافغانية من الجنود الروس المحتلين وعملائهم .. حتى أن هذه القوات العسكرية فشلت في انقاذ حامياتهم المحاصرة منذ سبع سنوات في مدينة (خوست) إن هذه الاخفاقات العسكرية اضطرت جريدة (برافدا) السوفياتية الناطقة باسم الحزب الشيوعي ولاول مرة عن الاعلان عن موعد محدد للانسحاب من أفغانستان في بداية أول آيار القادم .. ولعلَّ انسحاب القوات العسكرية السوفياتية في أفغانستان يعتبر المرة الاولى في تاريخ الاتحاد السوفياتي .

- * وفي لبنان تزداد عمليات المجاهدين اللبنانيين ضد القوات الصهيونية .
- * وفي العراق تطورات كبيرة سواء على صعيد العمليات الجهادية داخل العراق .. أو على جبهة الحرب .. إذ قامت القوات الاسلامية بهجوم موفق على مدينة قرب كركوك والقوات العراقية المجاهدة تواصل هجماتها في العمق العراقي .
- * وفي فلسطين تستمر ثورة أبناء الاسلام ، حتى أن قائد القوات الاسرائيلية في قطاع غزة قال : اننا نعيش حالة احتضار ، ووضعنا مأساوي للغاية .. وقد تمنى المستكبرون أن تنتهي الانتفاضة خلال أيام .. لكنها استمرت وتصاعدت ، حتى أن أحد القيادات الصهيونية قال : « اننا نواجه اسلاماً متصلباً » .
- وقد انعكست حركة الشعب الفلسطيني في مصر .. حيث أحس الاخوة المصريون بفضاعة كامب ديفيد .. مما دعاهم الى الاعلان عن تضامنهم مع الانتفاضة الفلسطينية في أغلب المدن المصرية .
- ان هذه الدلائل تعطي الامل وتبشر بالخير .. لان نصر الله آت .. بيد أن المهم هو تطوير الاساليب الحكيمة في المجتمع لصنع الحضارة الاسلامية .. والامة الاسلامية المعتمدة على مؤسسات ذاتية سواء في القضاء أو الاقتصاد وسائر الحقول .. يكون لها دور كبير في تقوية جبهة الرفض ورفع حس الاستقلال .

تراث موجه

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين * إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * إذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانني سميتها مريم وانني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

صدق الله العلي العظيم

(٣٢ - ٣٧ / آل عمران)

(١)

حكمة قيادة الانبياء والائمة

خلق الله الأرواح قبل الابدان بألفي عام ، وأسكنها الفضاء الرحيب ، وكانت — آنئذ — محررة من كل قيد تذهب أي مكان شاءت دون أدنى صعوبة ، بيد أن حكمة الله جلّت قدرته أبدلت تلك المعادلة القائمة ، لتفرز معادلة أخرى قوامها إدخال الارواح الطليقة في أجسام بشرية محدودة .

وهنا طرح التساؤل التالي : — ما هو سر ظهور هذه المعادلة الجديدة ؟ أولم يكن من الافضل أن تعيش الارواح في الفضاء اللامتناهي وبتلك الحرية الاولى ؟ !

والجواب على التساؤل المتقدم ، هو أن الكبر داخل الارواح حين كانت طليقة في الفضاء ، حيث زعمت بأنها شبه إله .. وآئذ أخضع الله تعالى شأنه تلك الأرواح لطبائع المادة من الشهوات والصعوبات والمشاكل ، لكي يتحسس الانسان بضعفه ، ولا يجد ملجأ للتغلب على ذلك سوى التسليم لأمر الله ، والعروج إلى أعلى درجات القرب من الله عز وجل . ولعل حكمة وفلسفة شرائع الاسلام وعباداته وطقوسه هو إخضاع النفس البشرية لأوامر ربها ، إذ أن الانسان دون الخضوع لله لا يتمكن من السمو ، بينما يستطيع أن يسمو في الدرجات العلى إذا أحس بضعفه وسلم أمره لربه ، والاحساس بالضعف والتسليم لله لا يكونان دون الخوض في صعوبات الحياة ومشاكلها .

وفلسفة التسليم لله عز وجل ، هي أيضاً فلسفة أمر الله لعباده بالانقياد لبشر أمثالهم ، إذ لو بعث الله الأنبياء على صورة ملائكة مقتدرين ذوي ثروات مادية طائلة ، لكان خضوع الانسان لهم حدثاً طبيعياً ، كونه يرى مخلوقات أخرى تتفوق عليه في بعض الصفات ، والانسان بذاته مفطور على اتباع من هو أعلى منه ، ولكن الله تعالى ألزم الانسان تسليم أمره إلى الانبياء ، لكي يكون عمله هذا قرباناً وسبباً للقربة إلى الله تعالى ، ولذلك أيضاً بعث الله الانبياء في صورة يتساوون فيها مع البشر العاديين ، يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، ويألمون كما يألم الناس ، ويفرحون كما يفرحون ، وهكذا يهرمون ويموتون .. وقد جاء التأكيد على هذه الحقيقة في مواقع عديدة مثل قوله تعالى :

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي » .

أي أن الاختلاف بين سائر البشر والانبياء ليس في الجسد والطبائع ، وإنما الفرق في وحي الله تعالى .

إذن فلسفة حكمة خلق الانبياء وأمر الناس بطاعتهم واتباعهم تتلخص في « ابتلاء الناس » بهذا الأمر ، كون الانبياء هم باب رحمة الله وسبيله والطريق إليه ، فمن أراد الله مرعبرهم ، أما من تقرب إلى الله بعيداً عنهم ، فانه لن يصل إلى الله ، باعتبارهم باب الله في خلقه . وحتى لو أدى كافة الفرائض الأخرى ، فلو أقام شخص الصلاة

المفروضة ، وصام بالشكل المطلوب ، وحج إلى البيت الحرام ، وأعطى خمس أمواله ، وجاهد في سبيل الله ، ولكنه لم يؤمن بالرسول كواسطة بينه وبين الله تعالى ، فان الله لا يقبل منه النسك والواجبات ، كونه لم يأت من الطريق المعين وهو طريق رسول الله .
ويعتبر أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام هم سبيل الانسان إلى الله ، ولهذا فان حكمة خلق الأئمة (ع) وفرض طاعتهم على الناس ، إنما هو في اختبار اتخاذ الناس لهم تقرباً إليه ، مع ملاحظة ان الله عزوجل إنما يريد من الانسان العبادة التي تعني الخضوع والتسليم ، وقد أكد رب العزة في القرآن الحكيم على دور الرسول وأهل بيته الأطهار :

« ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .

فالصلاة على الرسول تقرب الروح ، وتسلمها وتخضعها لربها .. مما يمهد للعبادة المطلوبة .. كما قال تعالى في موقع آخر من آيات الذكر الحكيم على لسان رسوله الأكرم (ص) :

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » .

أي أن جزاء اتباع الرسول (ص) هو حب الله .. وما أعظم هذه الصفة ، إذ أن الحب أسمى درجات الصلة بين الانسان وبين أي شيء آخر ، فحين تندمج الروح ، وتتصل النفس بالنفس ، و يلتصق القلب بالقلب ، ويرتفع الانسان الى أعلى درجات العليين .. وأنشد ينال وسام حب الله ورسوله ، باعتبار الانسان في حالة الحب لا يشعر بـ « الأنا » ولا حب الذات ، بقدر ما يتحسس لذة مناجاة الله سبحانه وتعالى ، مما يجعلهم يعشقون الشهادة ، يقومون الليل ، و يصومون النهار ، أجسامهم ضعيفة ، وعيونهم مقروحة ، وأفئدتهم نابضة بالرجاء والخوف ، ولعل تأكيد الرسول الأكرم (ص) على الصلاة التي هي من ضمن العبادات حيث يقول :

« وقرة عيني الصلاة » .

والتأكيد بالعين ، التي هي من أحب جوارح الانسان إليه إذا كانت سليمة تؤدي دورها بسهولة ، وهكذا النفس تتراح للصلاة وتفرح بها .

ثم يعود الرب الكريم ليؤكد على الحقيقة المتقدمة - الطاعة والتسليم
للانبياء - فيقول :

« قل أطيعوا الله والرسول » .

إذ تتجلى في الآية الكريمة حقيقة أن لا فرق بين الله وبين الرسول ، لأن طاعة الله
تتجلى في طاعة الرسول وفي طاعة الامام المفترض الطاعة .

و يتبعها بقوله عز وجل :

« فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » .

ولعل الواضح من توالي الآيتين المتقدمتين أن من لا يطيع الرسول (ص) والأئمة
الاطهار مفترض الطاعة على العباد ، فان الله تعالى لا يحببه .

ثم يعطي الله تعالى مثلاً على الانبياء المصطفين ، فيقول :

« ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » .

ان مسألة تحديد الوسائط الى الله ، لا تأتي عبثاً وصدفة ، وإنما تكون ثمرة الانتخاب
والاختيار الدقيقين للواسطة ، فقد يختار الاب واحداً من ابناؤه لمهمة ما ، أو يصطفي
كتاباً للمطالعة ، تكون النتيجة سليمة أو غير سليمة أو في الوسط . بينما اختيار الله تعالى
للسيلة إليه يكون دقيقاً للغاية ، باعتباره حكيماً وعالماً بدقائق الكون ، ولهذا لا يجوز لأي
شخص رفض طاعة من أمر الله تعالى بطاعته واتباعه ، فهم واسطة إلى الله وسيلة إليه .

« ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها

من بعض والله سميع عليم » .

فكما اصطفى الله آل ابراهيم وآل عمران ، اصطفى محمداً وآل علي بن أبي طالب
(ع) ، وحين ينبعث نور من بين هذين العظيمين المصطفى والمرضى ، يتمثل في الامام
الزكي الحسن بن علي (ع) الذي تصادف هذه الايام ذكرى استشهاده ، فأنهم به خيرة
وقدوة وأسوة ، لأن الله الذي اصطفى آدم .. اختار علياً ، والذي اصطفى نوحاً ، اجتبي
فاطمة ، والذي انتخب موسى وعيسى ، انتخب حسناً وحسيناً .

ولو تركنا منهل أهل البيت العذب ، وحاولنا المستحيل لنصل إلى أهدافنا المنشودة ،
فاننا لن نزداد على رغم التعب إلا خسارة وبعداً عن الهدف ، فلو كان الطريق الى

الكعبة يمر عبر الشمال ، وسرت جنوباً عشر سنوات ، فهل ستصل إلى الكعبة ، أم تزداد بعداً عن الكعبة ؟!

(٢)

مشاعر أهل البيت بذرة المكاسب والانتصارات

إن أهل البيت هم وسيلتنا إلى الله ، ومن أراد الله فليحبهم ويستمع إلى أوامرهم ، و يقرأ سيرتهم .. باعتبارهم هداة لنا ، وهل يعقل أن لا يعرف الانسان هاديه ؟ !
 إن من أقبح الامور — علينا نحن المسلمين — الجهل بسيرة أهل البيت الذين أمرنا الله ورسوله باتباعهم وطاعتهم واتخاذهم قدوات في مسيرة الحياة .. فقد تسأل رجلاً :
 ماذا تعرف عن الامام الحسن المجتبي ؟

فيجب عليك مجموعة كلمات سمعها هنا وهناك دون تحقق ، بينما يتغافل عن كيفية اختياره إماماً له ، وعن علاقته به .. هذ الأسئلة التي يسأل عنها الانسان في القبر — أول مرحلة من مراحل القيامة — بعد سؤاله عن توحيد الله ونبوة الرسول الأكرم (ص) ، وحتى لو قلت آئنذ أنك مؤمن بأهل البيت ، فان الرفض القاطع سيكون جوابهم عليك ، كونك لم تعرف حياتهم .. سيرتهم .. شخصيتهم .. معاجزهم .. وأخلاقهم .. والتي تتحول بعدئذ الى شعائر يومية في ممارسات الانسان العادية ، ولعل السلام اليومي على أهل البيت والصلاة واهدائه إلى أرواحهم المباركة ، والفرح لفرحهم ، والحزن لحزنهم .. هذا يعني أن يكونوا أحياء في ممارستك اليومية .

ومن المعروف أن التاريخ الشيعي يزخر بالشعائر الحسينية والمواكب المتكررة والمواكب الحافلة وبالخصوص بين أتباع أهل البيت .. إن مجالس الامام الحسين هي التي عرفت الناس بالاسلام وأحكامها .. ولولاها ، لما قامت للاسلام ولا للثورة الاسلامية قائمة في هذا العالم .. وأوجه هذا الكلام مخصوصاً إلى بعض الصحف اللبنانية التي أخذت تنال من هذه الشعائر في كتاباتها ، على رغم أن هذه الاعمال ، إنما جاءت على لسان علماء الدين الذين أفتوا بصحتها .. بل وجوبها ، إن للعزاء الحسيني فوائد عظيمة ، فلولا عزاء الحسين في النبطية بعد الاحتلال الاسرائيلي في يوم عاشوراء ..

ولولا تلك الشرارة التي انقذت من مواكب التطير الحسينية في النبطية .. حيث شهد الاسرائيليون بعدئذ هجوماً قوياً من محبي أهل البيت ، انسحب على اثرها مهزوماً ومخذولاً .. لولا هذه المواكب .. هل تنامت الحركة الاسلامية في لبنان؟! وفي ايران كذلك .. لولا يوم (١٥ خرداد) الشرارة الاولى التي اندفع عبرها عشرات الألوف من الجماهير في شوارع (طهران) ومنطقة (ورامين) .. وكان سبباً للمسيرة المظفرة لهذه الثورة المباركة .. ثم دافعوا عن المسيرة الثورية .. لولا ذلك .. هل نعيش في ظل ثورة اسلامية؟! وكذلك لولا مسيرة عاشوراء قبل الثورة الاسلامية إذ خرج أكثر من مليونين من أهالي (طهران) ينادون بالموت للشاه .. وحينها فقط اقتنع النظام البائد بأنه لا محالة زائل ، فعقد عزمه على الرحيل .. لولا ذلك .. هل انفجرت الثورة؟! وأساساً هل تبقى الثورة دون مساعدة الدوافع الحسينية النبيلة .. فبعد الثورة يتوجه إلى الجبهات مجاميع هائلة من شباب الحرس الثوري الذين هم تلامذة المنابر الحسينية والذين عجنت نفوسهم بحب الامام الحسين والمواكب والعزاء .

نهج الحسين يتحدى يزيد العراق :

إن ماجرى في عاشوراء هذا العام في كربلاء المقدسة بالرغم من أن نظام صدام الجائر احتل كربلاء عبر لواء من الحرس الجمهوري وآلاف من رجال الأمن والاستخبارات ، وفرض النظام حالة طوارئ عسكرية غير معلنة خلال خمسة ايام ، مع ذلك اندلعت الجماهير الهادرة في العزاء المعروف «طويريج» تنادي الحسين وتستصرخه لانقاذهم من هذا النظام الذي هتك الأعراض .. لم يهابوا إرهاب النظام .. وهل يتمكن النظام من تخويف محبي الشهادة؟! كلا ، لأن الظالمين إنما يرهبون الناس بالدم والموت .. وهذا ليس غريباً على عاشق الشهادة . إنني عندما استمعت إلى شريط العزاء المسجل لهذا العام استبشرت وازددت ثقة بالله وأملا في انتصار الثورة الاسلامية في العراق .. كون الشعب العراقي تحدى ارهاب النظام وردد الشعارات الحسينية والتي هي بمثابة رصاصات نارية تنفجر في قلب نظام صدام .. إن ملحمة عاشوراء تتكرر — اليوم — في مدينة كربلاء المقدسة مدينة الدم والثورة .

لقد حاول المستكبرون شرقاً وغرباً .. مع الرجعية العربية والاعراب الذين هم أشد

كفراً ونفاقاً .. وساندتهم في ذلك المافيا الدولية والمنظمات الصهيونية العالمية .. حاولوا امداد صدام بعوامل القوة والمقاومة .. أمدوه بالمال والتخطيط .. ساعدوه بالاعلام والتضليل .. أعطوه السلاح والتخريب .. وزودوه بالخبرات والبرامج التقنية .. ولكن مع ذلك بقي الشعب العراقي حياً .

الله أكبر!! ما أعظم الدين والايان في ضمير هذا الشعب ، وما أقوى التحدي حين تتصل روح الشعب بعمق الايمان .. وما أبرك دماء الحسين في صمود هذا الشعب !!

اثنان من ابناء منظمة العمل الاسلامي — أيدهم الله وسدد خطاهم وخطى كل المجاهدين داخل العراق ارض الدم والتحدي — يرتديان ملابس عسكرية ، ويستقلان سيارة عسكرية ، ثم يمران أمام منصة كان يجلس عليها مسؤولون بعثيون تلتخت ايديهم بدماء ابناء الشعب العراقي ، يوجهان رصاصاتهم المقدسة في قلوب الاعداء .. يقتلان العشرات منهم ، ويجرحون المئات .. ثم ينالان شرف الشهادة .. إن هذه العملية ليست من نوع العمليات العسكرية السابقة .. فقد تميزت بالدقة والتخطيط والشجاعة والتحدي .. أي مزيج من حب الشهادة مع العمل العسكري الدقيق والمضبوط .. بينما تأخذ مجموعة أخرى مجاهدة مقدماً في الجيش والاستخبارات وعضواً في فرقة الاعداد .. ويجرون عليه حكم القصاص العادل ، وحينها تأتي مفرزة عسكرية من الجيش اللاشعبي لنجدة الخائن ، ولكن رصاصات المجاهدين باغتتهم بكثافة .. واستشهد مجاهد وانسحب آخر . لقد وفر الاستعمار مقومات القدرة لنظام صدام .. بيد أن الشعب لا زال يواصل التحدي .. حتى أن كثيراً من مجرمي العراق حين ينامون ليلاً .. يتوقعون مبادرة المجاهدين بقتلهم في عملية استشهادية .. وهكذا أصبح تفجير المصانع الأساسية التي تغذي النظام .. أو اعدام المجرمين قضية عادية في داخل العراق .. وهذه دلالة أكيدة على أن منهج أهل البيت قادر على أن يتحدى الظروف الصعبة .. مما يوصله الى النصر .. باعتبار أن لحظة الانتصار المرتقبة هي رهينة المنهج الحسيني الصامد .

اغتنام الفرص

بسم الله الرحمن الرحيم

« وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهاباً رصداً * وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشداً * وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً * وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هرباً * وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا هرقاً * وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشداً * واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً * ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءً غدقاً * لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً * وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً * » .

صدق الله العلي العظيم

(سورة الجن / ٩ - ١٨)

تشير الآيات اعلاه الى عدة حقائق جوهرية ومفاهيم اساسية لا بد ان ينتبه لها

الانسان :

الحقيقة الاولى :

ان مشاكل الحياة ومصائبها وخطارها وصعوباتها لا تخص المؤمنين وحدهم ، وليست آتية من ايمان الانسان او التزامه ، انما هي طبيعة اركزها الله في الدنيا ، لا مفر منها ولا يستطيع عنها الانسان هرباً .

برغم ذلك نرى كثيراً من ابناء البشرية يشكون دهرهم ودنياهم . بينما الواقع ليست هذه الدنيا لاحد ، ولو صفت لك كانت نصيب اولياء الله واولئك المؤمنين الصادقين في

التاريخ .

قال الامام علي (ع) :

(الدنيا لمن تركها والآخرة لمن طلبها)^(١)

وفي وفي حقيقة الامر ان مشاكل غير المؤمنين اشد واطور ! ، لانهم يواجهونها من دون خلفية واردة ونفسية صلبة ، فينهارون امامها .

فمع ان المشكلة هي ذاتها الا ان اثرها على نفس المؤمن اخف بكثير من اثرها على نفس الكافر او ضعيف الايمان ، فكلاهما يسجنان و يهجران و يفقران ويمرضان ، الا ان احدهما يحتمل المصيبة و يواجه المشكلة و يقول : ان لله وانا اليه راجعون ، بينما الاخر ينهار امامها ولا يجد لها حلاً .

ولكي تتضح الحقيقة اكثر نعود الى نسبة المرضى المصابين بامراض مصدرها القلق والتوتر في عالم الغرب . فهذه سويسرا التي تحوز على اعلى نسبة للانتحار في العالم ، بالرغم من ان الانسان هناك ارفه ووسع ما يكون حسب المقاييس المادية بين بلاد العالم كله .^(٢)

كما ان نسبة الامراض النفسية في امريكا اعلى من نسبتها في اي مكان اخر في العالم ، وهذه النسبة تتركز كلما ارتفع الانسان هناك في مدارج الكمال المادي .
مجلة العالم الصادرة في لندن في خبر لها بعنوان (الكومبيوتر يسبب التوتر) ذكرت ما

(١) بحار الانوار، ج ٧٣ ، ص ٨١ .

(٢) بعد ان تحدثت مجلة الموقف العربي - في عددها ٢٦٣ في مقالة بعنوان « قرابين بشرية لكنيسة الشيطان » - عن اساليب القتل الخبيثة للأطفال الابرياء في الدول الغربية قالت : لكن هل هو التلوث الذي يرجعه علماء نفس امريكيون الى الدور السلبي الذي صارت وسائل الاعلام تلعبه مؤخراً ، يمكن ان يفسر ظاهرة ارتفاع معدلات الانتحار خاصة بين الفتيان الامريكيين الذين ينعمون باسباب معيشية مرفهة مقارنة مع غيرهم من فتيان واطفال العالم .

ثم قالت : ليس من تخن في هذا القول لان العالم ، الغربي تحديداً ، بات على وشك العودة الى ما قبل شريعة الغاب التي على الاقل لا تزال تحافظ على المكانة المميزة لاطفالها . واذا كان الغرب قد انشغل على مدى سنوات طويلة ، وشغلنا معه نحن الذين كنا نراقب وجوه ضحايانا في الحروب والمجاعات ، بجمعيات الرفق بالحيوانات ، فانه اليوم مشغول بجمعيات الرفق بالاطفال .)

نصه :

(يبدو ان الكومبيوتر يحدث تأثيراً كبيراً على الاشخاص الذين يقضون ساعات طويلة امامه سواء للعمل او الترفيه وتمضية الوقت . فقد وجد بان الذين هم على اتصال دائم مع الكومبيوتر يعانون من مشاكل معقدة ومتزايدة في علاقاتهم الاجتماعية مع الناس .

ويقول العالم النفسي توماس مكدونالد من كاليفورنيا : ان الاف الاشخاص يعانون اليوم من علاقات متوترة فيما بينهم ، وذلك بسبب الكومبيوتر ، وسوف يكون ذلك اكثر في المستقبل اذا ما اصبح استخدامه جزءاً من حياتنا (٣) .

اذن علينا محاربة الوهم الشيطاني والخيال الذي يدغده ابليس في قلوبنا ليقنعنا بأن المشاكل والمصائب التي تحيط بنا انما سببها الدين والالتزام به ، وانه كلما ارتفع الانسان في هذا الحقل واصبح اشد التزاماً بالتقوى كلما ازدادت المشاكل . ذلك لان العكس هو الصحيح .

ولورجعنا الى القرآن لوجدناه من بدايته الى نهايته يركز هذه الحقيقة ، ولنا في الايات اعلاه خير مثال ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

« ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءً غداً » .

الحقيقة الثانية :

ان كل نعمة تستتبع مسؤولية فان اتبعناها وحققناها ازدادت النعم ونمت ، والا تحولت الى نقمة .

روى في قصة هادي الامة الرسول محمد (ص) عندما جاءه جمع من قريش وقالوا : يا ابا القاسم هل انت رسول حقاً ؟

الرسول : بلى .

قريش : هل انت متصل بالله مباشرة ؟ الرسول : بلى . قريش : هل يستمع ربك كلامك و يستجيب دعائك ؟ الرسول : بلى .

(٣) مجلة العالم ، العدد التاسع ، ص ٥٥ .

قريش : لدينا مشكلة بحاجة الى حل ، فالجبال المحيطة بمكة تمنعنا من زراعة الارض وتمنع عنا القوافل وتصعب علينا المسير ، فاطلب من الله ان يحوهذه الجبال بقدرته التي لاتحد ، حتى تنفرش الارض وتنبت اماننا وتكون صالحة للزراعة .
 وفعلاً استجاب الرسول لطلبهم وجاء لمناجاة ربه طالباً منه ذلك ، فانزل الله سبحانه وتعالى له جبرائيل يقول له : ان ربك يقرؤك السلام و يقول : ان الطلب الذي طلبته سهل التنفيذ ولكن بشرط واحد وهو :

« اذا استجبنا دعاءهم ثم كفروا فسوف ننزل عليهم عذاباً شديداً » .

وهذا هو القانون الثابت في الحياة ، فقبل ان ينفذ الله طلبهم وينزل عليهم آية خارقة ، ربما يحق لاحدهم الكفر بالرسالة والتجاهل بالرسول ، ولكن اذا نزلت آية بيينة^(٤) وكفروا بها آتت الحجة عليهم .

لذا سحب الرسول دعاءه شفقة بأمته ورحمة للعالمين ، لانه كان يعلم بان قريشاً لم يكونوا ليؤمنوا حتى ولو زحزح الله تعالى الجبال عن مواقعها او شق القمر نصفين .

المقاييس المتواضعة .

ان هذه المعادلة صحيحة وصادقة في المقياس الاعلى ، وهي كذلك في المقاييس الصغيرة والمتواضعة بالنسبة لنا جميعاً .

فحينما ينزل علينا الله نعمة ونكفر بها ، فان النعمة ستكون شديدة والعذاب اشد في الدنيا والآخرة .

يقول سبحانه وتعالى في سورة الجن نقلا عنهم :

« وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشداً » .

رسالة الله لا يمكن ان تكون شراً ، انما هي خير ورحمة وهدى ونور وضياء — حسب ما جاء في القرآن — ، ولكن الجن كانوا يتساءلون : هل ان البشرية سوف تلتف حول هذه الرسالة وتؤمن بها وتطبقها على نفسها فتكون خيراً ، ام انها سترفضها فيكون ذلك بالنسبة اليهم شراً مستطيراً ؟

(٤) كما نزلت على ثمود الناقة وجعلها الله آية مبصرة لهم ، فكفروا بها وعقروها ، فدمرهم الله شر تدمير .

نحن مبتلون بهذا البلاء — وبالذات المؤمنون والرساليون منا — ، فهذه فرص العمل كبيرة امامنا .. كان يتمنى جزءاً منها اسلافنا المجاهدون الذين ذاقوا الامرين في جهادهم .

فكان الواحد منهم يتمنى لو يجد مجالاً لكتابة مقال في صحيفة ، أو أرض حرة ينطلق منها ، أو معاوناً واحداً يتكاتف معه في سبيل الله فلا يجده ، بل تحيط به ظروف صعبة كالسجن والهجرة .^(٥)

اما الان فالظروف اختلفت والاوضاع تبدلت ، فقد انعم الله علينا بالهداية وبهداية الاخرين ، وانعم علينا بالفكر والوعي وبفرص العمل وبامكانات مادية ، فغلينا شكرها بمزيد من الجد واليقظة والعطاء وبمزيد من تربية الذات ، والا فان عذاب الله سيكون شديداً ، آنثذ تبدل هذه النعم الى نقم و يكون مصيرنا مصير تلك القرية التي يقول عنها ربنا سبحانه :

« وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »^(٦)

إسقاط التبريرات ضرورة جهادية

ان من اولويات العمل الرسالي اسقاط التبريرات ، فمن لا يستطيع محاربة الشيطان ووساوسه في نفسه ، مع ان الله اعطاه القدرة عليها ، كيف يستطيع محاربة شياطين الانس ؟

هناك من يبرر تأخير عمله بالنسيان ! وذلك نابع من اللاهتمام ، فمن يهتم بشيء لا ينساه (فهل ينسى انسان جوازه حينما يسافر ، أو غذاءه حينما يجوع او لباسه حينما يشتد البرد ؟) .

وهناك من يتساهل و يؤخر العمل من يوم لآخر ، في حين لا يؤخر سباته او بطنه من

(٥) احد المجاهدين في تركيا عاش حوالي اربعين عاماً في السجن الى ان استشهد ، واخر بدل اسمه وبقي عليه خفية الى ان توفاه الله .

(٦) سورة النحل ، آية (١١٢) .

يوم الى غد ، وبالتالي يطلب من الله الراحة والصحة من جميع جوانبها في ذلك اليوم !
قال الامام الصادق (ع) :

(من انتظر بمعالجة الفرصة مؤجلة الاستقصاء سلبته الايام فرصته لان من شأن
الايام السلب ، وسبيل الزمن القوت)^(٧) .

في يوم القيامة تطوى السماء وتعاد الايام والساعات فتمر على صاحبها على هيئة
صناديق — لأن الاعمال والازمنة تتجسد يوم القيامة —^(٨) بعضها مليئة بالاحجار
الكريمة وهي الاعمال الحسنة والخيرات ، وبعضها الاخر تتقاسمه الثعابين والعقارب وهو
نتاج السيئات والشور ، اما الباقي ففراغ ليس فيه شيء وهو رمز الى الساعات التي
مرت خالية من الاعمال .

ان سنة الله في الحياة تقضي بما ينص عليه الحديث القائل :

(ان من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم به الهدى تضره الضلالة ،
ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك)^(٩) اي ان الانسان الذي لا يشغل نفسه بطاعة الله
ينشغل بمعصيته .

مؤامرات استكبارية

بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران وابتداء مسيرة الثورات في العراق وافغانستان
ولبنان وفي سائر البلاد الاسلامية ، فكر الاستعمار في التحدي والمقاومة ، فجند جيشاً
كبيراً من المستشارين والجواسيس والعسكريين وخبراء الارهاب وبثهم في كثير من بقاع
الارض لمقاومة هذه الثورات والقضاء عليها حتى تكون امثلة وعبرة .

فهذه القوات الروسية لا تزال معشعشة في الاراضي الافغانية وتمارس سياسة الارض
المحرقة^(١٠) ، كما فعلت في السادس عشر من صفر من هذا العام رداً على هجوم ناجح

(٧) بحار الانوار ، ج ٧٨ ، ص ٢٦٨ .

(٨) — (اعمال العباد في عاجلهم نصب اعينهم في آجلهم) الامام علي (ع) — بحار الانوار ، ج ٧٨ ،

ص ٣٩ .

(٩) بحار الانوار ، ج ٧٧ ، ص ٢٩٣ .

(١٠) اي اباداة القرى الآهلة بالسكان عن بكرة ابيها ، وتحويلها الى خراب لا يطاق ، لاسباب بسيطة

للشوار حيث قامت بعملية انتقامية فقتلت سبعة اشخاص في غارات جوية ضد القرى المجاورة. (١١)

وكما في افغانستان ، كذلك في طرابلس .. فالهدم الذي اصابها جريمة لا توصف ، فقد اصبحت مدينة مهجورة (١٢) تحتاج للمليارات الدولارات لاعادة بنائها .

كل ذلك لان مجموعة من المؤمنين تريد تطبيق الاسلام على شبر من الارض وتقول : ربنا الله ، فلم يجد الاستكبار - بشقيه الشرقي والغربي - حلا الا ان تعاون عليهم وحول مدينتهم الى انقاض جزاءاً بما كانوا يصنعون .

ان جميع هذه الجرائم الامبريالية تكال ضد الشعوب المسلمة بادعاءات سخيفة ، فتارة يطلقون عليهم سمة الارهابيين واخرى الفوضويين وثالثة العملاء ، والى آخر هذه الخزعبلات الشيطانية (١٣)

ان الغربيين اليوم عكفوا على تدريب مجموعة من المجرمين المرتزقة وعديمي الضمير على كيفية تعذيب المؤمنين بطرق كومبيوترية جديدة ، وعلى معرفة كيفية القضاء عليهم عبر ميكروبات وجراثيم .

واخيراً اجتمع خبراء اسرائيليون وعنصريون من جنوب افريقيا - كما تناقلت الاخبار العالمية - للبحث عن ميكروب قتال يقضي على السود فقط .

كانتباء مجاهد منها الى سلك الجهاد والمعارضة او ايوانها آخر .

ذكرت اذاعة الكويت في ٢٥/١٠/١٩٨٥م - نبأ أن نصه : ذكر التقرير السنوي للبرلمان الاوروبي ان افغانستان على رأس الدول التي تنتهك فيها حقوق الانسان ، ووضح التقرير انه منذ الغزو السوفيتي لافغانستان في عام ٧٩ وشعب ذلك البلد يعاني من الممارسات الوحشية التي كان عدد ضحاياها اكثر من نصف مليون شخص اضافة الى تشريد ثلاثة ملايين و ٥٠٠ الف لاجيء لاذوا بالفرار من نير الاحتلال السوفيتي ، وقال التقرير ان عقوبة الاعدام في افغانستان تنفذ بشكل جماعي في الوقت الذي تستخدم فيه القوات الشيوعية المواد الكيماوية باعتداءاتها ضد المدنيين العزل من السلاح في القرى الافغانية .

(١١) اذاعة صوت امريكا ١٧ صفر / ١٤٠٦ هـ .

(١٢) ذكرت المجلات بان ٧٠% من سكان طرابلس رحل بسبب ضراوة المعارك هناك .

(١٣) من اراد زيادة فليراجع كتاب (الصحافة تحاور العلامة المدرسي) للمؤلف .

سباق حضاري

ان جميع هذه المؤامرات تدور وتدور لتصل إلينا ، فان كنا نائمين او غافلين وتشبثنا بالتبريرات ولم نغير واقعنا فان هؤلاء سيتمكنون من القضاء علينا .

نحن دخلنا معهم في صراع حضاري ، فلا بد ان نسبقهم فيه ، فاذا كان الواحد منهم يعمل عمل انسان واحد .. فيجب ان يعمل الواحد منا عمل مائة انسان . واذا كانت استراتيجياتهم تتبدل كل ستة اشهر .. فلا بد ان نكمل ونطور استراتيجياتنا كل شهر ، واذا كانت حركتهم ثقيلة .. فلا بد ان يكون تحركنا خفيفاً .

علينا ان نسبقهم ونحن في بيوتنا ، وحينما ندرس او نلقي خطاباً او نتدرب ، او نقوم بأي عمل في سبيل الله ، لاننا حينئذ داخل حلبة صراع مع العدو الذي يريد ان يفتك بنا .

اننا نستطيع ان نهزم العدو ونحن في بيوتنا ومكتباتنا ومعسكراتنا ومراكز بحوثنا وفي كل ما يرتبط بنا ، اذا لخصنا عمل الشهر في اسبوع ، واختصرنا مسافة سنة في شهر . ربما تصعب هذه الحقيقة على البعض ، فحق لهم ان يتساءلوا : كيف يمكننا القيام بجميع هذه الاعمال — من قراءة وخطابة وتدريب جسدي وتربية نفسية — بصورة سريعة ؟

بلى : ان لكل شيء طريقاً ، ولكل هدف وسيلة ، فمن اراد تحقيق هذه الاهداف فليبحث عن وسائلها ، مستفيداً من التعاليم الحياتية التي امر الاسلام بها ، ومستخدماً تجارب البشرية التي نجدها في العلم الحديث .

وصايا حياتية

ان الاسلام يأمرنا بعدم تأخير الاعمال وبالاهتمام بساعات الحياة أكثر من الاهتمام بالذهب والفضة ، كما يأمرنا بالسرعة في العمل .

(فساع سريع نجى ، وطالب بطيء هلك) (١٤)

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت

للمتقين» (١٥)

وحينما يوصينا بالسرعة لا يعني الخربطة في العمل وانما اتقانه .

(ان الله تعالى يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه) (١٦)

كما يحثنا على ترك القلق وتوتر الاعصاب ، و يوصينا بملازمة اعمالنا والتوجه نحوها ونحو ما يأمرنا الله سبحانه وتعالى به .

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » (١٧)

واخيراً يركز على الارادة والعزيمة الراسخة لمن ينشد هدفاً معيناً لان من يلزم اعمالاً

بدونهما تذهب جهوده هدرأ . يقول الامام علي (ع) :

(لا يعدم الصبور الظفروان طال به الزمان) (١٨)

لذا — في معرض صراعنا مع الاستكبار العالمي — علينا في بداية الامر ان نقرزبان

نهزمه عبر عزمنا الراسخ وارادتنا القوية .. حينئذ نشعر بالسكينة النفسية والراحة

الجسدية ، فتتحسر عنا الامراض وتبتعد الهموم والتوترات ، وتطول اعمارنا ونشعر دائماً

بالفخر لاننا انجزنا شيئاً بعد ان طردنا الشيطان عن انفسنا ، وعرفنا طريقة الانتصار على

الاعداء التي تبدأ من الذات ، وتوكلنا على الله .

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١٩)

يقول الامام علي (ع) :

(من قصر في العمل ابتلى بالهم ، ولا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه

نصيب) (٢٠)

(١٥) سورة آل عمران ، آية (١٣٣) .

(١٦) الرسول (ص) ، كنز العمال ، خ ٩١٢٨ .

(١٧) سورة الرعد ، آية (٢٨) .

(١٨) نهج البلاغة ، ص ٤٩٩ .

(١٩) سورة الطلاق ، آية (٣) .

(٢٠) نهج البلاغة ، ص ٤٩١ .

برامج رسالية في كل حال

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين * إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين * »

صدق الله العلي العظيم

(القصص / ٥٢ - ٥٦)

هنالك طائفتان من الناس طائفة تريد الدين لنفسها ، وطائفة تريد نفسها للدين . والفرق بينهما ان الطائفة الاولى تقف عند حدود الدنيا ، وبينما تحترق البصائر الثانية حدود العالم الآخر . فهؤلاء لا يتجاوزون أعمارهم وحياتهم الدنيا ، بينما أولئك يتجاوزون حتى أنفسهم لينظرون بعيداً الى العالم الذي هو الحيوان الحق - الآخرة - . وبالطبع هنالك بوّ شاسع بين ممارسات هاتين الطائفتين :

الطائفة الاولى - القشريون :

فالطائفة الاولى تحوّل الدين الى طقوس جامدة وقشور فارغة ، فلا يتجاوز القرآن السننهم . ولو استلهمنا من التاريخ الزاخر بالعبر أمثلة على هؤلاء لوجدناهم يتمثلون بالخوارج ومن هم على شاكلتهم .

ففي بعض حروب النبي (ص) قسم الرسول (ص) الغنائم .. فقام رجل وخاطب الرسول بفضاضة قائلاً : اعدل يا محمد !

ولم يقل (رسول الله) خلافاً لما أوجب الله على المسلمين من مناداة الرسول بصفته وليس باسمه . فسكت عنه الرسول (ص) ، ولكنه عاد فكرر جملة ثانية وثالثة . حينئذ قال الرسول الاعظم (ص) : سيخرج من ضرة هذه القبيلة أناس لا يتجاوز القرآن حناجرهم ، تستصغرون صلاتكم عند صلاتهم — أي انهم حينما يصلون يتظاهرون بالخشوع والتواضع والتبتل أثناء الصلاة حتى لانكم تستصغرون صلاتكم بالنسبة الى صلاتهم — .

ثم أخبرهم الرسول (ص) بأن رجلاً منهم يسمى (ذو الثدية) — وسماه باسمه — يقتل فيهم . وكانت تلك الاشارة التي أشار اليها الرسول علامة للمسلمين من بعده . لذا نجد ان الامام علي (ع) بحث بعد معركة النهروان بين القتلى بحثاً دقيقاً حتى وجد ذلك الرجل .

هذا المثل التاريخي ينطبق على هذه الفئة المتظاهرة بالدين . فتظاهر هؤلاء بالقشور وتطرفهم في القضايا الجانبية ، وحاسهم اللامتناهي في توافه الامور وفيما قد يكون في الدين . ولكنه ليس في سلم أولوياته ، تظاهرهم ذلك ليس من الدين في شيء وإنما هو بسبب ابتعادهم عن جوهر الدين ومفهومه الاصيل والعميق .

فالذي لا يرغب بالجهاد في سبيل الله — مثلاً — من هذه الطائفة ، نجده يقتعد البيت ويركن الى الراحة ، ويخلع على نفسه مسوح المتعبدین المتنسكين ليجنب نفسه تأنيب الضمير ولوم المجاهدين . ولا يزال ذاكراً الله بلسانه وغافلاً عنه بقلبه ، شأنه شأن ذلك الرجل الذي بعث اليه الامام الحسين (ع) أن أقدم معنا لمحاربة بني أمية ، فقال : إني مشغول بالصلاة في مسجد رسول الله ! .

فلو قلنا لهذا الرجل وأمثاله : ان الجهاد في سبيل الله أعظم ، لرفع عقيرته بالاعتراض والجدال ، متشبثاً بمسجد رسول الله تاركاً لسنته ، متمسكاً بالصلاة معرضاً عن مكمل الصلاة — أي الجهاد — ، وما موقفه هذا إلا تبريراً لواقعه المتخلف ، في حين ان خطوة واحدة واجبة في طريق الجهاد في سبيل الله تعدل بل وتفوق مليون ركعة من الصلوات المستحبة .

ومن علامات هؤلاء القشريين تحويلهم المسائل المتعلقة بهم الى لبّ وجوهر من لباب

وحقيقة الدين ، أما المسائل التي لا ترتبط بهم لسبب أو لآخر فانهم ليس فقط لا يهتمون بها ، بل لا يأبهون بها أيضاً !

الطائفة الثانية — الرساليون :

أما الطائفة الثانية والتي تريد نفسها للدين ولا تريد الدين لنفسها ، تجعل الدين ورسالات الله محوراً لتقييمها وبحثها وحركتها في الحياة ، بل وتصوغ منه ميزاناً وفرقناً ومقياساً لنفسها .

فالذي ينتمي الى هذه الطائفة يزن بالرسالات الالهية المقدسة خطواته وكلماته وحتى هواجس فكره وارتعاشات عينه . ولو خيّر هذا الشخص بين القيام بعمل مهم يقوم به بنفسه وبين عمل أهم يقوم به الآخرون لاختار الاهم . فان قيل له : هنالك مالٌ مُتبرع به ، فأنت تريد بناء حُسينية وهنالك من يريد بناء مسجد ، فانه سيقول بأن بناء المسجد أهم فليُتبرع بالمال لذلك المسجد .

هذه الصفة — صفة نكران الذات — لا يمكن أن تنمو عند الفرد أو تتجلى لديه ، إلا عندما يُخيّر بين المصلحة العامة ومصلحته الخاصة وبين تركيته للآخرين أو تركيته لنفسه وذاته ، فهنا تتجسد طبيعة الانسان فإما أن يكون ممن قال عنه الله سبحانه وتعالى :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » (١)

أما أن يكون من أولئك المنافقين الذين يتمحور كل شيء حول ذواتهم ، ولا ينظرون الى أبعد من أرنبه أنوفهم

لذا فان الحركة الاسلامية التي تبحث عن النجاح لا بد لها أن تبحث قبلئذٍ عن رضوان الله تعالى ، أو بتعبير آخر عليها أن تتحول الى حركة الهية حقاً ، شعار أفرادها نكران الذات لا عبادتها والاستسلام لارادتها .

ففي حديثٍ عن الامام الصادق (ع) يقول فيه — مفسراً بعض آيات سورة

القصص — :

« كن حذراً من الشيطان ، لان الشيطان يفتح لك مائة باب من الخير ليدعوك الى

باب من الشر» .

فالشيطان يفتح أمام الشخص مائة باب من الخير ليخدعه و يستزله بالبواب الاخير الواحد بعد المائة — باب الشر — وهو (أي الشيطان) أقرب الينا مما هو الى غيرنا ، ذلك لان الذين يسيرون نحو جهنم سيراً حثيثاً لا يحفل بهم الشيطان ، ولا يبذل الكثير من أجل اغوائهم لانهم يزحفون بأقدامهم نحو حباته . أما الانسان المؤمن والصالح فان الشيطان يجتد له أفضل جنوده وشرارهم لاغوائه وجره نحو حباته وهذا ما ينبغي للمؤمنين أن يحذروه .

المؤمن في عصر الانحسار:

تحدثنا الآيات المتقدمة الذكر من سورة القصص عن وظيفة المؤمنين في أيام انحسار الثورة ، أو انحسار المد الرسالي في الامة وما الذي ينبغي عليهم القيام به في ذلك الحين . ان كل ما نستوحيه من التعاليم الرفيعة المذكورة في هذه الآيات يتلخص في (نكران الذات) . فنكران الذات والتضحية بها المتمثل بالتضحية بالشهرة والرئاسة والشخصية من أجل الرسالة أعظم وأصعب بكثير من التضحية بالجسد والروح . والله عزوجل يبشر هؤلاء العاملين في عصر التقية — عصر الانحسار — فيقول :

« أولئك يؤتون أجرهم مرتين »

فهم يختلفون عن الذين يعيشون عصر المد ، فهؤلاء يؤتون أجرهم مرة واحدة ، وأولئك الذين يناضلون في الاوضاع السرية وفي ظل التيار الاجتماعي المضاد يؤتون أجرهم مرتين . ويتضاعف لهؤلاء الاجر لانهم صبروا على الاذى والفحش والسب و بذىء الكلام :

« أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا »

وفي التاريخ نجد ان من قام بالسيف من اثنتا الاثنى عشر ومن سيقوم منهم ثلاث باستثناء الامام الحجة (عج) الامامان الآخران اللذان قاما بالسيف الامام الحسين (ع) والامام علي (ع) . فالامام علي (ع) قام بالسيف في نصف العقد الاخير من حياته ، أما الامام الحسين (ع) ففي السنة الاخيرة من عمره الشريف .

ولكن ذلك لا يعني ان الائمة (ع) لم يرغبوا بالجهاد المسلح ، وإنما يعني ان فترات

الجهاد التي تستدعي الصبر والعمل السري والعمل الذي يخالف هوى الفرد وتيار مجتمعه ، هذه الفترات في الامة هي اطول من فترات الجهاد المتزامن بالقيام بالسيف ، ولا بد أن تكون الدروس المستوحاة من حياة الائمة (ع) في هذه الفترات أغنى وأعمق . لان الجانب الاعظم من حياتهم جاء على هذه الشاكلة .

وهذا السبب الذي جعل الامام الحسين (ع) يقول (أخي أفضل مني) فالحسن (ع) خيراً من الحسين (ع) في اعتقاد الامام نفسه — بالرغ من ان كلاهما سبطا رسول الله (ص) — لان الامام الحسن (ع) كان يجلس في مجلس معاوية ، ويسمع على كره ومضض الى ذلك الرجل الذي يصعد المنبر ليسبَ علياً وآله بلاء فيه ، وكان على الامام المجتبي (ع) أن يصبر في حين كان قلبه يتمزق ونفسه الشريفة تتألم بأشد ما يكون الالم ، ولكنه كان يصبر لامرٍ وعهدٍ من الله ورسوله اليه .
وكذلك كان الامام علي (ع) في الفترة العظيمة من حياته ..

« بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون »

فالائمة (ع) بالاضافة الى صبرهم على الاذى كانوا يجعلون دائماً من أنفسهم قرباناً وأضحية لقيمهم وقضاياهم ، فبدلاً من أن يحقدوا على الناس لسبهم إياهم ، كانوا يحسنون اليهم مقابل تلك الاساءات ..

ان الانسان الرسالي الذي يحمل قضية — تأسياً بسيرة الائمة (ع) العطرة — لا بد أن تكبر نفسه بحجم تلك القضية ، ولا بد أن يتسع صدره وتعظم قدراته الذاتية لتكون بحجم عظمة وأهمية تلك القضية التي يحملها .

والرسالي يحمل بين جوانحه قضية لا يحملها الناس ، ولذا فهم لا يثمنوه ولا يقتدروه حق قدره ، مثلهم مثل الذي وُضعت بيده حجارة كريمة وهو لا يدري قيمتها وثمنها ، فيرمي بها بعيداً غير آبه .

إذا فمن أجل أن يعرف الناس قيمة هذا الثائر عليه أن يكون متواضعاً لهم ، محسناً اليهم ، ويسعهم بأخلاقه وإيمانه واحسانه .

فالنبي موسى (ع) هاجر من بلده تلقاء مدين التي وصل اليها بعد عدة أيام من قطع الفيافي والجوع والغربة ومشاكل الهجرة والمصير المجهول ، كل ذلك كان يتراعى أمام

عينيه ، ولكنه فور ما يجد تلكا المرأتين تذودان يسارع الى نجدتهما فيرفع الصخرة الموضوعة على حافة البئر والتي لم يكن ليحملها إلا عشرة من الرجال ، ثم يستسقي لهما بذلك الدلو الذي لم يكن ليحمله إلا عشرة من الرجال الاشداء أيضاً ، فيسقي لهما دون أن يتقاضى أجراً ، مع انه كان بحاجة في تلك اللحظة — كما تذكر الاحاديث — الى تمرة واحدة لشدة ما كان ينتابه من جوع ... فولم يأكل منذ سبعة أيام سوى حشائش الارض ، ولكنه أحسن الى بنتي شعيب دون أن يطالبهما بالاجر على احسانه وخدمته .

وهذا هو مثال وقدوة لكل رسالي ، وهكذا هم كل الانبياء . فالرسالي المؤمن يحاول أن يستغل كل الفرص التي تؤاتيه من أجل اسداء الخدمات الى الناس ومساعدتهم حتى لو كانت تلك المساعدة أو المعونة بسيطة ، فهي ان بدت صغيرة في أعيننا فهي عظيمة عند الله عزوجل .

وعلى الرسالي أن يكون مصداقاً للآية الكريمة :

« وجعلني مباركاً أينما كنت »

ان ما ذكرناه عن النبي موسى عليه السلام لا يقتصر عليه فحسب ، وإنما هو ديدن جميع الانبياء . ولعل السبب والحكمة التي جعلت من هؤلاء الصفوة أنبياءاً هو احسانهم الى الناس ، واقتناصهم الفرص لاسداء الخدمات اليهم . والدليل على ذلك ما نلاحظه من النعت الذي يرد بعد بيان الله اصطفاؤه لانبيائه .

« وكذلك نجزي المحسنين »

فالانبياء والرساليون الصميميون محسنون ، ويجزي الله كل محسن خيراً باحسانه . والرسالي يحمل شيئاً من رسالات الله ليدعو البشر اليها وهذه مهمة عظيمة لا يوفق اليها ولا يجعله الله أهلاً لها إلا بعد أن يتصف الرسالي بالصفات التالية :

أولاً — أن يكون محسناً الى من حوله وأن أسأوا اليه ..

« ويدرؤون بالحسنة السيئة »

ثانياً — وأن يكون مبسوط اليد .

« وما رزقناهم ينفقون »

فهو ينبغي أن يعطي للناس من نفسه الكثير مما رزقه الله سواء كان ذلك علماً أو مالاً ،

أو أي نعمة أنعمها الله عليه .

ثالثاً — أن يرتفع بنفسه عن كلام الآخرين وتعريضهم به ..

« واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه »

فنفس الرساليين المؤمنين كبيرة وصدورهم واسعة الى درجة انها تغضي عن السيئة .

ولقد أمرُ على اللثيم يسبني فمررت ثم قلت لا يعنيني

فهم لا يهتمون ولا يفتاضون لانهم يعرفون بأن هذا الكلام البذيء لا يحط من قدرهم

ولا ينتقص من شأنهم ..

« واذا مروا باللغو مروا كراما » (٢)

للغو عدة أنواع منها السب ، الغيبة ، والتهمة والمراد به هنا ، الخوض في الجدليات

والمناقشات التافهة .

فالوقت ليس ملكنا وهو كالسيف ان لم تقطعه قطعك ، فلا يجوز لآي منا أن يمضي

ساعات طويلة يخوض فيها جدلاً تافهاً وحديثاً عابراً ينبغي له أن يقضيها في ذكر الله ودعوة

الناس الى الالتزام بالدين أو يتدارس فيها العلم وغير ذلك مما يخدمه ويخدم أمته وقضيته .

مقياس المؤمن في عصر الانحسار:

من أجل أن نكون جديدين في أعمالنا لا بد أن يكون لدينا مقياس دقيق -، نقيس

بواسطته كل شيء . فيمكننا أن نعرف عن طريقه ان كان هذا الحديث الذي نخوضه يخدم

الدين أم لا يخدمه ، ونعرف ان كان ذلك الشخص مخلصاً في سؤاله وباحثاً عن الحقيقة حقاً

أم انه يريد اثبات جدارته وشخصيته . فاذا كان شخصاً معانداً يهوى الجدل فعلياً أن

نتركه ، وندع النتائج النهائية للامور هي التي تتكشف تلقائياً لتحسم هذه الجدليات .

« واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم »

فالرسالي عندما يكتشف ان هذا المجلس مجلس لغو وجدال وفيه قتل للوقت عليه أن

يقوم و يترك ذلك المجلس مودعاً دون عودة .

« سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين »

أما إذا فكر الرساليّ بأنه قادر على اقناع المعاندين بأدبه وبلاغته وتمكّنه من النقاش وقدرته على التعبير اعتماداً على معلوماته وثقافته فإن القرآن الكريم يخاطبه مبيناً خطأ هذا الظن والتفكير فيقول :

« انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين »

هذه المجموعة السالفة الذكر من آيات سورة القصص — وكما جاء في الاحاديث — وردت في المؤمنين الذين كانوا قبل بعثة الرسول الاكرم (ص)، أي في عصر التقاة .. عصر العمل السري وفي ظروف انحسار المد الرسالي . ولكن هذه الآيات تنطبق أيضاً على كثير من المجتمعات في هذا العصر، منها مجتمع المسلمين في العراق ومجتمع المسلمين في الاتحاد السوفياتي وما الى ذلك .

الائمة (ع) دعوة الى الاعتدال والاستقامة :

ومما قد تُشير اليه الآيات المحكمات من سورة القصص هي قضية التطرف . فبعض الناس من أجل اثبات ولائهم لقضيتهم ، أو من أجل حالة نفسية معينة لديهم كحالة الغطرسة والتكبر والعناد وما أشبه من الحالات ، نجد هؤلاء الناس من أجل اثبات هذه الحالات أو بسبب جهلهم ، (يتطرفون) في أعمالهم .

وفي تاريخ العالم الاسلامي أمثلة كثيرة عن الطوائف المتطرفة ، منها الزيدية والخوارج اللتان انتهتا حالياً في حكم المنقرض ، بالرغم من التضحيات السخية التي قدمتها كل من هاتين الطائفتين .

ولكننا نجد في المقابل بقا المعارضة الاثنى عشرية (الشيعة الامامية) حتى يومنا هذا . ذلك لان أئمة الهدى (ع) كانوا يدعون البشر الى الطريق المستقيم ، بعيداً عن التطرف أو التخاذل .

فليس صحيحاً من أجل أن نكسب الراحة النفسية أما أن نموت دون ما نطمح اليه وإما أن نستحوذ على كرسي الحكم . لا بد من تحديد الظروف والعمل وفقها ووفق معطياتها ، وبالاستناد الى واجبات الرسالة .

فليس من الصواب أن يكون همنا الوحيد هو الوصول والنصر ، المهم يكون علمنا خالصاً

في سبيل الله وان يكون عملنا من أجل القضية وفقاً لواجبنا الشرعي ، ولا يعنينا بعد ذلك أن تنتصر الثورة والقضية في حياتنا وعصرنا لننعم بمكاسيها أو من بعد حياتنا .

« ولا يستخفئك الذين لا يوقنون » (٣)

فكلما يقتضيه الواجب الشرعي يجب أن نقوم به سواء كان اليوم اعداد وغداً جهاد أو بالعكس ، بغض النظر عن أهدافنا ومصالحنا الشخصية وعن كل ما يقال ليست الحياة في مستوى واحد دوماً ، وليس الناس كذلك . فهم لا يستجيبون باستمرار لقراراتنا ، لان للناس مستوياتهم الخاصة بهم .

فهم في بعض الاحيان يملكون مستوى عالٍ من الوعي والاندفاع الثوري فعلى حينئذٍ أن نكون في مستواهم ، وفي أحيانٍ أخرى يكونون في مستوى هابط ، فلا بد أن نهبط معهم أيضاً .

الامام علي (ع) يقول في خطبته الشقشقية :

« فاسفقت إذ أسقوا وطرت إذ طاروا »

وفي خطبة أخرى مختصرة — بعد وفاة الرسول (ص) — يقول الامام أمير المؤمنين (ع) ردّاً على أبو سفيان الذي قال له : لاملأتها لك خيلاً ورجالاً .. ، رفض الامام وقال :

« رحم الله من طار بجناح أو استسلم فأراح » (فأرتاح)

فعلى الانسان أن يتبع التيار الايماني العام ولا يشذ عن الناس بحثاً عن البدع ، ليطبق المثل القائل (خالف تُعرف) .

ان زينة العلم الحلم ، وكفى بالمرء جهلاً أن يقول ما لا يعلم بل كفى به جهلاً أن يقول كل ما يعلم . فلكل مقام مقال ولكل كلمة موقعها وخلاصة القول ان الامور مرهونة بأوقاتها . فمتى ما وصلت الحركة الاسلاميه الى هذا المستوى من الفهم والوعي والادراك ، وعرفت متى ينبغي لها أن تكون متطرفة أو تكون معتدلة ، ومتى تحافظ على وقتها أو تقتحم بهذه القوة ميادين القتال ، آنئذٍ تكون بمستوى النصر .

أما الذين يريدون أن يكونوا على الدوام في حالة واحدة سواء استجاب الناس لهم أم لم يستجيبوا ، فهم سيفقدون قوتهم بلا سبب .

والحركة الاسلامية لا تستطيع الوصول الى هذا المستوى من الوعي إلا اذا عمل أبناءها لله والله فقط ، لا للمصالح والشهرة ولا حتى للنصر ، لان النصر غاية يجب أن يخطط للوصول اليها ولكنها ليست هدفاً نهائياً لنا .

فالله عزوجل عندما يحدّثنا عن النصر يقول :

« وأخري تحبونها نصرُ من الله وفتحٌ قريبٌ » (٤)

أي انكم قد تحبون هذا النصر وترغبون به ولكنه ليس من المصلحة والمنفعة أن يكتب لكم النصر الذي تنشده في هذه الفترة والوقت بالذات . حتى وان تم هذا الانتصار فهو لن يكون في خدمة الحركة الاسلامية والرسالة الالهية !

إذاً لابد لنا من معرفة طبيعة المرحلة التي نمرّ بها وندرسها ونزن أعمالنا ونكون جادين في تطبيق خططنا التي نرسمها لانفسنا دون أن تستهويننا التيارات أو تستفزنا أقوال الناس المستخفين بنا من أجل اثارتنا ودفعتنا الى اتخاذ مواقف حادة ومتطرفة ، ووصول الفرد الرسالي المؤمن الى هذا المستوى هو الضمان لرضوان الله سبحانه وتعالى وهو أعظم غاية وأهم هدف .

اعلام مبدع

— بسم الله الرحمن الرحيم —

«قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين * وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى إذا استئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين» .

صدق الله العلي العظيم

(يوسف / ١٠٨ - ١١٠)

تبليغ الرسالة .. مهمة اولى :

ان اعظم مسؤولية من مسؤوليات الرسل ومن يتبعهم هو حمل رسالات الله الى الناس ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الانسان حراً ومنحه الاختيار كفرصة سانحة له في هذه الحياة ، ولم تشأ حكمته البالغة ان يكره الناس على الايمان ، كما لم يشأ ان يكره عباده الصالحون الآخرين على الايمان .

انما كان هدف رسالات الله ، وهدف الانبياء الذين حملوا هذه الرسالات هو البلاغ ، أي أن تصل الكلمة الالهية الى قلب الانسان ، فمن شاء آمن ومن شاء كفر ..
« لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي » (١)

فحينما يتبين الرشد من الغي تنتهي مهمة الانبياء وتبدأ مهمة الانسان . لذلك نرى بان الله سبحانه وتعالى أبى أن يجبر الناس على اتباع هدى الانبياء . بل نرى ان

الانبياء (ع) تحملوا شتى انواع الاذى في سبيل ابلاغ رسالات الله .
 هذا المنهج يجب ان يكون منهجاً لكل من يتبع الانبياء ، وهم الدعاة الى الله
 والادلاء الى سبيله وحملة رسالاته .
 فهؤلاء الدعاة يجب أن يقوموا باهم دور في الحياة وهو دور تبليغ الرسالة وايصال
 الحق الى الضالين عنه .

وهذا الدور ليس هو الدور الوحيد للنيين والائمة والصالحين من اتباعهم ، بل ان
 هناك ادوار عديدة أخرى . فمثلا على النبي ومن يتبعه من المؤمنين القيام بدور الحكومة
 متى ما ساحت له الفرصة وتهيأت الظروف ، فيحكم بين الناس بالعدل ، و يقيم حكم
 الله فوق الأرض ، ويجاهد الاعداء بحد السيف .

فعلى النبي واتباعه القيام بذلك كله ، ولكن تبقى مهمة الرسالة ومهمة تبليغها هي
 المهمة الاولى والمسؤولية العظمى والكبرى الملقاة على عاتقهم . لأنه حتى اقامة حكم الله
 في الارض عبر حكومة اسلامية لا بد ان يكون على أساس الاقتناع والاقناع — هذا اذا
 كان هدف القائمين بهذه الحكومة هدفاً ايمانياً خالصاً لوجه الله — .

فالنبي ليس جباراً ، يجبر الناس ويكرههم ، بل هو وجود مبارك حيثما حل
 وارتحل ، وهو البركة الالهية والرحمة والنعمة النازلة على سائر البشر ... ، ولذلك نرى ان
 الحكم الاسلامي قائم بدوره على أساس الاقتناع .

ما هي حكمة الشهادة؟

ان حكمة الشهادة تتجلى لنا في هذا الحكم الاسلامي القائم على أساس الاقتناع ،
 أي أننا نجدها قائمة ومفيدة في مسيرة تحكيم قيم الله في الأرض ، فحينما يتعرض النبي
 أو اتباعه للظلم ، وحينما يقدمون أنفسهم قرباناً الى الله ووسيلة لتبليغ رسالاته ، آنئذ
 يقتنع الناس اقتناعاً حقيقياً بان هذا الخط الذي يسير عليه الشخص المبعوث من قبل الله
 أو من يتبعه خطأً سليماً ، لأن صاحب هذا الخط يضحي بنفسه وباهل بيته .

ففي قصة مباحلة النبي (ص) مع نصارى نجران نجد ان كبير النصارى يقول
 متسائلاً : انظروا من الذي جاء بهم الرسول للمباحلة ... فيقولون له : ان النبي جاء
 بفاطمة وبعلمها وبنيتها !

آنشد قال لهم : لا تباهوا الرجل لأنه صادق ، فلو لم يكن عارفاً بصدقه وبأن الذي ينزل عليه هو جبرئيل الامين (ع) لما قدم أهل بيته واعز الناس عنده للمباهلة بهم .
فالمباهلة قد تكون لك أو عليك ، فان لم تكن صادقاً فان اللعنة ستنزل عليك وعلى من معك من السماء ، وحينئذ ستفضل نزولها على بعض اصحابك أو من سواهم وليس على اهل بيتك المقربين لديك .

ولقد كان في سلوك النبي (ص) دليل على صدق رسالته ونبوته ، ولهذا تراجع النصارى عن مباهلة الرسول وقبلوا باعطاء الجزية .

وكذلك نجد ان الامام الحسين (ع) حينما قام لمحاربة سلطة بني امية ، اخذ معه اهل بيته حتى الطفل الرضيع ، من أجل ان يبرهن على احقية خطه وثورته . فلو كان الامام الحسين (ع) طالباً للسلطة وطامعاً بالحكومة ، لبعث باهل بيته الى بلد آخر كاليمن أو مصر ، أو أي بلد له فيه شيعة واتباع وولاية ، ولقام بالحرب في سبيل نيل السلطة بمفرده دون أهل بيته . ولكنه عليه السلام لم يكن كذلك ، انما كان صاحب الرسالة مقدسة وعظيمة بعيدة كل البعد عن مكتسبات الدنيا الفانية ..

وبالفعل فلقد كان لأهل بيته الاثر الحاسم في اقتناع الناس بان الحسين (ع) على حق وان خطه هو الحق .. ، وهذه هي الحكمة الكامنة وراء الشهادة .

ان الشهادة هي السمة والطبيعة التي تحملها وتتسم بها مسيرة اهل الحق والصلاح ، لأن عبق الدم وشهادة الانسان وفقدان الاعزة ، كل ذلك دليل على صدق صاحب الرسالة . ، ولولا صدقه لما اقدم على هذه المخاطر .

العلماء منقذو البشرية من الضلال :

ان المهمة الاولى للانسان الرسالي الذي يريد حمل رسالات الله ، هو تبليغ هذه الرسائل واقتناع الناس بها ، لذلك نجد بان هذه المهمة التي هي ايضاً مهمة العلماء — لأنهم ورثة الانبياء — هذه المهمة تجعل علماء أمة النبي (ص) قدوات هذه الامة .

فالاسلام لم يجعل المجاهدين على فضلهم وفضيلتهم وسناء درجاتهم ، لم يجعلهم قادة لهذه الامة ، بل جعل العلماء بالله والامناء على حلاله وحرامه والفقهاء بدينه ، المخالفين لاهواءهم والمطيعين لأمر مولاهم ، جعل هؤلاء هم المقلدون والمراجع والقادة

والسادة والائمة في هذه الامة ، لأن هؤلاء مهمتهم تبليغ الرسالة .
ولقد فضل الله العالم الواحد على سبعين عابد ، وجعل فضله على العابد كفضل
القمر على سائر النجوم ، والسبب لأن العالم ينقذ الناس من الضلالة ولكن العابد
لا ينقذ إلا نفسه ، وهذا ما يجعل العالم افضل من العابد والمجاهد . والحديث الشريف
يقول :

« مكوث العالم خير من شخوص الجاهل » .

فلو كان في الارض قائماً في بيته يدوا الناس الى الله فهو أفضل وأعظم درجة من
ذلك الجاهل الذي يسعى في الارض من أجل الله ، وكذلك جاء في الحديث الشريف :

« مداد العلماء خير من دماء الشهداء » .

لأن هذا المداد يقوم بالدعوة الى الله و يبلغ رسالاته .

أما العالم الغير عامل ، الذي لا يبلغ الرسالة ولا يتحمل مسؤوليته في تبليغها ، فانه
كشجرة بلا ثمر لا تنفع الناس في شيء ...

الاعلام الرسالي المتطور .. ضرورة :

لكل منا مهمات عديدة ولكن العمل الالهم هو تبليغ الرسالات الالهية . وهذا
العمل لا يتكامل إلا بعد ان يجعل كل واحد منا من نفسه جهازاً اعلامياً وتبليغياً
متكاملاً . ولا ينبغي لنا ان نبرر تقاعسنا عن تكوين هذا الجهاز باي شكل من
الاشكال .

فكل مؤمن ومسلم ، يتحمل المسؤولية على قدر ما يحمل من العلم ، وبالتالي يجب
عليه تبليغ الرسالة .

ففي بعض الاحيان نحن نجلس في انتظار من يأتي ليناقشنا في مسؤولياتنا ،
ويستشكل علينا جهادنا ضد الانظمة ، ونحن نقوم برد هذه الاشكالات والشبهات .

وقد لا يكون الامر على هذه الصورة . حيث يأتي الواحد منا الى الشارع او سائر
الاماكن ليدعو الناس ويتحمل تبعات دعوته هذه ، حيث قد يتهمه البعض بالخبل
والجنون . وعند ذلك يجب ان نتحمل اقوالهم واتهاماتهم لأن الانبياء قد تحملوا فيما مضى
ما هو اشد من ذلك ، وفي طليعتهم النبي الاكرم محمد (ص) ولنا في الانبياء اسوة

حسنة .

لقد مرت الآن سنين عديدة على انتصار الثورة الاسلامية ، وسنين اكثر على نمو الحركة الرسالية في العالم الاسلامي كله ، لكن لا يزال تبليغنا تحت الصفر بمئات الدرجات ، ولازلنا نفتقر الى الكثير من الافلام السينمائية والتلفزيونية والفيديوية ، ولا زالت مسارحنا وصحفنا واجهزتنا الاعلامية قليلة العدد ، ضئيلة .. ضعيفة وضحلة المستوى تنعدم الاساليب الاعلامية الذكية فيها ...

حتى الخطباء لا زالوا يتبعون ذات الاساليب القديمة إلا من ندر منهم من الذين بزغوا ونبغوا في هذا الخط . في حين اننا نجد الخطباء القساوسة المسيحيون يهزون المجتمعات بخطاباتهم واساليبهم القوية ولذلك يغزون العالم . ان كل ما لدينا لم يتطور بعد كالحظابة ، القلم ، المنبر ، الجرائد والصحف ، ولم نحاول استخدام أساليب جديدة كالفنون التشكيلية وفن المسرح والاذاعة والتلفزيون ولم نبرع حتى في مجال الشعر . فنحن لم نجد حتى الآن من برز فينا — نحن العراقيين — مدافعاً عن القضية العراقية بملاحم شعرية قوية ، وكل ما لدينا مجموعة قصائد واشعار متناثرة لم يتكامل بعضها من الناحية الادبية والفنية إلا البعض القليل منها .

ان الاسلام شجع على الشعر وضمن لكل من ينشد بيتاً — أي شطرين من الشعر — بيتاً في الجنة . واتباع اهل البيت (ع) كانوا هم الاشعر في تاريخ المسلمين . وكذلك الرسول الاكرم (ص) شجع الشعراء من اصحابه كحسان بن ثابت وغيره على انشاد الشعر . وكذلك الائمة عليهم السلام .

ان كل من هذه المآسي التي حفل بها عصرنا والتي مرت على أمتنا لجديرة وحفية بان تلهمنا ملحمة شعرية أو فنية رائعة .

فمثلا في الدمار الاخير الذي لحق بقم المقدسة رأى احدهم امرأة وعلى صدرها طفلها الرضيع وهما شهيدين ، هذا المنظر المفجع ، منظر امرأة ترضع طفلها في جوف الليل وتأتي طائرات الاستكبار لتردي هذه المرأة وطفلها شهداء عبر قصف منزلها ، هذا المنظر وغيره من المناظر لا بد أن يعبر عنه بالشعر وبالفن التشكيلي وبعشرات الاساليب .

الاسلوب الافضل للهجوم :

ينبغي علينا اليوم ان نقوم بدور المهاجم في التبليغ لا بدور المدافع ، وعلينا ألا ننتظر حتى يأتي المستكبرون و يقدمون فيلماً في التلفزيون الايطالي وآخر في التلفزيون الالماني ، و يهينون بوسائلهم الاعلامية مقدساتنا ، ثم بعد ذلك نواجه ونجابه هذا الفيلم . فنحن يجب ان نهجم قبل ان نهجم لأننا على حق .

ان حوالي (٩٩%) من البشرية اليوم في العالم لا يعرفون شيئاً عن القضية العراقية وعن جرائم النظام الصدامي في العراق وكل ما يعرفوه هو ان هناك حرباً بين دولتين لا أكثر من ذلك ولا أقل . ولهذا فاننا لا يمكننا ان ننتظر منظمة الحقوق التابعة للامم المتحدة أن تأتي للدفاع عن حقوقنا . ولا ينبغي ان ننتظر استيقاظ ضمير البشرية الذي تراكمت عليه الوسائل الاعلامية ، ليأتي و يدافع عنا .

اذأ لا بد من الهجوم وهي قضية على درجة كبيرة من الهمية ، فُتَجَارنا لم يعرفوا حتى الآن اهمية الاعلام والتبليغ والتطور في وسائل الاعلام الحديثة ، وشبابنا لم يعرفوا اهمية ذلك فينخرطوا في هذا المجال . واننا كامة لم نعرف حتى الآن اهمية رسالتنا .

نحن لا بد ان نحمل رسالة القرآن وافكار القرآن باية وسيلة و باية لغة ومنطق واسلوب . وقد أمرنا الله باختيار الاسلوب الافضل وجعل مسؤوليتنا مكرسة في هذا الاختيار .. ، فهو يقول عز وجل شأنه :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (٢)

وقد اطلق الكلمة بقوله (بالحكمة والموعظة الحسنة) ، وهذا الاطلاق في القول يفسره علماء البلاغة على انه الاختيار بالعقل .

فالفرد يختار الحكمة حسب الظروف المناسبة والمتغيرات في الساحة ، ويختار الاسلوب الافضل والكلمة الافضل ليبلغ بها رسالات الله . فتطور الاساليب والوسائل الاعلامية يقع على عاتقنا لا على غيرنا .

المطلوب الان ننتظر المزيد حتى تهاجمنا وسائل الغرب الهائلة في قوتها ، بل نهجم من الآن فصاعداً لأن الغرب قد بدأ الهجوم ..

ففي معرض للكتاب في يوغسلافيا كانت هنالك كتباً كثيرة مكتوبة باللغة الصربية اليوغسلافية وكنت حاضراً في هذا المعرض الضخم الذي اقيم على مساحة واسعة من الارض وحوى اعداداً هائلة من الكتب، ولقد وجدت على هذه الكتب صوراً لمعممين، ولاني لم اكن اعرف اللغة الصربية سألت سفير الجمهورية الاسلامية عما يتحدث عنه تلك الكتب، فقال ان اكثرها يتحدث عن غزو المسلمين ليوغسلافيا والآثار البشعة لهذا الغزو، وغير ذلك مما ينال من كرامة الاسلام والقرآن والمسلمين، مع العلم ان في يوغسلافيا اقلية اسلامية خاصة في مقاطعة بوسنا وفي حدود المانيا .

وكذلك في القاهرة كان هناك معرضاً للكتاب حوى الكثير من الكتب الحديثة، لكن معظمه اي حوالي (٩٩,٩%) منها كانت غير اسلامية. وكان عدد هذه الكتب الحديثة الغير اسلامية حوالي مليون ونصف كتاب اي مليون ونصف عنوان وموضوع جديد، اما عدد النسخ التي اشتركت في المعرض فكان عددها (٣٨) مليون نسخة .. !! بينما نجد ان معرض الكتاب الاسلامي الذي اقيم في طهران مؤخراً بمناسبة عشرة والفجر، وهو اضخم المعارض التي اقيمت طيلة السنين الماضية، هذا المعرض كان يحتوي فقط على سبعة الآف عنوان لكتب جديدة .

كيف نتصدى للاعلام الاستكباري؟

ان العالم يهاجمنا بهذا الاسلوب، بأسلوب الاعلام والثقافة وينشر الافكار التي تمس بالاسلام والمسلمين ..

— فكيف اذاً يجب ان نواجه هذه الهجمة الاستكبارية الشرسة؟

علينا ان نواجهها بان يصنع كل منا نفسه جهاز اعلامياً .. فهجوم الغرب لا يقتصر على هذه المعارض وغيرها بل انه تسرب الى بيوتنا ايضاً عبر الاذاعات والصحف والكتب، فالكفر— مهما كان— هو كالنور الذي يتموج ويتحرك ليصل الى كل مكان وكل انسان، ليصل الينا والى ابناءنا ويشوه افكار ابناءنا على حين غفلة منا واذا بنا نجد اولادنا وقد اصبحوا شيوعيين أو بعثيين أو يساريين أو يمينيين وغير ذلك من المذاهب الوجودية المختلفة، التي بدلت الجيل على حين غرة ...

فمن الذي تحول الى بعثي في العراق؟، ومن الذي يأتي ويقود طائرة بعثية

استكبارية على اصفهان وقم وطهران وسائر المدن ، و يقتل الاطفال ؟ أليس هذا الفرد بمسلم شيعي ؟ ...

بلى انه مسلم ولعله ابن عالم روحاني ، ولعل امه كانت امرأة متدينة ، زائرة للأئمة — عليهم السلام — ومؤدية لفريضة الحج ، ولعله لا يزال يحمل في فطرته آثار الايمان . لكن هذا الفرد التقطه عفلق وامثاله وجعل منه بعضياً .

لماذا لم نستطع تغييره (نحن) قبل ان تلتقطه هذه الافكار وتغيره ؟ ..

لم نستطع ذلك لاننا سكتنا ، ولم نحول الاحداث الى اعلام جاد ، لاننا لم نتطرق باحاديثنا وافكارنا امام الاطفال والجيران ، بينما المؤمن على نقيض ذلك ، فهو شعلة متقدة من الحماس ، المؤمن يتحرك دوغما توقف ولا ينتظر ان يأتي اليه من يوجهه ، يتحرك من مكان الى مكان وينتقل غير مبال بانعدام المال أو الوسائل ليبلغ رسالته ودينه للبشرية .

منشأ الفكر التبريري :

ان للامواج الغربية التي دخلت في بلادنا آثار كثيرة . فاننا نجد مثلاً الكثير من الناس من يرفض الجهاد في سبيل الله بل وتجدهم يعترضون على المجاهدين و ينتقدون جهادهم .. فيقولون مثلاً :

لقد تعبنا من الجهاد والعمليات الجهادية التي قمتم بها ، ان حديثكم ضد السلطة وما قمتم به من الاعمال كان سبباً في اخراجنا من العراق ، افلا يكفيكم هذا ؟!
هذا الفكر المعوق الذي يريد ان يسلب قدرة الانسان على التحدي ويخدره ويبرر تقاعسه ، هذا الفكر ليس نابعاً من هؤلاء الافراد انفسهم ، وانما هو فكر جاء من مسافة بعيدة وتسرب من خلف الحدود عبر الاذاعات والصحف ، ثم وصل الينا بعد ان انتقل وتوج من انسان الى آخر .

القرآن وضوح في الرؤية والعمل :

ولكي ندحض هذه الافكار الانهزامية ، علينا الانجلس امامها مكتوفي الايدي ، بل نتكلم ونبلغ مادمتنا على حق ، اما اذا كنا على باطل فعليتنا ان نغير أنفسنا وطريقنا

ولانبقى في شك فاذا كنا مجاهدين ودعاة الى الله والى الوحدة والعمل والاجتهاد ونظم الامور، ينبغي ان نحمل رسالتنا دون خوف وهذا هو واجبنا ومسؤوليتنا .
والقرآن الحكيم يؤكد في أكثر من آية على ان هذا هو طريقنا ومسؤوليتنا وبصراحة مجردة من النفاق والكذب والالتواء ..

« قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني »

فبما ان الطريق واضح فانا أبصره واسلكه وكذلك يفعل كل من يتبعني، اي ان المؤمن التابع لرسول الله (ص) تشمله هذه الآية، ثم يقول :

« وسبحان الله وما انا من المشركين »

اي ان جوهر دعوتي وعملي هو توحيد الله سبحانه وتعالى ورفض الشرك، اي رفض الحكومات الظالمة، رفض الاصنام والمذاهب والمبادئ والافكار الغربية والدخيلة . وهذا يمثل منتهى الوضوح في الرؤية والعمل .

ان هجمات الاستعمار وضغوطاته تتكاثر علينا اليوم وبشكل ملحوظ من اجل ان تهزمننا نفسياً وتنشر فينا الافكار التبريرية والتعجيزية، ولنكف عن الجهاد ومحاربة الاعداء وهذا هو هدف الاستعمار .

إذاً لابد لنا ان نحمل رسالتنا بقوة وصلابة وايمان وندعو اليها كل فرد ونقنعه بها ونتحدث بها للمصغير والكبير، للقريب والبعيد، في الشارع والبيت، لاننا مسؤولون عن الناس جميعاً، ولان رسالات الله ليست لفئة دون اخرى انما هي للجميع .

علينا ان نبث الافكار الصحيحة في كل مكان وخاصة الافكار الجهادية والعملية اما اذا لم يريد المؤمن ان يجاهد فانه له في قعوده مسؤوليات وواجبات اخرى كثيرة كاعانة المجاهدين بالمال، أو مساعدتهم ودعمهم بالكلمة الطيبة والتحريض والتشجيع .

إذاً فلتحاولوا جميعاً ان تبثوا في الناس الفكر السليم، الفكر الجهادي والايماني وهذه أهم رسالة .

اعلام ناقد

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ
النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ
مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَنَّا كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ ظُغْيِينًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ أَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ *

من الاسلحة الفتاكة التي تستخدمها القوى الشيطانية في الارض لاحكام سيطرتها
على الناس وابعادهم عن سبيل الله ، سلاح الاعلام المضلل الذي يكون مشكلة مزدوجة
أمام الانسان ، ذلك لان سلاح الاعلام يستطيع انزال اقوى الضربات على الانسان في
الوقت الذي يجعله يؤمن بشرعية عمل الطاغوت ، أي أنه يقتله برضاه ، كما أنه يؤثر على
حياة الانسان سواء في الدنيا أم الآخرة ، ففي الدنيا يسيطر الطغاة على الناس بسببه ،
وفي الآخرة يدخله نار جهنم .

وبما أن الاعلام من أساليب الشيطان فان الله عزوجل يحذر في آيات عديدة من
الوقوع في شرك الشيطان ، لأن الشيطان لا يشارك الانسان في الدنيا فقط فيوجه اقتصاده

ويمنح لسياسته ويرمج لاجتماعه ، وانما يشاركه في تحديد الآخرة حيث يهديه الى سواء الجحيم ، لذلك ينبغي على الانسان ان يحارب الاسلحة الاخرى مرة بينما يحارب الاعلام المضلل ألف مرة .

ويبدأ الجهاد ضد هذا الاعلام المضلل من ضمير الانسان وقلبه ، ذلك لأن الانسان ينبغي أن ينكر المنكر بقلبه أولاً ثم يلسانه ومن ثم ان استطاع فييده ، ومن باب ان اضعف الايمان محاربة المنكر بقلب الانسان ، فان الذي يحارب المنكر بقلبه انما يحارب اعلام هذا المنكر ، بعكس الكثير من البشر الذين بدأوا بظلم أنفسهم فظلمهم الطغاة دون ان يحركوا ساكناً لأنهم منذ البدء لم ينكروا بقلوبهم . كوضع العراق - حالياً - والذي يكون فيه محاربة نظام صدام الوحشي بسبه ولعنه وبيان مثالبه والدعاء عليه واجب شرعي ، لأن الأنسان العراقي في ذلك الجو الموبوء بزوبعة اعلامية هائلة القوة قد يذوب ومن ثم يصبح جزءاً من الواقع الفاسد ، وذلك من التأثير بمرتزة الاعلام ووعاظ السلاطين الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم واشتروا سخط الخالق برضا المخلوقين حتى يفلسفوا عبودية هذا المواطن لاله المزييف صدام ، ويجعلوه دمية لتحطيم هذا الصنم الذي هو وكيل عن مجموعة اصنام في المنطقة .

مع العلم اننا نتعرض في كل لحظة وعلى مدار السنة الى شلال الاعلام المضاد ، فوكالات الانباء هي وجه من الابواق الشيطانية والصحف والمجلات هي وجه آخر لنفس الهدف ، وهم بهذه الوجوه يحاولون صياغة الشعب عبر برامج معينة ومن ثم يساعدون السلاطين في امتصاص دماء الشعوب عبر هذا الاعلام المضاد الخارجي ، والذي يتفاعل معه الشيطان الذي ينشط في داخل الانسان بسبب وجوه هذه العوامل .

ولمقاومة ذلك الاعلام علينا أن نذكر الله بقلوبنا ونستعين به ونتوكل عليه ، ومن ثم نستعيز بالله من شرور الشيطان الذي يتمثل في صوت مونتكارلوا ولندن وبغداد المتعاونة مع الصليبية الحاكمة ، والاستعاذة بالله هي مقدمة تجنب ذلك البوق الاعلامي الذي ينطق عن الشيطان مثل مريم حينما رأت ذلك الرجل استعاذت به ، كما يقول عزوجل في كتابه :

« فتمثل لها بشراً سوياً * قالت أني أعوذ بالرحمن منك أن كنت تقياً » .

(سورة مريم ١٧-١٨)

أي أنك حين تواجه مشكلة أو وضعاً استثنائياً، فتخشى ان تقع في شرك الشيطان فعليك بالاستعاذة بالله، لأنه سينقذك من كيد الشيطان ومكره، أما اذا لم تستعذ به ولم تتوكل عليه فانه سوف يكللك الى نفسك مما يؤدي بك الى الخسران، مثل يونس بن متى الذي أوكله الله عزوجل الى نفسه طرفة عين، فدعا على قومه فيها، فابتلاه الله بذلك السجن الرهيب في بطن الحوت، والذي أنقذه الله بتسبيحه له « ولولا انه كان يسبح ربه للبث في بطنه الى يوم يبعثون » وكثير من الآيات تؤكد على ذلك حتى يعيش الانسان متحصناً من اغواء الشيطان فيسعد في الحياة، حيث يقول عزوجل :

« واذكر ربك اذا نسيت » .

(سورة الكهف ٢٤-٢٥)

« يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلاً » .

(سورة الاحزاب ٤١-٤٢)

وكما يقول الدعاء (اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين أبدا) .
لذلك علينا انكار المنكر بقلوبنا لأنه واجب، وخاصة لواقعنا المتخم بهذه الاحداث البعيدة عن رسالات الله عزوجل، فعندما هجم الفلسطينيون الشجعان على مطاري فينا وروما وضحوا بأنفسهم في وضوح النهار، امتلأت الاذاعات العالمية صخباً وضجيجاً وتضجيراً من وقوع هذه الهجمات التي وصمت بالارهاب ضد الشعوب الامنة، ولكن هل صحيح أنهم ارهابيون؟

انهم ليسوا ارهابيين، لان الارهابي هو الرئيس الامريكي ريغان الذي يدعم اسرائيل ويمدها بالقوة والسلاح والدعم السياسي في المحافل الدولية كمجلس الامن وغيره .

كما ان الارهابي هو ذلك الجندي الذي يجلس وراء حصون متحركة من الحديد كالدبابات والطائرات، ثم يهبط ليلاً على قرية من قرى لبنان، فيخرج أهلها الذين يقدر عددهم بـ (٢٠٠٠) بين كهل ورضيع وامرأة وعجوز الى صحراء عارية وفي هذا الشتاء

القارص ثم ينفس بيوتهم بيتاً وبيتاً وأمام أعينهم .

هذه الأحداث انما هي عبر وحجج متتالية من الله عزوجل حتى يكشف مدى بعد هذا النظام العالمي الاستكباري عن رسالات الله وخصوصاً عيسى بن مريم وموسى بن عمران الذي يتشدد الكثيرون بالانتساب لهما، ففي هذه الايام — ايام الاختفال بذكرى ولادة عيسى بن مريم حيث يتحدث رئيسا القوى العالمية في الارض ريغان وغورباتشوف وشعب الآخر بالسلام في العالم ورئيس الفاتيكان كذلك — تحدث هذه العملية الاسرائيلية ضد هذه القرية النائية في جنوب لبنان، وضد أهلها الذين دأبوا في سبيل بناء بيت متواضع في هذه القرية النائية ليحميهم من آفات الاعداء وشروورهم، لأن رجلا من أهل هذه القرية أطلق صاروخاً على ما يسمى بتراب (اسرائيل)، ولم يصب أي اذى سواء في المباني أو الارواح فتقوم اسرائيل بهذه العملية انتقاماً من أهلها لهذا السبب، لأن منطق (اسرائيل) هو أن تهدم قرية بكاملها لأن واحداً من أهلها اطلق رصاصة أو صاروخاً على العدو الغاصب .

ومن ثم تمتلأ هذه الاذاعات صخباً وضلالاً ضد هؤلاء الابطال فتسميهم بالارهابيين، والغريب في ذلك ان بعض العاملين يتأثرون خشية وصمهم بالارهاب فيتراجعون عن أهدافهم التي رسمها الله لهم بسبب اسلوب الشيطان الاستكباري، وكما أستخدم ذلك قديماً حيث كانوا يقولون لمن يلتحي ويصلي أو يدعو الناس الى الايمان بأنه رجعي، فيتراجع بعض ضعفاء النفوس عن دينهم وایمانهم رغم أنهم اطمأنوا الى سلامة طريقتهم في هذه الحياة .

اذن هذا الاعلام لن يؤثر علينا، رغم أننا لا نوافق على قتل الابرياء سواء في روما أم في فيينا أو في طائرة مخطوفة، لأن سياستنا لا تشتمل على قتل الابرياء، ولكن لا يحق لهؤلاء السخفاء من مجرمي الحرب وسفاكي الشعوب الدوليين ان يحدوثنا عن قتل الابرياء، لأنهم أول من يقومون بقتل الابرياء، فرؤساء (اسرائيل) لا يحق لهم التحدث عن حقوق الانسان لانهم أول من انتهكوا الحقوق الانسانية للشعب الفلسطيني حيث قاموا بأبشع الجرائم الوحشية تجاههم، كما أن علينا ان لا نأبه بالاوصات الاعلامية التي تنسج من هنا وتزأر من هناك داعية الثوريين الاسلاميين الى الامتناع عن بعض الاعمال

بحجة أخذ الدول الاستكبارية لها كذريعة لضرب المجاهدين ، لأننا ان قبلنا ذلك سنخضع لهم غداً حين يمنعوننا عن الصلاة بحجة الارهاب .

اذن مادام الاعداء كذلك من حيث عدم تورعهم عن قول الزور والكذب واحترام الآخرين فلماذا نخشاهم ؟

يجيب ربنا عزوجل ذلك في كتابه حين يقول :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

(سورة البقرة - ١٢٠)

أي فلنقل الحق ، لأن الحقيقة صريحة وواضحة ، واذا لم نكن قادرين على مقاومتهم باليد فلا أقل لنقاومهم في انفسنا ، لأن العار والشنار لمن يهزم في ذاته أيضاً ، لذا علينا ان لانكون كذلك المسروق الذي تسلل سارق الى بيته ، فسرق امواله وهوراض بما فعل به، لأن ذلك سيجره الى العبودية لذلك السارق ، ومثله مثل اسرائيل التي اغتصبت أرضنا وهجرت شعبنا ثم لاتعترف بوجود شعب اسمه فلسطين على هذه الارض على لسان رئيسة وزراءهم جولد مائير التي تستنكف حين يذكر اسم فلسطين أمامها ، على ذلك فلنقاوم اعلامهم وتضليلهم ، لأن ربنا عزوجل يذكرنا بهذه الحقيقة في الآيات التي توج بها الحديث حين يقول :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالته » .

أي أنه لا يحق للانسان الذي يحمل رسالة السكوت عن الحق مهما كان الامر ، وحتى لو حاولوا وصفنا بأي صفة أمام الاعلام الطاغوتي العالمي فعلينا أن نلعنهم ونبرز سيئاتهم للعالم لأنهم كفرة وفسقة ومضللون يستخدمون أجهزة اعلامية رهيبة لاغواء الشعوب ، هم يمتلكون في الويات المتحدة الامريكية (٢٠٠٠) اذاعة وعشرات الصحف التي تنسخ بأكثر من مليون نسخة وشبكة واسعة من الاحزاب والتجمعات والتنظيمات والنوادي الروتارية ، هذا بالاضافة الى الاجهزة العميلة في دول العالم .

في مقابل هذا الصخب الاعلامي كيف نعمل ؟ كيف نتوقى اعلامهم ؟

اننا نملك ارادتنا التي تستطيع عمل كل شيء ، فهي تستطيع أن تكون من كل واحد منا جهازاً اعلامياً متكاملاً يشرح للناس مثالب الطغاة فيؤلبهم عليهم ، و يكون ذلك

خاصة باشاعة الاخبار والاحداث التي تخدم الاعلام الرسالي، ولا ضير في سبيل ذلك تخصيص ساعة من يوم ما لنشر هذا الحدث بين الجماهير ليساهم في دفع الحركة الرسالية لأنه لو قام كل مسلم على وجه هذه البسيطة بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واشاعة الخير والدعوة الى الحق بنفسه ليل نهار لتضافرت جهود مليار وثلاثمائة مسلم لتكون امواجاً اعلامية مضادة تخرق كل الظلمات التي أنشأتها أجهزة الاستكبار العالمي مما يساعد في ازدياد رقعة التحرك الاسلامي .

وهذا ما يستخلصه بعض المؤرخين التاريخيين من ارسال الامام علي (ع) اخاه عقيل الى بلاط معاوية ، حيث ان عقيل كان منطقياً سريع البداهة في الكلام ، وذلك حتى يذكر مناقبيات أهل البيت (عليهم السلام) والافشاء بمساوىء الطغاة امثال معاوية ، ففي ذات مرة كان داخلا على بلاط معاوية فقال معاوية لعقيل : — مالكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم فأجابه عقيل بجواب مفعم حيث قال : — ومالكم تصابون في بصائركم !!

أو كما فعل الامام الحسن (ع) حين دخل على معاوية وهو مريض فأجلسه أصحابه ليظهره بمظهر القوة ، وفور ما دخل الامام الحسن قال معاوية —

بتجلدي للشامتين اريهم

اني لريب الدهر لا أتضعع

فأفعمه الامام ببيت شعر لمؤلف نفس القصيدة حيث قال : —

واذا المنية أنشبت أظفارها

الفيت كل تيمة لاتنفع

هذا اسلوب في مقاومة الاعلام المضلل لأن افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان

جائر .

ولو كان المسلمون في هذا المستوى من الوعي والايان ، لكون كل واحد منهم جهازاً اعلامياً متكاملًا يستطيعون به هدم صروح الطواغيت ، وهذا ما كان في ايران قبل انتصار الثورة الاسلامية ، ففي اوج الثورة كان النساء يجلسن بعد صلاة العشاء من كل ليلة ويلعنون الشاه (١٠٠) مرة كما يدعون عليه بالموت ، وكأنه من المستحبات المؤكدة ،

كما كانت كل شرائح الشعب تلهج بالموت للشاه ، ففي بداية كل مكالمة تليفونية لا يتجاوب الطرفان الا اذا لعن كل منهما الشاه ودعا عليه بالموت .

هكذا توجه الحراب ضد الطاغوت من كل زاوية في المجتمع سواء في البيت أو الشارع أو المسجد وغيره ، لأن اسقاط الصنم في القلب يكون مقدمة لاسقاطه في الخارج ، أي أن الاعلام المضاد هو الذي يساهم في اسقاط الاصنام الاستكبارية ، وفي ذلك يقول ربنا عزوجل :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

حيث أن هذه الآية تأتي في سياق الحديث عن اليهود والنصارى :

« ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم * ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون * يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين * قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين » .

وحيث ان الله عزوجل يعلم بأنه سيأتي على أمة محمد بن عبد الله (ص) حين من الدهر يخضعون لاعلام اليهود والنصارى ، لذلك فهو يحذرهم من الخضوع اليهم و يأمرهم بمقاومتهم ، لأن اليهود يزعمون بأنهم من أتباع موسى بن عمران ، بينما يدعي النصارى بأنهم من أتباع عيسى بن مريم ، في الوقت الذي يبين لنا عزوجل سريرة هؤلاء حين يقول :

« قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » .

لأن مجرد الادعاء بالانتماء الى رسالات الله لا يكفي ، بل العمل هو الذي يبرهن ذلك ، واذا كان عملهم من قبيل الظلم والقتل والوحشية ازاء الشعوب فمن اي شريعة يستقون ذلك .

هذا مع العلم ان كثيراً من الارساليات التبشيرية ربما تخلص في عملها الا أن
استراتيجيتها العامة تصب في خدمة الاستكبار العالمي .
ولذا فان واجبنا في سبيل تقوية الاعلام الرسالي والحركة الاسلامية هو دعم الكتب
والمنشورات الرسالية التي تساهم في انشاء مجتمع حضاري يرفض كل هجيات الطغاة
ليحكم برسالة الله .

تطوير حضاري

بسم الله الرحمن الرحيم

«الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد * الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد * وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور * وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم * وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد * » .

(سورة ابراهيم / ١ - ٨) .

أهم ما في بصائر القرآن هداية الانسان الى السنن العامة التي تقود الكون وتسود الحياة ، ذلك لان هذه السنن ثابتة لا تتغير منذ أن خلق الله عزوجل السموات والأرض وهبط أبانا آدم وأما حواء على ظهر هذا الكوكب ، والى هذا اليوم وحتى قيام الساعة .

معرفة الحقائق طريق النجاح

كلما اقترب وعي الانسان الى احتواء هذه السنن العامة ، كلما كانت حياته أكثر استقامة وسعادة ، لان معرفة هذه السنن هي الخطوة الاولى نحو الاستفادة منها والانتفاع

بها .. والانتفاع بهذه السنن بذاتها هي الطريقة المثلى للوصول الى السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة .

الآيات المتقدّمة من سورة ابراهيم توجه الانسان الى تلك السنن ، ويعبر عنها ربنا عزوجل بالبصائر والهداية اليها ، وفي هذه الآيات بالذات يشبه لنا الله تعالى هذه الحقيقة بالخروج من الظلمات الى النور .

ان جميع البشر يعلمون ظواهر من الحياة .. لون السماء أزرق .. ولون الأرض أديمي .. والبحر يتموج .. وقاعدة من يقع من شاق يتهشم اذا لم يمت .. والمرض يقعد الانسان عن العمل ويشعره بفضل الصحة .. هذه الظواهر كل الناس يعرفونها ، ولكن هل وصلوا الى حقيقة النور ؟ .

ان معرفة هذه الظواهر ، لاتعطي الانسان نوراً في الحياة ، ولو كان كذلك ، لكان الكل يسيرون على وهج هذا النور .. إلا أن هذا الظاهر فقط ، لان النور الذي جاءت رسالات الله المتطاولة في السنن الماضية لبعثه في البشر واخراجهم من الظلمات الى النور .. هذا النور هو العلم بحقائق الكون وبما ورائياتها كغروب الشمس وشروقها وحركة الافلاك والمجتمع والعلم بقوانين الحياة وسننها الغيبية التي لو عرفها الناس ، لسلكوا الطريق القويم بدل الوقوع في المهالك .

« الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد » .

وبعد ذلك تأتي أهمية ضمان اجرائها واستمرار تنفيذها ، وهذا ثابت بالبيديه ، لان رب العزة الذي له الحمد هو الذي ينفذها ويجريها .

واذا تحققت هذه السنن .. ازداد الانسان بوعي كاف يمكنه من السيطرة على حياته .. بينما اذا كفر الانسان بهذه السنن ، فسوف يقع في المهالك ، والآية المتقدمة تبين بعض صفات الكافرين وتركز على سمة الكفر بنعم الله وحقائق الكون التي تجلب العذاب الويل للانسان في الدنيا والآخرة .

« الذين يستحبون الحياة الدنيا عن الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً

أولئك في ضلال بعيد» .

الجهل حاجب السنن

السنن الالهية في الكون واضحة كجلاء الشمس ، إلا أن البعض لا يصيبيها ويخطأ في معرفتها .. لماذا ذلك ؟

إن اقتصر الفهم في إطار الحياة الدنيا يؤدي الى عدم معرفة هذه السنن ، وهذا يشبه الذي يذهب الى صالة الامتحان أو غرفة الدراسة دون الالتفات الى ما وراء هذه الساعات القليلة من مستقبل زاهر فيصيبه الفشل ، لانه حصر علمه في اطار ضيق ومحدود .. وهكذا الانسان الذي يفكر في الحياة الدنيا فقط دون العلم بأنها مقدمة لمسيرة طويلة وحياة أبدية خالدة .. فان معرفته الى الحياة تكون معرفة سطحية فاشلة ، تؤدي الى الشقاء في الدنيا قبل الآخرة .

وبهذا المفهوم نستطيع تشخيص الانحرافات الهائلة التي تجوب مختلف مجالات البشر ومعرفة السبب الرئيسي في ذلك ، وهو الجهل ، الذي أطلقت كلمة «الجاهلية» اشتقاقاً من هذا المصدر .. إن ما يجري في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وسائر الدول الاوروبية الشرقية منها والغربية من ظلم للانسان وتعد على حقوق البشر وتجاوز على الخلق والقيم الانسانية ودفع البشرية الى أتون الحرب النووية السوداء .. كل هذه الظواهر من الجهل ، لو كانوا يعرفون نهاية الحياة ونتيجة عملهم هذا لما وقعوا في ذلك ، وبالتأكيد ان الحاصل في الدول المسماة المتقدمة هو ظاهر من التقدم وليس التقدم الحقيقي ، لان التقدم الواقعي الذي ينبغي أن نقف له اجلالاً هو تقدم البشر في مجال الاخلاق والتكامل الروحي ومدى انسانية الانسان وعطاءه للآخرين .. أما الحضارة والتقدم التي تشمل على ظواهر مريعة هي من صلب الجاهلية الجهلاء ، فليست تقدماً .. واليك امثلة لذلك :-

• بيع مليون طفل سنوياً ، لاشباع غرائز جنسية لبعض المترفين عبر الافلام الجنسية الاكثر شذوذاً ، بحجة الفن السخيف ، على الرغم من أن كثيراً من هؤلاء الأطفال — حسب نقل المنظمات الدولية كمنظمة اليونسيف — يموتون بين سن (٣-١٥) سنة ، وأكثرهم ينتحرون أو يقتلون في عمليات جنسية شاذة مصورة تشبع رغبات الساذجين .

• مصائب انسانية مروعة تحدث في كمبوديا وفيتنام وأفغانستان والعراق وسائر الدول المستضعفة يذهب ضحيتها الآلاف من البشر والملايين من الدولارات .. مما يجلب شقاء الانسان .

• صناعة الاسلحة الكيماوية التي تقتل البشر (٥٠٠٠) مرة ، أو الاسلحة الذرية التي تبسط على الأرض الشتاء النووي لمدة ثمانية شهور ، أو القنابل الهيدروجينية التي تقسم القمر الى نصفين فتبيد الحياة من على ظهر هذا الكوكب .

• يموت في اليوم الواحد ألفا شخص بسبب حروب المخدرات .

كل هذه الظواهر لا تعكس تقدماً حقيقياً يرتقي به البشر ، بقدر ماتنيء عن تخلف عميق في الجهل وتوغل مشين في الوحشية :

«الر* كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد» .

تتبع هذه الآية المباركة قصة كليم الله موسى الذي قاوم المستكبرين من فرعون وملائه لتبين حقيقتين في طريق التغيير :-

١ - غير ذاتك أولاً :-

ان إخراج الناس من الظلمات الى النور ، ينبغي أن يتجسد في خروج الانسان من ظلمات جهله وأخلاقه السيئة الى نور الاخلاق الحميدة والبصائر الالهية ، ثم يشرع في اخراج سائر الناس من ظلمات الاستكبار والترف الى نور العدالة والاستقامة .

٢ - هذب نفسك مع الصراع :-

اخراج الناس من الظلمات الى النور لا يكون بالعمل الفردي عبر تركية الذات والجلوس في صومعة نائية عن المجتمع للاشتغال بتهديب النفس .. كلا .. ان عملية التغيير الى الاحسن يكون عبر الصراع الحاد الذي تتركز أسسه على رسالات الله ، لان الصراع قائم في هذه الدنيا منذ أن قتل قابيل هابيل ، ورسالات الله جاءت لاعطاء الصراع وجهة وهدفاً مقدساً عبر أساليب انسانية رفيعة ، ولهذا لا بد أن يكون الصراع ضمن تهذيب النفس الذي يكون بدوره ضمن اطار الصراع بين الاستكبار والاستضعاف كصراع كليم الله موسى مع طاغية زمانه فرعون .. وهذا الصراع الابدي هو

الذي يهذب الانسان ويمحص ما في قلبه ويميز الحسن من القبيح و يعطيه أفقاً واضحاً في دراسة وضع المسلمين عن كتب .

شهر محرم ربيع الانتصار

شهر محرم مناسبة ذهبية .. نستفيد منها في القفز بشعوبنا الاسلامية مراحل عدة ، وخاصة لشعبنا المسلم في العراق ، إذ أن محرم نفحة الهية مباركة لا بد أن نتعرض لها .
« إن لله نفحات فتعرضوا لها » .

هناك ساعات الفرج والانشراح واليسر ، ولولم يستفد منها الانسان استفادة وافية ، فانها تمر عليه سريعاً ، وتبقيه في آهاته وآلامه .

الامام الحسين سفينة النجاة ومصباح الهدى وبركة أهل الأرض كافة .. وخاصة لشيعته بشرط التعرض لهذه السفينة ، إن ذكرى الامام الحسين تلهب في نفوس مواليه حماساً وثورة تتحول الى تيار مبارك يندفع نحو الحق والتضحية في سبيل الله بكل غال ونفيس .. حتى أن القلوب القاسية الصخرية التي لم تؤثر عليها المواعظ بمقدار جناح ذبابة تراها تتفجر ينابيع من المودة والحب والعواطف في هذا الشهر المبارك .. هذا دليل على أن الامام الحسين سفينة النجاة ومصباح الهدى لا بد لنا نحن المحرومين والمستضعفين من التعرض لها ، لاننا نتشبث ببصيص من الامل في الحياة للاستمرار في الجهاد ، فكيف بنا ونحن نواجه مناسبة عظيمة تلهمنا التوفيق والعزم والتوكل على الله بكل قوة وتسارع في انقاذ اخوتنا المسلمين داخل العراق الجريح .

متطلبات الجهاد

هناك حقيقتان لا بد من توفيرهما : —

١ - الصراع المتحضر = هزيمة صدام

إن صراعنا مع الاستكبار في كافة الاقطار ، وخاصة في العراق الذي تراكمت جرائم الاستعمار فيه حيث تحول الى ساحة حادة للصراع بين المستكبرين والمستضعفين ، بعد أن حوله الاستكبار الى قلعة من قلاع الجاهلية الجديدة متصفة بالمكر والكيد والاساليب الرهيبة الماكرة والشبكات الاعلامية الهائلة .. إن هذا الصراع لا يحسم بتراكم العدد

— الناحية الكمية — في صفوف أبناء الحركة الاسلامية ، وانما بالكيف الحضاري لان الصراع ليس بسيطاً ، بقدر ما هو صراع معقد ذو أبعاد مختلفة .. يتجلى بعد هام فيه أننا نحارب مختلف أنواع السلاح المتقدم وشبكات التضليل الاعلامي والوسائل التقنية بوسائل جداً بدائية .. وتترتب على هذا نتيجة هامة لا بد أن نضعها في مخيلتنا وهي السير في تطوير الانسان المسلم في العراق تطوراً حضارياً في مختلف الابعاد حتى ينهي صراعه مع نظام البعث لصالح الاسلام .. وفعلاً بدأت الحركة الاسلامية بالسير في هذا الخط . إذ قامت بعمليات فدائية داخل العراق .. نفذها مجاهدون في سبيل الله مضحين بأنفسهم — وهذه أعظم صفة يتصفون بها — نقطة هامة تزيدهم فخراً هي أنهم تميزوا بالوعي والقدرة على الكتمان ليتجاوزا عشرات الحواجز الامنية ، ودقة التنفيذ ، لان قيادة سيارة محملة بمواد متفجرة الى مركز يعتبر قلعة الشيطان كمديرية الامن في بغداد .. تمر عبر صفوف عدة من أفراد الجيش الشعبي ورجال الامن وسائر الارتال العسكرية والدبابات . والاسلحة ووجود قاعدة عسكرية عند كل موقع هام في بغداد .. هذه المظاهر قد ترهب الانسان فتثني من عزمته ، إلا أنه يتجاوز كل ذلك الارهاب و يصل الى موقع مناسب ويقود سيارته المفخخة دون أدنى توتر أو هزيمة نفسية ، فيفجرها ويذهب بأزلام البعث الى الجحيم .. هذا دليل على تطور تقني حضاري عند الحركة الاسلامية ، ودليل آخر على ذلك الهجوم الأخير الذي قام به جند الاسلام في ايران حيث قامت قوات الاسلام باقتحام ميناء العمية ومحاصرة ميناء البكر في شبه جزيرة الفاو وفي عملية دقيقة ومخططة قدمت فيها شهيدين فقط . رغم أن العملية برية بحرية معقدة حيث قطع جنود الاسلام أربعين كيلومتراً في الماء .. ووصلوا الى الجنود العراقيين وأجلسوهم من نومهم أسارى .. هذه دلالات على تطور جديد في المقاتل المسلم ، واذا انعدم هذا التطور ، لا تصل الحركة الاسلامية الى أهدافها ، قبل أيام قتل أربعة فرنسيين في مقاطعة باريسية جراء انفجار المتفجرات بحوزتهم حيث كانوا يهدفون قتل المغاربة المسلمين دفاعاً عن الامبريالية والصليبية الجديدة .. هذا عائد الى ضعف التقنية العسكرية .. بينما اذا وجدت فانها تساهم في النصر . في إحدى المرات دويلة الصهانية في قرية عنتيب بعملية معقدة تدل على قوة العسكرية والصهيونية بسبب الدعم العسكري الحديث ، ولهذا فان صراعنا مع

اسرائيل ليس صراعاً كميّاً بقدر ما هو صراع كينيّ أيضاً يتجلى في القدرة على الوصول الى الاهداف.

ومن ضمن مجالات التقنية في الصراع مع العدو.. الصراع على جبهة الاعلام كما هو الصراع في سائر الجبهات .. عشرات الالوف من الاقلام المأجورة تكتب لتلميع وجه صدام .. وعضواً عن ذلك على الحركة الاسلامية أن تصنع اعلاماً رسالياً قادراً على خرق المنتوجات الاعلامية الزائفة عبر تنسيق البيان الاسلامية وسلامة الرؤية وأناقة الفكرة ووضوحها .. حتى تستطيع بذلك ابادة الاعلام الجاهلي ، القرآن الحكيم يصف نفسه بصفة البيان وفصل الخطاب والبلاغة والوضوح حتى يدخل في أعماق الفئة المعارضة ويؤثر فيها .. وقد كان الرسول الاكرم والائمة المعصومون عليهم السلام قمة في البلاغة والفصاحة وبيان الخطاب ، يقول الرسول الاكرم :

«أنا أفصح العرب» .

و يقول الحديث الشريف :

«نحن أمراء الكلام» .

وقد تجلّى ذلك في كلمات الامام علي .. وفي خطبة الامام الحسين بكر بلاء ، وفي خطاب السجاد في الشام وفي سائر المواقف التي تحدث فيها الائمة (ع) ، مما يؤيد ضرورة ارتقاء الاعلام الاسلامي الى مرحلة يواجه بها كل الاساليب الاعلامية المضللة .. وتكون كعصا موسى التي ابتلعت سحرة فرعون .

٢ - الاخلاص + الوعي = الاستمرارية والنصر

لا يمكن التفوق في الصراع الحضاري مع الطغاة إلا عبر صفتين :-

أ - الاخلاص ب - الوعي .

في صراع الحركة الاسلامية في العراق مع نظام صدام ، لا يكفي العمل بنسبة ضئيلة من الاخلاص ، لان الاعمال التي تؤذيها هامة ودقيقة بحاجة الى نفس طويل ونفسية ايجابية واستقامة وتحدي الصعاب والابتعاد عن الشهرة والتحزبات ، وهذه الامور لا تتأتى إلا بالاخلاص الشديد .. أي أن قلب الانسان يكون نظيفاً خالياً من نقطة من رياء أو شبهة ، لان الاقدار قد تسوقه الى التسلل داخل قوات العدو والبقاء فيها سنين

طويلة يكشف أسرارها .. فإذا لم يكن مخلصاً لله فسوف يتراجع بسبب انخفاض التوعية والبعد عن التوجيه ، وهذا يدل على وجود علاقة وثيقة بين تزكية الذات والعمل السياسي في القضية العراقية ، أي اننا من دون اخلاص تام وحركة ايجابية تجاه التطوير والوعي ، لن ننجح .. ولذا لا بد على كل فرد من أبناء العراق الجريح أن يسعى الى تحقيق هاتين الصفتين في نفسه .

كيف نحقق التطور الحضاري ؟

للوصول الى ذلك ، يجب ما يلي : —

١ — انجاز العمل :

على كل واحد أن يتقن ما كلف به من عمل سواء جندياً في المعركة ، أو كاتباً في الاعلام والثقافة .. وغيرها ، لان هذا العمل المتقن يؤثر على تطوير العمل تقنياً وحضارياً .. وخاصة اذا تكافتت هذه الاعمال في مواجهة العدو .

٢ — العطاء يؤثر في المعادلة :

من أساليب الشيطان الماكرة ، الايحاء بأن الانسان لا يسوى شيئاً ، أو ان دوره لا يفيد شيئاً في خضم الصراع الهائل مع الاستكبار .. حقيقة هذه الفكرة وسوسة شيطانية ، لان الكل اذا تظافر عمله فانه سيغير في المعادلة شيئاً كبيراً .. بينما اذا خرج كل واحد تواكلاً على عمل الآخرين ، فان الصراع سيحسم لصالح الجاهلية الجهلاء ، وهذا يشبه كتاباً في سفينة خرقت ، فتواكل الكل على غيره ونفى دوره ، حتى غرقوا جميعاً وهلكوا ، فالكل مسؤولون .

« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

وبهذا نستطيع تفسير حكم الاسلام بأن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الجميع ، ليقوم كل بدوره ويساهم في بناء المجتمع .

إذن التحسس بالمسؤولية ، واحساس الآخرين بها ، يؤثر في تغيير المعادلة لصالح الحركة الاسلامية ، مثلاً في مجال التبرعات ، قد تأتي تبرعات ممن يستحق المال ، ولكن لاحساسه بالقضية ترى روحه غنية ونفسه سخية للصالح العام .

قبل أيام جائتني امرأة عراقية مهاجرة تبرعت بكل ذهبها .. لان احساسها بالمسؤولية دفعها الى ذلك ، وقد أصرت بأن يكون صرف تبرعها في عمليات الداخل ضد ألام نظام البعث ومايتبعها من تجهيزات السلاح لعملية عسكرية فقط و فقط لا في غيره من المجالات .

نحن اذا أحسنا بمسؤوليتنا كأفراد .. وسلكتنا الخطوات الحثيثة التي تضيف الى رصيد الامة عملا هائلا ، فانه سوف يوفر مايلي : —
١ — الانتصار .

٢ — عدم قدرة الاستعمار في سيطرته علينا ، لان السيطرة لها جانبان ، جانب فرض السيطرة ، وجانب قبولها ، بتعبير آخر ان قابلية الاستعمار والخضوع له لاتقل أهمية في صنع الاستكبار على ذات الشعب . لان الشعب الذي لايرفض الطغاة ولا يطالب بحريته يتسلط عليه الظالمون .

وشهر محرم الحرام هو ربيع الاحساس .. اذ ينبغي أن نحسس الناس بمسؤولياتهم الشخصية ونربطها بالقضايا السياسية والدولية ، والامام الحسين أحس بواجبه في إنقاذ الامة فذهب الى وادي كربلاء لكي يشعر الامة بمصائبها وواجبها .. وقف في وادي الطف بعدما صرع أصحابه وذبح طفله الرضيع من الوريد الى الوريد ينادي :
« هل من ناصر ينصرنا » .

« هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله » .

دوى نداء الحسين في الآذان الواعية لانقاذ رسالات من الدمار .. واليوم كأن التاريخ يعيد نفسه .. رسالات الله مبعدة عن الساحة .. الحرمات منتهكة .. الحدود معطلة .. النساء العراقيات اللاتي هن بنات الامام الحسين تنتهك أعراضهن في سجون البعث الرهيبة .. حرية الانسان العراقي مذبوحة في سجن العراق الكبير .

إن استغاثة الامام الحسين لاتزال تدوي في صحراء كربلاء تنتظر من يلبي هذه الصرخة ، وإلا إن لم نلب نداء الحسين ، فاننا نقتله ، كما قتله اليزيديون .. والتلبية تكون بالتفكير الجدي والجذري في انقاذ أمتنا الاسلامية في برائن الاستكبار العالمي الذي يسعى الى أن تكون أمتنا دمية يلعب بها كما يلعب الاطفال .

نرجو من الله عزوجل أن يجعل من شهر محرم الحرام منعظاً كبيراً في مسيرة شعبنا المسلم في العراق .. لتفتح أمامه أبواب النصر.

النهضة بمنظور واقعي

بسم الله الرحمن الرحيم

« هل اتاك حديث موسى * اذ رأى ناراً فقال لأهله امكنوا اني آنست ناراً لعلي
اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى * فلما اتاها نودي يا موسى * اني انا ربك
فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى * وانا اخترتك فاستمع لما يوحى * انني انا الله
لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري * ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل
نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى * وما تلك
بيمينك يا موسى * قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب
اخري * قال القها يا موسى * فالقاها فاذا هي حية تسعى * قال خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الاولى * واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية
اخري * لنريك من آياتنا الكبرى * اذهب الى فرعون انه طغى * قال رب اشرح لي
صدري * ويسر لي امري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً
من اهلي * هارون اخي * اشدد به ازري * واشركه في امري * كي نسبحك كثيراً *
ونذكرك كثيراً * انك كنت بنا بصيراً * قال قد اوتيت سؤلك يا موسى * » .

(سورة طه / ٩ - ٣٦)

كلما نقرأ القرآن في ظروف جديدة نتبصر بها حقائق جديدة ، ذلك لأن القرآن هو
النور الالهي الذي لا يزيده الزمان الا تلاً واشعاعاً ، ومثله كمثل الشمس تطلع كل يوم
على عالم جديد .

آيات القرآن هي بصائر للمؤمنين تهديهم الى صراط الله المستقيم .
وكلما تجددت روح الانسان ، وتلا آيات القرآن بعيداً عن عاداته وتقاليده ، وبعيداً

عن الحجب التي يكونها مرور الزمن على القلب ، وبعيداً عن ذلك الرين الذي يعتري فؤاد الانسان بذنوبه وغفلته ، كلما وجد فيها نوراً جديداً .

والآيات السابقة تلخص قصة ثورة من أعظم ثورات التاريخ ، بل إن كلمة (الثورة) لا تتناسب وما قام به نبي الله العظيم موسى بن عمران (عليه السلام) ، وذلك لأننا قد نحسب بأن الثورة هي عملية التغيير الشكلي للحياة ، ويتداعى في ذهننا قصة ما جرى في فرنسا قبل عدة قرون وسمي بالثورة الفرنسية الكبرى ، أو ما جرى في الاتحاد السوفيتي قبل أقل من قرن وسمي بثورة أكتوبر العظيمة ، أو ما أشبهه .

كلا ، ان قصة موسى اعظم من ذلك كله ، بل هي حقيقة أخرى ، لأنها تغيير حقيقي لواقع الانسان ، وإخراج له من الجاهلية الى الهدى ومن الظلمات الى النور . فالقرآن في روايته لهذه القصة يبدأ بالحديث عن شخص موسى (ع) .

فما هو التغيير الهائل الذي حدث في هذا الشخص ؟ ثم ما هو التغيير الهائل الذي سعى هذا الفرد ان يحدثه في العالم ؟ وما هي البصائر التي نستفيدها لثوراتنا ؟ لم يكن موسى سوى راع مطارد وملاحق ، من قبل اكبر طاغوت على وجه الارض في ذلك اليوم ، وهو فرعون ، ذلك الارهابي الذي لا يمكن لأي ارهابي آخر ان يصل الى مستواه (!) .

فلقد كان يقربطون الامهات ، و يقتل الاطفال الامام اعين والداتهم ، حتى اصبح اسمه مثلاً للطغاة ، فحينما يقال (فلان فرعون زمانه) تداعى في ذهننا الجريمة كلها ، والمنكر كله .

وفي صحراء موحشة ، وفي ليلة شاتية ، ومعه امرأته الحامل ، ظل موسى الطريق ، وتشتت اغنامه في الصحراء .

آنثذ احس بحاجته الى دفيء والى سبيل يسلكه ، آنس ناراً من بعيد ، فأسرع اليها لعله يجد عندها من يهديه الطريق ، أو — لا اقل — يأتي منها بقبس يصطلي به في ليلته الشاتية ، فاذا به يجد شيئاً اعظم مما كان يبحث عنه ، وجد هنالك هدى ربه ، بل وجد الله ذي العرش الذي اليه يتبغي السبيل من في السموات والأرض .

فسر بذلك واغتبطت به نفسه وآنس به ، حتى أن علماء البلاغة يقولون إن موسى

(ع) اطال في إجابته حينما سأله الله :

« وما تلك بيمينك يا موسى » ؟

حيث اجاب موسى بقوله :

« هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى » .

فالسؤال لم يتجاوز كلمة واحدة ، بينما كانت الأجابة أربع كلمات ، وربما كانت أكثر واختصرها القرآن . والسبب في إطالة موسى لجوابه هو انسه بلقاء ربه ، فهو يطيل الحديث مع حبيبته حتى يتزود بانسه ويروي عطشه ، حتى أنه نسي اهله وماله لشدة تعلقه بربه ، حيث خلع كل علاقة له بالدنيا حينما قال له الله تعالى :

« اخلع نعليك » .

ولم يكن سبب خلعهما أنهما كانا من جلد حمار ميت — كما يذكر بعض الرواة — فموسى (ع) أكرم من أن يلبس جلد ميتة و يذهب الى مناجاة ربه .
وإنما أمره الله أن يخلع علاقاته وارتباطاته بكل شيء في حياته ، و يدخل على الله بريئاً من تلك العلاقات والروابط^(١) .

وهكذا اخذ موسى بن عمران (ع) يناجي ربه و يكلمه و يطيل كلامه ليروي عطش نفسه ، متخذاً من السؤال حول العصا وسيلةً لحديثه .

ولقد كانت هذه الثورة في ضمير موسى بن عمران (ع) ، أو قل هذا التحول الهائل الذي بدأ بخلع نعليه و كل علاقاته بالدنيا ، هي الشرارة الاولى و بداية الإنطلاقة للثورة التغييرية في واقع الحياة .

إن الثورة يجب أن تبدأ من أنفسنا ومن واقعنا ، فالانسان — وليس القانون — هو الذي يغير مصير العالم .

فالله سبحانه وتعالى يقول ، وهو يحدثنا عن خواء القانون ، حينما نريد الإتكاء عليه وحده ، و يعلمنا بأن القانون لا يصنع شيئاً ، وذلك في قصة يوسف عندما أراد أن يبقى

(١) جاء في حديث مأثور عن الامام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) أن تفسير « اخلع نعليك » انزع كل علاقة لك بالدنيا عن نفسك ، و ينزه الامام الحجة (عليه السلام) ساحة موسى من أن يكون قد لبس جلد حمار ميت راجع تفسير نور الثقلين ج ٣ في تفسير هذه الآية .

أخاه عنده فأخفى الكيل في حمله ، وحل له من الناحية القانونية حبسه ، يقول :
 « كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع
 درجاتٍ من نشاء وفوق كلّ ذي علمٍ عليم » .

(سورة يوسف آية ٧٦)

لاحظوا خاتمة الآية (وفوق كلّ ذي علمٍ عليم) . إذ توحى الينا أنّ الانسان أقوى
 من القانون ، وأنه كلما وضع قانون إستطاع البشر الإلتفاف حوله فالقانون غير حاسم ،
 وإنما الانسان هو المهم .

والثورة قد تبديل كل القوانين ، ولكنها لا تقدم شيئاً ما لم تصنع الانسان الفاضل
 المتكامل الذي يصنع الحضارة ، و يصنع السعادة لنفسه ، وللآخرين .

اما القانون فليس هناك قانون أفضل من قانون الله ، وليس هناك منقذ أفضل من
 رسول الله محمد (ص) ، مع ذلك وتحت هيمنة قيادته (ص) ، كان هناك منافقون خرجوا
 عن القانون وغيروا فيه وبدلوا .

ومن ضمير تلك الأمة الواعية والمؤمنة المسلمة خرج منافقون صنعوا دولة بني أمية
 وبني العباس .

فالقضية لا تعود للقانون ، وإنما للإنسان الذي مثله الأعلى موسى (عليه السلام) في
 هذه القصة التاريخية العظيمة .

فحينما يأمره الله بخلع نعليه يخلع كل ارتباطاته وعلاقاته بالمجتمع .

وعندما يأمره تعالى برمي العصا — مع حاجته لها (٢) ومع عدم علمه بعاقبة رميه للعصا —
 فإنه يستجيب لذلك ، ويلقيها فتتحول الى ثعبان عظيم ، كان يضرب بنفسه على الصخر فيهشمه ، وكان
 يقتلع الأشجار ، وكانت عيناه كقدحى دم تتوهجان شراً ، فأمره الله أن يمسه .

« قال خذها » .

فمد موسى يده في حلق الثعبان حينما فتحه — مع أنه أخطر عضو فيه — دون تردد أو
 تشكيك في أمر الله .

(٢) فلقد ذكر فوائدها له ، ومن كون تلك الليلة ليلة شاتية ، وهواته في ذلك البر الأقر ، فلقد كانت العصا تمثل

كل سلاحه ، بل وكل وسائل حياته ، كما صرح بذلك .

بينما الشيطان يشكك الإنسان في قيادته حينما تكون الأوامر والقوانين صارمة وشديدة .

ولهذا فإن أولئك الذين شكوا في قياداتهم في التاريخ ، والذين نافقوا وسقطوا في شرك النفاق وفي شرك الشيطان ، انما سقطوا في ذلك الحضيض الأسفل بسبب صعوبات الأوامر التي وجهت إليهم .

ولكن موسى لم يشك لحظة ، مع أن كل الدوافع البشرية كانت متراكمة تضغط على قلبه باتجاه الشك ، وكانت تمنعه من تنفيذ أوامر الله ، فحينما أمره الله بالقائها ألقاها ، وحينما أمره بأخذها أخذها ، ثم قال تعالى :

« واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى * لنريك من آياتنا الكبرى * اذهب الى فرعون انه طغى » .

ونرى في هذه الآيات ان موسى لم يطلب شيئاً لنفسه ، وإنما طلب كل شيء لانجاح رسالته ، وأهمها شرح الصدر :

« قال رب اشرح لي صدري » .

بلى إنها رسالة عظيمة ، بحاجة الى سعة الصدر ، والى الصبر والتوكل ، والى الثقة بنصر الله والامل بالمستقبل .

وهذا يمثل اعظم درس لكل من أراد ان يسلك هذا الطريق ، فمن لا يحمل قلباً واسعاً لتحمل المصاعب والمشاق عليه أن يتعد عن هذا الطريق وعن هذه المسيرة ، ويتركها لمن يستطيع حمل هذه الراية .

ثم طلب التوفيق وتيسير الأمر ، وقال :

« ويسر لي امري » .

ولكن أي أمر يريد موسى ؟

ان علماء اللغة يفسرون الأمر بالشأن العظيم ، فموسى حينما طلب تيسير أمره فإنه لم يعن بيته وأهله وزوجته ، وإنما يعني تلك الرسالة التي حملها اياه الله .

« واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي » .

فأداة تبليغ الرسالة وهي اللسان ارادها ان تكون سليمة ، لأن موسى كان تتماماً .

« واجعل لي وزيراً من اهلي * هارون اخي * اشدد بي ازري * واشركه في

امري » .

ان كل تلك الامور كانت في سبيل تبليغ الرسالة .. ولكن ما الذي يحصل عليه موسى من تبليغ الرسالة ؟ وما هو هدفه ؟ فالرسالة هدفها انقاذ الناس ، ولكن ما هدف موسى من هذا الأمر ؟ يجب بقوله :

« كي نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً » .

فموسى يحمل رسالة الله ، ويطلب منه ما يساعده على حمل الرسالة ، ولكن هدفه من كل ذلك هو رضى الله سبحانه وتعالى ، وان يتصل قلبه بنور معرفته .

« قال قد اوتيت سؤالك يا موسى » .

فلقد استجاب الله له في كل ما أراد وطلب ، وذلك لأن كل طلباته كانت من أجل هدفه ورسالته ، ولم تكن من أجل الذات .

وهذه تمثل الثورة الحقيقية ، فتورة الانسان على نفسه تبدأ من هنا ، وتنتهي بثورة الانسان على مجتمعه .

ونستطيع ان نستنبط فكرة هامة من قوله تعالى عن لسان موسى بن عمران (ع) .

« رب اشرح لي صدري » .

وهي ان اهم صفة للتأثرين هي شرح الصدر .

ولكن من اين يأتي شرح الصدر ؟ وماذا يعني ؟ وما هي ابعاده ؟

ان شرح الصدر يأتي من معرفة الحياة ، فقسم من الناس ثائرون ولكنهم مثاليون في نفس الوقت .

ولقد سقطت الثورات المثالية في التاريخ ، وذلك لانها لا تعرف طبيعة الانسان ،

وطبيعة الصعوبات التي في الطريق ، وطبيعة النكسات التي لا بد للانسان أن ينتظرها في طريق التغيير .

فالامر لا ينتهي بالقاء خطاب او تأليف كتاب او عمل في صفوف الشباب .

وحينما يتوجه العاملون لهداية المجتمع ولا يصلون الى النتيجة المبتغاة ، فانهم

يصطدمون ، وحينها تتحطم نفسياتهم وثقتهم برسالاتهم وبشعبهم ، بل إن بعضهم يعتقد

بانه لا يستطيع ان يفعل شيئاً للاصلاح ، ومن ثم يتوقف العمل والانتاج .
والثورة العلمية الواقعية هي الثورة التي تنطلق من معرفة الواقع الذي تعيشه ، ومن ثم
تبدأ بتغييره .

فيجب ان يعرف الثائر ابناء مجتمعه ؟ وما هي خلفياتهم ؟ وما هي جذور الفساد
عندهم ؟ وما هي المشاكل التي تعترض الطريق ؟
فاذا عرف ذلك ولو بصورة مجملّة يمكنه ان يبدأ بالتغيير ، فأهم شيء بالنسبة للطبيب
حينما يكشف على مريضه هو أن يتعرف على مرضه ، وأن يعرف حجم التلف الذي
سببه المرض وطبيعته ، لأنه يمثل طريقاً للعلاج .
والثائر طبيب مجتمعه ، فاذا لم يكن يعرف الأمراض الخطيرة التي انتشرت في ذلك
المجتمع ، ومقدار إتلافها لأنسجة المجتمع ، فكيف يمكنه ان يعالجها ؟
فقسم من الناس يصطدمون بالامراض حين معالجتها لعدم معرفتهم بها ، وبالتالي
يبتعدون عن العمل .

المثالية والتبرير:

ولقد انتصرت الثورة الاسلامية في ايران ، وكان قسم من الناس يتوقعون بان ايران
ستكون فردوس الأرض بمجرد انتصار الثورة .
ولأنهم كانوا يحملون هذا التوقع المثالي ، فقد تركوا الاهتمام بالثورة في البداية ، ثم
تركوا التفكير في آية ثورة اخرى أيضاً ، وقالوا بأن هذه الثورة بعظمتها وبشهادتها وبتأييد
الجماهير لها أصبحت بهذه الصورة ، فكيف يمكن لنا أن نقوم بثورة أخرى ؟ فالشيطان
جاءهم من حيث لم يحتسبوا ، فهو لم يعددهم عن الثورة ، وإنما جعلهم يضحّمون الثورة
في نظرهم ، و يضحّمون الأخطاء الى درجة الاعتقاد بعدم إمكانية الاصلاح .
فالغلو والروح المثالية في الانسان الذي ينحونحو التضخيم والمغالاة ، يؤديان الى
التوقف عن العمل عادة ، وينتهيان بالانسان الى جمود مطلق .
صحيح أن الثورة خلال فترة لم تستطع أن تدخل المجتمع في مدرسة أخلاقية رفيعة
المستوى ، وتنفي عنهم الخلقيات الفاسدة .

وصحيح أنّ الثورة في بداية أمرها لم تستطع أن تضع كل القوانين المناسبة ، وتغيّر القوانين الشاهنشاهية البائدة والجاهلية بشكل كامل .

وصحيح أنّها ما استطاعت أن تكتسح روح الإنغلاق في هذا المجتمع .

وصحيح أنّ الثورة ما استطاعت أن تستوعب حركة الشعوب الاسلامية ، واتصلت بالدول قبل أن تتصل بالجماهير المؤمنة .

إنّ كل هذه الأخطاء صحيحة ، ولا ينكرها منكر .

ولكن الصحيح أيضاً أنّ الأرض التي حلقت الثورة منها بجماهير ايران كانت سافلة جداً .

وفرق كبير بين أن يخلق الانسان من قمة جبل عال ، وبين أن يخلق من وادٍ سحيق . فلقد صلحت المناهج التربوية ، ومناهج الإذاعة والتلفزيون ، وتبدلت الأطر العامة والدستور ، ولكنّ الانسان لم يتبدل بشكل كامل ، لأنّه لا يوجد في الدنيا حوض كحوض الكوثر يدخله الانسان ويخرج منه مكتملاً نقيّاً طاهراً .

وعلينا أن نغير هذه الروح المثالية ، وفي نفس الوقت يجب أن نعرف بأن بعض الناس تصبح لديهم حالة تبرير ، بسبب روحهم المثالية ، وبسبب روح التكاسل والإتكال عندهم ، وهذه الروح أيضاً خاطئة .

وهذه المغالاة ليست من الحب ، ولهذا فإنّ من الواجب على كل انسان مسؤول أن يبعد المتملّقين عنه ، والذي يحاول أن يصوّر له بأنّه إنسان عظيم لا يوجد مثله ، الى درجة أنّ أحدهم يكتب كتاباً يقول فيه بأن الرسول الأعظم كان يحتاج الى جبرائيل حتى يكون واسطة وحي ، ولكن (فلان) لا يحتاج الى جبرائيل لأنّ الوحي متصل بقلبه مباشرة ومن دون واسطة .

ولهذا فإنّ أعظم عمل قام به الامام علي (ع) بازاء ظاهرة الغلو هو انه حفر بثرين ، وجعل في احدهما مجموعة من المغالين فيه ، والذين كانوا يعتقدون بألوهيته ، وأوقد النار في البئر الأخرى ، وفتح ثقباً بينهما ، ثم قال لهم : هل أنا إله ؟ قالوا : نعم ، والدليل على ذلك هو أنّه لا يعذب بالنار إلاّ الله ، وأنت تعذبنا بالنار .

فاستتابهم مراراً ، ولكنهم أصروا على اعتقادهم ، فتركهم الى أن ماتوا بالدخان .

ذلك لانهم ساروا في نهج الغلو والتأليه ، وهذا نهج منحرف يجب الوقوف امامه .

والمثالية خاطئة سواء تمثلت في صورة التبرير أو في صورة الإنهزام .

فليس صحيحاً أن تحكم بفشل الثورة لأنك رأيت مشكلةً فيها ، كما انه ليس

صحيحاً ان تبرر المشكلة ، وتقول بأنه الحق ، مادام موجوداً في ايران الثورة ! كلاً ..

(لا يُعرف الحق بالرجال ، إنما يعرف الرجال بالحق) .

كما يقول الامام علي (عليه السلام) .

فعلى الانسان أن يتحرك وفق المبادئ ، ليس وفق ما توحى اليه أهواؤه .

المعصوم فقط — ودليل عقلي ثابت — سيرته حجة ، بمعنى ان كل ما يقوم به من

عمل هو صحيح وغير خاطيء . اما غيره فلا بد أن يقيم أعماله وفق هدى الله وسنة

رسوله وسيرة أئمة الهدى (عليهم السلام) .

أما حينما يقوم موظف بعمل خاطيء ، فليس صحيحاً أن يبرر عمله بأسم الحرية .

ولهذا يجب أن يكون الانسان ناقداً بصيراً ، ولا يجمّد عقله ، لأنه لا يسوى شيئاً بدون

عقله .

ولقد أمر الأئمة (عليهم السلام) شيعتهم بأن يكونوا نقاد الكلام ، ووصفوا

أصحاب الكهف بأنهم صيارفة الكلام ، أي نقاداً ، ولهذا نجد أنّ معظم آيات القرآن

هي توجيه للعقل ، مع العلم أنّ القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه ، فلماذا الإهتمام بالعقل ؟

ذلك لأنّ القرآن لا ينفع الانسان الذي لا يملك عقلاً .

وإذا لم تكن في المجتمع روح ناقدة وعاقلة تستجيب لولاية الفقيه فأنها لا تنفع .

فولاية الفقيه لا بد أن تكون مع حرية الأمة .

ومن هنا جاء الشعار القائل بالاستقلال ثم الحرية ثم الجمهورية الاسلامية .

أي لا وجود للإنسان غير المستقل ، ولا كيان له ، ولا يمكن للإنسان غير الحر أن

يفهم الدين ، إنما الانسان المستقل الحر يمكن ان يطبق عليه نظام الاسلام .

ويمكن ان نستوحي هذه الفكرة من الآية الكريمة :

« قال رب اشرح لي صدري » .

فيجب أن يتمتع الرساليون بشرح الصدر، وذلك بأن يستوعبوا الحقائق الجميلة والحقائق الصعبة وان يستوعبوا الواقع بإيجابياته وسلبياته فيتحرکوا لتغيير السلبيات، وليس معنى ذلك أن يبرروا ولا ان يصطدموا بهذا الواقع، فكلاهما خطأ. ويمكن للانسان أن يقوم بذلك حينما يكون إنسان المبادئ والقيم. فحينما يملك في ذاته مبادئه فإنه يقيم الناس على أساس المبادئ فلا ينخدع ولا يقع في المشاكل.

وأكبر مشاكل أمتنا هي قلة المبادئ، فلقد وجهت الامة الى الضوضاء، وباتجاه الشعارات والافكار الهلامية، وباتجاه الأشخاص، وليس باتجاه المبادئ. وحينما يتجه المجتمع نحو الشعارات وليس الى الحقائق، فإنه يصبح خفيفاً، ويكون كالأقباط الذين تجبر عليهم فرعون. حيث يقول ربنا سبحانه:

« فاستخف قومه فأطاعوه ».

(الزخرف آية ٥٤)

بينما ينبغي أن يكون المجتمع ثقيلاً، وفي مستوى المسؤولية، وأن يكون عارفاً بالحقائق، لكي لا يصاد بسرعة من قبل أعدائه. والعالم اليوم قائم على أساس الشعارات، ولهذا نرى أن الولايات المتحدة الأمريكية تطلق الشعارات الجوفاء لخداع العالم. فقد رفعت لفترة من الوقت شعار الحرية والديموقراطية والاقتصاد الحر، ولكن بمجرد أن سجن مجموعة من الجواسيس الأمريكيين في إيران قاموا بتجميد الأرصد الإيرانية في أمريكا، وانهارت كل تلك الشعارات والمبادئ الجوفاء. وهكذا الأمر بالنسبة الى ليبيا فبمجرد أن تحدث عملية في مطار روما، فإن الاموال الليبية تجمد في أمريكا.

وكذلك طرحوا شعار مقاومة الارهاب، بينما نحن نراهم يساندون الارهاب الصهيوني في الاراضي المحتلة، وفي تهديدهم للملاحه الجوية. ولهذا فان أمريكا تمثل دولة الشعارات وليست المبادئ. ولوتربى الشعب

الامريكي على المبادئ لوقف في وجه تلاعب ريغان .
والغريب اننا نجد دولاً عربية لا زالت تعتمد على أمريكا ، وتعتقد ان الحل والعقد
بيد الامريكان ، وتضع كل اموالها في تصرف امريكا ، وبمجرد حدوث أي عمل لا
ترضاه امريكا فان هذه الأموال تجمّد .
وهذه تكون محصلة الاهتمام بالشعارات دون المبادئ .

نهضات متتابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذي حجر * ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الاوتاد * الذين طفوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد * فاما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما آتلاه فقد رزقه عليه رزقه فيقول ربي أهانني * كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين * وتأكلون التراث أكلا لما * وتحبون المال حبا جما * كلا إذا دكت الأرض دكا دكا * وجاء ربك والملك صفا صفا * وجاء يومئذ بجهنم بتذكر الانسان وأنى له الذكرى * يقول يا ليتني قدمت لحياتي * فيومئذ لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد * يا أيها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وأدخلي جنتي * »

صدق الله العلي العظيم

(سورة الفجر/ ١ - ٣٠)

لقد هبطت رسالات الله سبحانه وتعالى الى الارض لبني البشر كافة، لتهدم بناءً وتبني كياناً آخر محله. فالرسالات ثورة بناء تهدف ليس فقط الى ازالة الرواسب الجاهلية، وانما أيضاً إلى إقامة نظام حياتي متكامل قائم على اساس العقل المتقد بالوحي والمستنير بالكتاب .

ومن ابرز اخطاء اوسك الذين يريدون ان يمارسوا دور الاصلاح في الأمم ، انهم يزعمون بان الاصلاح عملية هدم دون بناء ، وان الثورة ماهي الا عملية ازالة للبنى

القائمة ، دون ان يعطوا الاهمية المناسبة لاقامة البنى البديلة عنها في المجتمع .
وعند هذا المنعطف الخطير تتهاوى نظريات عديدة ، وتتساقط حركات مختلفة ،
وتتلاشى ثورات كثيرة ، لانها لم تصل بأجمعها لمعرفة هذه الحقيقة .. :—
(ان الثورة بناء قبل ان تكون هدماً ، وان الرسالة اقامة لواقع قبل ان تكون تضيفية
لواقع ، وان الوحي انما جاء للاصلاح وليس للهدم) .
وبالاضافة الى ما تقدم فان الشيطان والنفس الامارة بالسوء وطبيعة التخلف ،
والسلبيات القائمة في المجتمع ، كلها توحى بهذا المصير... مصير الوقوع في مهوى
السلبية ، والتشبث بهذه النظرية (نظرية ان الثورة هدم) ..
لذا كان من الضروري على الانسان ان يكون حذراً ، ومقياسه ابدأً أن لا انتصار
بدون جهد ، ولا مكاسب بدون تضحيات .
ومتى ما استوعب الانسان هذه الحقيقة اهتدى عبرها الى حقائق عديدة ، ولم يسقط
فيما سقط فيه الافراد الآخرون ، الذين كان همهم البحث عن مكاسب ، وعن اقرب
الطرق الميسورة المؤدية الى النتائج ، وهم غافلين عن حقيقة ..
« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١)
ولا يعلم هؤلاء اننا لا بد أن نعطي ثم نطالب بالثمن . أما الذين يطالبون بالثمن قبل
العطاء فلن يكسبوا شيئاً ابدأً .

الرسالات الإلهية منهج متكامل لصياغة المجتمع الفاضل

لقد استهدفت الرسالات الالهية — منذ القدم — هدم الكيانات الفاسدة ، وتخليص
البشر وتطهير الارض من دنسها . ولكن استهدفت من مقابل ذلك ما هو اهم واعظم ،
وهو اقامة كيانات وبنى فاضلة وصالحة .
ان العالم الانساني يمارس عملية الهدم (فيهدم بعضه بعضاً) منذ ان اهبط الله نبينا
آدم (ع) الى البسيطة ..

« قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو » (٢)

(١) [الرعد آية / ١١] .

(٢) [الاعراف آية / ٢٤] .

اي ان بعض الناس عدوٌ للبعض الآخر. ولقد وقعت بالفعل حروب كثيرة كان القاتل والمقتول — في أحيان منها — في النار. فلا يعني ان كل من يستطيع الهدم والحاق الاذى بالآخرين ، ان يكون على حق ، ففعل هذا الذي يهدم كالذي يُهدم بيته كلاهما على باطل .

ولقد كانت رسالات الله المثال الاوضح للثورة الحق ، وللاصلاح الحق منذ بدء نزولها ، لانها كانت تبني الانسان الفرد المتمثل في شخص الرسول المبعوث الى الامة — أية أمة كانت — ، ثم في اولئك المؤمنون به ، ثم في ذلك المجتمع الصغير الذي تصوغه رسالات الله ، وبعده في المجتمع الكبير وفي الدولة وفي الحضارة .

ولقد تبلورت اعظم حجة للانسان بعقله في الرسول الذي كوّنته الرسالة ، وصاغه الوحي وصنعه كتاب الله .

ومما قيل — على سبيل المثال — ان اعظم آية وابرز حجة على صدق رسالة نبينا الاكرم (ص) تجسدت في شخص الامام امير المؤمنين علي (ع) لان هذا الشخص هو المثل الاعلى للقيم الانسانية التي تهدي اليها فطرة الانسان وعقله ، وهو الذي جمع المكرمات كلها في شخصه ، وتحدى اعنى الضغوط المادية بايمانه ، وهو بالتالي المثل الاعلى للكمال المنشود .

— فما الذي صنع هذه الشخصية ؟ ومن الذي صاغها ؟

الرسول رباه ، والوحي صاغه ، ورسالات الله هي التي نمت فيه هذه القيم والمكرمات .

وانت كذلك ايها الانسان الثائر، ايها الانسان المنتمي للحركات الرسالية ، ايها المؤمن الصادق ...

قبل ان تدعوا الناس بلسانك ، ليكن عملك وسلوكك وشخصيتك ، وبالتالي ممارساتك في الحياة ابلغ داعية الى رسالتك والى قضيتك وفكرك .. ، كما يؤكد حديث الامام الصادق (ع) : —

« كونوا دعاة لنا بغير السنتكم » .

على ان تستمد ذلك من نبعه الاصيل وهو الرسالات الالهية المقدسة .

الثورة الاسلامية مصنع الانسان الحضاري

هنالك اسئلة كثيرة تطرح مراراً حول الثورة الاسلامية المنتصرة في ايران منها :

— ما الذي جعل هذه الثورة تنتصر؟

— وما الذي جعلها تتحدى؟

— وما الذي دفع بها اليوم لأن تقف على اعقاب ابواب الفتح الكبير — باذن

الله؟

وتتلخّص الاجابة عن هذه الاسئلة وغيرها في امر واحد ، وهو قدرة الثورة على صنع الانسان الجديد ... ، الانسان الحضاري الذي يتحدى اسباب التخلف في امته .

ولانه يتحدى عوامل الانهيار والتخلف ، ويحارب وجود الاستعمار وسيطرته على شعبه وامته ، لذلك تجده قادراً على تحدي التبعية ومقاومة الضغوط التي تريد هدم استقلاله .

ولو لم تكن الثورة قادرة على صنع الانسان المتحدي والمتقدم ، والذي يتعالى على ذاته ، وعلى ضغوط الحياة من حوله وعلى شهواته ، لو لم تكن الثورة قادرة على صنع هذا الانسان لتلاشت قبل انتصارها .

ولو افترضنا بان الثورة انتصرت بطريقة أ وباخرى — بفلته — ، لاستحال عليها تعبئة هذه الجموع الحاشدة والتي تحارب اليوم على جبهات القتال .

اذاً فالاسلام هو الذي ربي هذه الجموع المتفانية والمخلصة ، حتى اننا لنسمع بان ستين الفاً من الحرس الثوري تجمعوا طواعية ، ونظموا انفسهم بمحض ارادتهم ، وعشقوا الموت والشهادة في سبيل الله بكامل رغبتهم .

ثورون رغم كل شيء

ولكن بالرغم مما ذكرنا عن المقاتلين المؤمنين في الجبهات الا اننا نجد الكثير من المحللين السياسيين يحاولون عمداً دور الاسلام في صنع الانسان المقاتل في ايران . وهم يحاولون ايهامنا بان السلاح الامريكي هو الذي صنع الانتصار الاخير! ، وان غفلة الجنود العراقيين أو أي سبب آخر هو الذي كان وراء الانتصارات المجيدة .

وهم انما يقولون ذلك لانهم لا يريدون الاعتراف بالحقيقة العظمى التي تتلخص في

ان الاسلام (الرسالة الالهية التي نزلت قبل اربعة عشر قرناً) ، لا يزال يصنع الانسان الذي يتحدى ظروفه ، الانسان الذي يهزم التكنولوجيا على الرغم من عظمتها وتركزها في الجانب المعادي ، بما تشتمل عليه تلك التكنولوجيا من قنابل انشطارية وعنقودية وقنابل متطورة اخرى توجه باسعة الليزر، الى افضل انواع الدروع ، وادق وافضل المعلومات التي تشكل عصب أية حرب حديثة .

وكل ما ذكرناه من اسلحة بالاضافة الى مجموعة ضخمة من الاجهزة الالكترونية والدقيقة والدعم المالي والاعلامي المستمر للنظام العراقي ، كل ذلك انما من اجل مقاومة انتشار الثورة الاسلامية التي اندلعت في ايران .. ولكن المقاتل المسلم لم يُحجم عن الاندفاع لتخطى الموانع والعقبات التي وضعت في طريقه من الحاجز المائي ، والحاجز الترابي ، والاسلاك الشائكة ، والالغام وعشرات الوسائل الدفاعية التي زعم المستكبرون بانها موانع مستحكمة تصد المقاتل عن التقدم .

ولكننا نرى المقاتل يهتف بنداء (الله اكبر) و يتقدم دون ان يردعه شيء .

الملة الاسلامي الثوري .. آت

ان العقيدة الايمانية الراسخة والحماس الثوري والاندفاع لنصرة الامة بمستضعفيها هو مايلهم الشعوب المؤمنة ، وهو الذي يصنع الانسان الصامد في سجون آل خليفة ، والانسان المستقيم في زنانات آل سعود ، والانسان الثائر والثابت في معتقلات مصر والعراق ، والمقاتل في لبنان والمناضل في فلسطين وافغانستان ...

ولهذا السبب نجد ان بعض المحللين السياسيين يقولون — دون وعي منهم — ان سقوط النظام العراقي يُلهم الاصوليين الاسلاميين (اي ابناء الحركة الرسالية) الامل والعزم والاندفاع من المغرب الى اندونيسيا ، اي انه سيبشر بمرحلة حضارية جديدة في هذا العالم ، بما تحمل هذه المرحلة — لو وفق الله سبحانه وتعالى المسلمين اليها — من بشائر عظمتي ، لأنها تأتي بنظريات جديدة وبأفكار جديدة وبكتلة جديدة تقف بين الشرق والغرب لتمنع وقوع الحروب النووية ، ولتساهم في ترسيخ دعائم العدالة الاجتماعية في العالم ، وبالتالي في عشرات الخيرات التي سيباركها الله ان شاء .

ان هؤلاء المحللون يعترفون ضمناً بان ما يجري على الحدود (العراقية — الايرانية) ، ليس مجرد حرب بين دولتين جارتين ، وانما هو امر اعظم واطغر من ذلك بكثير . فاننا نعلم بان نتيجة كل حرب هو انتصار احدى الدولتين المتحاربتين وانهيار الاخرى ، ولكن الاستعمار لا يريد لايران تحقيق هذا الانتصار وهو يحول دونه بشتى الطرق . وان دلّ موقفهم العدائي هذا حيال الجمهورية الاسلامية على شيء فانما يدل على ما للثورة الاسلامية من انعكاسات وردود فعل مستقبلية لا يرغبون في تحقيقها . ويدل على ما لهذه الثورة من قدرة جبارة تهدي الى ولادة حضارة وبلورة أمة ونمو فكرة جديدة وانزال الهزيمة الساحقة بقوى الاستكبار في العالم .

البلاء مدرسة الفرد الرسالي

ان الانسان الذي صنعه الثورة الاسلامية وصاغته الرسالة الالهية ، نجد هذا الانسان يتعالى على كل الحواجز ويتجاوز التكنولوجيا المتقدمة ، وهذا هو ميزان القوة في الحركة الاسلامية ، وميزان القوة في صناعة هذا الانسان ، وهذا الميزان لا يختص بمكان دون آخر ، ولا يتقيد بوجود ثورة منتصرة أو دولة قوية ، بل على العكس فالانسان يُصنع في مدرسة البلاء ، قبل ان يُصنع في مدرسة الرخاء . والرسالي يولد في رحم المآسي ، كما وُلدت الامة الاسلامية في بداية بزوغ فجر الاسلام .

فالامة الاسلامية في عهد الرسول (ص) استوت على سوقها في حرب بدر وولدت عند هزيمة غزوة احد ومشاكل خيبر وغزوة الخندق اذ ...
« زاعت الابصار وبلغت القلوب الحناجر » (٣)

وعند حين حيث اعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم من الله شيئاً .
ففي خضم تلك المآسي ولد فجر الامة الاسلامية وزهر للاجيال حتى هذا العصر .
(اذا فان ساعة ماساة تصنع الانسان افضل من عام من الرخاء) .

ولعل ساعة واحدة يعيشها الفرد في خضم المصائب ، ينمو بها اكثر مما يعيشه دهرأ في جنة النعيم .

الاستقامة شعار النهضة الالهية

على الحركة الاسلامية في كل مكان ان تستلهم من الروح الجديدة المنبعثة في الامة وبالذات الحركة الاسلامية في العراق .

فالحركة الاسلامية في العراق لا بد لها ان تعود الى الوراثة عشرين عاماً حينما تدرس تاريخ الثورة الاسلامية في ايران ، لتبدأ من هناك .

ونحن اذ نستقبل ايام عشرة الفجر التي انتصرت فيها الثورة الاسلامية وذلك في الثاني والعشرين من بهمن ، علينا اذ نستقبل هذه الايام التاريخية العظيمة ان ندرس تاريخ الثورة لان ندرس لحظة الانتصار لأن هذه اللحظة ماهي الا تركيز لمسيرة طويلة . اذاً فلا بد لنا من العودة الى الوراثة وندرس تلك الايام التي كان فيها الامام (حفظه الله) في قم يعبىء المؤمنين بروح الثورة والايمان ، و يلهمهم العزم و يأمرهم بالاستقامة .

فلقد حدد الامام في اول خطاب القاه في المدرسة الفيضية والذي توجه بالآية الكريمة ...

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ... » (٤)

حدد الامام في هذا الخطاب معالم حركته ونهضته ، كنهضة الهية تتحدى الصعوبات .

اذاً فنحن اليوم لسنا في مرحلة حصاد المكاسب ، بل في مرحلة زرع المصائب .. علينا ان نزرع المصائب والآلام ونسقيها بماء الاستقامة والتحدي والصبر ، ثم نستطيع بعدئذ جني المكاسب ، أو ندع الآخرين يحصدونها من بعدنا .
فالحركة التي تفكر في المكاسب لا تنتهي الى نصر . اذاً لا بد ان تفكر كل حركة في بداية انطلاقها بانها ستورث ابناءها النصر وستورث الجيل الآتي العزة ..
«جاهدوا تورثوا ابناءكم عزا» .

اما المجاهد الذي ينطلق الى المعركة وهو يفكر في العودة فانه سيفكر في الهزيمة ، لان

الذي يفكر في العودة لا بد ان تؤول حركته الى الهزيمة لا محالة .

اين يكمن الداء ؟

اننا نعيش اليوم (في العالم الثالث) المزيد من تكسر الروح وانهزام النفس وخور العزائم ، والجبن والتخاذل والانانية . ولقد بات البحث عن المصالح سمة الناس وشعارهم . ولو لم يكن الناس هكذا لما ابتلاههم الله بالتخلف والتبعية والاستعمار والويلات والتمزق .

ولو لم تكن على هذه الصورة من الانحلال لما حكمنا الظالمون ...

« كيفما تكونوا يولّى عليكم ».

ولما اصبحنا كقصة الثريد التي تداعى عليها الاكلة من كل مكان فينهون ثرواتنا و يقتلوننا .

فالروس يحتلون قطعة من ارضنا ويحولونها الى جحيم بفعل اسلحتهم التدميرية الهائلة ، واليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، هؤلاء الاذلاء و باتوا سيفاً مسلطاً على رقاب كل المسلمين .

حتى بريطانيا استكبرت علينا فقتلت منا الكثير وحكمتنا دهرأ ، وحتى الآن لاتزال تدعم صداماً وامثاله في المنطقة ...

انها بريطانيا الذليلة التي رفض السلطان العثماني مقابلة سفيرها الذي جاء الى الباب العالي في اسطنبول وقال فيه السلطان : —

(كيف استقبل رجلاً يمثل مجموعة من الصيادين في جزيرة نائية !؟)

— فلماذا اذاً تسلط علينا هؤلاء الشرذمة وسامونا الذل والهوان ؟ اذلونا لاننا اردنا الذلة ، اردناها بانانيتنا وتبعيتنا وتكبرنا على النقد . وتكبرنا على النقد اوقعنا في سلسلة من الاخطاء .. لا تنتهي .

فالامة التي تعرف كيف تنتقد نفسها لا تخطيء ، واذا اخطأت لاتنهزم وتعرف كيف تصيب بعد الخطأ . أما الأمة التي تخشى من نقد الكلام ولا تخشى من جريمة العمل فانها تصنع لنفسها ظلالاً واهية وكاذبة من الكبرياء الزائفة ، وتتكبر على النقد حينما تُنتقد ، وهي بذلك تفشي ما في واقعه من نواقص جمّة .

ونحن اذ ننتمي الى هذه الامة والتي تضم اقلية من المؤمنين الذين ارتفعوا وتعالوا وتساموا عن النواقص والسلبيات ، علينا — ان شئنا تجاوز وضعنا — ان نتجاوز هذه الخلفيات المنحطة ونعود الى القرآن بكامله لا الأخذ بجزء دون الآخر ، ونعود الى سيرة الرسول (ص) والأئمة (ع) كلها ، لنبث في الأمة روحاً جديدة . ومتى ما انبعثت هذه الروح ، نكون قد خلقنا الانسان الفاضل والتجمع الفاضل والمتكامل .

ومتى ما حطمنا الاغلال التي تشدنا الى الارض وخلعنا عن انفسنا جلابيب الخوف والجبن والمصلحية والانانية والفردية والسلبية والمواقف المتخاذلة ، ووضعنا جانباً التفكير في الرفاه والرخاء والسعادة الشخصية ، ولم نفكر في مستقبلنا كأفراد وانما فكرنا في مستقبلنا كأمة ، آنئذ نستطيع ان نبدأ الخطوات الاولى في حركتنا .

الصمود والاستقامة حقائق ثورية

اذا اردنا ان ندرس ثورة ونتعلم منها ، لا بد ان نتعلم حقائق الثورة وليس مظاهرها ، فلا نتعلم مثلاً من الثورة الاسلامية في ايران بعض مظاهر التقدم الاقتصادي ، لان هذه المظاهر جاءت بعد العطاء ، ولانفتش في الثورة عن المناصب التي وصلت اليها بعض القيادات ، لان هذه كلها مسائل ثانوية .

اذاً علينا ان نفتش (حينما نفتش في هذه الثورة) عن تلك النفوس الطاهرة وعن تلك التضحيات السخية وعن اولئك الشباب الذين يتساقطون على جبهات القتال ولايزيدهم ذلك الا ثباتاً ، عن تلك العوائل التي تقدم الشهداء وتشجع ابناءها على المزيد من العطاء ، عن تلك المدن التي تتعرض اليوم لعمليات القصف الوحشية من قبل طائرات الاستكبار العالمي ولكنها لاتزال صامدة ، عن قم المدينة المشرفة التي كانت الصاعق في الثورة الاسلامية في ايران ، ولا تزال اليوم تقدم المزيد من الشهداء وتتعرض رغم قداستها وحرمتها ومكانتها في نفوس المسلمين لعمليات القصف الجهنمي الحاقد .

فلقد انهارت البيوت الطينية على رؤوس الاطفال والنساء وسائر المدنيين العزل ، انهارت في اليوم الذي كانت فيه الجماهير تُحيي ذكرى وفاة بضعة الرسالة السيدة فاطمة الزهراء (ع) ، حتى ان احدى العوائل دفنت تحت الانقاض في الحين الذي كانت تقيم مجلس عزاءٍ حسينيّ في ذكرى الوفاة . هكذا التحق جمع الشهداء

بفاطمة الصديقة (ع) ليشكو اليها ظلامتهم وليكون جمعاً شهيداً على عصره .
ان علينا دراسة حالة الصومود في هذه المدينة العظيمة ، صمود القيادات وصمود
الشعب ، صمودهم امام المؤامرة الكبرى والفتنة العظمية وهذا هو الفجر ...
فجر استقامة الانسان ، فجر تحول الوحي الى انسان يتمثله ، ويتحول الى مثل له ...
« والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر » .

فبهذا الفجر سيمحو الله ظلام الجاهلية عن الارض . وبه نرجو لشعوبنا في العالم
الاسلامي ان يستلهمون من روح الاسلام ، ويستيقظون بوحي القرآن ، ويعودون الى
وعيمهم الحضاري ، ليكونوا ممن ينتصر الله بهم لدينه ولا يستبدل بهم غيرهم

نفوس حيوية

بسم الله الرحمن الرحيم

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً * واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً * انها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثمًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً».

صدق الله العلي العظيم

(سورة الفرقان ٦٣ - ٧٠)

فور ما يبلغ الانسان سن الرشد، لابد أن يقرر مصيره النهائي بصورة واضحة وجلية .. فكيف يريد أن يعيش، وعلى أي طريق يسير والى أين، الى جنة الخلد أم النار؟ أما اذا لم يحدد مسيرته منذ البدء فان عاقبته لن تكون الجنة، لان الاخيرة بحاجة الى إرادة وتخطيط وسعي وجهاد، وبالتالي الاستقامة والعاقبة الحسنى .. بينما النار ينحدر اليها كل انسان، خطط أم لم يخطط فنحن جميعاً في النار ولا بد أن نسعى للخروج منها .. «وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً»

(سورة مريم / ٧٥)

إذن فكل واحد منا يعيش في النار مدة معينة، أكانت يوماً أو سنة أو حقبة أو أكثر، لذا لابد أن نخلص أنفسنا منها عبر التخطيط المستقبلي للمصير، فهل نكون عباداً لله

سبحانه وتعالى أم عبدة للشيطان ومن تبعه من طواغيت الارض.

التخطيط طريقنا للجنة :

ان عباد الرحمن الذين تحدث عنهم الآيات الكريمة الآنف الذكر قد حططوا سلفاً، ورسّموا خريطة لحياتهم واستقاموا وصبروا فانتهت حياتهم الى الجنة، أما الآخرون الذين يخطون حياتهم بدون إرادة صلبة ونفس قوية فلا جنة لهم.

ولان المصير أهم من المسير، والمقر أهم من المعبر، والآخرة أهم من الدنيا، تحفل آيات الذكر الحكيم بذكر تلك الحياة التي يعتبرها القرآن هي الحيوان، أما هذه الحياة فهي ليست زائلة وخسيسة وهينة على الرب فقط، وإنما هي أيضاً لا تسوى عند الله جناح بعوضة.. فاقية لحظات وخيال يعيشه الانسان.

«لوان الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة من ماء»^(١).

ولكن اذا وعى الانسان وأسقط عن فكره حجاب الغفلة يصطدم بحقيقة عظيمة يواجه فيها مصيراً هائلاً، لان النار لا يمكن التغاضي عنها والاستخفاف بها والاستهزاء بمصير الانسان فيها.

ان البعض منا حينما يصاب بألم في أسنانه أو صداع في رأسه، لا يكاد يصبر سويعات قليلة، فتراه يبحث يمينه ويسرة عن قرص مسكن يهديه به آلامه، بل هناك من ينتحر. فكيف البقاء في نار جهنم أحقأباً.

«لابثن فيها أحقأباً»

(سورة النبأ / ٢٣)

وقد جاء في أمالي الشيخ الطوسي في كتاب أمير المؤمنين «عليه السلام» الى أهل مصر في وصف النار:

«قعرها بعيد وحرها شديد وشرابها صديد وعذاها جديد ومقامها حديد، لا يفتر

عذاها ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة ولا تسمع لاهلها دعوة»^(٢)

(١) بحار الانوار/ ج ٧٧ ص ٧٩.

(٢) أمالي الطوسي ص ١٨.

لذلك فعباد الرحمن يبيتون لرهم سجداً وقياماً ويقولون:
«ربنا اصرف عنا عذاب جهنم».

وهذا هو المحور الاساسي في حياتهم، فان استطاعوا الحصول عليه ووقوا أنفسهم من عذاب جهنم، فقد حصلوا على ٩٠٪ من مبتغاهم. ولقد جاء في دعاء عرفة المروي عن الامام الحسين (ع):

«أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ حَاجَتِي الَّتِي أَنْ أُعْطِيتَنيهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنَعَنِي وَأَنْ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ يَنْفَعْنِي مَا أُعْطِيتَنِي أَسْأَلُكَ فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ»^(٣).

فكأما الانسان عبد النار، ورقبته مرهونة بها. فحينما يشتري شخص انساناً ما ليكون عبداً له، يقال يمتلكه فلان أي يمتلك رقبته. وعلى ذلك فرقبتنا مقيدة ولا بد أن نفكها.. وان استطعنا ذلك فأنشد نكون قد حققنا عملاً عظيماً، أعظم بكثير مما لو حصلنا على ملك الدنيا وما فيها.

«فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز»

(آل عمران / ١٨٥)

ونحن الآن إذ نعيش في شهر رجب الاصب الذي تهطل فيه رحمة الرب الجليل على عباده بغزارة، جدير بنا أن نتعرض لهذه الرحمة، لنحوز على البراءة من النار.. ولو مُنِعنا من هذه الرحمة، فقد منعنا من خير كثير حصل عليه الآخرون، ولقد جاء في أحد الادعية الرجبية:

«واختم لي بالسعادة فيمن ختمت»^(٤)

ولان عباد الرحمن يتحسسون دائماً لهيب النار التي تتراءى لهم في كل لحظة من لحظات حياتهم، تراهم دائماً وأبداً لا يخلدون الى النوم، بل يهربون منه ويتوجهون للخلو بالباري الجليل جل وعلا.

فهل يحق لنا أن نعتبر أنفسنا من هؤلاء وأجفاننا تمتليء بالنوم في الليل والنهار؟ يلزم على كل فرد رسالي أن يقلل ساعات نومه ويضاعف أوقات عمله، فأمامنا

(٣) مفاتيح الجنان ص ٢٧١.

(٤) المصدر ص ١٣٤.

ساعات طويلة من النوم في القبور، لدرجة يطلب حينها أصحاب النار من الله سبحانه وتعالى — من كثرة انتظارهم في القبر — بأن يعجل لهم بالساعة .
وقد قيل بأن عمر الانسان فوق البسيطة حتى الآن يقدر بعشرة ملايين سنة . وان صدق هذا القول، فان أولئك الذين ماتوا في بداية حياة الانسان فوق هذا الكوكب، صار لهم عشرة ملايين سنة وهم نيام تحت التراب وسيظلون على هذه الحالة حتى يوم القيامة .

قال الامام علي (ع) :

«ما أنقض النوم لعزائم اليوم»

أساساً النوم لا يهدم فقط ساعات الهجعة، وإنما يهدم أيضاً ساعات اليقظة، فالانسان النؤام تتأثر يقظته بنومه و يصبح شبيهاً بالسكران، لان دماغ الانسان بحاجة الى فترة معينة من الراحة، فاذا زادت اعتراه الكسل .

واذا صلحت الامور الجذرية في حياة الانسان، فشئ في الارض هوناً ولم يلتفت لكلام الجاهلين، وأمضى ليله في العبادة والتجهد، وكان هدفه فكاك رقبتة من النار، فان سائر الصفات الحسنة تتراكم فيه، و يصبح ذا اقتصاد جيد، وصاحب وجهة واحدة في الحياة مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، ولا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يهتم بتوافه الحياة .

عباد الرحمن نموذج الشخصية العظيمة :

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً» .

ان أول صفة يتصف بها عباد الرحمن هي انهم خفاف المؤونة كما جاء في الحديث

الشريف :

«المؤمن حسن المعونة خفيف المؤونة» (٥)

فهناك أناس يبنون حياتهم مع الآخرين على الاخذ فقط و يسببون المضرة لهم، أما المؤمن فهو خفيف .

ولذلك جاء في القرآن على لسان نبي الله موسى بن عمران (ع) :
 «رني اشرح لي صدري ويسر لي أمري»

(سورة طه / ٢٦)

وقد جاء في حياة الرسول محمد (ص) بأنه في ذات ليلة سئمت له وسادة أثنى من سابقتها، ساعدت على تمديد فترة هجوعه. وعندما جلس من نومه قال : «من سني وسادتي» .

وكذلك علماؤنا الكرام — رضوان الله عليهم — ، فقد كان بعضهم يأخذ طشتاً فارغاً من النحاس ويضعه على أحجار متوسطة، ويشعل تحته شمعة، ثم يلامس رجله به وينام، وعندما يسخن الطشت يشعر بحرارته فيستيقظ .

ولقد رأيت بعيني بعض العلماء وهم كانوا ينامون على الارض بدون فراش، بعد أن يجهدون أنفسهم من القراءة والعبادة والتهجد .

ولكن في قبال هؤلاء يأتي الملوك والرؤساء الذين امتلأت حياتهم بالخمول والكسل كالشاه المقبور، فقد كان لديه فراش يثير النوم لانه كما يظهر كان نوماً . وفي بداية انتصار الثورة الاسلامية دخل بعض الشباب الثوري قصره، ودخل بعضهم احدى الغرف ولم يخرجوا منها، فافتقدتهم الباقون وفتشوا عنهم، واذا بهم نائمين على فراش الشاه، لانهم بمجرد أن ألقوا بأجسامهم عليه غلبهم النوم .

فهذه حياة المستكبرين في الارض المبتعدين عن ربهم وخالقهم، بينما نحن باعتبارنا أبناء رسالة وجهاد ينبغي أن نقلل وسائل الراحة في هذه الدنيا ونحشوشن، ونعود أنفسنا على النوم القادم في القبور .

«يمشون على الارض هوناً»

من جملة الافكار التي نستطيع أن نستوحياها من كلمة «هوناً»، ان المؤمن الصادق لا يطالب بحقوقه من الآخرين، فاذا كانت بينه وبين صاحبه حزازة يتنازل له، ويفضل أن يبعث في يوم القيامة مظلوماً عن أن يكون ظالماً . لانه يملك مزيداً من الطاقة والعطاء، فكل من يجهد نفسه في اليوم مدة تزيد على العشرين ساعة ويمارس كثيراً من الاعمال النشطة، يشع خيراً ويفيض معروفات للآخرين على الدوام .

«والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً».

ان وجود الاقتصاد في الحياة، والذي يعني وجود رؤية ومقياس سمة من سمات العقلاء، والمؤمنون المتقون هم العقلاء، فهم لا يسرفون ولا يقترون، وإنما يتعاملون مع الامور بقدرها .. أما الآخرون فهم خلاف ذلك، مع العلم بأن كل مسرف مقتر، كما قال الامام علي (ع) :

«ان الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك» (٦)

فعلى سبيل الفرض، لو اشترى انسان ثوباً بعشرة آلاف تومان، ثم مر في طريقه على فقير ما، فلن يتمكن من التصديق عليه بشيء، لان جميع نقوده نفذت على أشياء أخرى، أما المؤمنون المتقون فهم يوازنون دائماً في الاستهلاك فلا يسرفون ولا يقترون.

«والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر».

يبسبوا بأن سؤالاً واحداً سيثار في ذهن كل من يفتح عينيه لقراءة هذه الآية .. فمن البدهة أن عباد الرحمن لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولكن لماذا يؤكد القرآن هذه الفكرة مرة أخرى بعد أن ذكرها في مقدمة الآيات حين قال «وعباد الرحمن»؟

ان ضغط القوى التي تتخذ آلهة من دون الله على نفس الانسان ضغط كبير وعظيم، لا يخرج منه إلا عباد الرحمن .. أي ان كل انسان لا يكون عبداً للرحمن بشكل دقيق ولا يوصف بالموصفات السابقة لابد أن يشرك بالله.

وبتعبير آخر، ان غير المؤمن يتعرض لفقد استقلاله، فالانسان الكسول المتثاقل على الآخرين، الذي يبحث عن ذاته وملذاته، ويقضي ليلته أما في النوم أو الفساد، لا يمكن أن يكون مستقلاً. أما الآخر وهو المؤمن الفعال فلا شك انه الشخصية الفريدة الموحدة لله سبحانه وتعالى.

على ذلك فان كل انسان لا يريد أن يصبح عبداً للشيطان ومن تبعه من طواغيت الارض، لابد أن يحصن نفسه ليستطيع المقاومة في المستقبل، فكم من شخص اعترف بكل ما لديه في سبيل سيجارة!

«ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق».

ما هي علاقة عبادة الطاغوت بقتل النفس؟

بالطبع ان الذي يعترف على أصدقائه و يسلمهم لقمة سائغة لخشبة الاعدام، بسبب خضوعه لا له مزيف كالدخان والنوم والرغبة في الحياة، لا ريب انه ساهم في قتلهم ..

جاء عن أبي عبد الله (ع) في رجل قتل رجلاً مؤمناً قال : يقال له :

«مت أي ميتة شئت : ان شئت يهودياً، وان شئت نصرانياً، وان شئت مجوسياً»^(٦).

وقتل المؤمن لا يتحقق فقط برميهِ بالرصاص مباشرة، وإنما قد يكون بطرق أخرى غير مباشرة، فهناك من قتل المؤمنين بسكوته، وآخر قتلهم بفتواه، وثالث قتلهم بالاعتراف عليهم، ورابع بالدفاع عن الظالمين.

يقول الامام الحسين (ع) :

«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(٧).

وفلسفة هذا الحديث ان انساناً كهذا يعتبر في منطق الاسلام شريكاً للظالم في الجريمة، وبالتالي عبداً له. ونحن لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من عبادة الطاغوت إلا بالتخشن والعبادة.

وإذا تعود الفرد منذ اليوم الاول على المعيشة الخشنة، فقلل أكله ونومه ورئى جسده على العنف، فانه يتأثر كثيراً حين يدخل المعتقل، لانه ان ضرب فجسده قوي، وان منع عنه الاكل فهو متعود على الجوع، وان فرض عليه السهر فانه يقاوم. وبالفعل فقد ذكر لي بعض المعتقلين بأن بعض المذبزين كانوا يتعبون من كثرة الضرب و ينفجرون غضباً، وفي بعض الاحيان يستعينون بآخرين، في الوقت الذي يكون فيه المعتقل مرتاح الضمير وكأن المذبذ يتمازح معه.

لذا فعلى علماء الدين والطلبة أن يهينوا أنفسهم لذلك، لان مسؤوليتهم كبيرة جداً، أما اذا تعودوا على الحياة المترفة المزحومة بالاكل والنوم والراحة، فانهم سيتحولون الى

باحثين عن الاغنياء والمترفين وما شاكلهم ، وبالتالي فهم معرضون لان يكونوا في مستوى الظالمين .

ولان مسؤوليتنا خطيرة جداً ، باعتبارنا نمثل جميع المستضعفين في الارض وليس في بلداننا فقط التي تعيش في مستوى مرتفع من المعيشة ، ونتهيء لنكون قواد ثورة الحفاة الجياع ، فلا بد أن نتساوى معهم منذ الآن عبر التدريب والاستعداد . وتتخذ الامام علي (ع) قدوة وأسوة ، الذي كان في قمة الهرم القيادي وصاحب أموال خاصة . إلا أنه كان يساوي في أكله وشربه ومستقره المحرومين آنذاك . ولقد جاء على لسانه .

«ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسأج هذا القز، ولكن هيات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة، ولعل بالحجاز أو اليامة من لا طمع له في قرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحوالي بطون غرثي وأكباد حري ..»^(٨)

ادوار رياضية

بسم الله الرحمن الرحيم

« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبتنا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً * فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً * إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً * جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً * لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً وهم رزقهم فيها بكرة وعشياً * تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً * وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً * رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً * » .

(سورة مريم / ٥٨ - ٦٠) .

تبين الآيات الآتية الذكر ثلاث مراحل يمر بها المجتمع :-

الأولى .. مرحلة الرواد الذين يفجرون طاقاتهم الايمانية ، و يبثون في روع المجتمع الثقة بالنفس والتوكل على الرب .. وهم الأنبياء . حيث يذكرنا ربنا سبحانه بهم ، و يبين صفاتهم الأساسية .

« اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً » .

الثانية .. مرحلة الجيل الذي يرث الكتاب رسماً لا محتوى و يستلم الحضارة شيئاً لا قيماً ، و يرث الأولين فخراً لا عملاً ، و يقول : « كأن أبي » . فالصلاة موجودة في هذا المجتمع ولكن بدون محتوى ، والايمان موجود ولكن ليس ايمان تحد وانما ايمان تبرير ، وجميع الطقوس العبادية موجودة إلا انها محورة .

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » .

الثالثة .. مرحلة أولئك الرجال الذين يلدون من رحم مجتمع الالمبالاة واللامسؤول والقشري الفارغ ، ولكنهم يرتبطون بجيل الرواد ، فظاهراً يبدون وكأنهم من جيل الانطوائيين والمنافقين – الجيل الثاني – إلا أنهم في الواقع يرتبطون روحياً بالجيل الأول .

« إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً » .
ان هذه المراحل الثلاث تنطبق على كل قرن وفي كل مجتمع .. فقد يوجد في مجتمع واحد أناس يمثلون دور الرواد ، وآخرون يمثلون موقف القشريين ، وغيرهم يسلكون طريق التائبين .

الرسالي والمجتمعات المزدوجة

اننا نعيش اليوم في ظل مجتمع مزدوج الشخصية .. فمن جهة يبرز منه الشاب الناثر الصادق القلب الذي لا يفصل بين قلبه وإيمانه حجاب النفاق .. ولا بين قوله وعمله حجاب التبرير .. ولا بين ميعاده وعهوده ستار الأعذار .. فهو اذا وعد وفي ، واذا قال صدق ، واذا عمل أتقن . ومن جهة أخرى تظهر مجموعة من الناس تدعي الايمان وتضممر خلفه ، وتقيم الصلاة فارغة من مضمونها الأساسي .

« تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

كما توجد – في نفس المجتمع – الى جانب هاتين المجموعتين شخصيات قيادية رائدة تستطيع أن تحمل وتهدي سفينة الأمة الى شاطئ النجاة ، أي الجيل الذي يجسد دور النبيين .. وهو جيل « الأولياء » .

هنا يعترضنا سؤال هام وهو « أي جيل نختار » ؟

ان القليل منا من يختار الدور الأول الذي يؤهله ليكون ولياً من أولياء الله ، وهو الطموح العالي الذي لو تسنى للبعض أن يتمناه فهو قليل ، وحتى لو تمناه فان تحقيقه بحاجة الى جهود جبارة .. بالرغم من الحلم الذي يحق بموجبه لكل مسلم أن يتمناه لو أن يكون في مصاف الصديقين أو الحواريين .. أو يكون في درجة أولئك الصالحين كأبي ذر

الغفاري وسلمان الفارسي وسعد بن قيس وحبيب بن مظاهر وما أشبهه . وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الباب أمام أحد ، ولم يخلق عنصراً لا يمكنه الوصول الى هذه المراتب العالية .

فابليس كان من الجن إلا أنه حشر مع طائفة الملائكة ، فحينما أمروا بالسجود لآدم عليه السلام كان ابليس من بينهم ، ولونفذ أمر الله تعالى وسجد لكان حتى يومنا هذا في مصاف الملائكة المقربين .. فمع انه كان من عنصر الجن إلا أن عمله رفعه الى درجة الملائكة ، ثم ان — عمله ايضاً — جعله في أسفل السافلين .

إذن .. فالعنصر لا يحقق شيئاً ، فليست نبوة الأنبياء أو الأئمة أو المراجع تفرق عن غيرها ، لأن كلا لديه امكانية العلو وقدرة السمو ، فباستطاعة كل انسان أن يصل لأهدافه وتطلعاته بعد التوكل على الله عزوجل ، أي ان الخطوة الأولى تبتديء من الانسان ذاته ، والله سبحانه يزيده ..

« ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير

مرداً » (١)

وإذا كان القليل من الناس ممن يطمح في الوصول الى درجة الأنبياء والأولياء .. — فلا أقل — ليطمح الآخرون في الاقتداء بالتوابين الذي يقول عنهم القرآن الكريم :
« إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً » .

أي ينبغي أن يكون بيننا وبين المجتمع اللامسؤول الذي يضع الصلاة ويتبع الشهوات مسافة ، فننفضل عنه قلبياً وروحياً وسلوكياً وعلمياً . أما اذا كنا في هذا المجتمع ولم نتبرأ من صفاته وأعماله وتبريراته ، ولم يكن بيننا وبينه ردم .. فلا بد أن نحشره معه .

التوبة أولاً

ولودققنا في الآيات السالفة للمسنا هذه الحقيقة ، فهي تقول : « إلا من تاب » ؟
أي حينما يولد الانسان في مجتمع اللامبالاة والأعذار يحشر معه لأن سيئات

وخطيئات ذلك المجتمع تلاحقه ، إلا إذا تاب وانفصل ووضع بينه وبين مجتمعه سياجاً سميكاً وسداً قوياً .

وقد قدم القرآن التوبة قبل الايمان والعمل الصالح ليركز على هذه الفكرة .. فالفرد الذي يعيش في مثل هذا المجتمع يكون مؤمناً في ظاهرة — فهو يصلي و يصوم — إلا أن ايمانه سطحي لذا لا بد أن يتوب أولاً من هذا الايمان و يكفر بالعادات التي حولت الدين الى مجموعة مراسيم وطقوس وتقاليد جافة . (٢)

ان الكثير منا لا يزال ايمانه تقليدياً ، لذلك حينما يخالف بعض أحكام الشرع تقاليده يقف و يرهب الاقتحام لأن قداسته انصبت في تقاليده وليس في الدين . لذلك نجد جزءاً كبيراً من أفكارنا مخلوط بالتبرير والأعذار .

الدين أداة الارادة

ان ديننا الحنيف جاء ليمنع عنا العذر .

« بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره » (٣)

أي ان الدين أداة الانسان والارادة والعقل لمقاومة شهوات النفس ، ولتوضيح ما فيها من انحرافات . أما الدين الذي يصبح جزءاً من النفس المظلمة المليئة بالشهوات و يكون مكرساً للسلبيات ومضلاً للانسان فلا قيمة له .

وإذا نحن جميعاً أخذنا بالدين الصحيح الذي يهدف للتبرير من حياتنا ، وجعلناه محوراً وملاكاً ومقياساً .. ولم نأخذ بدين التبرير ، فإن ثوابنا عند الله كبير .. فهو يقول :
« فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ، جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً ، لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً وهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ، تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً » .

جاء في تفسير علي بن ابراهيم عن الصادق عليه السلام قال : (سأل علي عليه السلام

(٢) لقد أكد فقهاؤنا الكرام في رسائلهم العملية على ان الانسان المؤمن اذا أخذ دينه تقليدياً — ولو كان صحيحاً — لا يقبل منه فلا يمكن أن يقلد أحد في أصول الدين وضروراته .

(٣) سورة القيامة ، آية ١٤ ، ١٥ .

رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله :

« يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً » .

قال : يا علي ان الوفد لا يكونون إلا ركباناً ، أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله واختصهم ورضي أعمالهم فسامهم الله المتقين . ثم قال : يا علي أما والذي فلق الحبة وبرء النسمة انهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج ، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن ، عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلألأ) .

وفي حديث آخر قال : ان الملائكة لتستقبلهم بنوق من العزة عليها رحائل الذهب مكلفة بالدر والياقوت وجلالها الاستبرق والسندس وخطامها جذل الارجوان وزمامها من زبرجد ، فتطير بهم الى المجلس ، مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله ، يزفونهم زفاً حتى ينتهوا بهم الى باب الجنة الأعظم ، وعلى باب الجنة شجرة الورقة منها تستظل تحتها مائة ألف من الناس ، وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية ، قال فيسقون منها شربة فيطهر الله قلوبهم عن الحسد ويسقط من أبشارهم الشعر ، وذلك قوله « وسقاهم ربهم شرباً طهوراً » من تلك العين المطهرة .

ثم يرجعون الى عين أخرى عين يسار الشجرة فيغتسلون منها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً ، قال : يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحر والبرد أبداً . قال : فيقول الجبار للملائكة الذين يكونون معهم : احشروا أوليائي الى الجنة فلا توقفهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم ووجبت رحمتي لهم ، فكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات . فيسوقهم الملائكة الى الجنة ، فاذا انتهوا الى باب الجنة الأعظم ضربوا الملائكة الحلقة ضربة فتصر صريراً ، فيبلغ صوت صريرها كل حوراء خلقها وأعدّها لأوليائها ، فيتباشرن اذ سمعت صرير الحلقة ويقول بعضهن لبعض : قد جاءنا أولياء الله ، فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنة ويشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والادميين ، فيقلن لهم : مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا اليكم ، ويقول لهن أولياء الله مثل ذلك « (٤)

التفاق خطر المداومة

« رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته » .

ربما تفترق كلمتا - اصبر - و - اصطبر - عن بعضهما ، لأن هناك قاعدة أدبية في اللغة العربية تقول : كلما زادت الحروف زادت المعاني .

فكلمة - اصطبر - تعني المداومة على الصبر ، فقد يصبر الانسان سنة أو سنتين أو أكثر ثم يخدعه الشيطان كالعبد الذي عبد الله سبحانه وتعالى خمسين عاماً ثم خدعه الشيطان ووجهه الى شرب الخمر ، وبينما هو يسير في طريقه الى دكة الخمار سلم عليه ملك الموت وقبض روحه ، فتنازعت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة ، فأمرهم الله عزوجل بأن يزرعوا الأرض فاذا كانت المسافة بين موقعه وبين دكة الخمار أقرب فهو من نصيب ملائكة العذاب ، واذا كان العكس فهو من نصيب ملائكة الرحمة .

فزرعوا الأرض ووجدوا بأن المسافة بينه وبين دكة الخمار أقرب .. فلما حاولت ملائكة العذاب أن تأخذه الى النار أدركته رحمة الله سبحانه وتعالى فأمر بأن يزرعوا الأرض مرة أخرى ، فلما زرعوها أمر الله الأرض بأن تنبسط من جهة وتنقبض من أخرى حتى أصبحت المسافة بينه وبين محل عبادته أقرب .. فذهب الى ربه .

نحن مهتدون في حياتنا ليس بالكفر وإنما بالتفاق ، فمن الصعب أن نترك الصلاة .. ولكن من السهل أن نفرغها من محتواها ، ومن الصعب أن نترك الدراسة .. ولكن من السهل أن ندرس رياءً ، ومن الصعب أن نتحدى الدين .. ولكن من السهل أن نستسلم للأهواء .

لذا علينا أن ننتبه ونتحذر لأن جاذبية الشهوات تحيط بنا من كل مكان ، ولو تركنا الله وأوكلنا الى أنفسنا ومنع عنا عصمته وحفظه فسنتقع ونهبط الى أسفل سافلين .

واذا قلنا بوجوب التخلص من جاذبية الأرض فلا يعني ذلك التخلص منها في وقت قصير وببساطة لأنها عملية صعبة .. فالتخلص من رواسب المجتمع الذي نعيش فيه مرة واحدة صعب ، ولكن بإمكاننا أن نجعل منها جناً ومسيرنا في جهة التخلص من التبرير والانطواء واللامسؤولية واللعب واللهو .

فمثلا في كل يوم نحاول أن نتخلص من مشكلة .. فيوم يخصص لضبط المواعيد حتى نقضي على مشكلة المواعيد الكاذبة ، و يوم آخر نخصصه للقضاء على مشكلة الكذب ، و يوم ثالث للعلاقات الى أن تتركز في أنفسنا سلسلة طويلة من الحسنات والايجابيات .

قراءة للمستقبل

بسم الله الرحمن الرحيم

«أنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون * ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين * ولقد أرسلنا فيهم منذرين * فأنظر كيف كان عاقبة المنذرين * إلا عباد الله المخلصين * ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجلعنا ذريته هم الباقين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين * إنا كذلك نجزي المحسنين * أنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين * وإن من شيعته لأبراهيم * إذا جاء ربه بقلب سليم * إذا قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون * أثقاً آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين * فنظر نظرة في النجوم * فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون * مالكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليمين * فأقبلوا إليه يزفون * قال أتعبدون ما ننحتون * والله خلقكم وما تعملون * قالوا أبناؤا له بنياناً فألقوه في الجحيم * فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين» .

صدق الله العلي العظيم

(الصفات / ٦٩ - ٩٨)

لكي تبقى انسانية الانسان صامدة أمام الضغوط التي تتعرض لها من ذات اليمين وذات الشمال ، يرشدنا القرآن الكريم الى تعاليم وردت في آيات شتى وبمناسبات عديدة ، تبين بأن هناك نوعين من الضغوط تواجه الانسان عبر حياته ، نوع يأتيه من مجتمعه ، والآخر يصب عليه من تاريخه . . وان فقد هذا الانسان استقلاله أمام هذين الضاغطين فانه لا محالة سيفقد انسانيته ، أي تنعدم من حياته الصفة التي كرمه الله بها على كثير مما خلق وفضله تفضيلاً .

وما قيمة الانسان بلا استقلال وبلا حرية ، وبلا احساس بشخصيته ! ..
 اذا كان الانسان يسير بأهواء غيره ، ويخضع لضغوط الآخرين ، فان قيمته ليست
 أكثر من قيمة أية أداة أو وسيلة .. وبالتأكيد ان من تحركه شهوات الآخرين ورغباتهم
 ومصالحهم دون أن يقف ضدها ويتحداها ، أشبه ببرغي في ماكنة يتحرك حسب حركة
 الماكنة ورغبة محركها ، دون أن يكون له استقلال وحرية رفض .
 ولو أمعنا النظر في كتاب الله الكريم ، لرأينا بأن غيبه ووراء سطوره تبرز مسألة
 الاستقلال والحرية والاحساس بالانسانية .. فكلمة « لا إله إلا الله » التي تبدأ مع
 الانسان منذ ايمانه وتستمر معه الى آخر لحظة من لحظات حياته ، هي ذاتها كلمة
 الاستقلال . فحينما نرفض الآلهة من دون الله فمعنى ذلك اننا نرفض كل من يمارس
 ضغوطه علينا .

قال الامام علي بن موسى الرضا (ع) حدثني أبي موسى بن جعفر الكاظم ، قال :
 حدثني أبي جعفر بن محمد الصادق ، قال ، حدثني أبي محمد بن علي الباقر ، قال :
 حدثني أبي علي بن الحسين زين العابدين ، قال : حدثني أبي الحسين بن علي شهيد
 أرض كربلاء ، قال حدثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شهيد أرض الكوفة ،
 قال : حدثني أخي وابن عمي محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال : حدثني
 جبرئيل عليه السلام ، قال : سمعت رب العزة سبحانه وتعالى يقول :
 « كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من
 عذابي » .

ابراهيم الخليل رمز التحدي والمواجهة :

والمشكلة هنا هي ان الانسان يحسب نفسه إن لم يخضع لضغوط الآخرين ، سوف
 يهجر من قبلهم و يصبح منبوذاً في المجتمع ، وبالتالي سوف يتلاشى و ينتهي .
 لكن القرآن يؤكد و يقول : « كلا » .. ان أولئك الرجال الذين صمدوا وهم آحاد
 أمام تيار الانحراف الاجتماعي أو التاريخي ، هم الذين أصبحوا قادة الامم ، وغيروا
 التاريخ ، وأصبحوا أمة بالرغم من كونهم أفراداً — وفي بعض الاحيان قد يتجسدون في

فرد واحد كنبى الله ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام — .

حينما قام هذا النبي قياماً لله كان يسير وحده ، حتى ان عمه «آزر» الذي تبناه وسمي بأبيه وقف ضده ، لا بل كان يضربه ضرباً مبرحاً لانه كان يسفه أحلام الجاهليين البابوليين الذين كانوا يعبدون الاصنام ، ويعبدون من خلالها الكهنة وسدنة بيت الاصنام ، أو بتعبير المتسلطين على رقاب الناس .

ان هذا الوحيد سماه الله سبحانه وتعالى في القرآن «أمة» في قوله :

«ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله»^(١)

ففي ذلك اليوم حينما أراد قومه احراقه بالنار ووضعوه في المنجنيق ، أتاه أبوه «آزر» ولطمه على وجهه ليعلن براءته منه و يتقرب بها الى السلطان ، إذ أنه كان يحس بأن موقعه في المجتمع الجاهلي في خطر^(٢) ، .. قال له : ألم أنصحك بالتبري من هذا الفكر وهذا النهج الرافض وسلك طريقنا ؟ والآ ذق جزاءك ! .

لكن الله سبحانه وتعالى أنقذه وشرفه .. فقد ترك باب الوحدة بواسطة مجموعة من الغنيمات رافقته الى مصر ومن ثم الى فلسطين ، الى أن رزقه الله اسحاق وبعده اسماعيل ، ومن وراء اسحاق يعقوب ثم آل يعقوب .. ومن خلال اسماعيل مجموعة كبيرة من العرب المستعربة الذين هم من أولاد اسماعيل (ع) .. والى الآن فان الشعبين الكبيرين في العالم يتشرفان بانتمائهم لذلك الرجل .

عن سماعة بن مهران : قال : قال لي عبد صالح عليه السلام : يا سماعة أمنوا على فراشهم وأخافوني ، أما والله لقد كانت الدنيا ، وما فيها الا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره لاضافه الله عزوجل إليه حيث يقول :

«ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين» .

فصبر ما شاء الله ، ثم ان الله أنسه باسماعيل واسحاق ، فصاروا ثلاثة .

انه في عصرنا الحالي أكثر من ألفي مليون انسان يكرمون ويقدمون شخصية نبي الله ابراهيم (ع) ، الذي يقول عنه ربنا سبحانه في الآيات الآتفة الذكر :

(١) سورة النحل / آية (١٢٠) .

(٢) كان «آزر» من سدنة بيت الاصنام البارزين .

« وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين » .

ثم يقول :

« وان من شيعته لابراهيم » .

فالسلم موجود فيما يرتبط بابراهيم (ع) كما هو موجود فيما يتصل بنوح (ع) ..
لنمعن النظر جميعاً في شخصية هذا الانسان الواحد وكيف تحول الى أمة وتاريخ والى
مسيرة ، وبالتالى بارك الله فيه وفي نسله ، لانه رفض عبادة الاصنام وأثبت انسانيته
واستقلاله .

وفي المقابل أين ذلك المجتمع الذي حارب نبي الله ابراهيم (ع) ؟ أين أولئك الذين
كانوا يزعمون بأن ابراهيم سيتلاشى وينتهي ؟ .. انهم تلاشوا ولم تبق لهم من باقية ..
وهكذا فان فلسفة وحكمة القرآن توحى الى هذه الفكرة — فكرة الاستقلال — بكل
وضوح .. إذ أن الانسان ليس بكثرة من حوله ، إنما هو بطبيعة استقلاله وحرية وإيمانه
بالله وتوكله عليه .

كذلك نبي الله نوح (ع) ، حيث كانت الاجيال تتعاقب على مجتمعه ، وكل جيل
يوصي الجيل الآخر بأن لا يسمع هذا الرجل ، فهو منحرف ويستلزم تركه ونبذه .. ولكن
أين هم الآن ، لقد ابتلعهم الطوفان ولم يبق من تاريخهم سوى اللعنة عليهم بالاضافة الى
لعنة الله عليهم ..

« سلام على نوح في العالمين » .

وسوف يمضي التاريخ قدماً ، وسيحتفظ الجميع بالسلام على « نوح » ذلك الشيخ
الكبير الذي وقف أمام انحراف مجتمعه .

فكرتان هامتان :

هناك فكرتان هامتان أريد أن استوحيهما من الآيات الكريمة الواردة في صدر

الموضوع :

الفكرة الاولى : « مقاومة ضغوط المجتمع وانحرافات التاريخ » :

على الانسان المؤمن أن يتحدى ضغوط المجتمع المحيط به ، وانحرافات التاريخ التي تصب عليه من خلال الافكار والثقافات المتخلفة ، لكي يصل الى حقيقة الايمان . أي لا يمكن للانسان أن يدعي بأنه مؤمن ما لم يثبت ايمانه ، فلكل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نور.. فما هي حقيقة الايمان وتجسيده وواقعيته ومصداقيته ؟

ان مصداقية الايمان بالله أن لا تؤمن بالطاغوت وتكفر بالمجتمع المتسلط عليك .. وفرق بين أن ينسجم الفرد مع مجتمعه و يكون فيه ، وبين أن يسير معه أينما سار وفي أي خط انحرافي ..

وقد ورد في الحديث الشريف ما نصه :

« كن في الناس ولا تكن معهم » .

من الخطأ أن نكون مع الناس لا أن نكون فيهم ، والمقولة التي تزعم بأن الحشر مع الناس عيد مقولة خاطئة ، فلعل هؤلاء الناس يحشرون الى جهنم .. فهل ذلك عيد ؟ كما يقول الامام الحسن (ع) :

« وهل حشر مع الناس في النار عيد » .

إذن الايمان ليس لفظاً يقال أو أمنية يتمناها الانسان ، إنما هو حقيقة ، ومصداق واقعي يجب أن يجسده الانسان في نفسه .. وحقيقة الايمان مقاومة الضغوط المتمثلة في التجانس الاجتماعي أو الانتماء التاريخي .

وفيما يتعلق بالتاريخ ، فينبغي أن نأخذه ونحلله ، لوجود الفارق بين تراث وآخر ، فهناك من التراث ما نقده ، وهناك ما نثور عليه ، لان الماضي أمة ونحن أمة ، والعصر يتغير ، وكذلك الزمن والحاجات والظروف .

ولذا لا يجوز لاحد أن يبرر عمله و يقول « فعل آباؤنا ، فلنفعل مثلما فعلوا » .

« أنهم ألفوا آباءهم ضالين ° فهم على آثارهم يهرعون » .

من خلاف الحكمة أن يسرع الانسان في آثار الاولين أنى كانت دون تحكيم عقله ، والسبب يعود لعدة قضايا أبرزها ملازمة الشيطان لجميع الاجيال ، فكما هو يغوينا اليوم فانه كان يغوي آباءنا في العصور الماضية .

من هنا لا يجوز أن نقدر كل ما جاء في التاريخ ، إذ أن بعضه حسن وبعضه الآخر سيء .. فالتاريخ شهد فما شهد أبا عبد الله الحسين (ع) بثورته التي لا مثيل لها ، وشهد أيضاً يزيد ابن معاوية بجرائمه النكراء ، فليس من الصحيح أن تأتي ونقدس التاريخ بأجمعه ، ونزعم بأن كل من كان في العصر الاول والثاني والثالث من تاريخ الاسلام كان انساناً مخلصاً ويجب أن نسمع الى كلامه ونطيعه .

وكثير من الاوقات تكون مقاومة الانسان للتاريخ مقارنة بانحلاله وانسيابه مع عصره ، وهذا غلط وعكسه غلط أيضاً ، حيث لا يجوز أن يتحجر الانسان أمام عصره لحساب تقليده الاعمى للتاريخ .

والتقليد قد يكون عادة مجبولة عند الانسان ، أي تتحول الى طبع عنده ، فتراه بفعل فقدان الاستقلال يقلد كل من يرافقه ، فتارة يقلد أباه ، وتارة يقلد صديقه ثم مجتمعه ، ولعله في بعض الاحيان يقلد المجتمع الغريب عنه .

والقرآن يرفض ذلك ، فهو يدعو الى تحدي المجتمع الفاسد ، ولكن بحيث لا يسري هذا التحدي الى معاداة أبناء المجتمع قاطبة والحكم على الجميع بالفساد ، ومن ثم التثبيث بما جاء به التاريخ .. كما انه — القرآن — يخفي النظرية التي ترفض التاريخ والمجتمع السابق رفضاً باتاً ، وترقي في أحضان المجتمع الحالي .

ان الاسلام يدعو الانسان لان يكون مستقلاً في فكره ، سواء فيما يتصل بتاريخه أو بالمجتمع المحيط به .

الفكرة الثانية : «قراءة المستقبل من خلال دراسة الواقع وفهم

التاريخ» :

ان علينا أن نتوجه لدراسة المستقبل من خلال التحركات الحيوية التي نجدها في الحاضر .

فأولئك الذين لم يؤتوا علم قراءة المستقبل يقعون في أخطاء استراتيجية كبيرة في حياتهم .. فترى الواحد منهم يقدم مجتمعاً ما ، فيجد فيه سلطاناً حاكماً على رقاب الناس ، مستتبه له الامور ، أجهزة الاعلام تطبل له ، سيوف الجلادين تقف للمعارضة

بالمِرصاد ، وشبكة التجارة متصلة بالحاكم اتصالاً اخطبوطياً وما الى ذلك .. فيحكم مباشرة بحتمية بقاء هذا المجتمع لاعتقاده بأن الحكومات تستند على المسائل المذكورة هذه .

بينما الانسان البصير يأتي ويقف على هذا المجتمع ، فيجد الظلم والبغي و يلاحظ الانحراف والضلال ، و يشاهد الى جانب ذلك رجالاً نذروا أنفسهم للدفاع عن العدالة والحق والايان مع انهم مجموعة بسيطة من الناس .. فيقرأ التاريخ و يطبقه على المستقبل أي انه يقرأ المستقبل من خلال فهمه للتاريخ ، فيحكم بغلبة أولئك القلة القليلة ، وذلك لان هؤلاء يحملون في نفوسهم صفة الانسان كانسان ، وصفة الحرية والاستقلال والايان والتحرك والنشاط والانسجام والتعاون .. وفعلاً لا تمر الايام والليالي إلا وتجد ان أولئك الحكام أصبحوا أمثلة للتاريخ ، وبقي أولئك الرجال مسيطرين .

قبل حوالي أربعة عشر عاماً ألقى الشاه القبور خطاباً قال فيه : « ان ايران هي جزيرة الثبات » .. أي ان العالم تجوبه أمواج الاضطراب ، ويحكمه القلق الاجتماعي والسياسي ، بينما ايران هي جزيرة الاستقرار والثبات ... وما مرت السنون إلا وطوح به وبعرشه ، وأصبحت جزيرة الثبات هي جزيرة «موريس» التي ذهب اليها أبوه .

وها نحن اليوم نجد نفس المقولة فيما يتعلق بالنظام العراقي ، فتجد الاجهزة الاعلامية تحاول أن تعتم الحقائق أمام الناس وتبين بأن هذا النظام مستقر . وفي الواقع انه نظام يعيش على قرار دولي ، وهؤلاء الذين يجوبون الارض ليجدوا حلاً لهذه الحرب المصطلح عليها بـ «حرب الخليج» ، يتجاهلون متعمدين ان النظام العراقي منته ، وان الشرط الذي تشترطه الجمهورية الاسلامية لانهاء الحرب قائم فعلاً ، لولا تلك المؤامرة الدولية المحاكة ضد الشعبين المسلمين «العراقي والايرواني» والتي تعطي للحرب استمرارية .. كيف ؟ ..

ان الشرط الذي تصر عليه الجمهورية الاسلامية منذ نشوء الحرب ، لا يرتبط بالتحويلات العسكرية على الجبهات ولا بالتيارات السياسية في المنطقة ، إنما هو متعلق بموقف مبديني من قبل شعب مؤمن نأر من أجل استقلاله ، ولا يرضى بالعودة الى الحالة الاستعمارية السابقة .

والشرط هو سقوط صدام باعتباره مجرم حرب ولا بد أن يجازى على اشغال نارها ، أما القضايا الاخرى فيحكمها الحوار ، وحتى القضايا التي كانت في يوم ما موضع شجار وصراع بين الدولتين الجارتين يقبل التفاوض فيها — أي انها قابلة للاخذ والرد — ، وبالتالي البحث في مصالح الشعبين من دون أي تعويضات .

لقد صرحت الجمهورية الاسلامية بأنها في حال قيام حكومة في العراق منتخبة من قبل الشعب ، سوف تساعد وتخفف آلام وجراحات الحرب التي كلفتها اعتداءات النظام البائد .

وفي واقع الامر ان هذا الشرط تحقق منذ فترة طويلة حيث أفلس العراق اقتصادياً ، والدولة التي لا اقتصاد لها لا تتمكن أن تحارب .

سأل أحد الاشخاص رجلاً عن سبب هزيمتهم في معركة ما ، فقال : ان ذلك يعود لمئة سبب ، أولها عدم توافر الاسلحة . واكتفى بذلك وترك باقي الاسباب . فبفقدان السلاح لا يمكن أن يستمر عسكري في الحرب .

ان من القضايا البديهية في هذه الحرب القائمة اليوم تشير الى انه كيف يمكن لنظام بلغ معدل ديونه (٦٠) مليار دولار الاستمرار والبقاء ؟!

ان النظام الذي يتصدق عليه جيرانه فيأخذون النفط وبيعونه لمصلحتهم ، النظام الذي لا يملك ميناء واحداً ويحتاج الى غيره في أبسط الامور ، النظام الذي يصدر على من يتخلف عن المعركة حكم الاعداء ، ويأخذ البريء بذنب المتهم الذي لا يريد الخضوع لسلطة .. ان نظام سياسي كهذا منته لا محالة ، وبأي منطق من التاريخ أو قانون سياسي في العالم فانه منته .

إلا أن المسألة الهامة هنا هي ان المؤامرة الدولية المحاكة ضد هذين الشعبين — خشية افتقارهم لمصالحهم وبتوهامات معينة — هي التي تمنع سقوط هذا النظام .

وقد ذكر في المجال العلمي بأن هناك أناس من الناحية الطبية يعتبرون من الاموات بفعل توقف المخ عن الحركة ، ومن ثم يصبح الموت طبيعي حيث تتوقف نبضات القلب ، إلا أن هناك أجهزة خاصة لاعطاء التنفس الاصطناعي ليتحرك القلب .. وبالفعل فان البعض تتحرك قلوبهم لمدة شهرين أو أكثر ، وعلى أثر ذلك تظهر حركة في

الجسم ، لكنه من الناحية الطبية يعتبر ميتاً ، لان حركته ليست ذاتية إنما تعطى له من الخارج .

والنظام العراقي ميت بهذا الشكل ، وفي أي لحظة يتخلى الاستكبار العالمي عن دعمه ترى كيف يتهاوي وينتهي .

ان قوى الاستكبار اليوم تتشدد بضرورة انهاء الحرب ، ولا اشكال في ذلك ، ولكن ليعتركوا هذا النظام وشأنه ، وسوف يرون كيف ان هذه الحرب تنتهي في غضون أربع وعشرين ساعة .. فالشعب العراقي ينتفض ضد الطاغية ، والجمهورية الاسلامية تقبل بأي وضع تفرزه ارادة الانسان العراقي في المستقبل .. وبذلك تنتهي المشكلة .

إلا أن هناك هاجساً مخيفاً يلاحق المستكبرين وبالذات المعسكر الغربي ، يوحي لهم بأن ايران لن تكفي بأخذ العراق فقط ، وإنما سوف تمد أنظارها صوب الخليج ومن ثم مصر ، بالإضافة الى وجود الصحوة الاسلامية وما أشبه .. ولنفترض ان كل ذلك حدث — وهذا ما سوف يكون ان شاء الله تعالى ، وسواء دعموا صدام أم تركوه فان التاريخ لن يتغير والمسيرة التاريخية سوف تحفر طريقها شتناً أم أبيناً — ، فماذا سوف يحدث ؟

ماذا يضر الغرب والشرق لو ان المسلمين في العالم نهضوا ووجدوا صفوفهم وأصبحوا قوة ثالثة في العالم ، وتمكنوا من المحافظة على التوازن العالمي ، واستصلحوا الارض وزرعوها .. ؟

هل خسرت أمريكا وحلفائها الغربيون شيئاً حينما دخلت اليابان في العالم الصناعي ؟ .. صحيح ان هناك خسارات مرحلية ، لكن لو فكرنا عميقاً على المدى البعيد لرأينا ان تقدم الانسان في هذا الكوكب هو في مصلحة الناس جميعاً .. فلو ان الارغواي — مثلاً — استطاعت أن تكفي من الناحية الاقتصادية أو الزراعية ، فان ذلك يصب في المصلحة العامة ليصل البشر الى كفايتهم .. إلا أن الشيطان عدو للانسان ، لذا فانه يسعى جاهداً لاقتناع البعض بأفكار هدامة في غير المصلحة العامة .

انني هنا أوجه كلمة الى هؤلاء وأقول لهم : اجلسوا في أماكنكم ، فان الثورة الاسلامية جاءت لتبقى ، والنهضة الاسلامية جاءت لتنتصر ، والحركة الاسلامية جاءت لتستمر ، وليس أمامهم إلا أن يعترفوا بشرعية هذه الثورة وتلك النهضة والحركة ،

وان لم يعترفوا بذلك طوعاً فسوف يعترفون بها مكرهين .. وبالتالي فان كل ما قدموه من أموال وجهود ودماء أولادهم سيصبح عبثاً ، وسوف يكون كل ذلك حسرة عليهم .
لنفترض مثلاً بأن الولايات المتحدة الامريكية حينما رأت ان الفيتناميين يريدون توحيد بلادهم وطردها المستعمرين ، فكر علماء الاجتماع في واشنطن وقالوا بضرورة تعيين اتجاه البلد بذاته ، وبذلك قرر الامريكيين العودة من حيث جاءوا .. ولما كانت عشرات الالوف من الضحايا الامريكيين تذهب هباءً على أرض فيتنام ، ولما خسرت أمريكا عشرات المليارات من الدولارات ، وهي حتى اليوم تنوء تحت ديون ومشاكل تلك الحرب .

لكنهم جاءوا وحاربوا وعبثوا بطاقتهم ، ومن ثم فشلوا وأريق ماء وجههم ، وذهبت أموالهم ، وقُتل أولادهم ، وتمزق مجتمعاتهم .. لماذا ؟ .. لانهم أرادوا الوصول الى شيء ما ولم يصلوا اليه .. لكن تلك الجماعة المظلومة أرادت حررتها فحصلت عليها .. وهذه هي سنة الله في التاريخ ولم تتغير.

وها هم اليوم يأتون الى الجمهورية الاسلامية بغية القضاء عليها ، فيسلطون عليها النظام العراقي وبعض الانظمة العميلة من هنا وهناك ، ويوجهون أجهزتهم الاعلامية ضدها ، ومحاصرونها اقتصادياً ، ولكن بعد فترة سيكتشفون بأن كل ما قدموه في هذا المجال كان وهماً شيطانياً .. إذن فما دامت القضية تصبح حسرة عليهم فلماذا هذا الاجحاف في العطاء والدعم الاعمى ، ولماذا يأتون بأولادهم ليقتلوا في الخليج و يصبخوا طعاماً لاسماك البحر؟

والحمد لله فهناك اليوم بعض الاصوات الحكيمة في واشنطن بدأت تعلقو مطالبة بعدم الدخول بين المتحاربين في الخليج ، وترفض أن تجعل من أولادها ضحايا هذه الحرب .
انها قضية واضحة جداً .. فصحيح ان أمريكا هي القوة الكبرى في العالم ، ولكن لانها بهذا الحجم فهي مكبلة بقيود بقدر عظمتها .. كما الفيل بضخامته إلا أنه يعاني مشكلة في تهيئة حياته .

ها هي الولايات المتحدة محتارة اليوم في انزال طائراتها في المناطق التي تريدها .. تذهب الى المناطق الصغيرة وتطلب من حكماها قطعة أرض ليقيموا عليها مطاراً تهبط في

طائراتهم .. فيرفضون ذلك ويخشون منه ، ويقولون بأنكم أهل نحس أينما تكونوا ، فعندما ذهبتم الى فيتنام حدثت مشاكل ، وعندما أتيتم الى لبنان وكمبوديا وغيرنا لم تخرجوا إلا بالمشاكل التي قصمت ظهوركم .. ونحن لا نريد مشاكل كهذه . ان هذا وضع دولة عظمى في العالم ، ومع ذلك فانهم يريدون أن يأتوا بأساطيلهم اليوم في مياه الخليج ..

أحد المؤيدين للحزب الجمهوري الحاكم في أمريكا يقول : ماذا نفعل اذا تعرضت ناقلة بتترول تحمل العلم الامريكي لضرب مباشر من قبل الجمهورية الاسلامية .. فان دخلنا في الحرب سوف نخسر ، وان لم ندخل سنخسر أيضاً .

ان على الامريكيين ومن تبعهم أن يفسحوا مجالاً لبقاء الجمهورية الاسلامية ، وإلا سوف تبقى رغماً على أنفهم بعد أن تعصف بهم المشاكل . وهذه هي فلسفة التاريخ . وعلينا جميعاً أن ندرس سنن الله في هذا الكون ونكيف أنفسنا معها ، ومن هذه السنن ان الانسان الذي يعارض ويتحدى الضغوط سوف ينجح ، مع انه قد يبقى في البدء فريداً وأحاديماً إلا أنه بالتالي سوف ينتصر .

ان ما يحدث اليوم في منطقة الخليج وبالذات الكويت جزء من هذه القضية .. نرى المتظاهرين على شاشة التلفزيون مجموعة محدودة نوعاً ما ، لكن هذه المجموعة التي تأتي وتقف أمام المحكمة في ذلك الجو الارهابي المرعب وتعلن رفضها للسلطة ، وتعلن عن انها متمسكة بالمباديء ، وتقول : ان الشهادة فخر وكرامة ، واننا لا ننسى الحسين (ع) وسوف ننتهج طريقه ، هؤلاء هم رواد المستقبل في ذلك البلد .

وتلك المرأة المؤمنة التي قدمت الحلويات لزميلاتها في المحكمة ، حينما نطق الحاكم بحكم الاعدام على زوجها وقالت : هذا فخري ولعقبى . هذه المرأة بقوة روحها وصلابة ايمانها وشجاعته هي التي سوف تحكم مستقبل البلاد .

أما ذلك الرجل الذي يعطي بلده لدويلة صغيرة ، ويخضع شعبه لمصير مجهول ، سوف يزول .. ويجب أن نعرف ذلك .. وهذا ما حدث في التاريخ وسوف يحدث اليوم .. والله سبحانه وتعالى هو الله ، وسنته هي السنن ، والانسان هو الانسان .

نحو نظرة اعمق

بسم الله الرحمن الرحيم

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً * وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين * الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون * وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون » .

صدق الله العلي العظيم

(سورة الانبياء / ٤٧-٥٠) .

كما للانسان روح تسيره في حياته ، فتعطيه الحياة والعقل ، وإذا سلبت منه ، سلب منه كل شيء ، كذلك فان لهذا الكون المحيط بنا روحاً ، وبدونها فستكون القشرية هي الحاكمة .

وهذه الروح هي ملكوت السماوات والارض متجسدة في حقيقة مثل ، بينما الاشياء الموجودة التي نراها هي تعبير لهذه الروح ومظهر لها وأداة لتحركها .

الموقف السليم :

أكثر الناس ينظرون الى الاشياء ظاهرياً فقط ، ولا يتجاوزون في نظرهم الى ما وراء الاشياء ، والقرآن الحكيم يدعو الى النظرة الشاملة حين يحث على الاقتداء بأولي الالباب الذين يثيرون عقولهم ، ويعرفون جوهر أنفسهم المتمثل في العقل ، فيتعمون بمعرفة جوهر الحياة ولب الكون وحقيقة الاشياء ، بعكس الذين يركزون تفكيرهم في ظاهر الحياة فتغيب عنهم حقيقتها ، يقول رب العزة والجلال :

يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون» .

(٧/سورة الروم)

وهم بذلك لا يشعرون بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة الظاهرة ، أو بوجود غيب وراء هذا الظاهر ، أو بحصول مخبر خلف هذا المظهر ، إنما يتمتعون في هذه الحياة كما الانعام تسرح وتمرح .

« ان هم كالانعام بل هم أضل سبيلاً » .

(٤٤/سورة الفرقان)

متى تتجلى الروح ؟

تظهر روح الأشياء للانسان فور ما تخرج منه روحه ، لتنتقل في الفضاء اللامتناهي ، وحينئذ يتصل بالحقيقة ، ويكتشف انه كان مسترسلاً في نوم عميق ، وسادراً في غفلة شاملة ، وتتأكد الحقيقة التي قال عنها الحديث الشريف .

« الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا » .

وآنئذ يصطدم الانسان بحقيقة مرة ، طالما كان غافلاً عنها ، بالرغم من كثرة الشواهد والتنبيهات التي كانت تسديها له الحياة ، إلا أن الطبيعة البشرية عادة ماتميل الى العيش في الغفلة .

ونظراً لأن الانسان يكتشف حقيقة الحياة في عالم الآخرة بواسطة أدوات معينة ، فان الموازين العادلة تكون هناك « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » .

أي المقاييس العادلة والدقيقة التي لا يمكن أن تقع في الخطأ ولو بانحراف بسيط والسبب في ظهور هذه المقاييس في يوم القيامة ليس عدم وجودها في الحياة ، وإنما ناشيء من انتفاء الصلاحية عن الانسان حتى يتعرف عليها .

« لقد كنت في غفلة من هذا فبصرك اليوم حديد » .

فالحقائق موجودة في هذا الكون ، والمقاييس تجري بكل دقة في هذه الحياة ، ولدقتها فانها لا تخطأ بمقدار مليمتر واحد أو مليون جزء من هذا المليمتر ، لأن كل شيء عنده بمقدار وحساب وفي وقت محدد .

وهذه مسألة طبيعية ، فاذا جد الانسان وراء شيء ، فانه سيحصل عليه ، وإلا فلا ..

ولكل هدف .. طريق للوصول إليه .. ووسائل لتحقيقه ، وهذا كالكون المحيط بنا الذي يزخر بآلاف الموجات الاذاعية ، إلا أننا لا نعي منها شيئاً ، من دون اللجوء الى جهاز الراديو الدقيق الذي يلتقط الامواج ، فالامواج موجودة في هذا الكون ، ولكن الانسان عاجز عن التقاط ذلك من غير اللجوء لوسيلة مناسبة .. وهي هنا متمثلة بجهاز الراديو ..

وكذلك فأرواح الشهداء والصدّيقين والصالحين موجودة في هذا المحيط ولكن الذي يحس بذلك هم أمثال رسول الله محمد (ص) حيث كان يمشي في تشييع جنازة سعد بن معاذ أحد اصحابه على رؤوس أصابعه ، فسئل عن ذلك .. فقال : — لتزاحم الملائكة .
والصالحون يحسون بوجود الملائكة عبر قلوبهم وأفئدتهم .

كل هذه الحوادث تبرز يوم القيامة « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً » والله سبحانه وتعالى يوم القيامة يحاسب الانسان على الاسباب المتصلة به .
« وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

فالذي يحاسب الانسان ، هو الذي يعلم وزن الرياح ، يعلم وزن الضوء .. و يعلم وزن الظلمة ، ويعرف الالكترونات التي تدور في نواة الذرة ، لذا فهو يحسب دقائق الامور ، حتى حبة الخردل التي يضرب بها المثل لخفة وزنها .
ويتساءل العباد : أين الميزان الذي نقيس به أفعالنا ؟ فيأتيهم الجواب : بأن القرآن يشتمل على هذا الميزان ، حين يقول :

« ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرًا للمتقين » .

فالفرقان هو الذي يميز بين الحق والباطل ، وهذا الفرقان في تناول الامة الاسلامية اذا اتبعت نهج القرآن ، أو من يجسده كالرسول الاكرم والائمة الاطهار عليهم السلام ، أو الشهداء والصدّيقون والصالحون ، ومن مصاديق هؤلاء ، العلماء الاجلاء الذين يمثلون الفرقان اذا ارتبطوا بحقيقة الكتاب .

والقرآن بالاضافة الى اعطاء الانسان موازين القسط التي يسميها بالفرقان ، فانه يعطي لقلب الانسان ضياء الايمان ، الذي يستطيع الانسان عبره معرفة الحقائق والعمل بها ، وتتسنى الاستفادة من ذلك اذا تحلى الانسان بصفة التقوى لأن الذي تراكمت

الذنوب على قلبه ، واحتجبت نفسه بحجب الغفلة والشهوات ، لا يستطيع الاستفادة من الحقائق والفرقان ، بينما اذا تجاوز الانسان هذه الحدود ، ووازي في عمله مقاييس الرسالة ، فان عمله سينمو ويتكاثر ، وكلما ابتعد الانسان عن موازين الله ، فان عمله يذهب سدى .

« وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً » .

(سورة الفرقان / ٣٣)

فعمل هذا الانسان يصبح كالرماد الذي لا يستقر بتأثير أمواج النسيم الهادئة ، وكيف تكون حالته اذن اذا زحفت عليه العواصف والاعاصير!! ! لذلك فليتجه المؤمنون انطلاقاً من هذه الآية الى العمل الجاد ، حتى لو كان صغيراً ما دامت الاستطاعة متوفرة فيه ، لأن الاسلام يركز على عدم الاستهانة بالاعمال ولو كانت صغيرة .
 اضافة الى ذلك يأمرنا الاسلام بالاستزادة في الاعمال ، وبذل الجهد الهائل في سبيل انجاحها ، لأن العمل المخلص والخالي من الشوائب والادران والشهوات هو الذي يبقى ، ويقوم الله عزوجل بتنمية العمل ، لأنه يتصل بروح الكون وجوهر الحياة .
 « والعمل الصالح يرفعه » .

(سورة فاطر / ١٠)

« ما كان لله ينمو » .

هذا اذا كان العمل صالحاً وخالصاً من شوائب النية الفاسدة .

مغالطة صريحة :

أكثر أهل الدنيا متجهون الى الكثافة الكمية والتراكمية ، تاركين ورائهم الكيفية واللب ، فالذي يملك الوف الملايين لا يدرك شيئاً ، لأنه أصبح مملوكاً وخداماً وحافظاً لأمواله بدل أن يكون مالكا لها ، ولهذا فان قرحة المعدة ومرض القلب وانفجارات المخ وغيرها منتشرة في أوساط الاغنياء بسبب التوتر والقلق الذي يراودهم خوفاً على أموالهم ، رغم انه سعى اليها ليرتاح ، وكذلك في الجوانب الاخرى فالتطور العلمي لا زال سائراً ، والاكتشافات الحديثة متواصلة ، لأسعاد الانسان ، ولكن لأن الوجهة العامة لم تكن تحت ظل الله ، فان نتائج العمل ذهبت سدى ، والثروة التي اكتشفت لأجل سعادة

الانسان ، تحولت الى أكبر مصدر لشقاء البشرية .

وقائع دامغة :

يتبين منها نتيجة العمل الذي لا يسير حسب توجيهات الله وقوانينه .

* في ذكرى القاء أول قنبلة ذرية أمريكية على اليابان ، قابل مخترع القنبلة الذرية التلفزيون الأمريكي ، وصرح بتوبته الى الله ، بسبب عمله الذي دمر الكثير من اليابانيين ، وأعلن بأنه لم يخترع هذه القنبلة لأجل هذه المأساة .

* « نوبل » الذي ارتبط اسمه بجائزة نوبل ، اخترع البارود ، ثم اكتشف مدى خطره ، بسبب استخدامه في الاسلحة النارية لتدمير حياة الانسان ، فوضع جائزة مالية سنوية سميت باسمه لكل من يعمل عملاً في صالح الانسان .

رغم ان مسيرة هذه الجائزة انحرفت ، حيث أعطيت وتعطى لمن يسبب الدمار للانسان ، كرئيس الوزراء الاسرائيلي — سابقاً — مناحيم بيغن ، ورئيس مصر المهدوم أنور السادات ، أو لمن استنتج قانوناً رياضياً ليستخدم في حرب النجوم .

* كان رسول الله (ص) جالساً مع أصحابه ، فجاءهم فقير معدم ، ثيابه رثة قد تدعو الى الاشمئزاز من قبل الآخرين ، فأراد أن يجلس قرب رجل غني ، فجمع الغني ثيابه ، فقال له الرسول : لماذا فعلت ذلك ؟ وهل خشيت أن يصيبك من فقره شيء ؟

فقال الغني : — استغفر لي عند ربي يا رسول الله ، وقاوم هذا الصحابي شهوة نفسه من حالة التكبر ، ودفع نصف أمواله لهذا الفقير لأجل محاربة حالة نفسية قد تتعشعش في نفس الانسان ، فتؤدي به الى الهلاك ، وحالة هذا الصحابي من الغنى هي وسيلة الى الصدق والاخلاص والاحسان ، أما اذا أصبحت هذه الثروة مقترنة بداء التكبر ومستصحبة الشقاء للبشرية فلا خير في هذه الحياة التي بدت كسفينة فاقدة لاتجاهها في عرض البحر ، فسارت في أعماق البحار لتواجه أمواجاً عاتية ، وبالتالي لتواجه الغرق المحتوم .

الهدفية :

رسالات الله كاملة جاءت لايجاد هدف للانسان ، حتى يتجه له ويستفيد من كافة حياته .

وطالب العلوم الدينية خصوصاً لا بد أن يحمل أهدافاً مقدسة وواضحة حتى يلهمه الله نور العلم وضياؤه ، بينما اذا نشبت أهدافه بالمصالح ، فانه لن يستفيد شيئاً ، لأنه سيتحجر ، بعكس الذي يحمل أهدافاً مقدسة ، فهو سينفتح ، وحينما يسمع أبناء البطولات التي يقوم بها المؤمنون على جبهات الحرب بين العراق وايران يخترق الظواهر ويصل الى العمق ، ليفسر حالة شاب لم يبلغ العشرين من عمره ، اقتلع نفسه من جاذبية الحياة الدنيا وأرض المادة والاهتمام بالمستقبل ليذهب الى جبهات الحرب حتى يساهم في نصره الاسلام ، فيرزق الشهادة ، ويسمو الى جوار ربه ، فيرى طالب العلم هذه القصة لينطلق في رحاب العمل نابذاً وراءه كل السلبات التي قد تلحق به بسبب الطبيعة البشرية ، ومستغلاً الفرص حتى لا يكون من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

لنستفد من الاجواء الروحية التي يصنعها اخواننا المؤمنون على جبهات القتال بدمائهم الزاكية وجهودهم المخلصة ، حتى نزداد وعياً في الحياة ، واخلاصاً في العمل ، ومساهمة في الجهاد ، وزيادة في العمل حتى لا تضطر الامة لخوض مثل هذه الحروب ، ولكي لا تنمو في الامة جرثومة كصدام حسين الذي سبب و يسبب مفاسد عظيمة .

لقد نشأ صدام في المجتمع العراقي الذي لو غير نفسه ، لانتصر على صدام الجريمة المركبة المجسدة في الكثير من الناس « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١١/سورة الرعد)

كما ان الله عزوجل يسلط على المجتمعات المتخاذلة الظلمة « الظالم سيقي أنتقم به وأنتقم منه » .

لذلك على كل علماء الدين والمثقفين والرساليين أن يعملوا بجهد لتوعية شرائح الامة ، حتى لا توجد فيها أمثال هذه النماذج الخبيثة ، وكلما تجاوزنا التقصير ، كلما أسرعنا في نجاة الامة وانتصارها .

استراتيجية الحرب :

نحن مع الحرب كوسيلة للدفاع عن المقدسات والقيم ، ولكننا لسنا طلاب حروب ودماء ، والحرب انما شرعت حتى تمنع عن الامة مصائب أكبر وأطول ، ولو تمكنا من ذلك

عبر عمل إيجابي جاد ، فالتقصير في ذلك حرام ، لأن الانظمة الفاسدة التي تحكمت في بلادنا الاسلامية كانت غلبتها علينا بسبب قلة الوعي ، التي نجمت عن ندرة العاملين في سبيل الثورة ضد هؤلاء الطغاة ، وهذه النتيجة جاءت طبيعية ، حيث يقول الحديث : « لتحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم » .

فكل انسان قادر على عمل شيء ، سواء بالقوة أو بالفعل ، فان كان بالقوة فالعمل ، وان كان بالفعل فبالسرعة في بناء النفس وتهيئتها من جميع المجالات حتى يتحمل مسؤوليته الشرعية ، وأن لا يدع مجالاً للكسل والتبرير التي تؤدي به الى التقصير « بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره » (سورة القيامة ١٣-١٤)

ومن ثم يقتحم المشاكل بشجاعة الايمان ، والاجتهاد وفي العمل ، والبحث عن الصعوبات ، لأن هذا هو الطريق الى منع أمثال هذه الحروب وتوعية الجماهير ، وبالتالي الى اسقاط الانظمة الفاسدة .

استقلال منهجي

بسم الله الرحمن الرحيم

« أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً * اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيى لنا من امرنا رشداً * فضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً * ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امداً * نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى * وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الهاً ، لقد قلنا اذا شططا * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً * واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من امركم مرفقا . »

(٩ - ١٦ الكهف)

« عن الأسدي عن محمد بن الحسين الصوفي ، عن يوسف ابن عقيل ، عن اسحاق بن راهويه قال : لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها الى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له يا بن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك ، فاطلع رأسه وقال : سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي محمد بن علي يقول : سمعت أبي علي بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن علي يقول : سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليهم السلام - يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سمعت جبرئيل يقول : سمعت الله جل جلاله يقول : لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي » (١) .

هذه الكلمة الثقيلة في ميزان الكون لها عدة أبعاد من جملتها « الاستقلال ، الحرية ، التقدم ، الكمال ، التقرب الى الله سبحانه وتعالى » ، وسوف نعني بالأول منها الحاجة الساحة العملية اليه .

التوحيد : تبديد التبعية .

لو قدر الانسان في ميزان المادة فلن يعدو سوى شيء قليل ، لأنه بالتالي جزء من هذا الكوكب الذي هو جزء من هذه المنظومة ، وبدورها جزء من هذه المجرة التي هي جزء من مجرات بعد بعضها عنا ستة آلاف مليون سنة ضوئية . لهذا فهو قبال ذلك ضئيل جداً . يقول الامام علي (ع) : « مسكين ابن آدم مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل . تؤله البقعة ، وتقتله الشرفة ، وتنتنه العرقة » (٢) .

ولكن ما الذي يجعل هذا الانسان البسيط قادراً على اقتحام المجهول ، وغزو الفضاء ، والتعمق في المحيطات ، وتسخير ما في الكون ... ؟ .

انما هو استقلاله .. !

فاذا كان جزءاً من هذه الطبيعة ، وريشة في مهب رياح الشهوات التي هي رابط بينه وبين الطبيعة المحيطة به ، فلن يتمكن من عمل أي شيء .

فمعركة الانسان الأولى فوق هذا الكوكب يخوضها مع تلك الطبيعة وذلك المجتمع الذي يزيد سرقة استقلاله وتحويله الى جزء من هذه الدورة التي لا تنفك عن الدوران ، لا يفرق خلايا جسمه — لأن كل خلية عليها أن تتحرك وفق نظام مخصوص — .

لذا حينئذ يعرج الانسان الى صعيد التوحيد ويدخل حصن « لا إله إلا الله » ويصبح مرتبطاً برب العالمين ، يجد في نفسه القدرة على التحدي وقول كلمة — لا — لكل من يريد سلب استقلاله كالطبيعة أو المجتمع الذي يريد أن يسخره أو القانون الذي يريد أن يسحقه أو السلطة التي تريد أن تخرجه من النور الى الظلمات . وهنا تكمن فلسفة الحديث الآنف الذكر — المعروف بحديث ذي السلسلة الذهبية — .

« لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي » .

ان عذاب الله سبحانه أكثر من مجرد جهنم فهي أسوء وأشد عذاب لرب العالمين ، ولكن هناك عذاباً آخر يصيب الله به المجرمين في الدنيا (٣) ، فاذا خرج الانسان من حصن الله احتوشته ذئاب التبعية والسلطة وافترسته أهواء الذات والشهوة .

الاستقلال نهج اصحاب الكهف .

ان لنا في أصحاب الكهف الذي تفجرت فيهم ينابيع الايمان خير قدوة وأسوة ، فهم من أتباع نبي الله عيسى بن مريم (ع) ، وكانوا وزراء أملك يدعى « دقيانوس » وهو واحد من سلسلة القياصرة الروم ، عاش بين عامي (٢٢٤ - ٢٥١ م) .

(قال الامام علي (ع) : حدثني محمد صلى الله عليه وآله انه كان بأرض الروم مدينة يقال لها اقسوس وكان لها ملك صالح فمات ملكهم فاختلفت كلمتهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس فأقبل في مائة ألف حتى دخل مدينة اقسوس فاتخذها دار مملكته ، واتخذ فيها قصرأ طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ في ذلك القصر مجلساً طوله ألف ذراع في عرض مثل ذلك من الرخام الممرد ، واتخذ في ذلك المجلس أربعة آلاف اسطوانة ذهب ، واتخذ ألف قنديل من ذهب لها سلاسل من اللجين تسرج باطيب الأدهان ، واتخذ في شرقي المجلس ثمانين كوة ، ولغريبه كذلك ، وكانت الشمس اذا طلعت طلعت في المجلس كيفما دارت ، واتخذ فيه سريراً من ذهب طوله ثمانين ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً ، له قوائم من فضة مرصعة بالجواهر وعلاه بالنمارق ، واتخذ من يمين السرير ثمانين كرسياً من الذهب مرصعة بالزبرجد الأخضر فأجلس عليها بطارفته ، واتخذ من يسار السرير ثمانين كرسياً من الفضة مرصعة بالياقوت فأجلس عليها هراقلته ثم علا السرير فوضع التاج على رأسه .

واتخذ خمسين غلاماً من أولاد الهراقلة ففرطقهم بقراطق الديباج الأحمر ، وسروهم بسرويلات الحرير الأخضر ، وتوجههم ودملجهم واخلخلهم ، وأعطاهم أعمدة من

(٣) كل المصائب والمشاكل والأمراض — كمرض الحمى — والعقارب والتعابين انما هي تحليات لنار جهنم واشعاع من اشعاعاتها .

الذهب ، ووقفهم على رأسه ، واتخذ ستة غلمة وزراءه ، فأقام ثلاثة عن يمينه ، وثلاثة عن يساره ، وكان يستشيرهم في جميع أموره ، وكان يجلس في كل يوم في صحن داره والبطارقة عن يمينه والهاقلة عن يساره ، ويدخل ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك المسحوق ، وفي يد الآخر جام من فضة مملوء من ماء الورد ، وفي يد الآخر طائر أبيض له منقار أحمر ، فإذا نظر الملك الى ذلك الطائر صفر به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه ، ثم يقع على جام المسك فيحمل ما في الجام بربشه وجناحه ، ثم يصفر به الثانية فيطير الطائر على تاج الملك فينفذ ما في ريشه وجناحه على رأس الملك .

فلما نظر الملك الى ذلك عتا وتجبر فادعى الربوبية من دون الله ، ودعا الى ذلك وجوه قومه ، فكل من أطاعه على ذلك أعطاه وجباة وكساه ، وكل من لم يبايعه قتله فاستجابوا له رأساً ، واتخذ لهم عيداً في كل سنة مرة ، فبينما هم ذات يوم في عيد والبطارقة عن يمينه والهاقلة عن يساره إذ أتاه بطريق فأخبره ان عساكر الفرس قد غشيه فاغتم لذلك حتى سقط التاج عن رأسه فنظر اليه أحد الثلاثة الذين كانوا عن يمينه يقال له تملیخا — وكان غلاماً — فقال في نفسه : لو كان دقيانوس الهاً كما يزعم إذأ ما كان يغتم ولا يفرغ ، وما كان يبول ولا يتغوط ، وما كان ينام ، وليس هذه من فعل الاله ، قال : وكان الفتية الستة كل يوم عند أحدهم وكانوا ذلك اليوم عند تملیخا ، فاتخذ لهم من طيب الطعام ، ثم قال لهم : يا اخوتاه قد وقع في قلبي شيء منعني الطعام والشراب والنمام ، قالوا : وما ذاك يا تملیخا ؟ قال : أطلت فكري في السماء فقلت : من رفع سقفا محفوظة بلا عمد ولا علاقة من فوقها ؟ ومن أجرى قیها شمساً آيتان مبصرتان ؟ ومن زينها بالنجوم ؟ ثم أطلت الفكر في الأرض فقلت : من سطحها على ظهر اليم الزاخر ؟ ومن حبسها بالجبال أن تميد على كل شيء ؟ وأطلت فكري في نفسي من أخرجني جنيناً من بطن أمي ؟ ومن غذاني ؟ ومن رباني ؟ ان لها صانعاً ومدبراً غير دقيوس الملك ، وما هو إلا ملك الملوك ، وجبار السماوات ، فانكبت الفتية على رجليه يقبلوهما ، وقالوا : بك هدانا الله من الضلالة الى الهدى ، فأشر علينا ، وقال : فوثب تملیخا فباع تمرأ من حائط له بثلاثة آلاف درهم وصرها في رذنه وركبوا خيولهم وخرجوا من المدينة ، فلما ساروا ثلاثة أميال قال لهم تملیخا : يا اخوتاه جاءت

مسكنة الآخرة وذهب ملك الدنيا ، انزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم ، لعل الله أن يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً ، فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم فجعلت أرجلهم تقطر دماً .

قال : فاستقبلهم راع فقالوا : يا أيها الراعي هل من شربة لبن أو ماء ؟ فقال الراعي : عندي ما تحبون ولكن أرى وجوهكم وجوه الملوك ، وما أظنكم إلا هراباً من دقيانوس الملك ، قالوا : يا أيها الراعي لا يحل لنا الكذب ، أفينجينا منك الصدق ؟ فأخبروه بقصتهم فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها ، ويقول : يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم ، ولكن امهلوني حتى أرد الأغنام على أربابها والحق بكم ، فتوقفوا له فرد الأغنام وأقبل يسعى يتبعه الكلب له .

فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علاهم جبلا فانحط بهم على كهف يقال له الوصيد ، فاذا بفناء الكهف وأشجار مثمرة ، فأكلوا من الثمر وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه ، فأوحى الله تعالى عز وعلا الى ملك الموت بقبض أرواحهم ، ووكل الله بكل رجل ملكين يقبلانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ، ومن ذات الشمال الى اليمين ، فأوصى الله تعالى عز وعلا الى خزان الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وتقرضهم ذات الشمال .. الخ) (٤) .

هذه قصة رجال وجدوا استقلالهم فقالوا « هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً » .

ان التنازل عن كرسي السلطة ليس بالشيء البسيط الذي نتصوره ، فهناك أناس حينما يجلسون على كرسي لموظف صغير و يصبحون كتاباً في دوائر السلطان يفقدون استقلالهم وإيمانهم و يتكبرون على الناس .

قيل بأن حماراً كان صديقاً لحمار آخر ، أحدهما اشتراه تاجر والآخر اشتراه زبال ، فالتقيا في ذات يوم وكان الأول يحمل أنواع الرياش والديباج والابريسم ، بينما الآخر تحوطه جنود من الذباب والبق والأوساخ ، فجاء حمار الزبال متنازلاً يحدث صاحبه

القديم فتعالى عليه !

فتعجب صاحبه وسأله عن السبب ، فأجابه قائلاً : انني أصبحت موظفاً في دوائر السلطان .

ان أصحاب الكهف كانوا في عز سلطانتهم ويدهم كل شيء ، إلا انهم جردوا أنفسهم منها في سبيل الله ، لأن أرواحهم اتصلت بكهف الاستقلال وحصن التوحيد ، وأصبحت قلوبهم مضاعة بنور الايمان . ولذلك خلد ذكرهم وشرفهم على صفحات التاريخ ، وسيخرجون مع الامام المهدي (ع) ، و يصبحون يوم القيامة ملوك أهل الجنة .

« واذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً » .

وقد زادهم الله سبحانه وتعالى شرفاً فوق شرفهم إذ غير قوانين الطبيعة من أجلهم « وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يظلل فلن تجد له ولياً مرشداً » .

هكذا في تاريخ المسلمين قبل ظهور الرسول (ص) و بالذات في تاريخ أتباع عيسى بن مريم (ع) صفحات مشرقة تتلألأ نوراً وضياءاً لا بد أن ندرسه . فمع ان المسلمين في عهد الرسول (ص) بذلوا من مهجهم الكثير ، الا ان هناك مسلمين آخرين جاءوا قبلهم ممن اتبعوا ديانة الاسلام كأتباع نبي الله عيسى وموسى و ابراهيم ونوح وغيرهم وأجهدوا أنفسهم كثيراً في سبيل الله . واذا كنا نرى اليوم بأن نصف العالم يعبدون الله — بصورة أو بأخرى — و يسقطون الأصنام الظاهرة فانما لجهوا أولئك المسلمين .

لذا فان هذا الحديث ليس للماضي والتاريخ ، انما هو حديث اليوم الذي يعيش فيه العالم الاسلامي معركة الاستقلال وهي معركة التوحيد ، فالانسان الذي لا يؤمن بالله لا يفكر في الاستقلال ، والمؤمن الذي لا يفكر في الاستقلال في ايمانه ضعف وفشل ولا بد أن يغير منهاجه ..

فكيف يمكن لانسان أن يدعي ايمانه بالله ، وهو يخضع لقوانين السلاطين ومحارب تحت ألويتهم و يكتب في دواوينهم و يصبح جزءاً من استراتيجياتهم ؟ ..

كيف يمكن لانسان أن يدعي بأنه عبد الله وهو من عبدة الطاغوت ؟ ..
وما الفرق بين هؤلاء وبين أهل مكة الذي حاربوا الرسول (ص) فقد كانوا يعبدون
الله ، الا انهم يجعلون له أنداداً ، وبالتالي فهم يعتقدون بأن هؤلاء الأنداد شفعاؤهم الى
الله « والذين اتخذوا من دون الله أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » (٥) ..
وفي بغداد بمناسبة يوم البيعة — الذي باع فيه الشعب العراقي نفسه لصدام — يأتي
بوق من واشنطن — وزير الاعلام العراقي — وراء التلفاز ويقول : اللهم اشهد بأن هؤلاء
عبادك بايعوا ولياً من أوليائك الصالحين ورجلا من ذرية رسول الله صدام حسين .
— ان هذا هو عمق الشرك بالله سبحانه وتعالى — .

معركة الاستقلال

خلال ثلاثمائة عام تقريباً استخدم الغرب وفي طليعتهم الدول الاوروبية
التكنولوجيا الحديثة واتجهوا للصناعة والعلم ، وتمكنوا من الحصول على أسلحة أفضل ،
وبالتالي هجموا على بلادنا الاسلامية .
وفي البداية وقفت بلادنا أمامهم ، فالامبراطورية العثمانية برغم زلاتها كانت سداً
منيعاً أمام هجوم الغرب ، وكذلك الامبراطورية الايرانية .. ولكن المستعمرين جاءوا
وهدموا هذه السدود وأذلوا العباد واحتلوا البلاد وأحرقوا المحاصيل بدون أدنى شفقة أو
رحمة .

في معركة جرت في السودان بين البريطانيين وبعض الانصار المحاربين لهم .. قتل
فيها ثلاثة من البريطانيين ، بينما قتل من الطرق المقابل أكثر من ألف انسان ، وذلك
راجع لعدم تكافؤ الأسلحة .

وكما في السودان .. كذلك في شمال أفريقيا وآسيا الوسطى وبلاد الشرق الأوسط
والهند واندونيسيا وما شابه التي لها تاريخ مليء بالفجائع والوحشية واللاانسانية التي
مارس بها الاستعمار احتلاله وسيطرته على بلادنا الى أن اكتمل نصابه ..
وحتى الآن لم يخرجوا من بلادنا — وان تعددت الوجوه — إلا انهم لأسباب معينة

فكروا واستنتجوا بأن الأفضل لهم أن يعينوا ولاية مختارين من قبلهم يحكمون قبضتهم على هذه البلاد ، بشرط أن تمثل فيهم سمات التبعية والطاعة المطلقة .

نماذج من السيطرة :

• أحمد شاه في إيران أراد اجراء بعض التغييرات ، فدعوه الى اوروبا وأمروا رضا خان بقلب الوضع عليه فعمل انقلابه العسكري . ثم أراد الأخير أن يتحالف مع المانيا فأبعده الى جزيرة موريس ، وجاءوا بابنه وأجلسوه على كرسيه . وقد طبقت نفس المعادلة على سعيد بن تيمور في عمان (٦) ، حيث سلمت السلطة بيد ابنه الذي مازال يحتفل كل عام بذكرى قتل أبيه .

• وفي عام ١٩٦٨ م ألقى عبد الكريم قاسم أيام حكمه في العراق خطاباً سمي فيه جون كنيدي بالشاب المغرور ، فلم يمهله المستعمرون سوى اسبوع واحد نظموا خلاله انقلاباً عسكرياً على يد عبد السلام عارف .

وأخيراً جاءوا بأحمد حسن البكر ، وربما لم يوافق على اعلان الحرب ضد إيران فتنازل بطوع ارادته عن السلطة ووقع صك استسلامه وسلمه لصدام حسين الذي أباد كثيراً من رفاقه ونصب غيرهم تأسياً بالمعادلة نفسها . ولو فكر هو أيضاً في اجراء أدنى تغيير لأخذه ذليلاً ورموه في موريس .

هذا الاسلوب إنما هو وجه من وجوه السيطرة العديدة ، ولو استعصى عليهم لاستخدموا غيره كالمحاصرة الاقتصادية أو الحرب الفجائية حتى يروضوا البلد المقصود .

• بعد انتصار الثورة الاسلامية في إيران ، ولأنهم لم يتمكنوا من تغيير السلطة عبر تسريب عناصرهم في مناصب الدولة الأولى ، لم يقف أمامهم أي رادع من شن حرب شعواء لا تبقي ولا تذر ، عبر دعمهم لصدام بكل المعدات والأسلحة الفتاكة ، ومحاصرتهم

(٦) «ان حكم سعيدبن تيمور (١٩٣٢-١٩٧٠) كان بحد ذاته فترة ضارة الى درجة ما بعمان . فقد عزلت البلاد عن العالم عزلاً كاد ان يكون تاماً ، (وقد أقصى الأمر) القيام بانقلاب داخل القصر سنة ١٩٧٠ قام به ابنه قابوس الذي اصبح سلطان عمان ٢٤ تموز/ أيلول» كتاب «عالم العرب» ص ٢٠٤ .

الاقتصادية والسياسية والاعلامية .

• لمجرد ان فكر الشعب المسلم في أفغانستان في الحرية ، جند له الاستكبار الشيوعي قوة هائلة من الجيش الأحمر وعسكره على أرضه ، وقتل ما لا يقل عن مليون ونصف انساناً مسلماً بين صغير وكبير ، اضافة لـ ٥ مليون لاجيء .

ومن المجازر البشعة التي قامت بها القوات الروسية كانت في منطقة (بل جرخي) قتل فيها ٥٠ ألف شخص من نساء وأطفال وشيوخ ، فيهم الطالب الجامعي ، ورجل الدين ، والكاسب والمزارع الفقير ، كما أحرقوا بالنار عشرات القرى والأرياف ومسحوها مع الأرض . (٧)

• في كمبوديا دفع الشعب البريء هناك ما لا يقل عن (٢٠٠٠٠٠٠٠) شخص — وغير الامير سيهانوك بأخريدعى لونول — ضريبة رفضه رغبة الارهابيين في امريكا أمثال كيسنجر وبريكنسكي في توسعة الحرب الى هناك .

• بعد اعدام السادات استنفر الجيش الثالث الأمريكي واتجهت الطائرات الأمريكية وحاملاتها والبوارج الحربية الى الموانئ المصرية ، وقالوا بصريح العبارة : نصبوا حسني مبارك أو أبوغزالة وإلا سندمر البلاد .

• ومن جهة أخرى مارس الاسرائيليون ضغطاً شديداً على الحكومة المصرية لاعداد الشهيد خالد الاسلامبولي ، وخيروهم بين ذلك أو الغاء اتفاقية كامب ديفيد — أي من شروط الاتفاقية سيطرة اسرائيل على مصر — .

وها هم اليوم يعيدون الكرة و يضغطون على النظام المصري لينفذوا عملية اعدام المجاهد سليمان خاطر وأسرع ما يمكن لأنه قتل سبعة اسرائيليين . وهنا يكمن سر المواجهة العنيفة التي قام بها الجيش المصري ضد المتظاهرين الأبرياء المطالبين باطلاق سراح هذا المجاهد البطل . (٨)

(٧) مجلة البصائر ، العدد الرابع ص ٢٤٨ .

(٨) «أعلنت سلطات الأمن المصرية ان ٧٢ مدنياً و ٣٢ رجل شرطة أصيبوا بجروح في تلك المظاهرات التي

كانت تطالب باطلاق سراح رجل الشرطة المصري سليمان خاطر» اذاعة الكويت ١١/٤/١٩٦٦ هـ .

ولو فكر أي بلد أو رئيس أو وزير في مخالفة أوامرهم ، فأمامهم مئات الأساليب الجهنمية التي تحيط به .. ولكن ذلك لا يعني انهم آلهة ، انما نبين ذلك لكي نعرف أعداءنا .

حقيقة التحدي :

اننا لا نحارب في العراق شخصية صدام ، فهو أحقر من أن نحاربه (٩) ، انما نحارب استكباراً عالمياً يدعمه بمختلف الأسلحة والمعدات ، فالاتحاد السوفياتي أخيراً يسلم بيده أسلحة فتاكة لتدمير المرافق الاقتصادية في إيران ، والمانيا الغربية تعلمه كيفية تعذيب المجاهدين وتدعمه بأسلحة كيمياوية ، والشركات الأمريكية في البرازيل تزوده بقنابل عنقودية ، وكذلك بريطانيا وفرنسا والدول العربية تسير على نفس النهج ولو تطلب الأمر فتح مخازنهم الخاصة أو دفاعاتهم الوطنية . وكل ذلك لأننا في العراق نقول « لا إله إلا الله » ولا نقبل بأن نكون برغياً في ماكنة الاستكبار العالمي أو مسماراً في صرح الوجود الظالم للاستعمار والمستكبرين .

لذا فنحن لا نحارب نظاماً منفصلاً ، وانما نحارب نظاماً عالمياً تأمر على الشعب العراقي المظلوم الذي لا نجد له في التاريخ الحديث مثيلاً ، فلم يكن هناك ديكتاتور اتفقت كلمة الشرق والغرب على تأييده ودعمه بلا حدود كصدام حسين ضد شعبنا المظلوم في العراق .

ان المشكلة ليست في طبيعة الشعب العراقي ، لأن فيه ابطالاً ومضحجين ونفوس سخية ، انما تكمن في الدعم العالمي للنظام — بالاضافة الى شدة ارهابه ووحشية أساليبه — فهناك ٧٤ مجلة وجريدة بين يومية واسبوعية وشهرية وفصلية ، وعشرات الكتب والكراسات ، وبرامج اذاعية وتلفاز وناودي وشبكات تجسس وما شابه مسلطة على رقاب الشعب لاقناعه بأهلية صدام حسين وأحقية في البقاء .

(٩) لقد درج الاستعمار على اختيار أحقر الناس وأبعدهم ليكونوا ولاة لهم على الأوطان المستعمرة .

اختراق الحجب :

ولكن مع كل ذلك يخرج شاب من بيته مهاجراً الى الله ورسوله تاركاً كل لذات الحياة ومتجهاً الى الموت بخطى ثابتة وشجاعة ويختار الشهادة اقتداءً بنهج الامام الحسين (ع) وملؤفمه (هيهات منا الذلة) .

ان ذلك يدل على أن الاسلام حي ، وان ذلك الشاب الذي تتجلى في ضميره روح الايمان ويتصل قلبه بحصن التوحيد .. يستطيع أن يخرق كل الحجب ويتجاوز كل العقبات الموضوعه أمامه ويتحدى كل أنواع التضليل والارهاب ويصل الى توحيد الله سبحانه وتعالى .

وكما في العراق ففي لبنان أيضاً ، فلم يكن أحد في العالم يفكر بأن الشعب اللبناني يتمكن من طرد سبعة عشر جيشاً غازياً لبلاده ويتمسك بتوحيده ، وذلك نابع من روح جديدة متمسكة بحصن الله عز وجل ومقتدية بعبادة الصالحين ، ومتأسية بنهج نبي الله موسى وعيسى (ع) اللذين زعم كل من اليهود والمسيحيين الاقتداء بهم والسير على طريقتهم — وقد كذبوا — ، فموسى بن عمران لم يكن متصلاً بالاستكبار العالمي كما هم اليهود اليوم ، وعيسى بن مريم لم يأت للعالم ليقتل الناس باسم الصليب كما فعل المارونيون في لبنان ، إنما جاء ليفدي البشرية بنفسه كما يفعل اليوم أهل الجنوب والمنطقة الغربية في بيروت .

لقد قدم الشعب اللبناني على مذبح الحرية في حرب استقلاله عشرات الألوف من الضحايا والأبرياء (١٠) ، وهي حرب أهلية ناهزت أربعة عشر سنة لا تهدف سوى اقرار ذل المسلمين الأكثرية (١٢٠٠٠٠٠٠ شيعي ، و ٦٥٠ — ٧٠٠ ألف سني ، و ٢٠٠ — ٢٥٠ ألف درزي) وتقسيم السلطة في لبنان دليل واضح على ذلك .. فرئيس الجمهورية ماروني ، وكذلك رئيس الجيش ، ورئيس المكتب الثاني في الجيش ، ورئيس استخبارات الجيش ، ومسؤولو الاقتصاد والبنوك وما شابه .

(١٠) بعد تقدير مراكز الاحصاء لنتائج الحرب الاهلية في لبنان ، وجدوا بأن خسائرها تفوق خسائر القنبلة الذرية .

منطق الاستكبار

وتقادياً في منطق الاستكبار يستبدل ريغان مستشاره في الأمن القومي روبرت مكفارلين — وهو من أعلى المناصب — لعدم مقدرته على محاربة الارهاب ، و يضع مكانه أدميرالا في البحرية الأمريكية يدعى « جون بويند كستر » و يسند اليه مقاومة الارهاب ، أي مقاومة أولئك الرجال الذين يطالبون بحريتهم (١١) .

عند ماء ينحدر من أعلى جبل ، كان ذئب يشرب من الأعلى وشاة تشرب من الأسفل .. فسألها الذئب : لماذا تعكرين الماء علي ؟!

فأجابته : سيدي الذئب أنت تشرب من أعلى النهر وأنا من الأسفل ، والعكر انما يأتي من الأعلى .

فقال : أو لك جراءة على جوابي .. إذن فأنت مجرمة .. فأكلها .

وهذه هي المعادلة الاستكبارية اليوم التي تدين المقاومات الاسلامية سواء الرسائلية أو السياسية أو العسكرية ، وتطلق عليهم صفة الارهابيين ، ولذا فمعركتنا معركة استقلال تقتضي تغيير هذه المعادلة .

ان غالبية الشعوب اليوم — الافغانية ، الايرانية ، العراقية ، المصرية ، والخليجية وغيرها — استضاءت بنور الايمان وعرفت طريق الاستقلال ، فقررت تغيير هذه المعادلة في الكون ، ولن يتم ذلك إلا بتغيير هؤلاء الولاة الذين نصبوهم علينا زوراً وعدواناً ، ثم نبدأ مسيرة التوحيد والوحدة .

(١١) «الخلاف الذي دب بين مستشار الامن القومي السابق والرئيس ريغن أصبح تاريخياً ، وانتقلت الاضواء الى العسكرية الذي خلف مكفارلين وهو الادميرال جون بويند كستر الذي خطط وتابع عملية خطف الطائرة المصرية والذي يرجح انها السبب في اختياره لهذا المنصب مكافأة له» المجلة عدد ٣٠٥ .

الفصل الثالث : قضايا اسلامية معاصرة

الاسلام وفلسطين

وصايا للانتفاضة

مشاريع صهيونية

فلسطين .. مسؤولية شعبية

تونس - نحو برنامج متطور

البحرين - قضايا وتأملات

العراق نحو تطوير نوعي

العراق نحو دور اكبر للشعب

العراق الممتحن

خفايا الحرب العراقية - الايرانية (١)

خفايا الحرب العراقية - الايرانية (٢)

الاعلام العالمي وقضاياها

حرب الاسعار

نحو مكتسبات اكثر للشعوب

الاسلام وفلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

«يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط المستقيم * تنزيل العزيز الرحيم * لتنذر قوماً ما أنذرتهم ففهم غافلون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون» .

(١)

الحق والباطل .. صراع أبدي

يشهد التاريخ البشري منذ بدايته الى الآن وعلى الدوام سلسلة من الصراعات الحادة بين أهل الحق وأتباع الباطل .. وتتجلى هذه الصراعات بأشكال مختلفة من غزو مسلح يشنه مستكبر طاغ على مجموعة بشرية مستضعفة تضطر للدفاع عن وجودها بطرق مختلفة .. إلى صورة رجل مؤمن يقوم بدور الاصلاح في مجتمع ملحد فاسد ، يدعوهم إلى الأيمان بخالقهم ، فتؤمن به طائفة من القوم ، وتكفر طائفة أخرى .. وحينها يدور الصراع بين هذين الخطين .. ويتجلى الصراع ايضاً في صورة ثالثة في نزاع مجتمعين إثنين أحدهما على حق .. والآخر على باطل .. أشكال الصراع الثلاثة السالفة الذكر تأخذ مسميات ومصطلحات خاصة ، فالأول يسمى بحركة التحرير ضد الغزاة ، والثاني يسمى بالصراع الطبقي أو العرقي ، بينما الثالث يكون صراعاً من أجل البقاء .

إن الامعان في خلفية هذه الصراعات الثلاثة .. ينتهي إلى أن مسألة الصراع تكون بين حق وباطل ، بمعنى ان الصراع الابدي الذي تعددت أطرفه على طول التاريخ من آدم إلى هابيل إلى نوح . وفي الطرف الآخر يقف ابليس وقابيل وكل من خالف رسالة الانبياء .. إن حقيقة هذا الصراع هي أساساً بين الحق والباطل مهما تعددت ألوانه وواجهاته وتبدلت صيغته وشعاراته .

مؤهلات طرفي الصراع

ان أتباع الباطل غالباً ما يمتلكون قوة المادة .. من فسادهم في الأرض ونهبهم لشروات الآخرين وتجميعهم لطاقات البعض من الناس بالإضافة الى طاقاتهم وقدراتهم ، يشكلون — بعدئذ — قوة قاهرة تسيطر على الشعب المستضعف .. ففرعون مثلاً كان يملك جيشاً عسكرياً يموله بجهود بني اسرائيل بعد أن سرق جهودهم وأنتهب ثرواتهم ، وصرفها على مجموعة طبقية معينة . أصبحت هذه المجموعة قوة حاكمة في البلاد تملك الرساميل والأسلحة والجنود ومنطق القوة ، بينما يقف على الطرف الآخر أنصار الحق الذين يملكون قوة المنطق والايان .. والحق بذاته قوة ، باعتبار أن ضمير الانسان يهديه الى الحق الذي هو موجود في كل ذرة من ذرات الكائنات ، كون الحق أيضاً سنة الله .. والآية الشريفة تؤكد ذلك .

« خلق السماوات والأرض بالحق » .

وحقيقة قوة الايمان هذه تبرز في انها تخلق الانسان خلقاً جديداً ، تمكنه من تجاوز حدوده الضيقة القريبة الى الآفاق العالية البعيدة .. وهناك قصة لطيفة وقعت في ايران توضح تأثيرات قوة الايمان ، جاء صحفي أميركي الى المرحوم (مجتبى نواب صفوي) قائد مجموعة (فدائيان اسلام) ، وقال له : لقد ذهبت الى جهاز السافاك الايراني وسألتهم عن سبب ضعفهم في القضاء على حركتك مع امتلاكهم لقوات أكبر بكثير مما تملك .. على رغم انك لا تمتلك سوى مسبحتك وعباءتك ! فقالوا : ان لصفوي جاذبية غريبة في كسب الافراد ، فقد أرسلنا له عناصر منتمين الى جهاز السافاك للتغلغل في حركته .. ولكن بعد فترة نراهم ينتمون الى حركة (فدائيان اسلام) و يتركون توجهاتهم السابقة .. فياترى — والقول للصحفي — ما هو سر ذلك مع ان هؤلاء العناصر كانوا قد عاشوا في ظل خدمة النظام منذ زمن قديم ..

فأجابه نواب صفوي : ان هذا من قوة الاسلام .. فقال الصحفي : وما هي قوة

الاسلام ؟

فأجابه صفوي : لا أستطيع أن أبين لك ذلك ، باعتبار أن أكثر الصحفيين الاجانب هم عناصر منتمية الى الاجهزة الجاسوسية في الغرب — فأصر عليه الصحفي — فقال

نواب اذا أردت أن تعرف ذلك ، أسلم الى ربك فترة من الزمن لتدرك قوة الاسلام .. ان قوة منطق نواب صفوي جعلته يطمع في رجل مسيحي جاء ليتجسس على الحركة الاسلامية ، وحين رجع هذا الصحفي كتب في صحيفته (ان نواب صفوي رجل خارق) وفي الواقع انه لم يكن خارقاً ، بل كان مؤمناً ، مما أهله الى أن تكون له جاذبية قوية .. ونعرف هذه الجاذبية حين نلتفت الى القرآن الحكيم ، ونستوعب آياته ، نعرف مدى تأثير هذه الآيات في النفس البشرية .. خصوصاً وان القرآن خطاب مباشر من رب السموات والأرضين الى الانسان الحقيير المحدود الضعيف ، وحين يعرف الانسان هذه الحقيقة ، ترتعد فرائصه .. ويقشعر جلده ، ويهتز ضميره ، فيخط لنفسه أفقاً آخر يرفعه من زيف المادة وسجن الذات الى رحاب الحقيقة .. والآيات القرآنية من سورة (يس) تؤكد على ذلك .

«يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم * لتندرقوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون» .

فرسول الله محمد بن عبدالله (ص) رجل واحد يتيم الاب والام ، لا يملك مالا يرتقي على أثره الى سلم الاغنياء ، ولا قوة مادية تمكنه من السيطرة ، وإنما كان يملك خطاباً من الله سبحانه وتعالى يأمره بانذار قوم ما أنذر آباؤهم من قبل .. حتى توغلوا في الجهل ، وانطفأت في مجتمعاتهم شعلة الرسالة ، فنصبوا حول الكعبة — أشرف بقعة في الارض — أصناماً يعبدونها من دون الله .. جاء اليهم الرسول (لينذرهم) لا (ليبشرهم) بمعنى الوقوف أمام تيار الفساد والانحراف العريض الذي يحوط المجتمع .. اعتماداً على قوة الانسان الالهي المعنوي الذي يحول الانسان الى انسان ذي معنويات لا تحد ، ولا يمكن قياسها بآلات مادية ، وحينها يتمكن شخص واحد من تغيير مسيرة أمة .. وهناك قصة تاريخية تبين أن بمقدور غلام واحد تغيير مسيرة أمة أيضاً .. مع ماتكون عليه عادة الغلمان من الجري وراء اللعب ..

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر ، فلما مرض الساحر قال : إني قد حضر أجلي فادفع لي غلاماً أعلمه السحر ، فدفع إليه غلاماً ، وكان يختلف إليه ، وبين الساحر والملك راهب ، فمر الغلام بالراهب

فأعجبه كلامه وأمره ، فكان يطيل عنده القعود فاذا أبطأ عن الساحر ضربه ، واذا أبطأ عن أهله ضربوه ، فشكا ذلك الى الراهب فقال : يا بني اذا استبطأك الساحر فقتل : حبسني أهلي ، واذا استبطأك أهلك فقتل حبسني الساحر ، فبينما هو ذات يوم اذا بالناس قد غشيتهم دابة عظيمة فظيعة ، فقال : اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم أمر الراهب ، فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب اليك فاقتل هذه الدابة ، فرمى فقتلها ومضى الناس ، فأخبر بذلك الراهب فقال : أي بني إنك ستبتلي فاذا ابتليت فلا تدل علي .

قال : وجعل يداوي الناس فيبريء الأكمة والأبرص ، فبينما هو كذلك إذ عمي جليس للملك ، فأتاه وحمل اليه مالا كثيراً فقال : اشفني ولك ما ههنا ، فقال : إني لا أشفي أحداً ، ولكن يشفي الله ، فان آمنت بالله دعوت الله شفاك . قال : فأمن فدعا الله له فشفاه ، فذهب فجلس الى الملك فقال : يا فلان من شفاك ؟ قال : ربي ، قال : أنا ؟ قال : لا ربي وربك الله ، قال : أو أن لك رباً غيري ؟ قال : نعم ربي وربك الله ، فأخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام ، فبعث الى الغلام فقال : لقد بلغ من أمرك أن تشفي الأكمة والأبرص ؟ قال : ما أشفي أحداً ، ولكن ربي يشفي ، قال : أو أن لك رباً غيري ؟ قال : نعم ربي وربك الله ، فأخذه فلم يزل به حتى دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين ، وقال للغلام : ارجع عن دينك ، فأبى فأرسل معه نضراً فقال : اصعدوا به جبل كذا وكذا ، فان رجع عن دينه وإلا فدهدهوه منه ، [أي دحرجوه منه] قال : فعلوا به الجبل فقال : اللهم أكفنيهم بم شئت ، قال : فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعون وجاء الى الملك فقال : ما صنع أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله ، فأرسل به مرة أخرى ، قال : انطلقوا به فلججوه في البحر ، فان رجع وإلا فغرقوه ، فانطلقوا به في قرقود [سفينة طويلة] فلما توسطوا به البحر قال : اللهم أكفنيهم بما شئت ، قال فانكفأت بهم السفينة ، وجاء حتى قام بين يدي الملك ، فقال : ما صنع أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله ، ثم قال : إنك لست بقاتي حتى تفعل ما أمرك به : اجمع الناس ثم أصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل : باسم رب الغلام ، فانك ستقتلني ، قال : فجمع الناس وصلبه ، ثم أخذ سهماً من كنانته فوضعه على

كبد القوس وقال: باسم رب الغلام، ورمى فوق السهم في صدغه ومات، فقال الناس: آمناً برب الغلام، فليل للملك: رأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك، آمن الناس فأمر الملك بالاحدود فحدت على أفواه السكك، ثم أضرها ناراً، وقال: من رجع عنه دينه فدعوه، ومن أبى فاقموه فيها، فجعلوا يقتحمونها.

إن قصة الاحدود تفيدنا في معنيين:

أولاً: الاستعداد الدائم للتضحية:

باعتبار أن الايمان يرفع الانسان الى مستوى رفيع من التضحية، تراه يقدم نفسه قرباناً في تكريس الخط الصحيح ولو على حسابه هو، مثل هذا الغلام الذي يدلم على طريقة قتله في سبيل إثارة تساؤلات عديدة عند الناس يكفرون بعدها بمعتقدات الملك، ويؤمنون برسالة الله، ويصمدون في سبيلها حتى لو أقموا في نار مشتعلة.. وذلك لاثبات إيمانهم وحبهم لله سبحانه وتعالى.

ثانياً: الحل التغييري.. يتطور مع المرحلة:

في بعض المرافق الحساسة لتاريخ المجتمعات المظلومة، يكون المؤمنون بحاجة ماسة الى تضحيات كبيرة لمقاومة الانحراف، في الوقت الذي نحتاج فيه بعض الظروف الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان أو اليد بالإضافة الى أعمال بسيطة أخرى، تعالج مشاكل جزئية فقط، ولكن حين يستبد الظلم، وتكفهر حياة المجتمع بالظلام الدامس، ويتسلح الجبابرة بأعتى الامكانيات المادية، معتمدين على سلاح التضليل.. اذا جشمت معالم هذا الوضع على صدر أحد المجتمعات، فان المؤمنين آنئذ مدعوون الى القيام بحركة قوية وعنيفة لمقاومة الانحراف الواسع.. وذلك باعتبار تغير الوضع العام بصورة كبيرة مما يحتم على اتباع أساليب كفيلة بتبديل هذا الوضع أساساً.

وفي هذه الحالة، يكون الايمان هو المتكأ الاساسي للتغيير الجذري.. خصوصاً وان المستوى الرفيع من التحدي ينبع من الايمان القوي، باعتبار ان ذي الايمان الضعيف لا يتمكن من مواجهة هذا الفساد بأكمله.

أما حين يصل المجتمع الى درجة لا يمكن تطهيره.. فان عذاب الله القاهر ينزل

عليه .. والمؤمن في هذه الحالة يدعوره حتى لا يتعمم العذاب مثل قوم لوط .. حيث دعاهم نبيهم ، فلم يستجيبوا له .. فأنقذه الله ، وأهلكهم جميعاً .

(٢)

ثورة فلسطين الاسلامية .. طريق الانتصار

يعيش الشعب الفلسطيني وضعاً خاصاً قلما عاشه شعب آخر في ظروف متماثلة .. فن جهة يكون عدوه الاساسي اليهود الذين يتميزون بالصلافة والعناد على طول تاريخهم ، حتى مع نبيهم موسى بن عمران (عليه السلام) الذي كان متميزاً بمستوى رفع من الاخلاق ورحابة الصدر جعلته يتحملهم ، ولما أنقذهم من فرعون ، وجاء بهم قرب البحر .. وشق الله البحر لهم شقين ، قالوا: نحن اثنا عشر طائفة .. ونريد لكل طائفة طريقاً .. فدعى موسى ربه بذلك ، فشق لهم ما طلبوا ، ثم قالوا : ان الطريق لا زال مشعباً بالماء ونخاف الوقوع في البحر ، فاطلب من الله جفافها ، فطلب موسى من ربه ذلك ، فيبست الارض ، ثم طلبوا أن يروا بعضهم البعض في مسيرهم خوفاً من أن يفرق أحدهم ، ودعا موسى ربه فاستجاب لهم وهكذا .. ولكنهم حين خرجوا من البحر ، ورأوا جماعة يعبدون الاصنام ، قالوا ، كما تعبر الآية الكريمة عن حالتهم :

«اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» .

فعلى الرغم من أن موسى (ع) أنقذهم من ارباب فرعون وضلالاته ، بيد أن الآثار الفرعونية لازالت باقية في نفوسهم .. فرد عليهم نبيهم : انكم قوم تجهلون . وهكذا استمرت حالتهم الى هذا الوقت ، إذا بعد حوالي أربعة آلاف سنة من التطبيل للعودة الى أرض الميعاد — فلسطين — جاؤوا اليها بقوة ، بعد أن زرعوا شبكة صهيونية ضخمة في العالم تؤثر في قرارات اقتصادية واعلاميه وسياسية وعبر أحزاب عميلة ، بالاضافة الى تداخل عوامل عديدة في تركيز هذا الوجود الدخيل خصوصاً من القوى الكبرى حيث كان الاتحاد السوفياتي أول من أترف بالكيان الصهيوني الغاصب ، ومن ثم دول المعسكر الغربي . وفي مقابل هذا الطرف القوي مادياً ، يقع الشعب الفلسطيني وحيداً أمام تراجع الانظمة العميلة التي باعت فلسطين من البداية ،

وهي تتاجر باسمها .. بل ان أغلب الحكام العرب كان هدفهم خلال الاربعين عاماً الماضية تخدير الشعوب الاسلامية من جهه، ومنع حركة الشعب الفلسطيني من الوصول الى الانتصار. واستمرت هذه الحالة الى هذا الوقت حيث أصبح الشعب الفلسطيني ضحية أمام جلاوزة الصهاينة الغاصبين .. حيث يعيشون في أسوأ الظروف المعيشية تنعدم فيها حقوق المواطن وتسلب سائر ممتلكاته ، وفي هذه الايام يقوم أبناء الضفة والقطاع ورام الله ونابلس بانتفاضة اسلامية قابلها الجيش الاسرائيلي بقوة .. حتى ان الشهداء الفلسطينيين حسب اعتراف صهيوني بلغ ١٣ شهيداً و ١٥٠ جريحاً بينما تؤكد المصادر الاخرى ان حوالي ٣٠ فلسطينياً وقعوا شهداء بينما جرح ثلاثمائة شخصاً منهم .

ان وضع الشعب الفلسطيني لا يمكن أن يتحرر إلا بمستوى إيمانياً رفيع ، يساوي إيمان الذين تحدوا جبابرة التاريخ كما في قصة أصحاب الاخدود السالفة الذكر وفي سائر صراع الانبياء (عليهم السلام) مع طغاة عصورهم .. فعلا بدأت ملامح هذا الايمان تتوضح بشكل أكثر في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد احتلال دام عشرين عاماً إذ تتفجر في هذه الاراضي إنتفاضة شعبية (دموية) رائعة منبثقة من روح إسلامية أصيلة .. خاف منها قادة الكيان الصهيوني إذ كيف يقاوم الاطفال والشباب الفلسطيني العزل من السلاح جيشاً اسرائيلياً كاملاً دون خوف من الموت ودون إعتماًداً على سلاح مادي !!

إن هذه دلائل روح إيمانية عميقة بدأت تدخل في معادلة الجهاد الفلسطيني ضد الغاصبين، بيد أننا نلاحظ بوضوح سكوت الاجهزة الاعلامية العالمية عن هذا الحدث^(٢) هذه الاجهزة التي تضخم حوادث أوربية وأميركية صغيرة، بينما تتغاضى عن مسيرة شعباً فلسطينياً كاملاً سحقه الكيان الصهيوني بمساعدة المعونات الاميركية العسكرية والاقتصادية .

إن النهضة الجديدة في أرض فلسطين .. هي نهضة إيمانية ربانية تعتمد على أساس الهي .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى سوف يتوج حركتها بالانتصار .. وبسبب الانحراف العظيم الذي تقاومه هذه النهضة، فانها بحاجة الى مزيد من الدماء والاستقامة والتوكل على الله، إذ أن استمرار هذه النهضة الايمانية هو الطريق الوحيد للانتصار ..

هذا الانتصار الذي سوف يعزز قيم الرسالات الالهية ويجعل من حركة الشعب الفلسطيني المسلم رائدة مسيرة الامة الى الانتصار.. كما أنها سوف تنقذ الاوربيين والاميركيين من نتاج الصهيونية الخبيث المعروف بفساده السياسى والديني الذي تغلغل في أكثر المجالات التي يعيشها الغرب.

القوى الاسلامية مدعوة الى تعزيز الجهاد الفلسطيني

إنني أدعو الامة الاسلامية جمعاء خصوصاً الشعب الفلسطيني المهاجر الى التفاعل مع هذه النهضة الجديدة اعلامياً ومالياً وسياسياً ، لا سيما من جانب الضغط على الحكومات العميلة الساعية الى التحالف مع الصهيونية .. هذه الحكومات التي لم تقم بدور يذكر في عملية تدعيم الحركة الفلسطينية .. في الوقت الذي سوف يكون للضغوط الشعبية القوية تأثير على قرار الحكومات في دعم الحركة الفلسطينية المتصاعدة .
وأخيراً فاننا كنا قد ذكرنا قبل ثلاثة أسابيع استلهاماً من بصائر حركة التاريخ ، بأن مؤامرات مؤتمرات عمان سوف تواجه بثورة شاملة .. و يبدو أن هذه الثورة جاءت في منطقة حساسة من العالم اسلامي في فلسطين المحتلة ، حيث ستساهم في مقتل الصهيونية والاستكبار العالمي إن شاء الله تعالى .

وصايا للانتفاضة

بسم الله الرحمن الرحيم

« إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم * إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولو آراكمهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتهم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور * وإذ يركمهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور * يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * » .

(سورة الانفال ٤٢-٤٥)

(١)

الامتحانات الالهية .. ضرورة تنموية

إن من أبرز حكم الله عزوجل في الحياة الدنيا ، حكمة الفتنة والامتحان .. هذه الحكمة التي اذا عرفها الانسان بوعي كامل .. تنكشف أمامه حقائق كثيرة ، وتتساقط من قائمة استفساراته أسئلة كثيرة تتوارد عن عقل البشر ، لتدعه حيراناً يبحث عن فلسفة خلقه ، والسبب الكامن وراء مجيئه الى الحياة .. والهدف من الصراع الدائر بين البشر الذي يفرز حالات قد تكون متباينة مثل الغني والفقير ، والظلم والامن .. أو الاختلاف عموماً . النفس الامارة بالسوء لا تبقى بعيدة عن مسرح هذه الشكوك ، بل تبادر بطرح عشرات الامثلة لزرع الوسواس الخبيث في النفس البشرية .. لتتحول هذه الوسواس بدورها شيئاً فشيئاً الى سحب وعقد متركرة أمام التفكير الانساني .. بل وفي كثير من

الاحيان يتيه الانسان بين هذه الاسئلة ، ضمن موجة عارمة لا تهديه السبيل ، بل تفقده الوعي والبصيرة .

أما اذا عرفنا فلسفة المحنة الحقيقية ، فان ذلك سوف يكون مدعاة الى امتصاص البلاء واحتواء موجات الفقر والغنى .. المرض والصحة .. الخوف والامن .. البقاء في الوطن أو الهجرة .. ضمن معرفة الحقيقية العامة في الحياة التي تقتضي حالة التغيير والتقلب والتطور .. ان سنة الفتنة والامتحان لا تختص بالانسان فحسب ، بل تدخل في مجال الطبيعة أيضاً .. فالحداد حين يحيل خامه الحديد الى آلات حديدية كالسيوف وتركيبات المصانع .. يطلق عليه لفظ (الصانع) أي الذي يصنع شيئاً عبر تعامله مع الطبيعة الاصلية ، باخضاعها للامتحان ، أو تعريضها للضغط البارد أو الحار ، ليصل بهذه المراحل الى صيغة أساسية لحالة الصنع .. مما يؤكد على ان الطبيعة أيضاً تتعرض لنوع من الامتحان باشراف الانسان ..

هذا الانسان نفسه الذي يقوم بدور الامتحان في قاعات الدراسة وساحات التدريب .. وهكذا أيضاً يكون الانسان بجنسه كاملاً ممتحناً أمام الله سبحانه وتعالى ، ويكون الفرق بين الامتحان البشري والامتحان الالهي أنه يكون خفياً ، لا يتمكن أي أنسان — ولو استخدم المكر والحيلة — من المعرفة مسبقاً بامتحان الله عزوجل .. لانه يخرق الحالة الطبيعية والروتينية للانسان ، معلنة بدء أجراس الامتحان ، نظراً لضرورة ثماره الى هذا الانسان بالذات ، وفي هذا الوقت بالذات .. فمثلا رجل غني مترف يعيش في بيوت الاسراف والتبذير يتحول ما بين ليلة وضحاها الى رجل فقير لا يملك قوت يومه متجولاً بين الشوارع يبحث عن قليل من الطعام .. أو العكس .

إن الذي يستطيع إثبات نفسه أمام حالات التغيير هذه ، هو الذي كان قد بنى نفسه كانسان يقدر على مواجهة المتغيرات المعيشية ، بالفقير مثلاً يحتفظ بكرامة شخصية ، ولا يبقى بعقدة الدونية والانهيال أمام الاغنياء .. بل يحترم الغني لانسانيته وللقيم التي يحملها بين جنبيه .. أما اذا احترم الغني لغناه فانه يكون أشرك مع الله أحد خفية .. وهكذا الانسان المحكوم لا ينهار أمام الحاكم بسبب قوته وجبروته وكبره ، فيدفعه هذا الانهيال نحو البحث عن العزة في بيوت السلاطين .. وهكذا الغني حيث لا تخزبه حالة

الغني عن طور انسانيته المعهودة ، فيتكبر على أمه ، ولا يحترم أباه ، ولا يصل رحمه ، لان عنده قليلا من المال دعاه الى التكبر والغرور كما يفهم من هاتين الحادثتين .

« مات غني من بلد ما ، وكنت جالساً في مجلس .. فترحت على ذلك الغني ، فأردف أحد الجالسين قائلاً : لارحمة الله .. فقلت : اذكروا موتاكم بخير ، وتأدبوا بأداب الله سبحانه وتعالى ، فقال الجالس : ان المتوفي خالي .. ولكن أمني حين تذهب اليه صلة للرحم ، يزعم بأن زيارتها له أملاً في سرقة الاموال .. مما يدعوه الى مجيئها .. فهل يستحق صاحب هذه الحالات لقب الانسان ؟ !

« يقال ان رجلاً أصبح موظفاً في السلك الحكومي .. وزاره في مقر عمله ذات يوم والده .. فجلسا معاً .. فسأله موظف بصحبته : من الجالس معك .. فأجاب : إنه خادم يعمل في بيتنا .. وخجل من أن يقول أنه أبوه .

إن الامتحان الصعب هو الذي يسعى بالانسان ، لكي يفقده انسانيته وكرامته عند الله .. بسبب العقل الذي هو أشرف خلق الله .. وهذا الامتحان يتجلى في كل كبيرة وصغيرة في هذا الكون .

الفتن الاجتماعية .. خطر أشمل

إن من أعظم أنواع الفتن .. الفتنة الاجتماعية التي تصيب المجموع ، مثل المجاعة ، والطاعون ، والوباء ، والطاغوت ، كون المجموع يتعرض لهذه الآثار السيئة ، بينما اذا ابتلي شخص واحد ، فان اطاراً محدوداً سوف تصل اليه توابع ذلك ، واذا أراد الله عزوجل أن يجرب إرادة شعب بأكمله ، ليفتنتهم ، ويكتشف سرائر أنفسهم .. فان الفتنة الجماعية تكون أصدق دليل على تحقيق ذلك ، فمثلاً حين تشتعل جبهات الحرب ناراً ، ويكون الاقدام في هذه الحالة شهادة أو تعويقاً دائماً أو أسراً .. ان هذه الحالة تظهر طبيعة الانسان الحقيقية .. والله سبحانه وتعالى يعرض البشر لهذا النوع من الامتحانات .. يقول تعالى تأكيداً لذلك :

« وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون » (٢٠- الفرقان) .

والقرآن الكريم حين يتعرض لمعركة بدر .. يبين التقدير الالهي لوجهة هذه المعركة ، حيث ذهب المسلمون للحصول على مغنم .. فاذا بهم أمام الف فارس من فرسان الجزيرة

العربية مدججين بالسلاح .. مع ان المسلمين قليلي العدد لا يملكون سوى سيفين وجريد من النخل مع أدوات بسيطة من أسلحة ذلك الزمان .. يقول تعالى :
 « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم
 لاختلقتم في الميعاد » .

فمكان الطرفين في المعركة مختلفان .. ولو كانت هذه الحرب مقصودة ومدبرة سلفاً ،
 لكانت احتمالات وقوعها قليلة .. خصوصاً مع عدم تهيئة أفراد الجيش لهذه المعركة ..
 لكن الله سبحانه وتعالى يؤكد بقوله :
 « ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » .

أي أن الامر الذي أراده الله تعالى من مفاجأة الحرب هو معرفة الانسان لحقيقة
 طاقاته وقدراته .. فلما يدعي بأنه قادر على فتح البلاد ، وادارة العباد .. وحين تأتي
 ساعة المواجهة .. تفند كل مقولاته وادعاءاته مع صخرة الواقع .. يؤكد تعالى على فلسفة
 المباغتة والمفاجأة قائلاً :

« ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم » .
 إذ يراقب مجريات المعركة عن كثب ، و يعلم بما في صدورهم من قرب ..
 لا يتمكنون من الهرب من فتنة الرب .
 ثم يقول سبحانه وتعالى :

« إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ، ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر » .
 فرغم ان جيش المشركين كانوا مجموعة ضخمة بالمقياس العسكري لذلك الزمان
 يقدر عددهم بألف فارس ، ولكن الله سبحانه وتعالى قلل من شأن هذه القوة عند رسول
 الله (ص) في منامه .. وبمجرد أن بدأت الحرب انتصرت الارادة الثابتة على واقع هذ
 المجموعة المزيفة .. واستوحى من الآية المتقدمة ان قيادات الحرب مكلفة بزرع الاستهان
 لدى الشعب بالعدو ، في الوقت الذي تقوم فيه القيادة بدور التقييم الواقعي للعدو ، دور
 أن تضخم هذا الواقع ، لثلا يصاب الجماهير بهزيمة نفسية .. وبدلاً من ذلك تزرع القياد
 في نفوس الجماهير الامل والحيوية والجد والنشاط لمواجهة العدو .. وهكذا تماماً فعل
 القرآن الكريم ، إذ تقول الآية الكريمة صراحة :

«ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر» .

إذ لو حدث هذا التضخيم ، لكانت بعض الشائعات تسري في الجيش الاسلامي تؤمن بعدم القدرة على مقابلة العدو ، وتدعو الى العودة للمدينة ! . ولكن كما رأوهم قليلي العدد .. اندفعوا للقتال وحاربوا الكفار .. تقول الآية الكريمة في ذلك :

«ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور* واذا يركمهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً والى الله ترجع الامور» .

لقد قدر الله سبحانه وتعالى أمرين .. قتل المشركين في نظر المسلمين وقلل المسلمين في نظر المشركين .. حتى تكون نتيجة هذا التقدير وقوع حرب .. لان قريشاً لو كانوا يعرفون قوة جيش الرسول (ص) وبصحبته أسد الله وأسد رسوله علي بن أبي طالب (ع) .. لهربوا وجبنوا من الحرب ، ولكن استهانتهم بقوة جيش الاسلام دفعهم الى محاربتهم .. ومن جهة أخرى أيضاً رأى المسلمون قوة قريش زائفة ، فأعطاهم الله الامل ، وأمدهم بالقوة الايمانية مما مكنهم من التغلب على القوة المادية الظاهرة المتمثلة في جيش قريش ، وبوقوع هذه المعركة عرفت العرب كلها خواء قوة قريش العسكرية مع تيقنها في المقابل بقوة الايمان .

ثم يسير السياق القرآني ، ليلخص الله عزوجل عبرة التاريخ كاملة في كلمات قصار ، لوعرفها البشر وأدركها بوعي تام .. لما وقعت هزيمة واحدة في تاريخ المسلمين .. يقول تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» .

الخطاب موجه في هذه الآية الى فئة المؤمنين ، الذين هم صنف خاص من عموم الناس الذين لا يدركون هذا المعنى .. إن من أهم صفات المؤمن التي تقررها هذه الآية ، صفة الثبات .. هذا الثبات الذي يتجلى في الثبات القلبي بالتيقن بقدرة الله تعالى والتوكل عليه ، وعدم التشكيك في طاقات الانسان وقدراته عبر الوسواس الشيطانية التي تمارس دور التثبيط معللة ذلك بعدم تساوي القوى المادية لدى المؤمن مقابل العدو .. إن القرآن يطالبنا بالثبات .. والثبات كان في بداية صدر الاسلام بصمود جريد النخل أمام السيف .. وهكذا نحن الآن فمسافة سلاح الكلاشيكوف

الموجود بأيدينا وبين دبابه العدو.. هذه المسافة متقاربة نوعاً ما.. لان سلاح الايمان يضيف قوة هائلة لدى الطرف المؤمن .

كما يتجلى الثبات في نوعه المادي بالصبر على تقدير الله تعالى شأنه ، حتى ولو طار الشهداء الى جنان الله ، وسالت دماؤهم الزاكية على أرض المعارك .. إن الثبات في المواقف الصعبة هو سر الانتصارات الاسلامية في التاريخ .. إذ أن هذه الآيه المباركة المتقدمة كانت حبل نجاة في كثير من المعارك الاسلامية أوصلته الى شواطئ الانتصار .

مثلا في احدى الغزوات العسكرية حاصر المسلمون قلعة حصينة استقر الرماة في مواقع استراتيجية منها .. يطلقون منها سهامهم باتجاه المسلمين . وبسبب تموين المواد اللوجستية للمقاتلين كادوا يحدون ثغره عميقة في ميزان القوى البشرية .. هذه الحالة دفعت المسلمين الى محاصرة القلعة أكثر فأكثر ، الكفار بدورهم كانوا يملكون سلاحاً جديداً مكوناً من قطعة حديد محمية ذات شكل لولبي تقريباً .. أشعل الكفار هذا السلاح ناراً ورموه على المسلمين ليقتل منهم فئة كبيرة ، لكن أحد المسلمين المضحين استطاع أن يقبض على الحديد المحماة حتى وصل الى حبل الرمية التي يرميها فنان حاذق .. حتى قطعها ، وأنقذ سائر المسلمين من هذا السلاح الخطير بايثار هذا المضحى .. ثم هجموا على القلعة وفتحوها .

وفي معركة أخرى حاصر المسلمون أيضاً موقعاً حصيناً للكفار المسيطرين بشكل تام على الموقع داخلياً .. طال فترة الحصار .. فأعلن أحد المسلمين المضحين عن استعداده لان يرمى في داخل القلعة من سورها .. فاقترب به المسلمون ورموه .. وقع طعمة لسيوف الاعداء ، لكنه لم يفكر — آنئذ — في جراحات جسمه ، واندفع نحو الباب بكل قوة ، وفتحه للمسلمين حتى دخلوها منتصرين .. وما كاد الباب يفتح .. إلا والسيوف تتوالى على هذا البطل حتى قطع إرباً إرباً .. ووقع شهيداً بعد أن مكن المسلمين من النصر .. إن حالة الثبات في المواجهة هي التي فتحت آفاقاً واسعة للمسلمين ، إذ زادتهم شجاعة واطمئناناً وسكينة وتعاوناً .. بالاضافة الى أن ذكر الله الكثير هو ضمان الانتصار أمام الضغوط ، وسبب البناء الداخلي الرصين مقابل إشاعة السلبيات وصعوبة المشاكل .

(٢)

ثبات المقاومة الاسلامية في فلسطين طريق التحدي والانتصار

انطلاقاً من اعتماد مبدأي الثبات والذكر للذين وردا في الفقرة الاولى تحتاج الحركة الاسلامية المتصاعدة في أرض فلسطين المحتلة الى هاتين الركيزتين .. حتى يحدو بنا الامل لأن تكون هذه الانتفاضة الاسلامية بداية لنهاية الوجود الصهيوني الظالم ، خصوصاً لأن هذه الانتفاضة ذات رابطة قرآنية تستمد روحها من آيات الذكر الحكيم .. هذا الذي يعطيها القدرة على الثبات لا الفرار الذي يعتبر من احدى الكبائر السبعة في الاسلام ، باعتبار أن ثبات المؤمن في معركته مع العدو هو ضمانه لاستمرار الآخرين .. وللانتصار أيضاً ، أما الفرار من الزحف فيعتبر ذنباً كبيراً قد يعادل الشرك بالله تعالى ، ويوازي قتل الناس ، لان الانهزام من المعركة ، قد يؤدي الى قتل مزيد من الناس والنفوس المحترمة بالذات .

ومن هنا ، فان من ابرز وصاياتنا للحركة الاسلامية في فلسطين المحتلة .. الثبات الذي يتجلى في عدة مواقف :

أولاً : الثبات أمام العدو .

ثانياً : الثبات أمام الاعلام العالمي التضليلي للمستكبرين الذين يستهدفون بث الهزيمة النفسية في أوساط الفلسطينيين الثائرين ، بالطبع الاعلام العالمي حمل معه أوراق إدانة .. ولكن كيف ؟

الامريكيون بعد أن ساهموا في ترسيخ الكيان الصهيوني الغاصب بجمعهم لهؤلاء الشواذ من الارض في بقعة فلسطين .. الاميركيون أنفسهم بعد تصاعد أنباء الانتفاضة الاسلامية أصدروا بياناً تدين فيه الطرفين .. أين تدين المظلوم والظالم !! والسبب العنف .. ممارسات الصهاينة على طول أربعين عاماً لا تدخل بتاتاً في إطار العنف .. بل مطالبة الفلسطينيين وخروجهم في الشوارع مطالبين بحقوقهم المشروعة يعتبر عنفاً ؟ !

ومع هذه الفبركة الاعلامية الواضحة .. ترى الرفض الاسرائيلي لقرار الادانة الاميركي . إن هذا التضليل الاعلامي قد يساهم في التأثير على النفوس الضعيفة داخل

فلسطين ، وهذا الذي يدعونا الى توجيه الفلسطينيين نحو الثبات ، كون ثبات النفس يولد ثبات المواجهة العملية .

ثالثاً : الثبات أمام بعض القيادات الجبابة التي جاءت بها الامواج الى هذا المنصب دونما كفاءة وإيمان كامل بقضية فلسطين .. وعدم الايمان هذا يدفعه نحو تجيين الآخرين ومحاولة تفريغ الروح الثورية من أبناء الشعب الفلسطيني البطل .. وسواء كانت هذه القيادات فلسطينية بالاصل أو عربية .. فمثلا صدام حسين أكد مؤخراً دعم المسيرة الجديدة للشعب الفلسطيني .. على رغم ان علاقة الطرفين متناقضة تماماً ، فصدام لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى ، ويؤكد ذلك ضمن تصريحاته المتوالية مؤكداً بقوله انه لا يؤمن برسالة السماء ، لانها رسالة ذات افراز بشري .. وصدام يؤمن بأن الرسول (ص) كان رجلاً عربياً — لا أكثر ولا أقل — .. وفي نظره ايضاً ان ميشيل عفلق المولود من أب مسيحي وأم يهودية يساوي رسول الله (ص) في عروبتة ، بمعنى ان بعث عفلق يساوي قرآن الرسول (ص) .

ومن هنا فان التباين واضح بين الطرفين ، كون الفلسطينيين مؤمنين بالله عزوجل ، في الوقت الذي يوجه فيه صدام حربه ضد الشعب المسلم في ايران ، بينما وجه الفلسطينيين سلاحهم نحو الكيان الصهيوني الغاصب .. هذا في الوقت الذي يرتبط نظام صدام حسين بالصهيونية العالمية .. هذا الارتباط الذي يدعوه الى قتل الفصائل الفلسطينية العاملة ، ليكون نصيبها مشانق نظام صدام ورضاصاته الغادرة التي أودت بالكثير من القيادات الفلسطينية . من هنا فأن أبناء الحركة الاسلامية في فلسطين مدعوة الى الحذر من خطوات بعض الانظمة العربية لتحريف المسيرة الثورية لدى الشعب البطل .

رابعاً : الثبات في استمرارية العمل ، فلو كان طريق تحرير فلسطين استشهاده كوكبة كثيرة من أبناء الشعب الفلسطيني ، لكان طريقاً مفضلاً لتحقيق الكرامة .. ولپقتدوا في هذا المجال بأخوتهم الابطال في أفغانستان وايران ولبنان الذين أراقوا دماء كثيرة من أجل كرامتهم .. فاستشهد منهم الكثير، فتيتمت أطفالهم ، وترملت نساؤهم .. ولكنهم لزالوا سالكين درب الجهاد والثورة حتى تحقيق الحرية ، كون الحرية والاستقلال جوهر

وجود الانسان وفلسفته .

فلسطين .. أرض المسلمين جميعاً

إننا نحن المسلمين لا يمكن أن نقر أعيننا .. أو ننام في بيوتنا .. وإخواننا الفلسطينيين في أرض المقدسات يتساقطون برصاص الغدر الصهيوني كأوراق الخريف .. لقد مرت أربعون عاماً من صمت أغلب الانظمة العربية عن القضية الفلسطينية * أفلا يأتي ربيع الغضب الفلسطيني الهادر، لينه سبات هذه الانظمة؟ * وهل تكفي دقيقة واحدة للترحم على أرواح الشهداء في فك الاخطبوط الصهيوني على أرض فلسطين؟!

إن التكتاف طريق الى الوحدة الاسلامية التي تتكرر كثيراً في التعاليم الاسلامية تدعو المسلمين - بكل قوة - للقيام بأي شيء ممكن من أجل رفق حركة الشعب الفلسطيني المسلم .. ولكي يرى الله سبحانه وتعالى التكافل الايماني الذي يدعو للتحرك السريع مقابل الضربات التي يتلقاها الشعب الفلسطيني المسلم .

إن دعوة آية الله العظمى الشيخ المنتظري للتضامن مع الشعب الفلسطيني بقيام التظاهرات يجب أن تقابل من قبل المسلمين جميعاً بالطاعة ، لان هذه الدعوة تحكي عن ضمير الامة وروح الرسالة .. واذا لم يقم المسلمون بدور مباشر للدفاع عن الفلسطينيين ، فلا أقل يرفعون أصواتهم بالاحتجاج لانكار المنكر العالمي .. وأملا في أن تتحول فلسطين ايران ثانية .. ولبنان الى أفغانستان ، ولبنان الى مصر .. والسودان الى كل بلد اسلامي .. ولكي يتكرر مفهوم الوحدة الاسلامية ، رافضاً مؤامرات التقسيم والتجزئة .. وتديلا على وحدة الاراضي الاسلامية ، أي أن حرمة كل شبر من أرض الاسلام هو كحرمة البلاد الاسلامية كلها ، مما يعني الدفاع عنها بكل قوة .. وهذه الوحدة الاسلامية دللت عليها امرأة جزائرية كان عندها ولدان ، بعثت بأحدهما الى أفغانستان للدفاع عن الاسلام .. فقاتل حتى استشهد ، والآخر بعثت به الى ايران للدفاع عن الثورة الاسلامية ، واستشهد أيضاً .. لقد ضححت هذه المرأة الجزائرية بابنتها من أجل الدفاع عن الاسلام .

ومن هنا يكون واجب الدفاع عن كامل الاراضي الاسلامية وبالذات أرض فلسطين

المقدسة يقع على عاتق جميع أبناء الامة الاسلامية ، خصوصاً طليعتها التي تسعى الى تجميع قوى الامة الاسلامية تمهيداً للنصر الالهي المؤزر.

مشاريع صهيونية

بسم الله الرحمن الرحيم

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطاً * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراَ أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً * »

صدق الله العلي العظيم

(٢٨ - ٣٠ / سورة الكهف)

(١)

المسيرة الرسالية بين الماضي والحاضر

يتمثل الصراع الابدي بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين الفضيلة والرذيلة .. في قلب الانسان على شكل المحاوره والمحادده والشقاق بين العقل مؤيداً بجنود الرحمن .. وبين الهوى مسنوداً بجنود الشيطان التي تنزغ الانسان باتجاه الهوى والشهوات .
ومن أهم خصائص العقل الثبات ، باعتباره نوراً من الله عزوجل — وكون الصفة الدائمة لله الحي القيوم هي اللاتغير واللاتبدل واللازوال مهما تبدلت الاحوال والظروف ، بينما الهوى هو انعكاس الطبيعة على قلب الانسان ، بما فيها من حركة تأثر تبعاً لاختلاف الظروف وتحولات الاشياء .

والطبيعة كما تراها العقول البشرية في حركة دائبة ياتجاه التغيير، فالليل ينصرف الى النهار، والنهار ينسلخ منه الليل ... والصيف يأتي بالربيع .. ومن ثم تتجه حركة الفصول الاربعة المعروفة .. الناس في اختلاف دائم .. والرياح في عملية تصريف .. وكل شيء في الكون في حالة صيرورة وكيونة وتحول .. اللهم إلا الله سبحانه وتعالى .. إن الهوى الشهواتي هو انعكاس للطبيعة المتغيرة .. ولذا ترى نفس الانسان تائقة الى شرب الماء في فترة من الفترات .. ولكن تمر لحظة تراه يعوف الماء .. وهو يرغب الى الطعام حيناً .. بيد أنه في لحظة أخرى تراه يرغب عنه .. وهكذا تراه أيضاً يكره شيئاً لاسباب معينة .. ولكنه يلتصق بذات الشيء التصاقاً لاسباب أخرى .

ولكي يتجاوز الانسان طبيعة الهوى المتبدلة .. لا بد أن يتبع عقله ويمشي وراء القيم والمقاييس الحققة .. حتى تورثه صيغة الثبات على الصراط المستقيم حتى لو تغيرت الظروف واختلفت .. فلا يبغض أحداً ليحبه غداً، لان علاقاته وولاءه ووعبه وحركاته كلها نابعة من القيم والمقاييس الحقانية .. بسبب استمداها من العقل .. الذي بدوره ينبعث من نور الله عزوجل .. ولهذا نجد مواقف الملتزمين بهذا المنهج الالهي متساوية على طول التاريخ .. قلوبهم واحدة .. عداؤهم واحد وموالاتهم واحدة، لان عقل الانسان واحد لا يتبدل من انسان الى آخر .. كون حكم العقل هو هولا يتغير .. والذي يلاحظ من اختلاف الناس .. إنما هو بسبب جهلهم .. أو بغيبهم، أي أنه نابع من الهوى .. لان العقل بذاته واحد لا يختلف .

وكتأكيد على ثبات العقل .. ترى وحدة صراط الانبياء وتواصل خطهم الاصيل .. على رغم اختلاف ظروفهم وبيئاتهم وأزمانهم وألسنتهم، ومع اختلاف أقوامهم وأسباب الفساد لديهم .. وبالإضافة الى الانبياء .. ترى التابعين لطريقتهم مشتركين في نقاط عديدة .. حتى لو كان أحدهم في الصين، والآخر في أفريقيا، والثالث في أوروبا .. مع هذا الاختلاف الجغرافي والسكاني، لكن إلههم واحد، وقبلتهم واحدة .. يوالون الصالحين، ويعادون الفاسقين .. على رغم اختلاف الظروف المحيطة بهم .. مما يؤكد اشتراك المؤمنين في طول المسيرة التاريخية في المواقف والدوافع .

وبسبب هذا الاشتراك الحاصل .. ترى التأكيد الالهي في الآيات الكرام المتقدّمات

على ضرورة الاشتراك مع المؤمنين ، فيقول في ذلك :

« وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » .

إن هذه المجموعة هي محور التحرك الايماني الصادق .. أنى كانت لغتهم اللفظية وألوان بشرتهم وحالاتهم المالية ، باعتبار أن الذي يدفع الانسان للاختلاف مع أنصار الله وجنده وحزبه وأوليائه هو تفاعلات زينة الحياة الدنيا ، والذي يتجاوز هذه الزينة بزهدة عنها والرغبة الى الله والدار الآخرة ، يجد نفسه منسجماً مع التجمع الايماني الخالص .. وبمعكس ذلك تماماً تجد حالة التذبذب في المواقف عند من يتبع هواه وشهواته .. الخاضع بدوره للتبدل والتحول ، كما الذي يتبع الريح ، ينحرف ساعة الى اليمين والاخرى الى الشمال .

والقرآن الحكيم يحذرنا من الانتماء لهذه المجموعة المتحيزة المواقف ، لان المصيبة ليست في اتباع شخص واحد هواه وشهواته ، بل المصيبة الكبرى تكمن في ارتفاع مثل هذا الشخص الى المناصب القيادية في الامة .. ليقود سفينتها بعدئذ الى الهاوية .. ومن هنا نجد الآية الكريمة صريحة في نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الاشخاص :

« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » .

والسبب الفاصل في تحصيل الانسان المؤمن الثابت في المواقف والعلاقات هو الاعتصام بحبل الله ، وباستخدام فكرة ان القرآن يفسر بعضه بعضاً .. نستنتج من الآية الواردة في سورة آل عمران والتي تأمر بالاعتصام بحبل الله :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

(١٠٣ - آل عمران)

نستنتج ان فكرة الاعتصام بحبل الله تتأتى بذكر الله يثبت العقل .. ويزيده بصيرة في دينه .. ويلهمه الحكمة في العمل .. ويقاوم الهوى .. ويحارب جنود الشيطان .. وأكاد أقول يحدثه الرب .. أولم يؤكد الامام الرضا (ع) على ذلك .

قال ابن هلال : سمعت أبا الحسين الرضا (ع) يقول :

« إنني أحب أن يكون المؤمن محدثاً ، قال : قلت : وأي شيء يكون المحدث قال

الامام : المفهم» (١)

يعني أن الله سبحانه وتعالى ينزل ملائكته على قلب المؤمن .. والآية الكريمة في سورة فصلت صريحة في ذلك :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون »

(٣٠ - فصلت) .

وهذه الآية تؤكد على كلمة (تتنزل) ، للاخبار بأن الملائكة لا تنزل مرة واحدة .. وإنما هي تتنزل دوماً ، وفريق من الملائكة يهبطون .. وفريق آخريعرجون .. ويكون حينها قلب المؤمن مأوى للملائكة .. ومهبطاً للوحي الالهي .. وبالطبع مع التذكير بأن هذا الوحي ليس هو الوحي الذي ينزل على الانبياء ، فهو بدرجة أقل .

إن اتصال المؤمنين بالله إذن — هو الذي يلهمهم الثبات في المواقف السياسية والاستراتيجية والحياتية — بعكس غيرهم أصحاب المواقف المتذبذبة .. أو الذين يسيرون في حلقة مفرغة كحمار الطاحونة .. الذي إن بقي ستين عاماً .. إنما تبديل الزمن ، وهو لا زال باقياً في المكان الذي انطلق منه !!

هؤلاء أيضاً ينبغي أن يزاخوا عن المناصب القيادية في الامة .. والتركيز في القرآن الكريم على ذلك حين يقول :

« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » .

لان مثل هذه النماذج الانتهازية هي التي تسير نحو تسلم القيادة ، وبسبب هواهم الذي يعني الخضوع للتيارات الاجتماعية الضاغطة .. وحسب التعبير الحديث — اللوبي — ، إذ أن قوى الضغط الاجتماعية هذه تكون حاكمة على مراكز الحكم .. وأمثلة التاريخ أكبر شاهد على ذلك .. فما إن تسلم رجل انتهازي دفعة الحكم في بلد ما ، إلا وحكم الروح اللأبالية في البلد بتركيز نظرة المنصب لا الشعب .. وبسبب اتباع هذا العنف الانتهازي للاهواء والشهوات وابتعاده عن ذكر الله .. تنعدم

الاستراتيجية الحكيمة لديهم ، باعتبار ان الاستراتيجية الصحيحة متواجدة في ثنايا الدستور الالهي .. ومن هنا فانه جزاء الطبقة الانتهازية هو جهنم في يوم القيامة .. إذ يقول تعالى في ذلك :

«وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا» .

أعدت لهم نار جهنم تحيط بهم سرادقها من كل مكان ، يحترقون منها ، فيطلبون الماء .. وبئس الماء المنقذ الذي يشوي وجوههم .. ولعلّ هذا العذاب الالهي وسرادق النار خصوصاً يشير الى فكرة مفادها : ان من يطيع هواه يقع في شبكة من شباك الشيطان يصعب عليه الخروج منها في الدنيا .. كونهم أحاطوا أنفسهم بسياج من العلاقات الفاسدة .. ومن المصالح الاقتصادية الظالمة .. ومن التضليل الاعلامي المبرمج .. فتتخطفه مصائد الشيطان وأشراكه وشبكاته .. فلا يتمكن من الخروج منها ، وكلما أراد الخروج من شبكة .. يقع في شبكة جديدة .. بسبب ابتعاده عن ذكر الله .. وخوفاً من هذا المصير يحذرنا الرب الكريم من الوقوع تحت تأثير هذه الشبكة .

(٢)

الأنظمة العربية .. مواقف متذبذبة تجاه الصهيونية !

على ضوء الآيات المتقدّمات من سورة الكهف .. نستوحي منها بصائر ترتبط بواقع العالم العربي .. خصوصاً ما يخص طبيعة تعاملهم مع دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة .

ففي بداية القضية الفلسطينية ، وحين عانت من مشاكل الهجرة اليهودية الى فلسطين .. وبدل أن يتخذ العرب خطوات فعّالة للحد من هذا التطور الخطير الذي اعتبر بداية تكوين البذرة الاسرائيلية .. قام العرب باستجداء المعونة البريطانية .. على الرغم أن (بلفور) رئيس الوزراء البريطاني هو الذي وعد اليهود باعطائهم أرض فلسطين ..

ولما انتهت هذه المرحلة وتوجه اليهود الى المساعدات الامريكية . انقلب العرب على القصور الامريكية للمساهمة في حل قضية فلسطين ، بل وزاد بعضهم في ذلك الحدود المعقولة ، ليعلن بكل صراحة : ان ٩٩ ٪ من أوراق القضية الفلسطينية بيد أميركا .. مما يدل على ان العرب لم يملكوا استراتيجية واضحة لادارة الصراع مع اسرائيل .. وكتأكيد على ذلك .. وبعد استشارات مطولة بين السادات وبين كثير من القيادات الرجعية .. وقع السادات معاهدة كامب ديفيد عام ٧٩ م . هذه المعاهدة التي فاضت ضدها الانتفاضات والتهبت المشاعر .. واشتعل الحماس ثورة وتمرداً في طول العالم العربي ضد هذه الخيانة العظمى بشأن القضية الفلسطينية .. ولعلّ هذا السبب هو الاكثر ضغطاً على الانظمة العربية آنئذ بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر في قمة بغداد عام ٧٧ م .. على رغم أن أموالهم النفطية وتأييدهم السياسي هو الذي ثبت نظام السادات .

وبعد مرور عشر سنوات على المقاطعة السياسية .. جلس الزعماء العرب في عمان ، ليقروا إعادة العلاقات مع مصر .. ونحن هنا نتساءل :

* لماذا قطعت العلاقات؟؟ وما هي أسباب اعادتها؟!

* وما الذي تغير سياسياً في مصر؟

* أولا زالت معاهدة كامب ديفيد التي كانت سبباً — حسب ادعائهم — في قطع

العلاقات مع مصر .. لا زالت قائمة؟!

* أولم يعرف الحكام العرب ان بنود معاهدة كامب ديفيد في طريقها للتطبيق واحدة بعد أخرى؟!!

لقد ركز النظام المصري على فكرة إعادة الانظمة العربية الى مصر .. وليس العكس .. وجاء الوقت الذي يتحقق فيه هذا الشرط .. حيث أعادت تسع دول عربية الى الآن علاقاتها الدبلوماسية مع مصر ، على رغم ان مصر لم تلغ معاهدة كامب ديفيد بعد .

ان هذا التذبذب في المواقف السياسية والاستراتيجية للانظمة العربية مقابل العدو الاسرائيلي يؤكد مفهوم الآية المتقدمة :

« وكان أمره فرطاً » .

حتى ان خطواتهم تلك تضحك الثكالى !! لبساطتها وضآلتها .. مرة يعلنون أجراس الحرب فقط ، وأخرى يؤيدون الفلسطينيين وأخرى يعتمدون حالة اللاحرب واللاسلم .. وأخيراً وضمن هذه الخطوات المتخاذلة .. أقدموا على تطبيع علاقاتهم الدبلوماسية مع مصر رسمياً .. فما هي خلفيات هذا الموقف السياسي الجديد ؟ ولماذا حدد في هذه الفترة بالذات ؟

للإجابة على هذا السؤال .. نذكر عدة نقاط متداخلة مع بعضها البعض ، تجلي بوضوح هذا الموقف السياسي الجديد ، وهي :

١ - الصهيونية .. شر على العالم العربي :

ان أغلب المساوىء التي توالى على العالم العربي .. إنما كانت بسبب (اسرائيل) أو الايادي الصهيونية المبوثة في العالم .. سواء على صعيد التخلف أو التجزئة . فأما بالنسبة للاقتصاد ، فان الدول العربية لا تزال متخلفة .. ومحسوبة في قائمة بلدان العالم الثالث .. على رغم وجود الثروات الهائلة في المخزون الطبيعي لهذه الدول ، لكن اسرائيل بدورها ساعدت على هذا التخلف .. مثلاً : تبلغ أرصدة الدول العربية في بنوك الدول الصناعية ٢٥٠ مليار دولار .. تكفي لايجاد صناعات متطورة جداً لتقديم العالم العربي خطوات ملحوظة في المجال الحضاري .. لكن الايادي الاسرائيلية طرحت فكرة (تدوير الثروة) بمعنى .. ان الشركات الصهيونية تأخذ الاموال العربية المجددة وتدورها في طريق تطوير الاقتصاد الاسرائيلي والمساعدة في ازدهارها .. في الوقت الذي تتخلخل في اقتصاديات الدول العربية بصورة متسارعة ، وبالذات بعد الازمة النفطية التي بدت آثارها واضحة على الاقتصاد العربي .. مثلاً أخر النظام السعودي طرح الميزانية لعدة مرات في عام ١٩٨٦ م .. على الرغم انها كانت الدولة التي يضرب بها المثل في القوة الاقتصادية .. ولكنها الآن ألغت كثيراً من المشاريع .

كما حدثت في العام الماضي حين باعت احدى الشركات الاهلية في أميركا الجمهورية الاسلامية في ايران عقلاً الكترونياً .. فأقامت الصهيونية العالمية والايادي اليهودية بصنع ضجة اعلامية بسبب هذا البيع .. بحجة ان هذا الجهاد المتطور سوف

يساهم في بناء الجمهورية الاسلامية علمياً والكترونيا .. مما يؤكد ان التخلف هو نتاج الصهيونية .

أما على صعيد تجزئة العالم العربي ، فان بقاء اسرائيل هو لتمزيق البلاد والابقاء على الدكتاتوريات الحاكمة .. ولهذا فانها مستعدة لان تكلف نفسها خوض حرب عسكرية ، لمجرد وقوع وحدة بين دولتين عربيتين .

٢ - سياسة فتح الجسور:

منذ عام ١٩٧٥ م طرحت (اسرائيل) مشروع قرار .. أعربت فيه عن قدرتها في تحويل الشرق الاوسط الى جنة بوجودها هي .. وذلك عبر تفاعل أمور ثلاثة :

أ - الخبرة الاسرائيلية .

ب - الكفاءة المصرية .

ج - الاموال السعودية .

وبذلك تدخل المنطقة النفق الاسرائيلي .. ولكن هذا المشروع فشل .. ثم عمل الاسرائيليون على الاستفادة من الاردن بجعله جسراً بينهم وبين العالم العربي .. ولكنهم فشلوا ، بسبب رفض الشعب الفلسطيني الذي يشكل نسبة كبيرة من الشعب الاردني ، وبإضافة وضع الاردن الديموغرافي الغير نافع في هذه المسألة .

وأخيراً توجهوا الى مصر .. ونجحوا في ذلك بتطبيع علاقات البلدين عام ٧٩ م .. هذا التطبيع الذي اعتبر مسألة هامة آنئذ ، كونه اتفاقاً غير متكافئاً أبداً ، فهل من المعقول أن تصادق الشاة الذئب؟! أو تقوم علاقة بين ظالم مستبد .. وآخر مستضعف؟!!

بالطبع ان هذا التطبيع محكوم بعلاقة الرئيس بالمرؤوس ليس إلا!! ولذا ترى اليهود في مصر الآن هم الذين يشجعون نوادي الروتارية .. ويسعون بالتعاون مع الاستخبارات المصرية للقضاء على الحركة الاسلامية المتصاعدة .. ويقومون بإشاعة الفساد والفاحشة الواضحة بين أوساط الشعب المصري .. وقد اكتشف مؤخراً نفق ممدود من احدى المدن الاسرائيلية الى مدينة مصرية .. يهرب بواسطته المخدرات والهيروين ، والكوكائين للقيام

بحملة افساد ضد الشعب المصري .. و يستفيدون منها في الدخول الى الوطن العربي ..
 وفعلاً بدأت علائم ذلك .. إذ أقدمت الدول الخليجية في هذه الايام على اعادة العلاقات
 الدبلوماسية مع مصر .. والذي يعني الالتجاء بالمظلة المصرية .. هذه المظلة المدعومة
 بدورها بالصهيونية العالمية .. مما يعني أن الخبراء الاسرائيليين يحق لهم في الغد القريب
 الدفاع عن الانظمة الفاسدة في هذه المنطقة .. ليس في الحفاء فحسب ، بل بكل
 صراحة .

٣ - الثورة .. اربكت الاستراتيجيات الاستكبارية :

لقد كان مقررأ حسب المخطط الصهيوني تطبيع العلاقات العربية الاسرائيلية عام
 ١٩٧٩ م للسيطرة الكاملة على العالم العربي بواسطة مصر .. بيد أن مفاجأة الثورة
 الاسلامية في ايران أبطلت معادلاتهم الدقيقة .. بالمكر الالهي .
 « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »

(٤٥ - آل عمران)

خصوصاً وان وجود الشاه المقبور كان حجر الزاوية بالنسبة للاستراتيجية
 الاستكبارية في منطقة الشرق الاوسط .. فسقط هذا الحجر على رؤوسهم ، وساهمت
 الثورة في ايجاد موجة اسلامية عارمة عمت العالم العربي .. وحينها حاولوا تحجيم هذه
 الثورة وهذه الموجة .. فأشعلوا نار الحرب البعثية ضد الجمهورية الاسلامية ، وأتبعوا
 خطوات عديدة للنيل من الموجة الاسلامية .. بيد أنهم فشلوا في كل ذلك . وبسبب
 فشلهم في احكام الضغط على الثورة .. لانها ازدادت ثباتاً وقوة وانتشاراً ، فامتدت شرقاً
 الى أفغانستان والاتحاد السوفياتي لتحرك المسلمين تجاه النصر ، وغرباً صوب العراق
 حيث العمليات الجهادية مستمرة ضد نظام صدام .. ولبنان حيث العمليات
 الاستشهادية متواصلة ضد العدو الصهيوني يوماً .. لكن الاجهزة الاعلامية العالمية
 تحاول قتل هذه الاخبار والمساهمة في هزيمتها ، وجنوباً التهب الخليج ثورة ضد طغاته ..
 حتى هددوا المصالح الاستكبارية في المنطقة .. مما دعاهم الى المغامرة باعادة العلاقات
 الدبلوماسية مع مصر .. هذه المغامرة الغير محسوبة ، والتي قد تدخلهم في النفق

الاسرائيلي ، والتي جاءت أيضاً بسبب ارتباك الاستراتيجيات السياسية لاميركا وعملائها في المنطقة بسبب الموجة الاسلامية في سائر الوطن الاسلامي الكبير .. وحسب تعبير كبار الخبراء السياسيين في العالم الغربي (ان اميركا أصيبت بحالة من اللاتثبات ، خصوصاً فيما يخص الخليج) .. وقد عبر عن ذلك وزير الخارجية الفرنسي الاسبق (جوير) في مقابلة صحفية أخيرة حيث قال (ان الاميركيون جاؤوا الى الخليج ، لكن أخشى ما يخشونه هو الحرب مع الثورة الاسلامية في ايران .. ولهذا السبب فان ايران قادرة على عمل الكثير ضد الامريكيين) .

وتعقياً على آثار الثورة الاسلامية في ايران على مخطط الصهيونية العالمية ، فإنني أبشر الاستكبار بمفاجأة حدوث ثورة اسلامية جديدة ، في احدى المناطق الاسلامية كالعراق أو مصر ، تساهم في خربطة مؤامرات سياسية جديدة يحكيها الاستكبار العالمي ضد الامة الاسلامية ، ذلك لان الله عزوجل يمهل الطغاة .. ولا يهملهم مهما طال الزمن ، بل يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، خصوصاً وان بعض الطواغيت المعاصرين يرتبطون مع من مسخ الله منهم كثيراً فجعلهم قردة وخنازير وعبدة الطاغوت !!

التعبئة الاسلامية .. رد صارخ على مؤامرات الانظمة :

ان التعبئة الاسلامية المتصاعدة اليوم ، في الجمهورية الاسلامية في ايران .. تمثل تحدياً صارخاً للحالة الاستسلامية والانهازمية لدى الانظمة العميلة .. كون تفجير طاقات الشعوب الاسلامية في ايران والعراق وأفغانستان وغيرهم .. تجاه التعبئة الاسلامية العامة يعتبر أكبر رد على انهزامية الانظمة واستسلامهم .. وعلى المؤامرات الاستكبارية ضد الامة الاسلامية بشكل عام ، خصوصاً بالوجود العسكري الاخير في الخليج حيث تتواجد ٨٤ سفينة عسكرية لارهاب المسلمين .. هذه التظاهرة التي لو حدثت أمام شاطئ أي دولة أخرى لارتعدت جيوشها العسكرية .. وارتبكت خطواتها السياسية .. ولكن الشعب المسلم في ايران رغم هذا الوجود العسكري ازداد حماساً وثورية .. ليؤسس بذلك أساس المرحلة الثالثة للهزيمة الامريكية أخيراً .. الاولى عملية احتجاز الرهائن في السفارة الامريكية بطهران ، والثانية طردهم من لبنان ، والثالثة لعل الله سبحانه وتعالى

يذل القوة العسكرية الامريكية على يد مجموعة من الشباب المؤمن موالين للامام علي بن أبي طالب (ع) سيد المستضعفين وأمير الفقراء والمساكين ونصير المحرومين .. ليغيروا بذلك معادلة حكمت الارض لفترة طويلة .

ان ما يجري داخل العراق أيضاً هو نصر في طريق ذلك الهدف ، حيث يقوم الشباب بقتل أزلام النظام رغم حصونهم البالية أمام الارادة الايمانية الصلبة .. وهكذا في سائر الدول الاسلامية التي تسير باتجاه الثورة الاسلامية العالمية .

فلسطين .. مسؤولية شعبية

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير * ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيراً أم من يأتي آمناً يوم القيامة أعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير * ان الذين كفروا بالذکر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم * ولو جعلناه قرآناً أَعْجِماً لَقَالُوا لَوْلَا فَصَلت آيَاتهُ أَعْجَمِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءَ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْهُو عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ ينادون من مكان بعيد »

صدق الله العلي العظيم

(فصلت / ٣٩ - ٤٤)

(١)

الانسان .. محور الكائنات

إن الطبيعة التي تحيط بالبشر.. مدرسة لمن ألقى السمع وهو شهيد، ومن تمكن من التخرج من مدرسة الكائنات والخلائق، استحق وسام معلم النفس، إذ يزداد وعياً وهدى وإيماناً وتقوى .

وحين ينظر الانسان الى حركة الطبيعة وتحولاتها حسب البصائر القرآنية، يعرف بوضوح ان الانسان هو محور مخلوقات، فالاشياء على عظمتها مخلوقة لاجل الانسان،

الشمس على سعة قطرها وضخامة إشعاعها وكبر حجمها لافادة الانسان ، والارض وما فيها من جبال وبحار لاجله أيضاً ، مما يؤكد ان وراء تسخير هذه الطبيعة بهذا الشكل حكمة خاصة أرادها الباري عزوجل .. وهي أن يعرف الله الانسان (نفسه) من خلالها .. وقد أكد الامام الحسين (ع) في دعاء عرفة على ذلك .

فالشمس تطلع وتغيب ، والقمر في منازل ، والارض تدور على نفسها ، والفصول الاربعة .. مهرجان طبيعي يشهده الانسان و يتفاعل معه في سبيل نمو معارفه .. بعكس بعض الناس الذين يزعمون ان التطورات الطبيعية ناتجة لافشال المخطط الروتيني التي هي عليه ، بتعبير آخر ان جسم الانسان بطبيعة الحال يحتاج الى اختلاف الفصول الاربعة لتقوية بنيته الجسمية وقتل بعض الميكروبات التي لا تموت إلا في الشتاء ، بينما فصول الصيف والخريف والربيع يساهمون في انضاج الثمر .. إن لهذا التفسير نوعاً من الصحة ، بيد أن حكمة خلق الطبيعة بهذا الشكل بهدف تعريف الانسان بخالقه ، لان الانسان اذا عاش في حالة طبيعية واحدة لا تثيره التغيرات والتطورات — فاذا جاع — يحس بألم الجوع والفقر ، مما يحسسه بالحاجة الى الله ، فيهرع اليه داعياً .. ويستجيب الرب لندائه ، فيطعمه من رزقه .. وأنثذ يشعر بنعمة الله فيشكرها .

ومن هنا ، فان تكرار (لعلكم تعقلون) (لعلكم تشكرون) (لعلكم تتفكرون) يصب في هذا المجال أيضاً ، كون كلمة (لعل) في القرآن الحكيم تأتي بمعنى الهدفية ، أي أن هدف ذلك هو شكر البشر للنعم ، وبعثهم نحو الشكر ، ودفعهم نحو التعقل والتفكير .. وهذا بدوره يأتي من خلق الطبيعة بشكلها المستمر .

كما أن خلق الطبيعة بهذه الحالة يساهم في تكامل الانسان تكاملاً معنوياً .. والآيات من سورة فصلت توحى بأن الطبيعة من حول البشر خاشعة لرب العزة والعظمة ، الليل والنهار والشمس والقمر يسجدون لله تعالى .. وكل شيء في الطبيعة يسبح لله ويحمده ، فالارض التي يمشي عليها الانسان (خاشعة) ومعنى هذه الكلمة ليس كما يقول بعض المفسرين بأنها جامدة غير متحركة ، لان هذه الكلمة توحى بظلال أخرى ضمن الآية القرآنية الكريمة :

« ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة »

فكما خشوع الانسان يأخذ طريقة خاصة ، بجريان دموعه وانكسار قلبه ، والسجود لربه ، كذلك الارض لها خشوع بهيئة معينة ، فاذا ذهبت الى سهل قبيل أيام الربيع ، ونظرت ببصيرة القرآن ، ترى الارض وكأنها تمد أكفها الى السماء ، تطلب الحياة بخشوعها واستكانتها وتسليمها لامر ربها .

« فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحبي الموتى »

والقلب البشري يحياه الله بخشوعه له ، كما الارض تحيا بغيث السماء ، على رغم اختلاف آثار الحياة ، إذ أن القلب يعمر بالهدى وبنور الايمان .

بينما اذا كان قلب الانسان كالصخرة الصماء .. فانه لا يتأثر بالهدى ، ولا يستجيب لنور الله ، كما الجبال الصلدة التي لا تستجيب لغيث السماء ، حتى ولو كان مطراً منهمراً ، بينما صخرة صغيرة يغطيها غطاء رقيق من التراب الخاشع المتواضع لله سبحانه وتعالى ، تصبح جنة خضراء تعطي ثمارها بفعل استجابتها ، وإن كان العكس ، فالنتاج يكون سلباً ، وكذا بالنسبة للقلب البشري الذي لا يحي بسبب تجبره وتكبره ، كون أحياء الموتى ليس بسيطاً ، وهذا ما يقرره علم الفيزياء الذي يفسر الموت بأنه قرين العدم .. يصاحبه تعطيل جميع أجهزة الجسم ، مما يثير قضية احياء الموتى .. هذا الاحياء الغير مستعصي على القدرة الالهية .

« ان الله على كل شيء قدير »

ان القلب القاسي الذي يستبد به اليأس والقنوط ، وتغمره الشهوات ، بعيداً عن النور الالهي .. هذا القلب يحياه الله بالخشوع .. ولهذا يقول الامام الباقر (ع) عن هذه الحياة في حديث مطول :

« وقلب مفتوح فيه مصباح يزهر فلا يطفأ نوره الى يوم القيامة وهو قلب المؤمن »^(١)

إن شرط تحول الحياة الى مدرسة حياتية ، هو تحول قلبه من حالة الكبر (القسوة) الى حالة التواضع والخشوع .. يقول تعالى :

« ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا »

(١) بحار الانوار، جزء (٧٠)، ص (٥١).

فالذي يعيش في عمق الطبيعة محاطاً بآيات الله في الكون وفي نفسه ، ولا يعتبر بها ، بل يتكبر عنها و ينحرف عن الخط الالهي الواضح ، يكون كالاعمى الذي لا ينتفع بالشمس العملاقة حتى ولو اقترب منها في مجال الرؤية ، باعتبار ان حالة الاستفادة تتأكد حين يعد الانسان نفسه لحالة التلقي ، بينما القلب القاسي هو كالاعمى الذي يزيده الذكر طغياناً وضلالة وخسارة كبرى .

سألت أحد العميان ذات يوم .. هل تحس بفارق حين تقترب من قرص الشمس ، قال : بلى : أشعر بنوع من الحرارة دونما أي تغير على صعيد النظر .. أعاذنا الله من عمى البصر وعمى البصيرة الذين يكون جزاؤهم يوم القيامة كما قال تعالى :

« ان الذين يلحدون في آيتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيراً من يأتي آمناً يوم القيامة »

إن هؤلاء لا يبحثون عن نجاتهم وخلصهم وأمنهم يوم القيامة ، بل أنهم يسعون الى تأمين مواردهم الحياتية فقط ، ولا يتفادون العذاب الآخروي الذي يقول عن جانب منه الرسول الاكرم (ص) :

« لو أن رصاصة بحجم الجمجمة ألقيت من السماء الى الارض ، لوصلتها قبل انقضاء النهار ، وان هذه الرصاصة لو ألقيت من بداية السلسلة التي يربط بها الكفار الى نهايتها ، فانها لا تصل اليها إلا بعد مضي سبعين خريفاً »

في علم الفضاء اكتشف العلماء حديثاً موقعاً معيناً من الفضاء اللامتناهي .. تلقى فيها الشموس المنتهية والكتل الضخمة والنيران الملتهبة والاحجار العملاقة .. والى الآن لم يتوصل العلماء الى حقيقة بشأن هذه الحفرة .. فلو قدر أن اجتمعت الاجسام الناعمة ذات العظام الدقيقة التي تتأثر بحرارة الشمس وبرودة الجو .. فهل تقدر على أن تتحمل ناراً سجرها جبارها لغضبه .. وهذا ينبغي أن يكون دافعاً لتحديد توجه الانسان باتجاه نجاته يوم القيامة .. يقول أحد الكتاب الملحدين واسمه (براتر) في كتابه (التربية) عن مسألة العمل للأخرة .

(ان فلسفة التربية عند أهل الدين تقوم على أساس تربية الانسان لليوم الآخر ، أي يكون عمله في الدنيا موجهاً للأخرة .. ومن هنا تكون تربيتهم للاطفال على أساس

التضحية بسنين محدودة في الدنيا ، من أجل ضمان تلك الدار التي لا تنقضي سنيها وأعوامها) .

والقرآن الحكيم يؤكد على العمل للحصول على النعيم الاخروي :

« أفمن يلقى في النار خيراً أم يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير * ان الذين كفروا بالذکر لما جاءهم وأنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم * ولو جعلناه قرآن أعجيباً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي أو عربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد »

فالقرآن بذاته ذكر من يملك قلباً خاشعاً ، أما بالنسبة للغة العربية فهي جسر لا دراك المعنى المهم الكامن في آيات الذكر ، ومن لا يعرف اللغة يستطيع تعلمها بترجمان .. بينما من يفقد الفقه والبصيرة وخشوع القلب ، لا يتمكن من فهم القرآن ، بل القرآن نفسه يوبخ هؤلاء الذين جعلوا مقياس الحضارة والايان هو اللغة .. كون اللغة هي جسر للمعنى .. والمعنى هم الاله .

(٢)

الردود الاسلامية .. ضد مؤامرات عمان

ان الامة العربية التي تشبثت في الايام الجاهلية بقيم زائفة كتقديس اللغة ، الابتعاد عن الحقيقة والجوهر ، تعود هذه الايام جلية في الاحداث السياسية المعاصرة القائمة على أساس العنصرية واللابسة رداء القومية المزيفة أو غطاء الوطنية الاعلامية ، لقد عادت هذه الراية بأسمي تجلياتها في قمة عربية انعقدت في عمان تحت لواء العروبة .. على رغم ان أغلب أعضائها لا يمثلون العروبة في شيء ، بقدر ما يمثلون أنفسهم .

لقد أثبت هذا المؤتمر عدم عروبه .. بسبب برنامجه الامريكى الاوروبى ، فقد

بقي (جيفري هاو) وزير الخارجية البريطاني في عمان لمدة ثلاثة أيام لاعطاء برنامج أوروبي للقمة .. بينما أرسل السفير الامريكى في عمان (روكي سودارس) قبل يومين من انعقاد المؤتمر مذكرة تتضمن سبع نقاط هي خلاصة جدول العمل الامريكى المقرر للقمة ، والذي تجلّى بشكل واضح في عودة العلاقات العربية المصرية .. هذه العودة التي فرح بها الصهاينة المحتلون ، واتخذوها عيداً في مسلسل انتصاراتهم ، باعتبار عودة العرب الى أحضان مصر .. هو عودة الى (اسرائيل) ، الدولة الجديدة المقبولة في خريطة المنطقة . وتعتبر هذه الخطوة خيانة ثانية بحق القضية الفلسطينية ، بعد أن ارتكب السادات أكبر خيانة في التاريخ الحديث بتوقيعه على معاهدة كامب ديفيد عام (١٩٧٩ م) .. هذه الخيانة التي لا تبرر بأدنى دليل .. فعلى رغم ان الضابط العسكري الهارب من المعركة .. يبرر خيانتته من أجل سلامة جسمه ، إلا أن الحاكم العربي الذي أعاد علاقاته مع نظام مبارك لا يمكنه أن يقدم تبريراً لذلك سوى ان ذلك خطوة لانتفاخ كرشه وبقائه لمدة أطول على سدة الحكم .

وعادت العلاقات العربية المصرية .. غير أن كثيراً من الناس قد لا تدرك هذه التوجه الجديد ، لان الاقلام المأجورة وأجهزة الاعلام العربي والعالمي والجواسيس المبتوثين في طول الوطن الاسلامي .. يبيعون دماء العرب وشرفهم وقيمهم وحضارتهم وثرواتهم بدراهم معدودة مقابل تلميع وجوه السلاطين العملاء ، وتحويل الهزائم العربية الى انجازات حضارية .. قلما نجد في التاريخ مثيلاً لها !!

لقد خرجت الانظمة العربية من مؤامرة عمان بوسام العبودية الذليلة للصهاينة المحتلين وأذئابهم .. ويمارس الاعلام المضلل دوره ، لكي يقنع الجماهير الاسلامية بعدئذ بعدم أخذ الثأر من الجرائم الاسرائيلية بل ويطالب بنسيان كل ما اقترفته (اسرائيل) في التاريخ القديم والحديث بحق المقدسات الاسلامية .. ومقابل ذلك يصعدون خطر الثورة الاسلامية في ايران .. وحينها ينطق الارتياح الاستكباري بانجازات مؤتمر عمان على لسان شامير وشولتز وغيرهم .. و يأتي على رأس المرتاحين والمصفقين والضاحكين على ذقون هؤلاء المستكبرين الشيطان الاكبر (إبليس) باعتبارهم حطب جهنم الذي يلقي في وسط النار .. إذ أن النظام السعودي الحاكم في أرض الحجاز والجزيرة العربية لطح

أياديه الآثمة بدماء الحجاج الآمنين في مكة المكرمة أقدس بقعة فوق الارض .. مما لاقى تصفيقاً حاداً من قبل الاجهزة الاعلامية الاستكبارية تأييداً لهذه المجزرة من قبل الامريكيين والبريطانيين .. إن هذه المجزرة هي تمهيد لخianات أكبر .. ومن هنا شكر شامير — رئيس الوزراء الاسرائيلي — النظام السعودي على الجهود التي بذلها في انجاح مقررات عمان الاخيرة .. لقد كان بداية الانحراف المتصاعد الآن هو الانحراف عن القيم تجاه القشور .. والقرآن يؤكد على هذه المسألة بقوله :

«عأعجمي أو عربي»

إذ أن العرب أخذوا القومية العربية كغطاء لمحاربة الاسلام والدين .. امتداداً للانحراف التاريخي الذي قاده أبوسفيان في أيام الجاهلية حيث ادعى العروبة .. وجمع القبائل تحت هذا اللواء في محاولة لابعادهم عن الدين الصحيح وتجميعهم على شكل حزب لمحاربة الرسول (ص)، ان العرب الحقيقيين هم الذين يتوجهون الى الاسلام أكثر كلما رأوا خيانة الحكام المتزايدة .. وهذا ما تأكد في هذه الايام بعد مؤامرات عمان الاخيرة . حيث برزردان واضحان سجلتهما الجماهير المسلمة بدمائهم .. وهذان هما :

١ — الانتفاضة الفلسطينية :

خلال فترة الانتكاسات الظاهرة للانظمة العربية .. تصاعدت انتفاضات الشعب الفلسطيني المسلم بشكل ملحوظ منذ الاربعة شهور الاخيرة ، لمحاربة كل التقنية والتكنولوجيا الاستكبارية — التي لا يوجد في الارض مثيلاً لها — بأيادي فارغة من السلاح ، متعلقة بسلاح الارادة الايمانية الصلبة التي تدفعه للمقاومة والنشاط .. خاصة وأن المنطلق الاسلامي الذي يعطي الانسان حوافز للثورة والجهاد يزيد من النشاط والحيوية عند المسلمين ، لان فلسفة الشهادة ومنهج الاسلام في الثورة وفي البعث على العمل .. لا يعرف السأم والكلل ، بل انه كلما ازدادت الضغوط على الانسان .. كلما ازداد تحدياً وجهاداً .. مما يثير روح العمل لدى الآخرين أيضاً .. وآخر هذه الانتفاضة ذلك الفلسطيني البطل الذي هجم بطائرته الشراعية على مقر عسكري اسرائيلي ، فقتل كثيراً منهم .. وسجل بذلك حادثة أول هجوم جوي على المعسكرات الاسرائيلية وذهب

شهيداً الى ربه .

٢ - التعبئة الاسلامية في ايران :

ان مشروعية الدفاع الانساني عن النفس .. تنبع في بعض الاوقات من دوافع بشرية .. كحرب مفروضة متجاوز حدودها ، كما هو حاصل للشعب المسلم في ايران الذي يدافع عن نفسه بكل صلابة وإيمان .. بيد أن معادلة الدفاع عند الشعب المسلم في ايران يدخل الاثر الاكبر فيها احساس الضمير الديني عند الشعب بضرورة المواجهة المسلحة .. فقد كان الشعب متفاعلاً مع الحرب منذ بدايتها .. لكن الذي يؤكد المنطلقات الدينية الايمانية هو استجابة الشعب المسلم الى فتوى القيادة الشرعية المتمثلة في الامام الخميني (حفظه الله) الذي دعا الى التعبئة الجماهيرية والدفاع المقدس . وهذا تأكيد جديد على أن حوافز الدفاع هي حوافز ايمانية خالصة غير مشوبة بالحوافز البشرية كالدفاع عن الوطن والوقوف ضد ظالم فحسب .. إن الاعظم من ذلك هو الدفاع عن الدين وتطبيق أمر الله تعالى .. ومن هنا فما إن صدرت الفتوى الشرعية من الفقيه العادل .. انطلق كل بماله ودمه .. ليدافع عن دينه ، ويتحدى مؤامرات عمان الاخيرة .. هذه التعبئة الاسلامية التي زادت الحديث في الاوساط الغربية عن ضرورة الانسحاب العسكري من مياہ المنطقة ، حتى أن بعض الدول أخذت تشكك في فائدة مجيء أمريكا الى المنطقة ، باعتبارها لم تحارب الثورة الاسلامية ولم تدافع عن الانظمة العميلة .. بل تأكدوا بأن القدوم الامريكي الاخير أخذ بعض القواعد العسكرية في الخليج وفرض عليهم بعض المعادلات الجديدة دون أدنى تغيير على ساحة المنطقة السياسية أو العسكرية .. فلا زالت حرب الناقلات مستمرة والوضع كما كان بالاضافة الى أن كثيراً من الجنود الامريكيين تعبوا من بقائهم في الخليج .

ان الحماس الجديد دليل آخر على أن منطلق الاسلام الذي ينسجم مع منطق الطبيعة .. هو الغالب والمنصر على رغم كافة المؤامرات الاستكبارية الظالمة .

تونس — نحو برنامج متطور

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب * يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد * وقال الذي آمن يا قوم إنني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد * ويا قوم إنني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يضل الله فما له من هاد »

صدق الله العلي العظيم

(٢٨ — ٣٣ / سورة غافر)

(١)

الكتمان غطاء عملي لا تبريري

هناك سورة كاملة في كتاب الله الحكيم تسمى بـ « غافر » بيد أن المسلمين تعودوا على تسمية هذه السورة باسم آخر وهو « المؤمن » ، كون هذه السورة تتناول بصورة مسهية قصة مؤمن آل فرعون من جانب كيفية حياته وصفاته ، التي مكنته من أن يخلد مع التاريخ ، حتى أن رب العزة والعظمة يزيد في تخليده ، بأن جعل اسمه كسائر أسماء النبيين والصدقيين عنواناً لسورة كاملة من الكتاب الحكيم .

قبل أن نخوض بتفصيل عن حياة هذا المؤمن ، هناك ملاحظة هامة يستلزمنا تواصل الحديث نقلها ، وهي أن الانبياء — جميعاً — قدوات البشر ، ومحور الاسوة الصالحة ، وقد جعل الله تعالى أنبياءه على هيئة البشر ، حتى لا يبرر شخص ما عدم اتباعه لهم والافتداء بهم بأنهم صنف آخر يختلف عن تركيبة البشر ، ومع وجود هذا الحذر والافتراض ، بالغت بعض الفئات البشرية ، وزعمت ان الانبياء صنف يختلف عن البشر العاديين تماماً ، كونهم يتصلون بالوحي ، وسائر الناس لا إتصال لهم ، ومن هذا التبرير منعوا أنفسهم عن التأسى بالانبياء ، وأنحرفوا عن طريق الله القويم بهذا التبرير .. بيد أن الله أبطل هذه الحججة في مواقع عديدة من آياته البينات ، فقال :

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي اليّ »

وعن نبيه يعقوب قال :

« وايضت عيناه من الحزن فهو كظيم »

هذه وغيرها من الآيات ، تؤكد على أن تركيبة الانبياء الطبيعية والتكوينية لا تختلف عن تركيبة الفئات البشرية الاخرى فهم يأكلون الطعام .. ويمشون في الاسواق .. أجسامهم ليست فولاذية .. وأعصابهم ليست حديداً .

ومع وجود الاقتناع الواضحة بشأن تساوي الانبياء مع سائر الناس في الصفات البشرية .. بالغ أطراف في تكريس هذا الاشكال في أنفسهم ، ولكي يدحض الله تعالى إدعاء هذا الصنف التبريري ، وصف في كتابه الحكيم أناساً آخرين ليسوا بأنبياء ، وسماهم صديقين وصالحين ، مثل مؤمن آل ياسين — حبيب النجار — الذي ذكرت قصته مفصلة في سورة ياسين هذا الصديق لم يكن نبياً .. بل كان راعياً ، مر به نبيان بعد أن أرسلهما ، ربهما لتبليغ الرسالة الى قرية — لعلها انطاكية — وشرحا له رسالة الله عزوجل ، فأمن بها ، وآزر النبيين ، ثم تحدى الطاغوت .

وهناك مثال آخر وهو (مؤمن آل فرعون) — المعروف بحزقيل — وهذا أيضاً لم يكن نبياً ، وكان ابن خال فرعون .. وهذا النسب جعله مقرباً من فرعون ، ووزيراً في بلاطه ، كتم إيمانه بموسى سبعين سنة ، وقالت بعض الروايات أنه كتم إيمانه ستمائة سنة ، وفي الوقت ذاته مارس دوره كفرد اعتيادي مع جهاز النظام الحاكم .

إن العوامل المؤثرة في صلاح الانسان أو فساده تتنوع بتنوع الظروف والازمان ، فصنف من الناس ينحرف عن طريق الله لاسباب البيئة والتربية الفاسدة .. وآخر يفسد لان أبويه كان يزرقانه بأنواع الفساد تزريقاً .. وآخر تغريه شهوات المال والثروة .. وآخر تضله ملذات السلطة والجاه .. وآخر يتأثر بالاعلام التضليلي ، وهكذا فان العوامل التي تساهم في انحراف الانسان وفساد ضميره مختلفة باختلاف الازمان والظروف .. بينما قد تجد أ نموذجاً صامداً أمام أعنى الانحرافات ، فتراه يعيش في بؤرة الاسباب المفسدة كالاقتصاد الجذاب ، والسياسة المضلة ، والبيئة الفاسدة ، وتتجاذبه جميعاً نحو الفساد ، بيد أن إيمانه يكون حصناً واقعياً أمام هذه الاخطار ، ومثل ذلك مثل مؤمن آل فرعون ، يتواجد في حضن الطاغوت ، ويعيش في بلاطه ، وأكثر ملذات الدنيا متوفرة هناك كالمال والجاه ، إضافة الى تأثير حشود الاجتماع من الاقباط — في مصر — حيث يحيطون فرعون كبطانة فاسدة ، وبالذات يبقى هذا المؤمن في سلطة فرعون الذي يدعي أنه الرب الاعلى للمصر ، خالق الناس ومطعمهم وساقهم ، سخر الطبيعة له فالنهار تجري من تحته ، ويزعم بأنه أفضل من نبي الله موسى ، ومع ذلك بقى هذا المؤمن صامداً أمام السلطة والمجتمع الفاسدين ، وقاوم كل العوامل الضاغطة عليه ، باتجاه الفساد والافساد ، ولعل هذا المثال البسيط دليل واضح وأكد على أن ضمير الانسان الرسالي قادر على تحدي دواعي الافساد والتضليل من النظام السياسي الفاسد الى المنهج الفكري المعتمد ، الى تركة الوراثة والتربية الخاطئة .

ولما رأى أعداء حزقيل قدرته على تمويه التوجه وتمرير الامور ، وشوا الى فرعون وقالوا له بأن ابن خالك — حزقيل — يحتلي في أماكن خاصة ، ويقوم بطقوس معينة لا تمت الى تقاليد البلد ، فلعله ترك عبادتك — وتوجه الى عبادة الله ، وهذا مما سوف يؤثر في وضع البلد ، بسبب مكانة حزقيل في الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لما سمع فرعون هذه الوشاية ، أمر بحزقيل أن يؤتى ، وتكاملت أطراف المحكمة آنئذ ، وفرعون هو القاضي .

قال المخالفون لحزقيل : — إنك لا تعبد فرعون ، بل تعبد الله .. وعاقبة هذا العمل أن

تجازى !

فقال القاضي فرعون : ما تقول يا حزقيل ؟؟

فأجابه حزقيل قائلاً : — إسألهم من يعبدون ؟ قالوا : فرعون ، من يرزقهم ؟ قالوا : فرعون ، من يأويهم ؟ قالوا : فرعون ، من يسقيهم ؟ قالوا : فرعون .

ثم قال حزقيل : — يا فرعون ، إشهد بأن ربي ربهم ، وربهم ربي ، والذي يسقيهم يسقيني ، ومن يطعمهم يطعمني ، ومن يأويهم يؤويني ، فأنا أعبد ربهم .

واستطاع حزقيل بذكائه أن يفند وشاية الاعداء ، وبذلك تمكن من كتم إيمانه لفترة أطول ، على رغم أن كتمان الايمان يعتبر في بعض الظروف أشد على الانسان من القتال الدامي الذي تتطاير فيه الرؤوس ، وتتناثر فيه الدماء ، كون الذي يقاتل يندفع للحرب ومعها تثار أعصابه بشكل كبير ، بينما يبقى المؤمن الرسالي على خط النار ، لكي لا تعرف حقيقته الغائبة ، وبالخصوص الذي يعيش في زمن ديكتاتور متسلط مثل من يتواجد داخل العراق وتونس والجزيرة العربية ، إذ تراهم يعملون في أجهزة الطاغوت ، ويتنقلون بين أجهزة النظام من جهاز الامن الى سلاح الطيران العسكري وغيره ، بيد أنه يعمل المستحيل من أجل الحفاظ على نفسه وإيمانه ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى تمثيلاً شخصية مؤمن آل فرعون ، لكي يقتدي به صنف كبير من الناس ، ويتعلمون منه أساليب العمل الرسالي تحت حكم نظام جائر .

واستمرت طريقة العمل السرية في حياة مؤمن آل فرعون ، الى أن بلغ السيل زبانه عند فرعون ، وبالخصوص عندما وجه موسى رسالة ربه الى فرعون داعياً إياه للايمان بها .. ثارت ثائرة الطاغية ، وأمر بسجن موسى ، وقال :

«أرده وأخاه»

ثم استشار كبار أعضاء الوزراء والمسؤولين في السلك الدبلوماسي ، وأعقب على ذلك قوله :

« ذروني أقتل موسى وليدغ ربه إنني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في

الارض الفساد»

وهو بهذا يتحدى قدرة الله سبحانه وتعالى .

في هذه الاثناء فقط برز دور مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه لفترة طويلة .. هذا

الكتمان الذي لا يعبر عن خوف أو جبن من الشهادة ، بقدر ما كانت عملية مدروسة ومتفكراً عليها مع القيادة الشرعية آنئذ والمتمثلة في نبي الله موسى (ع) ، وبذلك تتجلى حقيقة بوضوح أن حالة الكتمان والسرية إنما هي خطة لتفجير الوضع وزيادة تحدي الطاغوت الظالم ، وبهذا يكون الانسان الرسالي خاضعاً لايمانه لا لهواه وشهواته ، متبعاً في ذلك خطة حكيمة تمكنه من اكتساب نقاط انتصار استراتيجية ، وهنا انطلق حزقييل أمام الاقتراح الفرعوني بقتل موسى قائلاً :

« قال أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله »

وغير معادلة الطاغوت القاضية باعدام موسى (ع) ، بأدلة مقنعة وفي ظرف مناسب .. ومن هنا نال وسام « الصديق » إذ يقول الرسول الاكرم (ص) في حقه وفي حق أمثاله : « الصديقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي يقول : « فاتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون » ، وحزقييل مؤمن آل فرعون ، علي بن أبي طالب وهو أفضلهم »^(١)

ولما طرح حزقييل رأيه ، بهرت فرعون المفاجأة ، حيث أن أحد وزرائه المقربين يرفض قراراً صادراً من القصر الفرعوني ، بيد أن بعض الوزراء رأوا رأي حزقييل أيضاً ، ولما انتهى دور هذا المؤمن تسلسل من أرض مصر متوجهاً الى الجبال البعيدة ، وقال بعض المفسرين أنه التحق بقيادته الرسالية موسى بن عمران إذ عبر البحر معه ، بينما قال آخرون أن فرعون أرسل وراءه مفرزة عسكرية لملاحقته ، لكن قدرة الله عزوجل منعتهم عنه ، ومنعه عنهم .

وهكذا أسدل الستار على عملية بطولية بطلها مؤمن آل فرعون ، وموضوعها تحدي الطاغوت بأسلوب السرية والكتمان .. ولعل هذه الرواية تنفعنا في أمرين :

١ - الفرد .. محور التاريخ :

الانسان كفرد له قيمة كبرى في صنع التاريخ ، كونه قادراً على صنع المعجزات وتغيير وجه التاريخ ، اذا انبعث من إيمان صادق بالله ، متبعاً في ذلك نهجاً رسمه له رب

(١) تفسير نور الثقلين ، الجزء الخامس ، ص (٥١٩) .

العالمين ، وخصوصاً في بعض الاعمال اللطيفة والظريفة التي تحتاج الى خطة ذكية دقيقة حتى تؤثر أثرها المنشود .

ولقد استفاد الغرب بشكل كبير من أمثال هذه الاعمال لاستغلال ثروات الامة الاسلامية طوال التاريخ الماضي .. فقد أرسلت بريطانيا كثيراً من الاشخاص للتأثير على مجرى الاحداث في منطقتنا الاسلامية ، أرسلوا عبد الله الفليبي ، ومسزيب ، ولورانس الذي سمي فيما بعد (لورانس العرب) حيث التف معه مجموعة من العرب .. الذين كانوا في الواقع أعراباً ، والآية الكريمة تؤكد على هذا الصنف فتقول :

« الاعراب أشد كفراً ونفاقاً »

وتشمل هذه الآية العائلة الحاكمة في أرض الجزيرة العربية (آل سعود) الذين قطنوا البادية .

وهكذا قدم هؤلاء الاشخاص خدمات جليلة لمخططات أسيادهم الاستكباريين ، فلورانس العرب مثلاً استطاع أن يغير تاريخ المنطقة حيث فصل العالم العربي عن تركيا ، وأسس حركة معارضة للحكومة الاسلامية في تركيا .. وهناك بعض التحاليل التاريخية تؤكد على أمثال هؤلاء ، فتقول : أن البريطانيين هم الذين دفعوا (هتلر) للهجوم على السوفيات ، وذلك بزرع شبكة جاسوسية تسللت داخل الاجهزة الالمانية ، ووصلت الى حد دفعت فيه (هتلر) الى نقض معاهدة عدم الحرب بين هتلر وستالين ، وهجم الالمان بجيوشهم العسكرية ، وفي الوقت ذاته استفاد البريطانيون من ذلك في تحطيم القوة الالمانية وبقاء قوتهم الاعلى .

ولعل التاريخ في الايام القادمة يكشف عن أصابع الاستكبار في تطويع بلادنا الاسلامية وتغيير بعض المعادلات بصورة دقيقة وسرية .. ولعل من ضمن هذه العمليات ، المؤامرة الاخيرة التي انتهت باختطاف (فواز يونس) الذي كان يسكن في لبنان ، ولكن أصابع الامريكيين استدرجوه الى البحر .. وجاءت القوات الامريكية لتختطفه من هناك .

ان مثل هذه العمليات الدقيقة هامة من أجل تحقيق انتصارات باهرة ، وكما الكفار تمكنوا من استغلال هذا النمط من العمل ، كذلك المسلمون قادرون على القيام

بذلك .. مثلاً السودان ابتليت بنظام نصراني صليبي ، امتدت آثاره الى الآن حيث يتعرض الجنوب السوداني لغوز صليبي هائل ، وكان المسيحيون قد حكموا البلاد ، وطردها المسلمين من الوظائف العامة وبالخصوص مناصب الجيش ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً ، إذ صمم عشرة من شباب المسلمين الراضين لهذا الغزو على طرده ، فلبسوا لباس المسيحية ، ودخلوا كنائسهم ، وقاموا بطقوسهم العبادية ، ووصلوا الى مراكز عليا في الجيش ، حتى نالوا زمام قيادة الجيش ، وتمكنوا من الامساك بكافة المراكز الحساسة في البلاد ، ولما سنحت لهم الفرصة قاموا بانقلاب عسكري على الحكومة العسكرية الصليبية ، وتحولت السودان الى دولة اسلامية . (٢)

وهكذا ، فان الفرد بتوكله على الله وعزمه الراسخ ، يتمكن من عمل شيء من شأنه أن يغير معادلة ظالمة طالما سيطرت بديكتاتوريتها المقيتة على مصائر كثير من الشعوب ، فمثلاً كاتب قدير يصنع مسيرة كاملة ، ومرجع عظيم يؤثر على الخريطة السياسية بقيادته المرجعية ، وكذا الحاكم العادل قادر على جعل بلده حضارياً متطوراً ، غير أن ذلك يحتاج الى ثمن وتضحيات .

٢ - الحركة الاسلامية .. أسلحة متنوعة للانتصار:

إن الحركة الرسالية في التاريخ ، لم تنتصر بالاسلحة فقط أو بخطط عشوائية ، وإنما كانت تسير تحت ظل حركة دقيقة وحكيمة ذات خطط سرية كشفها لنا القرآن الحكيم من مجموعة قصص سردها في الكتاب الحكيم تناولت قصة الصراع بين المجاهدين الرساليين والحكومات الطاغوتية ، وكشفت هذه القصص عشرات ، بل مئات القوانين الاستراتيجية والتكتيكية في مسيرة الحركة الثورية الرسالية .

وخلاصة ما نستفيده من هذه القصص ، هو أن ندخل في صراعنا مع الاعداء بعقلية حكيمة ورشيدة ، تتمكن من صنع استراتيجية معقدة ، يصعب على العدو كشف خيوطها .

(٢) ذكرت هذه القصة في كتاب (الدعوة الى الاسلام) ألفه مستشرق بريطاني (سيرت توماس) .

(٢)

الحركة الاسلامية في تونس .. تتحدى الهجمة البورقيبية

تتعرض الحركة الاسلامية في تونس هذه الايام بالذات لموجة ارهابية عنيفة من قبل نظام بورقيبية ، إثر استغلاله لحوادث مفتعلة ، يبرر بها انزال ضربة قاصمة وقاضية للاتجاه الاسلامي ، وكان هذا التصعيد في هذا الوقت بالذات خوفاً من الفراغ السياسي الذي يؤكد أن يحدثه هلاك (بورقيبية) القادم الى الموت بخطى حثيثة ، ولعل التغييرات الوزارية المتلاحقة خلال السنة الاخيرة دليل أكيد على أن النظام يسعى من أجل ضبط الاوضاع ، حتى لا تصل الى مرحلة يتمكن الاسلاميون فيها من تسلم الحكم ، ولهذا بدأ النظام بسبك العمليات الارهابية كغطاء تبريري لزج الشباب المؤمن المجاهد في السجون .

وإنني من هذا المنطلق أؤكد على أن سير الحركة الاسلامية والجماهيرية في تونس ، لا بد أن يتم تحت مظلة تخطيط استراتيجي حكيم ، يعتمد على ما يلي :

١ - فهم جبهة العداة :

إن حالة المواجهة الاسلامية مع النظام ، لا تقتصر على بورقيبية فحسب ، وإنما هي موجهة ضد سائر رموز المدرسة الاستكبارية من ريغان وميتران وتاتشر الذين يوجهون النظام التونسي لواد الحركة الاسلامية ، وبذلك فانهم — طبيعياً — لا يشكلون ملجأ أمنياً للديمقراطية وللمعارضة عموماً ، مما يحتم على الحركة الاسلامية التوجه الى الاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

٢ - سياسة الرد بالمثل :

إننا في صراعنا مع النظام ، ينبغي أن لا نمنع أنفسنا من أية طريقة للدفاع عن مكتسبات الحركة الاسلامية ، ولكن ذلك مرهون ببعض الظروف والاسباب ، فمثلاً لا

تستخدم الحركة الاسلامية العمل العسكري ، إلا اذا استخدم النظام سلاح الارهاب العسكري ، فأعدم الشباب المؤمن ، وعات في الارض الفساد ، أما اذا لم يستخدم النظام سلاح الارهاب ، فان الحركة — آنئذ — لا تكون مبادرة باستخدام السلاح ، ولعل تجربة الحركة الاسلامية في العراق واضحة في ذلك ، فلما استخدم النظام السلاح ضد الشباب المؤمن ، وأعدم الناس لمجرد انتمائهم الى حركة اسلامية ، آنئذ بادرت الحركة الاسلامية باستخدام السلاح ، واستمرت على ذلك ، حتى أنها الآن تضاعف عملياتها العسكرية المقدسة ضد أزام النظام وضد كبار مسؤولي الامن والاستخبارات ، وهذه العمليات إنما هي ممارسة دفاعية قامت بها الحركة الاسلامية .

والحركة الاسلامية في تونس لا بد أن تستعد لمثل هذه التطورات والافتراضات ، ذلك ان القرآن الحكيم أمر بالاستعداد ، ولم يأمر بالحرب ، أي أن الاستعداد أمر دائمى تحسباً لحالات الحرب والاعتداء الطارئة . والآية الكريمة التالية تشكل استراتيجية كاملة للحركة الاسلامية عموماً :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »

٣ — تطوير أساليب العمل الثوري :

ان الحركة الاسلامية في تونس مدعوة الى اتباع كافة الاساليب الرامية للقضاء على النظام ، من انشاء أجهزة اعلامية ترفع ظلامه الشعب التونسي ، وتدافع عن حقوق الانسان المسلم هناك ، الى برقيات الاحتجاج والتظاهرات والاضراب عن الطعام ، محاولة اثارة الشعب وفضح النظام في الاوساط العالمية .

ويمكن للحركة الاسلامية أن تستخدم سلاح العمل السري داخل أجهزة النظام ، حتى يتمكن المسلمون من تقويض نظام بورقيبة من داخل أجهزته التي كان يتوقع منها مناصرتها له في وقت المحنة . كما أن الفئات الاجتماعية مدعوة الى القيام بدور يساعد في تغيير المعادلة الظالمة ، فالتجار يمولون الحركة مالياً ، بدل أن يستخدمها النظام في ارهاب أبنائهم وضربهم ، والشباب كذلك يشجع على قيام التظاهرات واستمرارها ، حتى لو قابلها النظام بحملات الاعتقال أو الدماء المراقبة ، كون هذه النتائج تشكل طوقاً

قوياً للقضاء على نظام بورقبيية تحت ظل خطة رشيدة ومحكمة ، كما أن الاطفال علينا أن نعلمهم على الاستهزاء باسطورة رجال أمن النظام ، يضحك عليه ، و يبصق عليه ، و يكتب شعارات ضد النظام على الجدران ، و يرسلون رسائل تهديد وترهيب لبعض رموز الحياة ، كاعلان عن حالة المعارضة لدى الشعب ، بالاضافة الى تدريب قطاع واسع على استخدام السلاح أو بناء جسمه عضلياً تحسباً لساعة المواجهة ، كما ان المرأة المؤمنة يجب أن تأخذ دوراً متقدماً في مرحلة الصراع ، باعتبار أن لها دوراً خاصاً يختلف عن دور الرجل ، لا سيما وأن الانظمة الطاغوتية تزيف دور المرأة ، لكي يذهب جهد صنف كبير من المجتمع سدى ، بينما المرأة تستطيع أن تقوم بدور في مختلف المجالات ، لا سيما في مسألة محاربة النظام ، كما أن أسلوب انشاء خلايا سرية صغيرة تتكاثر ضمن استراتيجية واسعة ومتنوعة للقضاء على نظام بورقبيية بأسرع وقت ممكن .

البحرين — قضايا وتأملات

بسم الله الرحمن الرحيم

«فاصبر ان وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون * ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله فإذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون * الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون * ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون * أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن *» .

صدق الله العلي العظيم

سورة غافر (٧٧ — ٨٣)

(١)

ثمار الحركة الرسالية في البحرين

في شهر نوفمبر — تشرين الثاني من عام (١٩٨١م) تجرأ النظام الخليفي المتسلط على زمام الحكم في البحرين على اعتقال كوكبة من أبناء الجهاد والثورة ، وأتبع جرمته النكراء بايجاد قفزات ملحوظة لتطوير أساليب القمع والارهاب مع محاولة تحديث الاجهزة الامية .

أعتقل هؤلاء الاخوة المجاهدون ظلماً ، بيد أن النظام الظالم بالغ في نشرتهم زائفة قديين الرساليين ، وتسلب حقوقهم وتهتك حرمتهم ، وترفع لواء آل خليفة معتمدين في

ذلك على شبكة اعلامية تضليلية تشترك معها وسائل الاعلام الاستكبارية لتصنع سحابة داكنة تلتصق التهم بالمؤمنين ، وتضلل الرأي العام الاسلامي والعالمي ، حتى يعتقد السامعون بأن النظام هو الفضحية لا غير . نشر الاعلام البحريني تهم تغيير النظام بمحاولة انقلابية ، وأنباء عن قتل مسؤولين حكوميين ، وألصقها بالمؤمنين الثلاثة والسبعين ، ولكن خابت آمالهم ، لما لم تمر كذبتهم المفصوحة عن الآذان الواعية .

مما دفعه الى محاولات التضييق على الرساليين في سجنهم ، إذ لم تتحقق مقومات المحكمة العادلة إنسانياً . فلم تجر المحاكمة (العسكرية) علينا أمام أعين الشعب ، وحتى لم يسمح للمسجونين مقابلة ذويهم حتى الآن سوى مرة أو مرتين ، ومن وراء حجاب كثيف من الستائر الامنية المكثفة ، مما يؤكد أن النظام فشل في الصاق التهم بهم .. ونحن من هنا ندعو الحكومة البحرينية بمطالب عديدة كان من المفروض توفيرها للاخوة الرساليين :

• فلم لم تسمح دساتير النظام الخليفي بظهور الاخوة المعتقلين على شاشات التلفزيون يشرحون ظروف اعتقالهم ؟

• ولماذا لم تفتح الحكومات الباب لتوكيل محامين ، يقومون بمهنتهم اعتماداً على الشرف الانساني وعلى مجريات القضية وتفصيلها ؟!! وتضع مكانهم محامين مرتبطين حتى النخاع بمصلحة النظام الحاكم .

• وماذا يفسر عدم مقابلة المحامين المأجورين (للمتهمين) .. على رغم تشدد نظام آل خليفة بالدفاع عن حقوق الانسان ، مكماً في ذلك لدول عديدة تركت حقوق الانسان جانباً ، لتتهم بحقوق الحيوانات ليس إلا !! .

فوائد اعتقال الأخوة المجاهدين :

إن السؤال الذي يراود الكثير من الناس هو: ماهي الفوائد التي جناها الشعب من اعتقال النظام الحاكم لهذه الطليعة الاسلامية ؟

مع العلم أن بعضاً منهم تراوده فكرة الجنوح لمهادنة النظام المجرم والتصفيق له ، والسكوت عن الحريات المشروعة ، وابتعاداً عن الصعوبات الشاقة التي سوف تواجه القائمين على التحرك .

قبل الاجابة على السؤال المتقدم ، هناك ملاحظتان ينبغي التوجه لهما ، وهما :

١ - آثار التعذيب الجسدية :

إن أغلب هؤلاء المعتقلين أصيبوا بعاهاات مستديمة جراء التعذيب المتواصل ، وربما حاز نظام آل خليفة على المرتبة الاولى في العالم بشأن استمرار التعذيب مع المعتقل منذ أول يوم للاعتقال الى الاخير . والملاحظ في وجبات التعذيب كلها ، أنها ليست لانتزاع اعترافات كاذبة فحسب ، بقدر ما هي عقوبة وانتقام وثار... كلما واجه المسؤولون البحرانيون ثمرة من ثمار الحركة الاسلامية المجاهدة في طول عرض البحرين سواء من انتشار المنشورات الاسلامية ، الى رصاصات الالسنة الثورية الفاضحة لجرائم النظام ، هذا الذي يدفعه الى زيادة تعذيب المعتقلين ، وأساليب التعذيب معروفة للجميع ، فالارجل تحفر بالآلات الحرق ، والسجائر تطفىء في الاجسام العارية ، إضافة الى استخدام بعض الآلات الاليكترونية الحبيثة ، مع التركيز على ألوان التعذيب النفسي لايقاع الهزيمة المرة داخل نفوس المعتقلين .. فالجلادون لا يتورعون عن إهانة أعز المقدرات الاسلامية عند الانسان المسلم ، وهو تمزيق القرآن الكريم أمام أعين المجاهدين ، و يركزون أيضاً على النقاط الحساسة في الانتماء العقيدي للانسان مثل إهانة بعض الائمة الاطهار والنيل من فاطمة الزهراء (ع) سيده نساء العالمين الذين يعتبرون مثلاً للقيم وقدة للفضائل ورموزاً لرسالات السماء جميعاً .. كل هذه الوسائل لتمزيق الروح الثورية عند المجاهدين .

٢ - تصفية الحركة الاسلامية :

إن هدف الانظمة الحاكمة من عمليات الاعدام الجسدي أو الاعتقال أو التهجير يتمثل في المحاولات اليائسة لاقناع الجماهير بالسكوت عن فضائحهم ، وافقادهم الامل والثقة بحركات التغيير الاسلامية .

بعد استعراض هاتين الملاحظتين نجيب على التساؤل الماضي حول فائدة اعتقال الاخوة المجاهدين .

في البداية نقول : ان من ينطق بهذا التساؤل في الاوساط الشعبية ، هو ناطق من

حنجرة النظام الشيطانية، لان النظام بذاته يستهدف من سائر خططه وأساليبه إيصال الشعب الى مرحلة يعتقد فيها بأن النظام حقيقة قائمة لا يمكن تبديلها بالجهود الشعبية المتكاثفة.

إن هذه الحركة بذاتها تعتبر بذرة جيدة في ظلام البحرين .. مع التركيز على أن شعلة ضوء صغيرة هي انتاج جيد مقابل حالة الظلام المنتشر في مكان ما .. ولهذا يقول المثل الشعبي «بدل أن تلعن الظلام .. أضى شمعة» ... وهذا ما يشبه وضع البحرين، فالظلم .. ظلام، والسكوت عن الظلم .. ظلام، والانحراف والجريمة .. ظلام، والوضع القائم على أسس فاسدة .. ظلام أيضاً، فاذا أضيئت شمعة، وأثرت على مساحة معينة، فإن هذا بذاته جيد، لان مواجهة الظلم المنتشر في المجتمع هو وظيفة الانبياء والرسول والائمة والصدّيقين والمجاهدين الذين أراقوا دماءهم في سبيل تحقيق الاحكام الالهية .. ولو أن الانبياء والائمة والصالحين لم يقوموا بدور التبليغ ومواجهة الظلم، لكانت المجتمعات البشرية المتواجدة على هذا الكوكب الآن ضالة فاسدة .. والقرآن الحكيم يؤكد في آيات كثيرة على أن حالة الضلالة كانت تخيم على البشر كما الليل البهيم . بيد أن جهود الانبياء والائمة والصالحين أبقّت على مانرى من معرفة الله ومن قيم العدل والحرية واحترام حقوق الانسان .. وهذا ما يؤكد على أن المهم بالنسبة للمجاهدين هو السعي لايقاف هذا الظلام، ولهذا فلولا جهود أخوتنا الرساليين في الجزيرة العربية والعراق وأفغانستان ولبنان وفي كل مكان .. لما كان الطغاة يدعون للاسلام رسماً ولا إسماً كما قال طاغيتهم الاول بالنسبة للدين (دنياً .. دنياً، ومحواً .. محواً) .

إن الله سبحانه وتعالى يختار رجالاً من أصول كريمة وقلوب زاكية وهمة عالية وإيمان صادق، للدفاع عن دينه .. و يؤكد القرآن الحكيم على ذلك بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم

و يحبونه » .

فاذا وجدت شاباً يتطوع الى الجهاد .. و يقدم نفسه في ميادين الوغى، و يضحى بكل ما يملك ... فهو مختار من قبل الله عزوجل، لأن من ينخرط في سلك الجهاد، فهو من خاصة أولياء الله الذين اختارهم لحماية دينه .. وهذا الاصطفاء والاختبار هو لتأدية

أدوار شريفة تبقي للدين آثاره الواقعية في مسيرة الحياة البشرية .
ومن هنا صحت مقولة ان مامن مسجد إلا و يقوم على دم شهيد ، بمعنى أن دماء الشهداء هي حصون مساجد الله ، ولا يخفى على أحد أن الشهادة لا تنحصر في الشهادة الدامية فحسب ، وإنما حتى الشهادة على الامة ، وتجسيد التعاليم الدينية بكاملها ، لكي يكون شاهداً على سائر الناس ، ولا ريب أن أخواننا المعتقلين في البحرين هم من صنف الشهداء بالمعنيين الاسبقين فهم شهدوا على مجتمعهم ، ونال بعضهم وسام الشهادة الدامية تحت ارباب النظام .

(٢)

الأنظمة الظالمة .. بيوت عنكبوتية !!

إن سائر الأنظمة المتفرعة تتغذى على حالة اجتماعية ظالمة قائمة في العالم .. هذه الحالة تقسم العالم الى صنفين ، صنف المستكبرين ، وآخرهم المستضعفين ، والمستضعفون في هذا العالم ظلموا مرتين ، الاولى من طغاتهم هم ، والثانية من طغاة الاستكبار العالمي — كأميركا وفرنسا وبريطانيا — الذي نمى نفسه من ثروات المستضعفين ، فزرع شبكات التجسس ، وطور وسائل التخريب والتضليل ، وزاد من طرق افساد الضمائر الحية .. وفي الحقيقة أخذ هذا البناء الاستعماري يستحوذ على جهود الاسلاميين للقيام بحالة الهدم أولاً ، لان هدم هذا الهيكل الظالم بحاجة الى سنين عديدة ، فالاستعمار بنى أساسه — مثلاً — خلال ثلاثمائة عاماً قاموا فيه باستعمارنا واستعبادنا وتضليلنا والاحاطة بنا ، بيد أننا لا بد أن نظور من سرعة العمل حتى نزيل كابوس الاستكبار باذن الله عزوجل .. مشر كوريش مثلاً نصبوا أصنامهم وكونوا مجتمعهم الجاهلي خلال سنين طويل ، ولكن الله تعالى شأنه قضى على هذا البناء الفاسد خلال ثلاثة وعشرين عاماً بقيادة أكرم خلقه وأعبدهم وأفضلهم ، اذ طوى الله لرسوله الزمن للقضاء على جميع مكتسبات الجاهلية البائدة .. هذا بالطبع اذا كان لافراد التغيير الجديد سمات خاصة تمكنهم من طوي المراحل الزمنية ، أما اذا كان أفراد التغيير يشبهون الناس العاديين ، فانهم بحاجة الى فترة أطول للوصول الى الانتصار ، لكن بالتأكيد هذه

الفترة ستكون أقصر بكثير من تلك الفترة التي قضاها المستكبرون في سبيل بناء الصروح الظالمة .

إن أجر المجاهدين والعاملين ليس لاجل الحصول على مكاسب مادية بحتة ، لأن الاجر والثواب يلقاه المجاهدون من الله الذي وفقهم للجهاد في سبيله ، وهذا ما يكفيهم فخرأ الى أبد الآبدين .. وهذا الجهاد له فائدتان :

١ - حصناً للدين :

ان الجهاد في سبيل الله هو حصن التعاليم الدينية ، فالكثير من الناس ولدوا في بيت مسلم ، بيد أن بهارج الدنيا وزخارفها تساهم في حدوث حالة انحرافية لديهم ، بينما المجاهدون يتحصنون بذاتهم عن الانحراف ، ويحصنون المجتمع كذلك .

٢ - أجراً من الله :

إن الاجر العظيم هو عند الله .. إذ أن قيمة الدنيا لا تقاس بالنسبة للآخرة ، وهناك بعض التقديرات العلمية تؤكد أن عمر الارض ألفا مليون سنة .. وهذه رواية تؤكد ذلك أيضاً عظم خلق الطبيعة :

«خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : سلوني فاني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أجبته فيه لا يقوها بعدي إلا جاهل مدع أو كذاب مفتر . فقام رجل من جانب مسجده في عنقه كتاب كأنه مصحف وهو رجل آدم ضرب [خفيف اللحم] طوال ، جعد الشعر . كأنه من مهودة العرب ، فقال رافعاً صوته لعلّي : أيها المدعي ما لا يعلم والمقلد ما لا يفهم ! أنا السائل فأجب . فوثب به أصحاب عليّ وشيعته من كل ناحية فهمّوا به فنهزم عليّ (عليه السلام) فقال لهم : دعوه ولا تعجلوه ! فإنّ الطيش لا تقوم به حجج الله ولا به تظهر براهين الله . ثم التفت إلى الرجل وقال له : سل بكلّ لسانك وما في جوانحك فإني أجيبك ، إن الله تعالى لا تعتلج عليه الشكوك ولا يهيجه وسن . فقال الرجل : كم بين المغرب والمشرق ؟ قال عليّ (عليه السلام) مسافة الهواء . قال : وما مسافة الهواء ؟ قال عليّ (عليه السلام) دوران الفلك ؟ قال الرجل : وما قدر دوران الفلك ؟ قال : مسيرة يوم للشمس . قال الرجل : صدقت .

قال : فمتى القيامة ؟ قال : على قدر قصور المنية وبلوغ الأجل . قال الرجل : صدقت ، فكم عمر الدنيا ؟ قال عليّ : يقال سبعة آلاف ثم لا تحديد . قال الرجل : صدقت ، فأين بكة من مكة ؟ قال عليّ : مكة من أكناف الحرم ، وبكة موضع البيت . قال : فلم سميت مكة مكة ؟ قال : لأن الله ملك الأرض من تحتها . قال : فلم سميت بكة ؟ قال : لأنها بكت رقاب الجبارين وعيون المذنبين قال : صدقت ، وأين كان الله قبل أن يخلق عرشه ؟ قال عليّ : سبحان من لا تدركه كنه صفته حملة العرش على قرب زمراتهم من كراسي كرامته ، ولا الملائكة المقربون من أنوار سبحات جلاله . وحك ! لا يقال أين ، ولا ثم ، ولا فيم ، ولا لم ، ولا آسى ، ولا حيث ، ولا كيف . قال الرجل : صدقت ، فكم مقدار ما لبث الله عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ؟ قال : أحسن أن تحسب ؟ قال : نعم ، قال : لعلك لا تحسن ! قال : بلى ، إني لأحسن أن أحسب . قال عليّ (عليه السلام) : أفرأيت لو كان صبّ خردل في الأرض [حتى] سدّ الهواء وما بين الأرض والسماء ، ثم أذن لمثلك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق إلى المغرب ، ثم مدّ في عمرك وأعطيت القوة على ذلك حتى تنقله وأحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء عدد اعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ، وإنّا وصفت لك ببعض عشر عشر العشير من جزء من مائة ألف جزء ، وأستغفر الله من القليل في التحديد . قال : فحرك الرجل رأسه وشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله» (١) .

إن غاية المجاهدين الحقيقية لا تنزل الى درجة التفكير في راحة الدنيا ومستقبل الرفاه بالجاه والمال والسلطان .. كلا !! ولهذا فهم يدعون ربهم بالشهادة في سبيله ، وإن شئت حكمته تعالى أن يريهم النصر ، فهم راضون بأمر الله ، لانهم يستأنسون بالجنة الخالدة وما فيها .. وتأكيداً لهذه الفكرة فان بعض أصحاب الرسول الاكرم (ص) حين أخبرهم بوقوع فتنة من بعده ، طلبوا منه بأن يدعوهم بالشهادة أو الموت ، حتى لا يقعوا في شرك الدنيا .. وهكذا المجاهدون الاسلاميون المعاصرون يعشقون النصر ، ولكنه لا يستحوذ على جل تفكيرهم ، كونهم يرومون ببصرهم خيرات الجنة لا مكاسب الدنيا

الزائلة .. ومن هنا فنحن ماضون على طريق الجهاد والثورة ، واذا تمكنا من القضاء على قطعة من الظلام العالمي ، فان ذلك سوف يكون حافزاً لنا للقضاء على باقي القطع الظالمة حتى يأذن الله بأمره . ولعل مثال مؤمن آل فرعون الذي تحدى فرعون على رغم أنه قريبه ووزيره ، ودافع عن نبي الله موسى (ع) ، حتى أمر فرعون باعتقال هذا المؤمن وتعذيبه وقتله ونشره بالمناشير ، ثم احرقه واذراء رماده في البحر ، لكي لا يبقى له أثر في هذه الارض .. مع ذلك يخلد الله سبحانه وتعالى هذا الموقف فيقول في سورة غافر :

« فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب .»

وكذلك مؤمن آل ياسين الذي تحمل كل ما صبه عليه النظام الظالم من تعذيب وإهانة وعنف .. يقول تعالى فيه :

« وقيل أدخل الجنة * قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين .»

إذ تمنى في ذلك اليوم أن يكون قومه السائرون على منهجه معه للتعلم بهذه النعمة .

وكذلك النبي الأكرم (ص) إذ يخاطبه الله سبحانه وتعالى في سورة غافر قائلا :

« فاصبر ان وعد الله حق * فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون .»

فمع محاولات الطغاة لاثناء المجاهدين عن السير في طريق الثورة ، فانهم لا محالة ساقطون كأوراق الخريف .. وبالتالي سوف يرجعون الى ربهم .. وهذا ما يستلزم من المؤمنين الجهاد في سبيل الله والانتصار لقيم الحق والفضيلة ، وأما بالنسبة للنصر ، فانه قريب ..

« ألا إن نصر الله قريب .»

وهذا النصر هو العيش في ظل القيم الالهية أو في طريقها بالنسبة للمجاهدين ، وقد جسدت الاخوة المجاهدون في البحرين ذلك حين خرجوا في ذكرى شهادة الرسول الأكرم (ص) لهذا العام في مظاهرات صاحبة جابت شوارع بعض المدن هناك رافضة لسياسات آل خليفة ، ومنذدة بالوجود الامريكى في الخليج ، ومؤكدة على الحالة الاسلامية المتصاعدة هناك ، على رغم محاولات الافساد من قبل نظام آل خليفة الذي

يسعى الى نشر الفساد في البحرين ببيع أعراض النساء مقابل البترودولار والاجانب ، ونشر الخمور ودور البغاء ، لتشويه شخصية الشعب البحريني الغيور.. لكن الغيرة الاسلامية ورفض النظام .. جعل الحجاب منتشراً في أوساط النساء البحرانيات مؤكدين على رفضهم المتجدد لكافة الطغاة والتزامهم الاصيل بالتعاليم الاسلامية .

وهذا الانتشار الواسع لصدى الاسلام في البحرين ما كان يكبر لولا اعتقال ثلاثة وسبعين مؤمناً من أفراد الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين ، ولولا الشهداء وجهود الحركة الرسالية المهاجرة ، لكان نظام آل خليفة يقضي على ما تبقى من الاسلام . مما يؤكد على أن القوة فقط لاتلعب الدور الاكبر في رسم بعض معالم الحياة ، بقدر ما تؤثر في شكله الاكبر البصيرة الايمانية ، فهذه أميركا اعتمدت على قوتها واقتصادها المتين .. ولكنها تتعرض الى هزة اقتصادية فور الهجوم العدواني الامريكى على منصتي نفط تابعة للجمهورية الاسلامية ، إذ سقطت الاسهم في بورصة نيو يورك وسائر الاسواق العالمية ، ودخل العزاء في كل بيت من بيوت الامريكيين والبريطانيين والفرنسيين بسبب ذلك ، مما يعي أيضاً ان الاعتماد على هذه الاسواق المالية هو اعتماد على بيت العنكبوت ..

« وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت » .

إن النظام المالي في العالم لايسير بصورة صحيحة ، كون مجموعة من الرأسماليين الكبار يمسون زمام الاسهم في الاسواق ، وبمجرد الهجوم الامريكى يخسرون (٥٠) مليار دولار حسب قولهم ، بينما أكدت اذاعة موسكو ان الخسارة تجاوزت (٥٠٠) مليار دولار .

مما يعني أن النظام الاستكباري قد اهتز ، وسيأتي التاريخ ليعلم بأن هذه اللحظة كانت بداية انهيار أميركا . وقد أكدت ذلك مؤخراً حين قلت ان صراع أميركا في الخليج ، ليس فقط ينتهي باذلالها ، وإنما سوف ينتهي بتحطيم حضارتها .. وأكرر القول ان الخليج ليس فيتناماً جديداً على أميركا ، بل هو على كافة مكتسباتها الحضارية والاقتصادية ، واذا لم يقتنعوا بذلك ، فانهم سوف لن يروا منا إلا الدفاع المقدس عن الدين والنفس حتى الانتصار باذن الله .

العراق نحو تطوير نوعي

بسم الله الرحمن الرحيم

«واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين * قوم فرعون الا يتقون * قال رب اني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطق لساني فأرسل إلى هارون * ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون * قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون * فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين * أن أرسل معنا بني اسرائيل * قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين * وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين * قال فعلتها إذأ وأنا من الضالين * ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين * وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل » .

— صدق الله العلي العظيم —

(الشعراء / ١٠ - ٢٢)

(١)

الحركة النوعية سلاح الثورة التغييرية

حين تنحرف المسيرة البشرية عن الصراط الالهي المستقيم انحرافاً كبيراً .. فانها تكون بحاجة ماسة إلى عمل كبير يشبه تغييراً جذرياً أو تطوراً نوعياً يضمن عودة هذه المسيرة إلى رشدها الطبيعي .

وقد تجل هذا العمل الكبير في التأريخ ببعثة الانبياء عليهم افضل الصلاة والسلام الذي أحدثت تغييراً نوعياً هائلاً في مسيرة الاقوام البشرية السابقة ، بما هي مجتمع ، لا بما هي فرد واحد ، باعتبار أن الانسان الواحد لو انحرف عن مسيرة الحق ، فان امكانية إعادته إلى الطريق الطبيعي تكمن في عدة طرق من ضمنها النصيحة أو الامر

بالمعروف والنهي عن المنكر أو الضغط عليه ، ومن ثم فرض عقوبات متزايدة عليه ترجعه بالتالي الى رشده ، بينما إذا انحرف مجتمع بأكمله عن الطريق السليم ، فإن هذا المجتمع سوف يدعم بعضه بعضاً في تكريس حالة الانحراف بين اوساطه ، مع التأكيد على أن ديناميكية المجتمع الداخلية تكون قوة ضاغطة ودافعة في تكريس مسيرة الانحراف الاجتماعي ، على رغم أن هذه الديناميكية قادرة على رفد مسيرة الصلاح والاستقامة عبر دعوة شخص واحد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويستمر في الجهاد حتى إعادة الامة الى المسيرة الصحيحة — مقابل كافة القوى الضاغطة — ولقد تحدى رسول الله محمد (ص) كل هذه العوامل في سبيل هذه العودة ورفض أية مساومات للتراجع عن أهدافه الالهية ، فمرة سمع منادياً يقول له : أعطيك ثلث أموالي مقابل التخلي عن دعوتك .. وأتبعها المنادي ثانية اعطيك نصف أموالي .. وقال ثالثة : اعطيك كل أموالي .. فلم يلتفت إليه الرسول (ص) ، ولما ألتفت رأى جبريل (ع) هو المنادي ، قال الرسول (ع أنت الهاتف) فرد عليه بالايجاب قائلاً : لقد أردنا أن نمتحن مدى ايمانك وحبك لربك ..

إن جهاد الانبياء استمر تحقيق الكلمة الالهية رغم كل الصعوبات والمشاكل التي واجهتهم ، فالرسول الاكرم (ص) قال ذات مرة اظهراً لمدى الاذى الذي لاقاه في طريق تبليغ الرسالة .

« ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت » .

ولعلّ كلام النبي متعلقاً بالاذى المعنوي أكثر مما كان يتعلق بالاذى الظاهري والمادي ، والنبي موسى بن عمران (ع) كان يقول دوماً : إن صدري ليضيق من كلام الاراذل والابواب ضد المقدسات الالهية — وهذا مما يدفعني الى عدم التحمل — والمعروف ان موسى (ع) كان شديداً في الله ، والقرآن الكريم يؤكد على هذه الحالة بقوله :

« ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون * وهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون » .

عندما قتل موسى واحداً من قوم النظام الحاكم ، اعتبر في نظر محكمتهم الظالمة

مجرماً .. والخوف الذي تصرح به الآية المتقدمة لا يعني خوف موسى (ع) من القتل لذاته .. بقدر ما كان يرى في القتل قتلاً لاستمرار الرسالة ، فأجابه الرب :
« قال : كلا » .

كلمة (كلا) قليلاً ما تستخدم في القرآن باعتبارها ذات مدلول عنيف خصوصاً فيما يرتبط بين الله عز وجل وبين رسله .. ولكن الله سبحانه وتعالى استخدم هذه الكلمة في هذا الموقف بالذات للتأكيد على أن هذه العقبات لا يمكن أن تكون عقبة أمام المسيرة الرسالية .. صحيح أن المشاكل وخطر المواجهة مع المعارضين وضيق الصدر وحدة الصراع يكون تنوياً لحالة الصراع ، بيد أن ذلك لا يمنع أبداً من استمرار مسيرة الانبياء الجهادية مقابل حالة متصاعدة من الركود والانحراف وتراكم الخبائث في المجتمع .. وهذه المسيرة تؤتي ثمارها كما نور الشمس في وسط الظلام حين تشرق إشراقة هائلة ، فلا تدع مجالاً لانتشار الظلام ، أو حتى بقائه في زاوية صغيرة من نواحي الكوكب الأرضي .

(٢)

الحركة النوعية جسر انتصار الحركة الاسلامية في العراق

في بعض الاحيان تكون الشعوب الراضية تحت ظلم الانظمة الفاسدة بحاجة الى مثل هذه الحركة النوعية للتخلص من حالة الاستضعاف .. فمثلاً بالنسبة للشعب العراقي والاضاع المحيطة به من تركيبه النظام الفاسدة واستخدامه لأساليب ارهابية شيطانية ، مع الدعم الخارجي السياسي منه والعسكري والاقتصادي .. إننا تجاه تداخلات هذا النظام لا يمكننا أن نقوم بحركة بسيطة لتبديل مجمل الوضع في العراق عبر الحديث مع هذا أو ذاك ، أو كتابة منشور أو رفع بندقية واحدة تواجه النظام .. كلا .. إنما الوضع الفاسد في العراق بحاجة الى نهضة تغييرية شاملة تبدأ من أنفسنا ، لتنتهي إلى كل أفراد الأمة .. وهذا التطور النوعي والحركة الحضارية تعتمد بشكل أساسي على الاستلهام بصائر المدرسة الشورية التاريخية المتمثلة في هدى الانبياء وطرق عملهم ومواجهتهم للظروف ، حتى يتبعها النصر الاسلامي ، وإذا لم يكن ذلك ، فإن مسيرة الليل المظلم والارهاب الواسع سوف تزداد وتتكثف بشكل أوسع بكثير ، بمعنى آخر أن مسيرة النصر

الثورية سوف تتأخر مع وجود بعض الجهود المخلصة لتبديل الوضع الفاسد في العراق ، كون شمعة صغيرة واحدة لا تستطيع تبديد أمواج متلاحقة من ظلام النظام .. لأنه بحاجة إلى شمس ذات تأثير أكبر وعلى مسافة أوسع .. ونور الشمس موجود عند أبناء الحركة الاسلامية وهو تعاليم القرآن الحكيم وتوجيهات الرسول الاكرم (ص) وتوصيات نهج البلاغة مع سيرة باقي الائمة الاطهار عليهم السلام .

ان المجتمع الاسلامي في عهد الامام علي (ع) كان بحاجة الى حركة تصحيحية تشمل على حالة من الاستقامة والصبر والنصيحة عبر استخدام طرق فنية متنوعة لتحقيق هذا الهدف .. فاطمة الزهراء (ع) والامام الحسن (ع) كذلك اتبعنا نفس الاسلوب لتصحيح المجتمع .. ولكن حين ركب يزيد شارب الخمر واللاعب بالفهود والمستهين بكل القيم الايمانية ، زمام السلطة تماماً معتمداً على إيغال حركة الفساد في المجتمع .. اختلف الامر تماماً ، مما يعني ضرورة تبديل طرق المقاومة وإيجاد حركة نوعية في اسلوب الحركة الرسالية انئذ .. ومن هنا كانت ثورة كربلاء المشفوعة بدماء الامام الحسين (ع) تتويجاً لاسلوب جديد اتبعه الامام الحسين (ع) منذ خروجه من المدينة المنورة ومكة المكرمة .. وحركة السبايا وخطابات الامام السجاد (ع) في الكوفة وفي مسجد الشام .. كل ذلك كان دلالة على ملامح جديدة تشمل على عملية شجاعة فيها تحديات وعنق ذاتي .. مثل ما فعلته ايضاً عقيلة الطالبين زينب (ع) حين نظحت بجبينها مقدم المحمل فسال الدم منها .. ليؤكد مسيرة العنف الذاتي ايضاً .

إن القضية الاسلامية في العراق بحاجة الى تطوير نوعي في التحرك لتحقيق الاهداف المطلوبة ، وهذا التطوير بذاته يشتمل على كافة المجالات المختصة بالحركة التغييرية ، مثلاً في جانب العلاقات الاجتماعية .. هذا الجانب في عصر ما قبل التحرك يكون له معالم خاصة مرسومة ضمن الاعراف السائدة في ذلك العهد لتبادل الزيارات أو البدء بالاسلام وغيره من طرف واحد مثلاً .. إن معالم هذه العلاقات الاجتماعية في ظل الحرب مع نظام صدام .. ومع المواجهة ضد مؤامرات الاستكبار العالمي ، ومع الجاهلية الحديثة ذات الجبروت الزائف .. في هذا الوقت بالذات ينبغي أن تختلف معالم هذه العلاقة اختلافاً جذرياً تتناسب مع مرحلة الصراع .. وهناك قصة لطيفة حدثت في

ايران تؤكد على هذه الحالة الجديدة ..

* غضب ناصر الدين شاه على أحد العلماء المجاهدين في اصفهان بسبب تحركه النشط في سبيل تطبيق احكام الله عزوجل فبعث برسالة إلى أبيه الوالي على هذه المحافظة ، يأمره فيها بارسال هذا العالم مخفوراً إلى طهران — كون الحكام الظلمة عادة يستخدمون بعض المفاهيم الجاهلية السائدة ضد معارضيتهم مثل أنهم دولة داخل دولة .. على رغم ان حكومة الله فوق كل حكومة بشرية — وكان في طهران وقتها عالمان يختلف منهجهما .. إضافة الى شبه القطيعة الظاهرية بينهما . وقبل أن يؤتى بالعالم الى طهران ، ذهب أحد هذين العالمين في منتصف الليل إلى بيت الآخر ، ولعله كان الاكبر سنأ والاكثر علماً واجتهاداً والأشهر سمعة .. فقال صاحب البيت من الطارق ؟

فأجاب العالم الأول .. حينها تعجب العالم الآخر من سر مجيئه في منتصف الليل ، فسأله عن ذلك ؟ فقال : إن بيني وبينك ما صنع الحداد .. لكن الاسلام — الآن — في خطر ، وقد انبثت ان عالم اصفهان المجاهد يؤتى به غداً مكبلاً بالحديد إلى طهران ، وإذا جاء على هذه الحالة ، يعني اهانة الاسلام وإذلاله .. وهذا مما يعترض عليه نحن الاثنان أن ندعو الناس كلهم إلى استقبال هذا العالم على الملأ غداً .. واتفقا على ذلك لاظهار الاسلام .. فما إن أصبح الصباح حتى جاء منادٍ عن أحد العالمين يأمر الناس باستقبال العالم الاصفهاني .. مرت دقائق وإذا بمناد العالم الآخر يأمر بذات الطلب ، ناصر الدين شاه كان جالساً على إحدى شرفات قصره ، فسمع نداء العالمين ، متعجباً ، لعلمه باختلافهما ، فقال لرئيس وزرائه : لقد اتفق هذان العالمان ضدنا .. فما العمل ؟

قال له : لا بد أن نذهب نحن ايضاً لاستقبال هذا العالم ، لأن اهل العاصمة اعتبروا ذلك اليوم عطلة شبه رسمية .. وهكذا تبدلت الحالة في وقت الخطر لصالح الاسلام ، ومن هنا فان وضع العراق بحاجة الى تغيير نوعي لكافة المفاهيم السابقة يضمن تحقيق النصر في هذه المرحلة الراهنة .. ولعل الدافع إلى ذلك هو الإحساس بالتطور الهائل الذي أحدثه الاعداء في جميع أجهزتهم لمقابلة الحركة الاسلامية .. فمثلاً أنشأوا مئات المراكز الدراساتية لدراسة الحركات الاسلامية .. وقبل ثلاثة اسابيع عقد مؤتمر حاشد في العاصمة الاميركية لدراسة الحركات الاسلامية في الشرق الاوسط وبالذات دقائق

وحقائق هذه الحركة في ايران والعراق .. وبالطبع إن نتائج هذه الدراسات تصب بعدئذ في جيوب المخابرات الاميركية والاستخبارية .. لتتحول بعدئذ الى توصيات وأوامر للنظام العراقي وسائر الانظمة العميلة .. ولعل من ضمن هذه التوصيات برنامج « العفو » الجديد الذي طرحه نظام صدام لابناء الحركة الاسلامية ، وكأن ابناء هذه الحركة هم المجرمون .. وهو الضحية .. إن نظام صدام هو المجرم .. ومن أظهر جرائمه هذه الحرب العدوانية التي ذهب ضحيتها مليون شخص تقريباً .. إضافة الى مئات المليارات من الدولارات من ثروات الشعبين المسلمين .. وبالتالي لايقاف حضارة الامة .. إننا لن نعفون نظام صدام .. لأن أي صاحب ضمير انساني حي لا يمكن ان يفكر بالعفو عن صدام .. مع العلم انه نطق مراراً في اذاعته ببرامج « عفو » .. لكن لافائدة من هذه البرامج في ظل نار السجن الكبير في العراق .. إن الاوضاع في العراق تزداد سوءاً .. فقد أعاد نظام صدام مؤخراً اعداداً كبيرة من المرتزقة البعثيين في الخارج الى الداخل ، وبسبب عدم توفر الاموال والمساكن التي أكلتها نارقادسيته المشؤومة ، يأتي بهؤلاء ويفرض على العوائل الشريفة تخلية غرفة واحدة من بيوتهم لسكن هذا المرتزق الفاسد ، الذي يطلع بعد ذلك على كل اسرار العائلة ، بل وقد يمارس دور الفساد فيها .. إن عظم القضية الاسلامية في العراق يحتم ايجاد حركة نوعية بحجم هذه الحالة .. ولعل المثال الواضح في هذه الايام على مثل ذلك هو حركة الشعب الفلسطيني المسلم .. فبعد احتلال فلسطين على يد الصهاينة الغاصبين قبل اربعين عاماً تقريباً ، أصيب بعض الفلسطينيين بهزيمة نفسية بسبب ابعادهم من أرضهم .. ولكن بعد عشرين عاماً بدأت الحركة الثورية تدب في نفوسهم حين أحسوا بواقع المآسة ، فشرعوا في تغيير المعادلة .. كونوا مجاميع عديدة .. واصلوا عملهم ليل نهار .. حتى أن بعضهم كان يعمل في اليوم الواحد ثلاث مرات .. اطفالهم كان يأخذون عادة المراتب الاولى في الدراسة .. وقامت هذه المجاميع بجمع الاموال والتدريب على السلاح العسكري حتى يعيدوا كرامتهم المغتصبة .. وفعلاً هم الآن على أبواب نصر قريب ضد الصهاينة .. ولعل العملية الاخيرة التي قام بها شاب فلسطيني بطائرته الشراعية ذات المحرك الصغير والمشملة على نوع من التقنية المتقدمة ، حيث هبط بطائرته ، وقتل جندياً من الصهاينة ،

أخذ سيارته ودخل بها معسكراً اسرائيلياً في الخليل شمال فلسطين ، فقتل ستة من الجنود والضباط الصهاينة وجرح الكثير منهم ، ثم استشهد رضوان الله عليه .. وأثار الرعب والذعر في أكثر الأجهزة العسكرية الاسرائيلية في كافة الاراضي المحتلة .. إن هذه العملية ذات تطور نوعي في حركة الجماهير المسلمة في فلسطين ، كما أن العملية التي قام بها شاب مسلم في الحدود المصرية الاسرائيلية إذ قذف قنبلتين يدويتين على حراس صهاينة تعتبر من هذا القبيل على رغم محاولة وزير الدفاع المصري المشير عبد الحليم أبوغزالة من تصغير هذه العملية البطولية .

إن ابناء الحركة الاسلامية كافة مدعوون الى التفكير الجدي بحجم القضية الكبيرة التي يعايشونها .. وقضية الصراع المعاصر ذو شكل كبير حتى ان الامريكيين يدخلون المنطقة باسطوهم العسكري ، و يضغطون على رؤساء دول المنطقة الضعاف لاعطاء تسهيلات عسكرية للاسطول الاميركي ، سابقاً كان هؤلاء الرؤساء يعطون تسهيلات عسكرية في الخفاء كما هو حاصل في البحرين والجزيرة العربية ، بيد أن هذا اليوم تنكشف عمالتهم بشكل واضح .. خصوصاً حين استجابت الكويت لطلب اميركي باعطاء تسهيلات عسكرية عبر قاعدة عائمة في المياه الاقليمية الكويتية .. هذا الذي يدل على حجم الخوف والذعر الذي انتاب الاستكبار العالمي بسبب نمو وتصاعد الحركة الاسلامية بالذات في العراق ، على رغم علمهم ايضاً ان دعمهم الهش للانظمة العميلة لا يمكن أن يقف أمام معركة الموت والحياة التي يخوضها المجاهدون الابطال في معارك حاسمة كمعركة صفين وحنين وحتين .. وهذا مما يدفعهم بشكل أقوى إلى إيقاف التيار الاسلامي المتصاعد .. حتى بتعاونهم العلني مع الانظمة العميلة .. وهذا الذي يكشف واقع العمالة للاستكبار في المنطقة ، إذ كانت مؤامرة عمان بداية لتساقط أوراق سوءات الانظمة .. وهذا بدوره يصنع قناعة أكيدة لدى كل مسلم حر بعمالة هؤلاء .. هذه القناعة التي تحتم عليه الانخراط في سلك المقاومة والرفض لهذه الانظمة العميلة والفاصلة .

العراق نحو دور اكبر للشعب

بسم الله الرحمن الرحيم

« ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً * وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفوراً * استكباراً في الارض ومكر السيء ولا يجيق المكر السيء الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً * أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الارض انه كان عليماً قديراً * ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً » .

صدق الله العلي العظيم

(٤١-٤٥ سورة فاطر)

لعل أبرز ما توحى به آيات الذكر الحكيم ، فكرة المسؤولية التي يسعى القرآن الى تركيزها في ذهنية البشر بين آية وأخرى ، ورغم ان دلائل المسؤولية وشواهدا تحيط بالانسان ، الا أن نفسه — في أكثر الاحيان — لا تتقبلها ، بل تسعى لاجل التملص منها والابتعاد عنها ، ومن ثم القاؤها على أي شخص آخر للتحلل من التزاماتها . والآيات التي توجنا بها الحديث من سورة فاطر ، فيها تأكيد مستمر على أن الانسان ليس — فقط — مسؤولاً عما يجري عليه كمشخص ، بل هو مسؤول عما يجري عليه وعلى الآخرين كأمة .. بتعبير آخر ان الانسان ما دام يمكث في سفينة واحدة مع الآخرين ،

فانه يتحمل مسؤولياتها ، وحين يخرق أي راكب من ركاب السفينة جانباً منها ، سيعم البلاء الجميع .. وآئذ لا يمكن لأي واحد من ركابها أن يبرر سكوته عن خرق السفينة بحجة انه لم يخرقها .. لان السفينة في النهاية ستتطاو لها أمواج البحار ، بينما ستبتلع الامواج ركاب السفينة .

وآئذ لا تجدي التبريرات والمعاذير .. فنقول : لماذا أغرق ؟ وأنا لم أكن المتسبب بالخرق ؟!

ويعتبر الفساد من الأمور التي يمكن أن يستشري في أي بلد اذا لم يتصد له أحد ، فلو نما المفسدون في بلد ما ، وكونوا شبكة متكاملة من المفسدين والمجرمين ، ثم سيطروا على السلطة السياسية ، فان مصير البلد سيكون في دمار هائل .

« مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من

(سورة ابراهيم - ٢٦)

قرار»

ونجد مثالا واضحاً لهذا الفساد « المبرمج » في العراق حيث امتلك صدام زمام السلطة بمساندة مجموعة من المجرمين والمترفين والمستكبرين ، ثم نزوا على أريكة الحكم كما تنزوا القردة ، وبات يفعل في العراق كل ما تملي عليه نفسه وشهوته فيسير على نمط أسياده .. لوحدث ذلك ، هل يصح لاحد من شعب العراق أن ينفي المسؤولية عن نفسه و يتملص منها ؟

كلاً .. لوحدث مثل ذلك الشيء ، فان هذا الشخص لن يسلم من المأساة التي ستلحق به شخصياً - أيضاً - كما تلحق بقية الشعب العراقي .
« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

قوة الله تتحدى قوة الطغاة

الآيات الكريمة التي قرأت في بداية الحديث تؤكد بيان حقيقة ان الحاكم المطلق وصاحب الولاية في هذا الكون هو الله .

« ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من

بعده انه كان حليماً غفوراً» .

والاطار العام لبصائر القرآن الحكيم يوضح ان الله ليس — فقط — خلق الكون ، بل انه لا يزال يهيمن عليه و يدير أموره وشؤونه فهو سلطان واقعي وحقيقي في هذا العالم ولا يصعد نَفْس ولا تسقط ورقة في أبعد بقعة من غابة كثيفة في هذه الارض المترامية الاطراف ، ولا تتحرك ذرة في هذا الكون الا وكان الله بها عليماً ، فهي تحدث بتدبير مباشر منه سبحانه وتعالى .

لكن البعض اذا رأى استرسال المستكبرين والحكام الطغاة في ظلمهم وجورهم ويسيمون شعوبهم أشد البلاء .. هذا البعض — وللأسف — يفسر هذه الظاهرة خطأ ، ويتصور انها غلبة على سلطان الله .. ليس الامر كذلك ، بل لان الله حليم غفور .

« لا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا

(سورة آل عمران ١٧٨)

اثماً»

كما ان من أبرز الاسباب الرئيسية التي تساهم في تحكم الطاغوت وسيطرته على شعب ما هو التبرير الذي يتعلق به الشعب ، فهو يتعلل بانعدام الرسالة التي توجهه في تحركه .. ويتعلل بالفراغ القيادي الذي يللمم جهود الشعب ويوجه طاقاته .. ويتعلل بضعف الاستراتيجية التي يسير عليها وانعدام فرصة العمل ، هذا كله تبرير واضح ، والله سبحانه وتعالى يقول بصدد ذلك .

« وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما

جاءهم نذير ما زادهم الا نفوراً» .

فالله عز وجل يحذرنا عبر هذه الآية الكريمة من خطر التبرير عبر قصة حدثت لبعض الاقوام السابقة .. حيث قالوا ان جاءنا نذير — قيادة — لنكونن أشد الناس تمسكاً بها .. فلما جاءت الرسالة عبر النذير ، لم يزدهم الا فراراً عن الحق واقتراباً من الباطل .
ويحذر الله عز وجل — كذلك — من خطر النظرة المثالية التي تدعو الانسان الى البحث عن أشياء غير موجودة .. مما يجعله يعلق حركته وعمله على ذلك الشيء المعدوم .
« فهل ينظرون الا سنة الاولين» .

تؤكد هذه الآية مجدداً بأن الانسان الذي لا يعمل في سبيل الله ، فان سنة الله وقانونه

الاهلي سوف يحيط به غير آبه بأمنيات الانسان وأحلامه .

« فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » .

وقانون الله عز وجل الاجتماعي وسنته تتجلى في الآية الكريمة :

« أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد

منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الارض انه كان عليماً

قديراً » .

فكيف انهار الظالمون ؟ وما هي عاقبة أمرهم ؟ وكيف أحاطت سنن الله بهم عبر

مكرهم السيء ؟

ثم يقول عز وجل :

« ولولواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » .

فاذا ما سلك الانسان طريقاً ضالاً ومنحرفاً عن الجادة ، ولم يجد عاقبة عمله

كالعذاب المشين ، قد يغتر بنفسه ، فيسير في غيه سادراً بحجة ان الله لم يعذبه ، على

الرغم من ان الله عز وجل يؤخر العذاب عنهم ، ولكن ليس — دائماً — وانما الى أجل

مسمى .

« ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً » .

وهذه الآية الاخيرة من سورة فاطر ربما توحى بالتهديد والانذار من قبل الله حيث

يعلم من هو المنحرف ومن هو الضال عن الرسالة فيعاقبه عقاباً شديداً .

عاقبة الظالمين

من خلال قرائتنا للآيات المتقدمة ، تتجلى أمامنا صورتان صورة للظالمين ، وصورة

للمظلومين .

• فصورة الظالمين نجد منها مثلاً حياً في العراق حيث قامت مجموعة من المفسدين

باستغلال الفرصة التي اتاحت لهم ناسين ان لهم أجلاً مسمى ، الا انهم تمادوا في ظلمهم

وبلغ السيل الربى .. ففي الفترة الاخيرة لم تقتصر هذه المجموعة الحاكمة على اقحام

الشباب العراقي في هذه الحرب التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل .. وانما بدأت تساهم في

قتلهم عبر التخطيط الساذج للعمليات العسكرية الاخيرة في جبهات القتال ، حتى ان الدوائر الاجنبية اعترفت بسذاجة وضعف هذا التخطيط العسكري ، وقد جاء في احدى الصحف الامريكية :

ان حكام العراق تنقصهم المرونة السياسية والعسكرية ، و يبرز الضعف العسكري الحاد في نجاح مجموعة من قوات الاسلام تتسلل في جنح الليل حين يسود الظلام والسكون الى مواقع الطرف العراقي و يقتحمونها ، ومع انبلاج الفجر تبدأ القوات الاسلامية بتعزيز الاقتحام ومن ثم تبدأ العمليات المظفرة ، وتعجز القوات البعثية برغم امتلاكها لأحدث الاسلحة عن وقف هذا الزحف لقوات الاسلام .

السبب في ذلك ان القيادة العسكرية في العراق لا يمكنها أن تثق بمجموعة من العراقيين .. كون هذه القيادة تدرك ان الشعب والجيش العراقي لا يريدان الدخول في هذه الحرب ، وانما يريدان التخلص من صدام ، ولذلك نراه يلجأ للخدع فيغرر بهم ويرميهم وسط المعركة بحجة عدم وجود ايرانيين ، فيتساقطون صرعى كأوراق الخريف ، ومن ثم يفتخر صدام بهم و يقول : ان القوات الايرانية لم تستطع أن تتقدم الا على أشلاء هؤلاء الابطال ؟!! ان أقل ما يقال في هذا الاسلوب الوقح هو خلوه من أي منطق عسكري واستراتيجي .. فماذا يعني اقتحام منطقة محصنة فيها مجموعة من الباحثين عن الشهادة قبل النصر ؟ انه بطبيعة الحال لا يعني الا الموت ، وهذا ما يريده صدام .

الى متى تستمر الاستهانة بالقيم العسكرية وبالشعب العراقي بجميع شرائحه الامهات .. الزوجات .. الاطفال .. الارامل ، ثم صدام لم يكتف بكل ذلك ، وانما أضاف خرقاً آخر بهتك كل القيم العراقية الاصيلة .. التي هي بالاساس قيم انسانية و اسلامية بالذات .. حيث أقدم على جمع بنات العراق في منطقة صحراوية خلف الجبهة ، ومكوناً لهم مضائف ، بحجة تشجيع الجنود على الحرب ، الا ان هذا — واقعاً — هو تجاوز لكل القيم الاسلامية عبر نشر الفساد في العراق من أقصاه الى أقصاه .. وبالتالي مسخ الشخصية الاسلامية وتحويلها الى شخصية مادية بحتة .

ورغم كل هذا الظلم والتجبر ، يقول الله تعالى مهما تجبر الظالم واستكبر وتعالى في ظلمه ، فان نهايته ستكون أشد ألماً وأسوأ عاقبة بسبب القصاص العادل الذي سيجري

عليه وعلى من يعاونه من قبل اليد الالهية .

« أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الارض » .

ونقرأ في التاريخ ان سفك العراق الحجاج بن يوسف الثقفي الذي يتخذ صدام قدوة له ، حيث سأل سعيد بن جبير عن الطريقة التي يود أن يقتله بها ، فأجابه سعيد : كما تشتهي أن أقتلك يوم القيامة .

ومن هذه القصة يبرز ايمان الرساليين بحاكمية الباري عزوجل لهذا الكون ، واذا عجز سعيد رضوان الله عليه عن أن ينال من الحجاج في هذه الدنيا ، فهو مطمئن الى انه سيقوم بذات الشيء في الحياة الاخرى .

فرصة النجاة أمام المظلومين

أما صورة المظلوم الراضي بالظلم والساكت عنه .. بل لا يكلف نفسه التفكير بمسألة تسلط هذا الظالم عليه .. هذه الصورة يجب أن نقف طويلاً عندها ، ونتساءل : لماذا سلط الله علينا هذا الظالم ؟ وهل ان الله يتلذذ بظلم عباده ؟ حاشا .. لله سبحانه وتعالى أن يفعل ذلك .. بل اننا نحن الذين سلطنا هذا الظالم على أنفسنا وبأيدينا .

فبعد هذه الفترة الطويلة من سيطرة نظام صدام على العراق ، لم نزل نفقد الشجاعة الكافية للجلوس دقائق والتفكير في حل قضية الشعب العراقي ، رغم ان الحديث الشريف يقول :

« تفكر ساعة خير من عبادة سنة » .

ولعل فلسفة ليلة القدر التي هي أفضل من سبعين سنة ، انها تغير خبيثة الانسان وتدفعه الى الاصلاح .. حتى يصبح هذا الانسان نظيفاً وطاهراً ورايحاً لعمره بعد أن كاد يخسره .

والله سبحانه وتعالى أعطى هذه الفرصة الى الانسان ، حتى يستطيع أن يغير ما بنفسه ولو في آخر لحظة من لحظات حياته .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

(١١ - سورة الرعد)

فربما يعيش انسان سبعين سنة على الضلالة ، ولكنه لا يزال يمتلك الفرصة لتبديل وضعه عبر أوسع نعمة يعطيها الله للبشر ، ألا وهي باب التوبة الذي يكون مفتوحاً أمام الانسان الا اذا جاء أجله ، فاذا بلغت نفسه الى الترقوة واتصل بعالم الغيب فسوف يغلق بابه .

أما قبلئذ فان الباب مفتوح على مصراعيه لتغيير النفس الى الاصلح ، ولهذا على الشعب العراقي كله أو فئة قليلة منه أن تجلس وتفكر وتطلب الهداية من الله ، وترسم خطة سليمة لتتحرك على ضوءها ، آئذ ستجد نصر الله عزوجل حيث ينقذهم من الظلم المحيط بهم ، وحاشا له أن يترك عباده طعمة للظالمين .. اذا بدأوا مسيرة التغيير والتوكل عليه .. ويهديهم الى الطريق السليم ، ومن ثم ينصرهم على الطاغوت .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »

(٦٩ - سورة العنكبوت)

الاستقلال والاعتماد على الذات

وأبرز مسألة ينبغي على الشعب العراقي الاهتمام بها في هذا المجال هي مسألة الحركة الاسلامية استقلالا روحياً ومادياً وعملياً ، لأن أبناء العراق اذا اعتمدوا على الثورة الاسلامية في ايران وانتصاراتها المقبلة في الجبهة لتتخذ الشعب العراقي من برائن صدام ، اذا حدث ذلك فلن يقع شيء ، لان القوات الاسلامية في ايران عليها مسؤوليتها وواجباتها ، وهي تقوم بها على أكمل وجه .. ولكن أنت أيها العراقي عليك واجباتك ومسؤولياتك ، و ينتظر دور هام للمساهمة في الاطاحة بهذا الطاغوت ، لأن أولئك الذين قالوا لنبيهم :

« اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » .

سفه الله دعواهم .

لذلك فنحن مدعوون للمشاركة الفعلية في عملية اسقاط الطاغوت وترك الاحلام والتمنيات ، وعلى أبناء الحركة الاسلامية في العراق أن يجلسوا ويفكروا في وضع العراق ومستقبله وتقييم الحاضر ، فلنسر في درب العمل حتى لو لم يؤدنا الآخرون ، وحتى لو

كانت امكانياتنا متواضعة وبسيطة ، فالله لم يربط مصيرك أيها العراقي بمصير ذلك الانسان الذي تنتظر منه أن يقوم بكل الدور .

يقال ان شخصاً كان له صيت الغنى ، فجاء اليه فقير وطلب منه رزقاً ، فقال له : انتني في اليوم الثاني ، فلما جاء في اليوم الثاني أعطاه مالا ، فقال الفقير : لماذا لم تعطني بالامس ؟ وأخرتني الى هذا اليوم ؟ فقال الرجل : لأنني لم أكن أملك شيئاً ، فدعوت الله عزوجل أن يرزقني وأعطيتك اياه ، فتعجب الفقير من ذلك .. وقال لماذا لا أفعل ذلك .. وكذلك الشعب العراقي — اليوم — فهو يرى الانتصار العظيم للثورة الاسلامية في ايران بقيادته الحكيمة الرشيدة ، ولكنه لا يتساءل : أي القوى كانت تدعم هذه الثورة في البدء ؟

الامام الخميني (حفظه الله) حين بدأ حركته المباركة من قبل ، لم يعتمد على أية قوى مادية ، وانما اعتمد على الله عز وجل وتوكل عليه حسب ، ومن ثم على سواعد المؤمنين المخلصين .

« يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (٦٤ — الانفال)

فالله قادر على نصرك ، ولا تعجزه الوسائل ، ولكن استمطر هذا النصر بالعمل والجد والتحرك .

ان اعتقاد الانسان وشعوره بأن غيره من البشر هو الذي سينقذه و يعطيه ، هذا الاعتقاد والشعور سيمنعانه من تفجير طاقاته .. ويشلان المتبقي من القوة التي بحوزته .

وأمامنا نموذج جيد للتحرك والعمل هو المتعلق باعتقال المجاهدين الطالبين العراقيين ، فبعد أن عملت المخابرات العراقية والفرنسية عملاً بشعاً حاولت فيه استعراض عضلاتها واظهار جبروتها ، وسلمت هذين المجاهدين لطاغية العراق ، تحرك المجاهدون من جميع أنحاء العالم الاسلامي وخاصة في ايران ولبنان وبقية العواصم الاوروبية لانقاذهما ، واعتمدوا على الله عزوجل وعلى طاقاتهم ، وكادوا أن يسقطوا حكومة ميتران ، حتى ان بعض وزرائه قدموا استقالاتهم ، وبرزت مشكلة داخلية في فرنسا . بل ان حضارة الغرب ومدنيتهم الزائفة أصبحت اليوم في موضع تساؤل ، فاضطروا للضغط على عميلهم في بغداد صدام الذي استجاب وأعلن ما سماه بقرار العفو

عن هذين المجاهدين .

وحين تجد الحركة الاسلامية سواء في لبنان أم العراق أن جهودها وحركتها وعملها تؤثر في اسقاط حكومة ميتران الدولة الكبرى ، فانها تستطيع اسقاط حكومة صدام بحول الله وقوته .

ان ظاهرة التوكل على الغير ظاهرة غير ايمانية بل ان الله عزوجل اذا غضب على شخص — كما نعرف — فانه سيكلمه الى غيره ، ونستجير بالله من ذلك ، مهما كان ذلك الغير .

ومن هنا فعلى الحركة الاسلامية في العراق أن تتوكل على الله أولاً ، ومن ثم تتعاون مع الثورة الاسلامية في ايران .. ومع الثورة الاسلامية في كل مكان ، وتشق طريقها بالاعتماد على ذاتها وامكانياتها ، حتى لو كانت متواضعة .

« من اعترض بغير الله ذل » .

والحركة الاسلامية في العراق كفاها هذا الانتظار ، فمثل هذا الانتظار لا يزيد الشعب العراقي الا مأساة ودماراً .

على الحركة الاسلامية أن تبحث عن السبل الكفيلة لتفجير طاقات أبنائها وامكانياتهم الذاتية ، وتسعى الى توحيد صفوفها وتركيز العمل داخل أرضها المغتصبة ، حتى تقتلع صدام الذي دخل الى هذه الارض وسرق ماضيها وامتهن كرامة من فيها .

والحركة الاسلامية في العراق عليها أن تختار أصعب الطرق ، لانها ان اشغلت في البحث عن أسهلها ، فانها ستضيع الطريق الصحيح ، فهي كمثلكم رجل في صحراء يجده طريقاً معبداً ، فيسلكه وهو لا يدري الى أين المصير!؟

أما الشعب العراقي في الداخل فانه مدعو الى استعادة ثقته بنفسه وتوكله على ربه وتفاعله مع قيمه وقياداته الرسالية وحركاته الاسلامية ورسالته الخالدة ، ليبداً مسيرة التحرير .

تطوير التجربة

الثورة الاسلامية في ايران هي أم الثورات المنتصرة ، حيث انها انتصرت وأعطت

الامة الاسلامية الامل .. وأضاعت لهم طريق الثورة والجهاد ، ولكن هذا لا يعني انعدام الثقة بالذات ، وهو لا يعني الانبهار الى حد التواكل ، بل انه يرسخ فكرة ان الله عزوجل هو الذي أعطى هذه الثورة المباركة النصر ، ولذا فان الله عزوجل قادر على أن يعطي النصر للثورة الاسلامية في العراق وفي لبنان ولاية ثورة في العالم .

العراق الممتحن

بسم الله الرحمن الرحيم

«هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون * يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وانفقوا من رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها والله خير بما تعملون» .

(سورة المنافقون - ٧)

يعيش الانسان في هذه الحياة فترة محدودة تساوي الفترة التي يؤدي فيها الهدف من هذه الحياة ، والا لماذا جاء الانسان الى هذه الدنيا ؟ ولماذا يعيش في هذه الفترة المعينة له فيها فبعضهم يعيش ثلاثين عاماً ، بينما يربو عمر الآخر على مئة وثلاثين عاماً ! ؟ السبب في ذلك أن أحدهما يحقق الهدف من وجوده خلال ثلاثين عاماً ، بينما لا يحقق الآخر الهدف من حياته والحكمة من وجوده الا خلال مئة وثلاثين عاماً ، وفي ذلك يقول ربنا عز وجل : -

«أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً * وأنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً» .

(٧-٨ سورة الكهف)

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » .

(١-٢ سورة الانسان)

والهدف الذي يعيش الانسان من أجله في هذه السنين المحدودة والمحدودة من لحظة الولادة الى سكرة الموت هو تجربة ارادة الانسان وعقله ووعيه وعلمه ، ومتى تحقق هذا الهدف أغلق دفتر الانسان وانتهى كتابه ، وحينئذ يتساءل الملائكة مع بعضهم ، فيقول أحدهم للآخر: هل بقي لهذا الانسان رزق في هذه الدنيا ؟ فيقول الآخر: كلا ، فيتركونه للأجل ، لأن الله عزوجل وضع حول الانسان مجموعة عظيمة من الجنود والحراس حتى يحفظوه من أمر الله ، ولكنهم يتركونه اذا جاء أجله « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » .

(١١ - سورة الرعد)

وهذا ما تنطق به الأحاديث الشريفة حيث يقول الامام علي (ع) :

« كفى بالأجل حرزاً ، انه ليس أحد من الناس الا ومعه حفظة من الله يحفظونه ان لا يتردى في بئر ، ولا يقع عليه حائط ولا يصيبه سبع ، فاذا جاء أجله خلوا بينه وبين أجله » (١)

وهذا هو تفسير من يقع من شاهق فلا يموت ، بينما يتعثر بحجر صغير فيلقى حتفه ، كعامل وقع من مكان عال الا انه صادف لحظة وقوعه مرور سيارة محملة بالرمل فسقط فيها ولم يتأثر ، وهنأ أصحابه على السلامة من الموت المحتم ، ثم ذهب ليشتري لهم الحلويات والمرطبات لقاء سلامته ، وحين رجوعه دهسته سيارة وأردته صريعاً على الأرض ، فتفسير ذلك انه في الحالة الأولى كان برعاية ملائكة الله ، أما في الحالة الثانية تركته الملائكة واستلمه الأجل « والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب * ان كل نفس لما عليها حافظ » .

(١-٤ سورة الطارق)

مصر الطاغية المغرور

وفي هذه الحياة تبدو لي حقيقة واضحة كما أرى من التدبر في آيات عديدة من الذكر الحكيم — الا وهي ان قدرات الانسان وامكانياته للتحرك في هذه الدنيا تتحدد بمقدار حاجته الى الامتحان ، أي أن ذلك الرئيس أو هذا الملك ، وذلك العامل وهذا الفلاح وكل انسان يعيش في هذه الحياة يمتلك قدرة معينة وامكانيات محدودة حتى يجرب الله بها ارادته ، فمثلا الطاغية فرعون كان مغروراً بامكانياته وقدراته حتى انه أمر وزيره هامان ببناء صرح له ، وربما يكون هذا الصرح هو الاهرامات الموجودة في مصر حالياً ، وفي ذلك يقول رب العزة : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع على إله موسى واني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب » .

(سورة غافر ٣٦-٣٧)

ولما فشلت خطته التجأ الى حيلة أخرى حيث أمر أتباعه بأن يصنعوا له مهذاً ذي أربعة جوانب و يضعوا فوقه عوداً طويلاً عليه طعمة للعقبان الجائعة ، فحملت العقبان المهذ من زواياه الأربع باتجاه السماء حيث كان فرعون وهامان في المهد وصعدت بهما الى مكان عال إلا أن فرعون لم يحصل على طلبته ولم ير إله موسى ، فداخله شعور بالعجز والضعف لمقارعة نبي الله موسى (ع) ، ثم أعاد الكرة حتى يهزم موسى أمام المألأ بسحرته الكبار ، الا أن راعي الغنم وصاحب العصا تغلب عليه ، ثم كانت نهايته الغرق بعدما أمهله الله الى وقت أجله .

ومن هذه الحادثة نستخلص من آيات الذكر الحكيم ان الله سبحانه وتعالى ذا القوة والجبروت يأخذ الظالم والكافر في أشد لحظات الغرور التي تكتنفه ، فمثلا شاه ايران المقبور أخذه الله حين تكالبت دول العالم على تأييده ومساهمته سواء بالامداد العسكري بالأسلحة المتطورة والتي جعلت منه شرطي الشرق الأوسط لتفوقه التسليحي الهائل ، أم بالتأييد السياسي العالمي الذي أعطاه إياه رؤساء الدول ممثلاً في زيارة الرئيس الصيني الى طهران ليعطي الشاه قوة سياسية كبرى .

وفي تلك اللحظة حيث تركه الله لمدة أربعين عاماً يسرح ويمرح ويرتع في أرض

ايران و يأكل من خيراتها ومن ثم يحتفل بمرور ألفي عام على الامبراطورية الفارسية ، حينها يأمر الله عزوجل وريث عصا موسى الامام الخميني (قدس سره) باقتلاع هذه الجرثومة الشيطانية التي عاثت في الأرض فساداً .

ثم رحل الشاه من ايران ومع ذلك لاحقته أيادي المحرومين والضعفاء رغم ان دموعه نزلت على خديه من شدة الندم بعد أن كان ملكاً حيث أصبح مشرداً يلاحقه الحزبي في الدنيا قبل الآخرة ، بل وحتى في مستشفى المعادي المصري الذي لبث فيه حيث كان جالساً على سرير المرض واذا به يرى منشوراً ضده في مكان الجرائد كانت احدى المرضات قد وضعت له ، في تلك اللحظة أيضاً قام فرعاً وهو يقول .. ماذا يريدون مني ؟ هؤلاء وأشباههم عند من ينظر اليهم بمنظار القرآن والرسالة لا بد أن يملك نفسه حتى لا يموت ضحكاً واستهزاء بهؤلاء الذين تكبروا على ارادة الله واغرتوا بقوتهم المحدودة والآنية والمستمدة من قدرة الله عزوجل ، كمثل ماسك زمام العراق صدام الذي يزور موسكو هذه الأيام ، مع العلم ان هذه الزيارة تصادف ذكرى ما يسمى ببيعة الشعب العراقي لسيادة الرئيس ، مع ذلك يزور صدام موسكو لمبايعة الكفار والمشركين حتى يوحي للشعب العراقي بأنني لست ملككم حقاً وانما أنا صنم صغير ووكيل عن شبكة متداخلة من الاصنام الكبار المتمثلة في البيت الأبيض والكرملين .

انظروا الى هذا العبد الحقير الذي أعطاه الله القوة حتى يمتحنه بها كيف يستخدم قوته حيث يتعالى ويستكبر على ربه ، رغم ان ذلك ناتج عن مجموعة حكم الهية لامتحانه ولامتحان الشعب العراقي بوجوده على قيادتهم .

وفي ذلك يقول ربنا عزوجل : « هم الذين يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل » أي أن صدام يقول : لقد ذهبت الى الكرملين ورجعت مستنداً على قوة كبرى ، ألا وهي قوة الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة حيث يمداني بالسلح المتطور لتحصيل النصر على الجمهورية الاسلامية في ايران ، كما حصلت على جزء من تأييد المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة وغيرها من توابع الاستكبار العالمي .

ومن ثم يرجع صدام الى العراق حاملاً لواء البطولة والربوبية من أسياده الكبار ، فيأمر الشعب العراقي بصنع تماثيل في بيوتهم احتفاءً ببطل القادسية المغوار ، وبعرض

صورة في بيت كل مواطن تبركاً به ويحيط نفسه بهالة من الجنود المدربين تدريباً خاصاً خوفاً من عمليات المجاهدين ، لكن هذه الرئاسة لن تلبث أن تزول ، لأن الله عزوجل قال : —

« ولن تجد لسنة الله تبديلاً * ولن تجد لسنة الله تحويلاً » .

هذه الآية ونظائرها من الآيات تؤكد على هذه الحقيقة ، وهي ان الله سبحانه وتعالى انما أعطى العباد القوة والكفاءة لكي يتحنهم ويجربهم فمثلا شعراء العراق الآن يذهبون الى المربد ويحبرون أشعارهم وكلامهم المتناثر والغير أدبي الى زعيم الجاهلية صدام حيث يقولم أحدهم : —

جننا لتوضاً من نصر القادسية — وأي نصر هذا الذي يجري صدام وراء منقذ ينتشله من هذه الهزائم المريعة التي تلحق به آن بعد آن ، أو تلك المرأة التي تقول : — تزوجت مليون دجلة ومليون نخلة — فهل هذا كلام تنطق به مسلمة أمرت بالشرف والعفاف ؟ أم ماذا ؟

الجاهلية الحديثة

عندما أرى ذلك ترسم في مخيلتي الأسواق التي كانت في زمن الجاهلية حيث كان يحضرها مجموعة أناس ميتة ضمائرهم ضعيف ايمانهم ثم يتكلمون بكلام يبعث الغثيان في النفس وكأنما التاريخ يعيد نفسه في هذه الفترة .

وفي الواقع ان الجاهلية — ومع الأسف الشديد — لم تفضح حتى اليوم ، لأنه بعد انتصار الرسالة الالهية بجهود وقيادة رسولنا الأكرم محمد بن عبد الله (ص) عادت الجاهلية في ثورة مضادة وبثوب جديد ، لأن يزيد ومعاوية حاولوا اعادة الاعتبار الى الجاهلية كما حاولوا أن ينسونا كثيراً من سيئات ذلك العهد الذي يدعو الى التفكك الأسري والشذوذ على لسان امرؤ القيس أو طه حسين الذي جاء الغربيون لينفخوا في رفاتهم و يبينوا أنهم على شيء ، رغم انه لا شيء عندهم .

وحزب البعث يقوم في العراق بدوره ليعيد أنقاض الجاهلية البائدة بكل تفاصيلها وأبعادها ، وينسف الرسالة الالهية زاعماً بأن العروبة هي التي أنتجتتها . لذا فعلى كل مسلم أن يفهم الجاهلية من منظور بنت الرسالة الالهية وسيدة نساء

العالمين فاطمة الزهراء (ع) التي تحدثت كثيراً في خطبها عن طبائع الجاهلية التي مسحها نور الاسلام ، ومن هذه الجاهلية الحديثة نستشعر مدى صعوبة الاعمال التي قام بها رسول الله (ص) أزاء تلك الجاهلية .

كما ينبغي أن يعرف هؤلاء الضباط العراقيون المغرربهم في قادية صدام عمق المأساة والأكاذيب التي يعيشونها ، فالبيانات العراقية تتالى على الشعب العراقي مبشرة له بالنصر على الجمهورية الاسلامية في ايران ، الا ان هؤلاء الضباط هم أعرف بكذب هذه البيانات التي تختلق انتصارات وهمية وبدون تحديد حيث ان هذه البيانات تقول : — بأننا تقدمنا في منطقة ... وقتلنا ... في هذه المنطقة ، ماهذه اللعبة الاعلامية الزائفة التي يصنعها اعلام صدام ، أو مدينة خرج الذي يزر النظام العراق بتدميرها ، الا أننا نراه كل يوم يقصف خرج مجدداً ، مع العلم انه أعلن بأنه جعلها ركاماً !!! فياترى ماذا يقصف ؟ انه يقصف مرافق خرج كما يقول لأنه يعتقد بأنه سيضلل رجل الشارع ، وقد ينجح في ذلك ، الا أن الضابط الذي يربض في المعركة يعرف زيف ذلك ، وفي هذا المجال يقال ان رجلاً عسكرياً أمر بنقل ٥٠ جنازة الى خلف الصفوف ، وفي وقت رجوعه سمع البيانات العراقية بشأن هذه الحملة ، والبيان يقول : — ان قتلنا اثنان فنزل الجندي وخاطب القتولين بقوله : — فلينزل ٤٨ منكم لأنكم لستم في عداد القتلى !

ان كل هذه المآسي والمصائب انما هي امتحان للجميع ، فهي امتحان لذلك العالم الذي يواجه ضغوطاً هائلة لثنيه عن عزمه ، وهي امتحان للمجاهد الذي يجب أن يضع أمامه خريطة للانتصار ، لأن مجرد العمل بحكمة واجتهاد واخلاص وتوكل على الله وبالذعاء المستمر للنصر لا يكفي ، انما الذي يكفي هو وجود أساليب مناسبة للوصول الى النصر وليس للعمل بدون نصر .

يقول ربنا سبحانه وتعالى في آخر هذه الآيات التي توجنا بها الحديث « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » لأن المنافقين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، أما العمق فهم لا يغوصون اليه ، وهو الذي يتمثل في هذه الأيام باقبال مجاميع من الشباب العراقي الى الايمان ، متجاوزين بذلك مرحلة الايمان الانطوائي الذي يهدف

الى التخلص من مشكلات الدنيا فقط بينما الايمان الذي يتجه اليه الشباب العراقي اليوم يدفعهم للجهاد وبالتالي لتقوية الارادة ولشحن العزيمة حتى يكونوا في مستوى ذلك الانسان الذي يجتاز مسيرة ألف عام ليطبق الرسالة الالهية و ينبذ الأصنام الجاهلية المتمثلة في صدام وغيره من الاصنام المنصوبة .

خفايا الحرب العراقية - الايرانية (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥) وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِنْ تَكْفُرُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)]

صدق الله العلي العظيم

(العنكبوت / ١٠ - ٢٠)

لوتستى لأحد من المحليين التاريخيين ان يكتب عن طوفان وقع في زمان مضى على هذا الكوكب ، لما استطاع ان يهتدي الى الاسباب الخفية لهذا الطوفان ، والتي تلخص في تلك اليد الغيبية التي فجرت ينابيعاً ، وحولت السماء الى سيل منهمر. بل كان سيتحدث — ذلك المحلل — عن التجاذب الحاصل بين الأجرام ، أو عن انفصال القارات عن بعضها البعض ، أو عن انهيارات ارضية معينة سببت الطوفان .

ولكن حينما يحدثنا الله جل جلاله عن هذا الحدث التاريخي ، فانه يهدينا الى الاسباب الحقيقية له ، والتي تتمثل في كفر الخلق بربهم بالرغم من ارساله نذيراً فيهم يحذرهم عاقبة تمردهم وشركهم ، وبالرغم من مكوث النذير بين ظهرانيهم الف سنة الا حسين عاماً ، الا انهم استحقوا العذاب وباؤوا بغضب السماء فجاءهم الطوفان وانتهى كل شيء في غضون ايام .

ان هذه البصيرة القرآنية ليست فقط تهدينا الى العوامل الحقيقية للحوادث الكبرى التي برزت على وجه الأرض ، وانما هي تلخص — بالاضافة الى ذلك — عبرة تلك الحوادث بالشكل الذي يسنح للانسان الانتفاع منه في أي وقت .

البشرية تُلحد نفسها .. !

ان اكثر الناس اليوم لا يعلمون بان البشرية تسير بسرعة هائلة نحو ما هو اخطر من طوفان نوح ، وهي الحرب النووية الصاعقة التي لو اندلعت — والعياذ بالله — لابتلعت الارض بما فيها في أيام نحسات لا تُبقي ولا تذر .

فلقد دفعت البشرية الف مليار دولار من جهودها وتعبها في العام المنصرم ، وسخرته لنصع الاسلحة المدمرة الفتاكة . فصنعت لكل انسان واحد من المواد المبيدة والحارقة ما يكفي للقضاء عليه خمسة عشر الف مرة — غافلين عن ان الانسان اذ ما أُبدي مرة واحدة فانه لا يحتاج الى اعادة اخرى ! — ، ولكنها العقد النفسية المتراكمة وظلمات الكفر والجهود بالله والابتعاد عن سننه هي التي دفعت البشرية الى هذا المصير الفظيع .

الله سبحانه وتعالى — وبكل تأكيد — لا يحتاج الى استعمال اسلحة البشر اذا ما غضب عليهم وشاء تدميرهم ، فحسبه جلّ وعلا ان يأمر احد ملائكته الكرام ليهز الأرض ويزلزلها فاذا باهلها يموتون بغير سلاح أو تفجير . اذاً فالقضية الخطيرة تتعلق

بالمسيرة المنحرفة التي يقودها الانسان . فالبشرية ماهي الا سفينة تمخر عباب هذا الكوكب المتواضع المتناهي في الصغر وتجوب لججه ، وهو تافه جداً لوقيس بالمجرات العظيمة والعملاقة المحيطة به ، تلك المجرات التي يُكتشف المزيد منها في قلب هذا الفضاء الرحب بين الحين والآخر .

ان هذه السفينة البشرية تتعرض للخرق في اكثر من موقع وبصيرة القرآن تقف في مسير الانسانية المنحرفة لتهيب بالانسان ان قف وانتبه وانقذ مايمكن انقاذه قبل حلول البلاء !

دور الرسل في انقاذ الحضارات

بالتدبر في سور القرآن وبالذات في السور التالية (الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت) ، نجد ان الله سبحانه وتعالى غالباً ما يبعث رسله وانبياءه حين انهيار الحضارات وسقوطها ، وهي تتهاوى الى حضيض الكفر والضلال والظلم الاجتماعي والذاتي .

فقوم لوط — مثلاً — كانوا مستبصرين ولكنهم حينما انحرفوا بعث الله اليهم لوطاً لينذرهم قبل ان يهلكهم (رحمةً بهم) . فلوانه اهلكهم دونما انذار لقالوا : (لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك.) ، ولكنه قال عز من قائل :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً »^(١)

فحينما خالفوا النذير حق عليهم عذاب الله ...

« فحق عليها القول فدمرناها تدميراً »^(٢)

وكذلك فرعون حينما بعث الله سبحانه وتعالى اليه موسى بن عمران (ع) ، في الوقت الذي كان فيه فرعون بعيداً عن رسالات الله غافلاً عنها ، رافعاً عقيرته بادعاء الالهوية قائلاً .

« أنا ربكم الأعلى »^(٣)

(١) [الاسراء / ١٥] .

(٢) [الاسراء / ١٦] .

(٣) [النازعات / ٢٤] .

ففي تلك اللحظات التي قرر فيها الله هلاكه ، بعث اليه بالانذار على لسان النبي موسى (ع) ...

فالانذار الالهي والتأديب السماوي النازل على الامم المنحرفة والطغاة في الارض والسابق للقضاء الحاسم والذي يتمثل بدور الرسل ، يعود هذا الانذار وسبب ارساله لامرين :

الأمر الأول — اتماماً للحجة .

الأمر الثاني — انقاذاً للمستضعفين الذين ضاقوا ذرعاً بالطاغوت وفساده وأرادوا التخلص منه .

العذاب الالهي ينتقي المتخاذلين

ان العذاب ينزل على الأمم التي استحقت به وباعت به ، سواء كان ذلك العذاب في صورة الحمم التي تساقطت على قوم لوط ، أو اليم الذي أحاط بفرعون وجنوده ، أو الطوفان الذي افنى قوم نوح ، أو بصورة العذاب القائم بين الناس انفسهم فإله عزوجل يقول في محكم كتابه :

« قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت ارجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض »^(٤)

اي يجعلكم طوائف متناحرة ومتحاربة يهلك بعضهم بعضاً — وهو نوع آخر من العذاب فلو نزل هذا العذاب أو ذاك فانه لا يحق ولا يفتك الا بمن يستحق . فالعذاب بصير وليس اعمى ، فلا يلتف بالطيب والخبث معاً ، الا اذا شملهم جميعاً — وذلك في حالات خاصة — .

فلوان الله عذب اهل مصر جميعاً قبل ارساله الرسول ، لهلك فرعون وجنوده وبني اسرائيل معهم ، ولكننا نجد ان الله ارسل اليهم موسى (ع) فأمن به بنو اسرائيل الا بعضهم من الذين التفوا حول فرعون وهلكوا معه ، بعد ان نجا المؤمنون من العذاب باجتيازهم اليم وأغرق فرعون وملائه فيه .

وهكذا لو أراد الله أن يهلك قرية لوط لأهلكها جميعها بما فيها بيت لوط (ع) ، ولكنه

(٤) [الانعام / ٦٥] .

— جلّ وعلا — انقذ البيت المؤمن الوحيد فيها ومن ثم دمرها .

اذأ فكما انتقى العذاب الإلهي المتخاذلين الذين خذلوا دين الله ورسله وتخلّوا عن مسؤولياتهم ، فانه سيجرفنا معهم اذ ما تخلينا نحن أيضاً عن مسؤولياتنا ، وبعد ذلك لن يطول انتظارنا لاستقبال مصيرنا الاسود ، ولا يمكننا اتقاء هذا المصير الحالك المحقق بالبشرية الا بتحمل المسؤولية كاملة ، وبذلك ندرأ عن انفسنا العذاب الذي سيبتلع المتخاذلين من المنافقين والملحدين ، ذلك العذاب الذي قد يكون حرباً تبتلع هؤلاء وتذر المخلصين والصالحين ليعمروا الأرض ويملاؤها بالقسط والعدل .

الحِكم الإلهية في احداث العالم الاسلامي

ان ما يجري في العالم الاسلامي من احداث تكمن وراءه اكثر من حكمة الهية ، وهنا نستعرض الحكمتان التاليتان :

الحكمة الاولى — وتتلخص في الفتنة ، اي ابتلاء المؤمنين . فالجنة لا يهبها الله سبحانه وتعالى لعباده دونما ثمن فهو عزوجل لو اعطاك اياها وحباك بها دون سبب ، ولم يُعطيها الآخرين فان ذلك لا يمكن ان يُفسر آلا بنوع من الظلم — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — .

« وما ربك بظلام للعبيد » (٥)

ان ثمن الجنة لا يقتصر على النطق بالشهادتين ، وهي التي تحيطها العظمة والروعة ، وفيها الخلود في رضوان الله وضيافته وكرامته ، وهي دار انبياء الله ، فما دامت هي بتلك النعوت والصفات بل واكثر من ذلك فهي لا تُعطى بثمن بخس ...

وكما يقول الامام علي (ع) :

(هيهات ان يخدع الله عن جنته) .

فكفي نحور الجنة ونظفر بها علينا ان نقايضها بثمن ، والتمن هو ان نبيع انفسنا لله ، وندفع في سبيله ذواتنا ومصالحنا . فالله عزوجل يشتري ذلك كله جملة وليس بالمفرد ! ، وهو سبحانه وتعالى يريدنا كلنا لا جزءاً منا .

اما ان نعبد الله حيناً ونعبد غيره حيناً آخر فانه يقول :

(انا خير شريك ، من عمل لي ولغيري جعلت عمله كله لغيري !) .

فلو كانت ذرة واحدة من عمل الانسان رياءً فان عمله سيكون باطلاً فمثلاً في الصلاة لو كانت تكبيرة الاحرام في الصلاة رياءً وبقية الصلاة تقرب مطلق لله فان الصلاة كلها تبطل وتسجل على انها رياءً بجملتها . فالله كما اسلفنا يشتري المؤمن وكل ما يتعلق به ولا يرضى بغير ذلك ..

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » (٦)
اذأ فما علينا سوى ان نسعى لشراء الجنة بثمنها ...

البلاء تمحيص للمؤمنين

ان الامتحان الالهي هو الذي يعرّي نوايا الانسان و يكشف مدى رياءه أو صدقه في سعيه لكسب رضى الله . والقرآن يقول مؤكداً :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » .

فهؤلاء نفوسهم ضعيفة واراداتهم خائرة واهنة ، لذا نراهم يبحثون عن جنة بلا تعب ولا ثمن .

وهم اذا أؤذوا في سبيل الله — ونلاحظ ان القرآن هنا لم يقل عُذّبوا لأن العذاب الذي يصيب الانسان في الدنيا لا يقاس بعذاب النار في الآخرة . حتى ان الرسول الاكرم (ص) لا يعتبر العذاب الذي يصيب الانسان في هذه الدار الفانية عذاباً قياساً لعذاب الآخرة . فلقد كان (ص) في يوم من الايام متمدداً في المسجد الحرام حيثما قدم اليه احد اصحابه (وكان ذلك في ايام محنة المسلمين) فقال له :

(يارسول الله ، آوَلَا تدعو على هؤلاء القوم) .

اي انه طلب من الرسول ان يدعو على المشركين لما مارسوه من انواع التعذيب بحق المؤمنين .

ولكن رسول الله (ص) يجلس و ينظر الى ذلك الرجل شبه المغضب و يقول :

(ان من كان من قبلكم يُنشر بالمناشير ويقرض لحمه بالمقارض ..).

اي لا تطلبوا مني ان ادعو على قومي فالذين خلّوا من قبلكم تعرضوا لمصاعب اكبر وآلام اكثر .

فالرسول (ص) يقول ذلك بالرغم من علمه بالعذاب الشديد الذي كان يلاقه المؤمنون الاوائل ، الذين كانت توضع على صدورهم الحجارة الضخمة وتتمزق اجسادهم وتتناثر لحومهم على الرمال الحارقة وتحت سياط المشركين ، حتى ان النبي الاعظم (ص) ذاته قال عندما مرّ على عائلة ياسر وألفاهم يتجرعون غصص ذلك العذاب الشديد :

(صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة) .

اجل فان اصحاب النفوس الواهنة والعزائم المترنحة يذوبون تحت وطأة الأذى الذي يتعرضون اليه في هذه الدنيا ..

« فاذا اودى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » .

وفتنة الناس تتمثل في التهجير، السجن التعذيب والاعدام وغير ذلك من الاذى الذي ينتهي لاحالة وهو بالتأكيد ليس كعذاب الله الذي يدوم و يطول ويخلد .

ان الذين لا يصبرون ولا يثبتون عندما يؤذون في سبيل الله ، يبحثون دائماً عن الراحة والنصر والفتوحات والمكاسب ، ولا يبحثون عن الشهادة والألم والعذاب .

« ولئن جاء نصرٌ من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله باعلم بما في صدور

العالمين » .

والله سبحانه وتعالى يعلم بالطبع ما يكتنه هؤلاء في صدورهم بعد ان محصهم ببلائه .

« وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » .

فالفتنة اذاً مستمرة ، وتستمر حتى يُخرج كل واحد منا ما بقلبه ، فأما ان يكون مؤمناً أو ان يكون منافقاً — والعياذ بالله — .

الحكمة الثانية — ان ما يجري في عالمنا الاسلامي ما هو الا تهيئة العالم لعصر جديد ، أو على الاقل ايجاد البقية التي تنهى عن الفحشاء والفساد في الارض . فهذا الكوكب بحاجة الى من ينذر اهله .

فالرسالات السماوية قد حُتمت بالنبي الاكرم (ص) والأئمة (ع) استشهدوا

والتحقوا بالرفيق الاعلى ، وُعَيَّبَ عن العالم امامنا المهدي (عج) الامام الثاني عشر ليقوم بدوره المطلوب في ساعة محددة معلومة عند الله مجهولة عند البشر .
اذاً فلا بد ان تكون هنالك ثلة مؤمنة ومخلصة تنهى عن الفحشاء في الأرض .

الدور التصفوي للصراع الحضاري

ان المخاض العسير الذي تعيشه بلادنا من سجون ومعتقلات واعدامات وحروب ،
انما تكون نتيجة حكمة الهية تتمركز حول تصفية الانسان وبلورة ارادته .
فالخروب — على سبيل المثال — لا بد منها بالرغم من كونها مضحوبة بالولايات
والعقبات ولكنها ضرورية لتنقية ارادة الانسان وابتلائه وامتحانه وفتنته حتى يغدو
جوهره خالصاً رائعاً .

فكما ان الفتنة تستخدم في تخليص الذهب مما علق فيه من شوائب فانها ايضاً تصفي
الانسان المؤمن مما التصق به من رواسب العهود الماضية والتي أثرت في تربيته وافكاره
وثقافته واعماله .

— وقد يتساءل البعض : — الى متى يتعرض الفرد لهزات الفتنة وعمليات
التصفية ؟

والجواب يكون حتى يأذن الله .

فللحرب حكمة وللصراع الحضاري حكمة تنتهي متى ما تحققت اهدافها — لان
الامر بيد الله وحده — وحكمة الصراع الحضاري هي تصفية الانسان بعد امتحانه .

ارادة المتوكلين تعلق ارادة المستكبرين

تمر علينا هذه الايام الانتصارات المجيدة — والحمد لله — ولكننا نشهد اليوم
انتصارات من نوع جديد ، لم يشهد العالم لها مثيلاً خلال قرون — على الاقل بهذا
الحجم وهذه الصورة — فانتصارات المسلمين اليوم في جبهات القتال تتميز بتحققها في
عصر تقدمت فيه التكنولوجيا الى ارفع مستوى .

فال حرب اليوم ليست حرب السيوف والخنجر ، أو حرب المدفعية والبنادق ، انما هي
حرب المواد الكيماوية ، وحرب الالكترونيات ، حرب اشعة الليزر والقنابل

الانشطارية والفراغية والعنقودية ، حرب طائرات الميراج ألفين والتوبولوف ، فهي ليست حرباً هيّنة .

الحرب في هذا العصر ليست حرب الخنادق والجبهات فحسب وانما هي حرب الامة كلها .

انها حرب غير متكافئة في القوى المادية ، فهي بين من يحمل بيده احدث انواع الاسلحة ويدعي ملكية الارض ويلقب نفسه بالقوة الكبرى والعظمى ، وبين مجموعة مستضعفة مؤمنة صادقة مع ربها ، عاهدته على الاتضع السلاح ابداً .

وعندما تنتصر هذه المجموعة المستضعفة على تلك القوى الاستكبارية تتجلى لنا سنة الله وبصائر كتابه الكريم .

انها حرب عالمية ضد بلد واحد مستقل . وقد سمعنا قبل ايام كيف وضعت الولايات المتحدة الامريكية خرائط تفصيلية للمصادر الاقتصادية والموارد الحيوية في ايران تحت تصرف القوات البعثية في العراق ، وقد اعترف بذلك وزير خارجية النظام العقلي ببغداد .

وكذلك سمعنا تصريح مندوب الاتحاد السوفياتي الذي قال فيه بصراحة : اننا سندعم العراق ولن ندع الجمهورية الاسلامية ان تنتصر عليه !

ان امريكا وروسيا القوى العظمى في المنطقة — كما يزعمون — قد احتكروا تكنولوجيا العالم وامواله ، حتى ان الميزانية الامريكية قد بلغت لهذا العام الف مليار دولار اي ترليون دولار ، ميزانية لو وزعت على اهل الارض لاغنتهم . لقد احتكروا كل ذلك ولكنهم عجزوا عن مقاومة ارادة انسان مستضعف يتوكل على الله :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٧)

والحرب لا تكون بين اغماضة عين وانتباهتها ، ولعلها اذا كانت حرباً خاطفة كالتي اسقطت الشاه المقبور لقالوا فوجئنا بها .

ولكنها حرب خطوة فخطوة وشبر فشبر . فهم — اي المستكبرين — يأتمرون ليتآمرون ويخططون ليدعمون النظام بكل مايملكون ، ومع ذلك كله نجد ان النظام ينهار ، وفي ذلك

آية بيّنة وواضحة على ارادة الله سبحانه وتعالى ودعمه للمؤمنين .

مسؤوليتنا في الصراع

وبالرغم مما ذكرناه من الدعم الالهي لجنبه ، يبقى للحرب جانب آخر ، هذا الجانب هو اختبار الانسان .

فالاختبار لا يقتصر على اولئك الذين يخوضون الصراع بصورة مباشرة ، وانما يُختبر بالحرب كل انسان مسلم من اقصى الارض الى ادناها .
فلا يصح ان نقول ان للحرب رجالها ، فهي اليوم حرب كل انسان يوالي هذه الجهة ضد كل انسان يوالي تلك الجهة المعادية .

فالعمال في مصانعهم ، والفلاحون في حقولهم ، والعلماء في مختبراتهم ، والطلاب في جامعاتهم ، والحرفيين والكسبة في اسواقهم ، والعلماء في مراكز قيادتهم ، والمفكرون في كتبهم والاعلاميون في صحفهم ، والتجار بثرواتهم وارصدتهم ، وكل واحد منا جميعاً مسؤول عن العطاء والتقديم والا فان النهاية لن تكون في صالحه .
فحتى لو كانت النهاية في صالح الاسلام ، فان سنن الله لا تخطىء وقوانين الله قوانين واعية وبصيرة وليست عمياء كما يدعون ، لانها تسير وفق ارادة الله ، والله واسع العلم حكيم وخبير ومحيط بكل شيء .

ان الذي يؤمن بهذه الحرب و يعلم بان الجمهورية الاسلامية على حق ولا يساهم في هذه الحرب — وان كان فرداً واحداً — فانه لن يجني خيراتها ، وسيكون من الفاشلين في هذا الاختبار .

اني لا ادعو الاخوة في العالم الاسلامي ان يأتوا و يقتحموا غمار الحرب ، فلكل شيء قنوات يصب فيها وقوانين يسير وفقها ، انما ادعو كلاً منهم للقيام بدوره المطلوب منه .
فليس من الصحيح ان يتساقط اخوتنا على جبهات القتال بنيران المستكبرين ، ونحن نبذر ونتمرغ في خيرات الارض ونستفيد منها ولا نستفيد من خيرات الجهاد .
وليس من الصحيح ان يلتحقوا بركب الشهداء ويرتفعوا الى درجات الاصفياء بما بذلوه مخلصين في سبيل الله ، وان نعود نحن صفر اليدين لا نملك شيئاً من ثواب الآخرة ورضوان الله .

إذا فلا بد ان تقرع اجراس العمل الصادق في قلوبنا ، كلما قرعت اجراس الحملات الاسلامية ، ولا بد ان تجري دماء الانطلاق والاندفاع والحماس في عروقنا ، لانها فرصة ثمينة للعمل تأتي وربما لن تعود ، فهذه الحرب تنتهي لا محالة وكذلك هذه الحياة ، ولا يبقى للانسان سوى عمله الصالح الذي يؤديه عند اغتنامه لمثل هذه الفرصة ، وتبقى مسؤوليته التي حملها على عاتقه في خضم الصراع .

مؤتمر القمة الاسلامي واللعبة المملّة

ان المستكبرين اليوم يفعلون المستحيل من اجل اقناعنا بضرورة ايقاف هذه الحرب . وهم يحاولون بشتى الطرق والاساليب اظهار هذه الحرب التي فرضت على المسلمين في العراق وايران ، اظهارها وكأنها عملية ارهابية تقوم بها دولة معتدية على دولة مجاورة . وهم دائبين يجندون ابواق الشيطان ، ويصرفون المليارات من اجل تحريف اذهان العالم عن الحقيقة وصددها عنها ، وذلك بواسطة العملاء والمأجورين والسماسة . وآخر ما تداعوا اليه هو المؤتمر الاسلامي الذي كان ينبغي له ان يعقد من اجل الحد من الاعتداءات الصهيونية المتكررة على المسجد الاقصى ومنع هذه الدويلة الدخيلة عن حرق المسجد واهانة حرمة بعدما أشيع عن حرقه .

ولكن تحول هذا المؤتمر — وبقدرة قادر — الى لعبة جديدة بيد المستكبرين ، حيث اتفقوا على عقده في الكويت .

لقد كان بإمكان الكويت ان تصبح (سويسرا منطقة الخليج) أو لؤلؤتها حسب تعبيرهم ، وكان بإمكانها ان تبقى كدولة آمنة في هذه المنطقة المزدهمة بالازمات . الا ان تطرف بعض زعماءها وطموحاتهم التي تجاوزت حدود هذا الاقليم وحدود امكانيات هذا البلد ، وارتباطهم بخطط الاستكبار ، كل ذلك بدأ يورط هذا البلد الصغير والمتواضع بإمكانياته وارضه ووضع الجغرافي ، ويحوّله الى ريشة في أعاصير الازمات .

— فلماذا تتدخل الكويت في هذه الحرب القائمة بين العراق وايران ؟ ، ولماذا تدعم العراق بالاموال والاعلام المركز ، وتضع موانئها تحت تصرفه وتستثمر اراضيها لارهابيي نظام بغداد ؟

— وما الذي جسّته الكويت خلال السنوات السبع الماضية من لعبها بالنار، غير

الازمات الاقتصادية والاجتماعية التي انتهت بالغاء ما كان فيها من بقايا ديمقراطية ، عبر الغائها البرلمان ؟ ، وما الذي حصلت عليه سوى جملة من المشاكل التي بدأت ولم تنته ؟

بالتأكيد انها لم تحن شيئاً ، لان من يزرع الرياح ، لا يمكنه ان يحصد سوى العاصفة ، والذي يتدخل فيما لا يعنيه لا يسمع الا ما لا يرضيه . وبالرغم من ذلك كله تراهم يختارون هذا البلد المنحاز للباطل والغير آمن ، لعقد مؤتمر هدفه ايقاف هذه الحرب . فلو انهم اختاروا بغداد لعقده وتشكيله فيها لكان الامر سيان .

لان الكويت — وفي السنين السبع الماضية — انسجمت واتفقت سياستها مع سياسة العراق ، وهي اتسمت بذلك اكثر من اي دولة خليجية اخرى لطبيعة الجوار والميناء الحر ولاسباب اخرى .

الهدنة مع النظام العراقي تخلف وانحطاط

ان الجرائم التي ارتكبتها الطاغية صدام وزبانيته ، لو كان قد ارتكب واحدة منها لاستحق الف مرة ، فكيف به وقد اجترحها جميعاً مرة واحدة ؟ كيف به وقد هتك اعراضنا ، وقتل علماؤنا ، وعذب وشوه ومثل بخيرة شبابنا ، وهجر مئات الألوف من مواطنينا ؟

وكيف به وقد شن هذه الحرب المدمرة وفرضها ، وهي اول حرب في العصر الحديث تشتعل بين المسلمين بهذه السعة والحجم ؟

ومما ورد مؤخراً من العراق من جرائم هذا الطاغية الجديدة واحكامه التعسفية بحق هذا الشعب ، انه فرض درس الرياضة في الجامعات على ان تكون بملابس خاصة ومختلطة بين الجنسين ، ومن لا تشارك في هذه الدروس لثلاث مرات تُطرد من الجامعة . اذا فكيف يمكننا ان نهادن هذا النظام ونصطلح معه ونشد على يديه التي تقطر منها دماء الابرياء ؟

ان كل ما اصابنا و يصيبنا انما هو امتحان عسير لارادتنا وعزمنا ، واختبار لما ينبغي لنا القيام به .

المسؤولية = النصر = سقوط مارد الاستكبار

عندما تُوفي الرسول (ص) وقف اغلب المسلمين آنذاك مشدوهين لا يدرون ماذا يفعلون ، تنازلوا عن حقهم وغيروا مسيرة الأمة في ذلك الحين وفي تلك اللحظات الحساسة خاطبتهم فاطمة الزهراء (عليها السلام) وانذرتهم قائلة :

لقد تركتم اليوم ابا الحسن علي ابن ابي طالب (ع) لانه شديد في ذات الله ومنتقم اذ ما غصي الله ، ولانه اراد الحق . ولكن انتظروا النتائج فلن تجدوها سوى دمأ عبيطاً .
وحدث فعلاً ما قالته بضعة الرسول الامين (ص) ، فتوالت الحروب ، وتأخرت ، وتراجعت تلك الحضارة الاسلامية التي أُريد لها حمل البشرية الى حيث السعادة والرفاه العدل .

ومنشأ ذلك كله يعود الى عدم تحمل المسلمين مسؤولياتهم في تلك الحقبة الحرجة .
ونحن أيضاً ان تخلينا عن مسؤولياتنا ، فان الله لن يأذن لنا بالفتح ، وسنعص على اصابعنا من فرط الندم ، وما ينتظرنا من العواقب اخطر من هذا بكثير .
اما اذا قمنا بالمسؤولية على احسن واكمل وجه فان الله سيأذن بالنصر والفتح ، وستنمو عند ذلك قوة اسلامية جديدة وتتسع في هذه الارض .

وعندما يتحقق النصر — باذن الله — فان حدوده لن تقتصر على ارض الرافدين ، لان هذه الحرب ليست حرب العراق ضد الاسلام وحسب ، وانما هي حرب المستكبرين جميعاً .

فسقوط نظام بغداد يعني سقوط هيبة الاستكبار ، وسقوط الارادة المزيفة ، للاستكبار العالمي ، ومن ثم سقوط رؤوس كثيرة في هذا العالم يعقبه تحوّل عظيم .

ان مجرد صمود الجمهورية الاسلامية — الذي نلمسه ونعيشه — امام نظام بغداد لهذه الفترة كان كفيلاً لنمو وتنامي الحركة الاسلامية في مصر ولبنان وافغانستان . ولا ريب ان المسلمين وفي كل مكان يستلهمون من صمود أبناء الاسلام على جبهات القتال ، ويستوحون منها المزيد من التصدي للظالمين ، فكيف اذا سقط طاغية بغداد ؟ !

ولكن سقوط هذا الطاغية رهين بقيامنا جميعاً بواجباتنا ومسؤولياتنا ، ولن يتم الا بأداء هذا الواجب وحمل تلك المسؤولية باتقان واخلاص .

خفايا الحرب العراقية – الايرانية (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسنل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحوراً * قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مشبوراً * فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعاً * وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقيفاً * وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك إلا مبشراً ونذيراً» .

(الاسراء / ١٠١-١٠٥)

قامت قوات مدعومة من قبل الاستكبار العالمي بشن حرب عدوانية على الجمهورية الاسلامية . وتعتبر هذه الحرب من الحروب النادرة التي يذهب فيها المسلمون ضحية نزوات حاكم متعطش للدماء يحكم أرض الرافدين بالحديد وهو المأجور (صدام) .. ولم يتصور أحد بان هذه الحرب ستستمر حتى يومنا هذا ، حتى اولئك الضالعين في التمهيد لاندلاعها توقعوا انها لن تستمر اكثر من بضعة اشهر تنتهي لصالح عميلهم المأمون في المنطقة . اما الآن فانهم يرونها لن تنتهي إلا بسقوط هذا العميل وزمرته جميعاً .
الوجه الآخر للاستكبار:

هنالك الكثير من الاسئلة التي تدور في أذهاننا تبحث عن جواب مقنع ورد

صائب ..

فما الذي دعى النظام البعثي لشن هذه الحرب ؟ وما هي طبيعتها ؟ ، وكيف

نستطيع نحن المسلمين اليوم ان نكسبها أو كيف نتعامل معها ؟

من المعروف ان العالم تقاسمه قوى كبرى نصلح عليها نحن المسلمين استلهاماً

من بصائر القرآن الحكيم بـ (القوى الاستكبارية) . هذه القوى من ميزاتها ان تفرض

نظاماً على العالم يعتمد على شبكة اعلامية واسعة وعلى مؤسسات اقتصادية اخطبوطية وعلى قوة عسكرية رادعة بالاضافة الى مجموعة مؤسسات سياسية ليست لها اهمية تذكر إلا أنها تعتبر اليد الموقعة على مصالح الدول الكبرى ، كمجلس الامن مثلاً وحتى المؤسسات التابعة للأمم المتحدة .

هذا النظام العالمي الذي يحاول بشتى الوسائل اخفاء وجهه الكريه وذلك بخلق حجب سميكة مزخرفة من الدعايات المضللة ، هذا النظام هو المسؤول عن (٩٠%) أو اكثر من ويلات هذا العالم . وهو الذي يفرض على شعب مستضعف متواضع الامكانيات كالشعب الفيتنامي حرباً تكلفه حوالي مليوني انسان ، ناهيك عما دمرته تلك الحرب من الموارد الاقتصادية الغنية لهذا البلد المستضعف الفقير .

وهو الذي فرض حرباً اخرى على كمبوديا كانت غربية البداية شرقية النهاية ، وأعدمت من هذا الشعب مليوني انسان أيضاً . وحرباً جديدة على افغانستان التي قدمت لحد الآن مليون ضحية من الشهداء وملايين من المشردين ماعدا تدمير البلاد تدميراً يكاد يكون كاملاً .

وهذا النظام المصاص للدماء هو نفسه الذي فرض على الجزائر حرباً أنتهت بشهادة مليون مواطن جزائري . هذه الملايين البشرية التي سحقتها اقدام الاستعمار والاستكبار تمثل القوة الهامة والشريحة الفعالة للبشرية وهم الشباب ..

واليوم نجد كيف اشعل هذا النظام فتيل الحرب من جديد وفرضها علينا نحن المسلمين والتي كلفتنا بدورها مليوناً بين قتيل وشهيد وجريح واسير ولا يزال الحبل على الغارب .

هذا النظام العالمي لا يملك ضميراً لأنه اساساً نظام قائم على العلمانية المادية وهو وريث لمجموعة عصابات كانت فيما مضى تجوب الغابات حتى دخلت اوربا واستعمرتها واحتلتها واستقرت فيها بعد ذلك . ومن هناك انطلقت ثانية بعد ان أسست ما يسمى بالحضارة الاوربية انطلقت الى امريكا فالتهمت مسيرتها الدموية والتزمتها ، حيث طاردت سكان امريكا الاصليين من الهنود الحمر وقتلت الكثير منهم وأبادت مظاهر حياتهم ومواردهم ومساكنهم ..

ومن جانب آخر نراهم يطأون افريقيا باقدامهم و يدهسون فيها كرامة الانسان و حقوقه حتى البسيط منها فيستعبدون اصحاب الارض و يتاجرون بهم في اسواق النخاسة كرقيق مسلوب الارادة ، و يهدمون حضاراتهم كما هدموا حضارة (الانكا) في امريكا اللاتينية .

وبالتالي نجد ان هذا النظام السرطاني يقف في وجه التقدم الحضاري في آسيا كلها ، في الهند والصين وفي البلدان الاسلامية الآسيوية .

المستعمرات ترفد سباق التسلح :

نجد بعد كل هذا وذلك ان النظام العالمي نشأ لحمه ودمه بل وكيانه كله من الحرام ، من دماء المدافعين عن حياض الانسانية ومن رحيق اراضيهم المعطاة ، انه نظام مجبول على معصية الله واعائه الفساد في الارض ، ومثل هذا النظام لا يرحم .

ومن جهة اخرى نجد ان هذا النظام لا يمكنه التوقف عند حد ما لأنه نظام استكباري منهوم لا يشبع ..

ولأن طبيعة النظامين الغربي والشرقي هي طبيعة التسابق الدائم والهائل على التسلح ، فليس غريباً ان نرى هذه الانظمة ترفض التوقف عند حدها والاقتناع بما لديها من موارد ، ذلك لأن امريكا وروسيا لا يمكن ان تتوقف ابداً عن نهب الشعوب لأنهم أسسوا بنيانهم على أساس شراء الاسلحة واستعراضها على اجساد شعوب المستعمرات المنهكة والضعيفة .

ولقد بلغ مقدار ما يصرفونه على شراء الاسلحة وتصنيعها حوالي الف مليار دولار . وهما بذلك تصدران قائمة المتسابقين على التسلح .

والسؤال هو: من اين يأتي هؤلاء بهذه الاموال ؟

حينما شعرت امريكا بالعجز التجاري الذي رافق ميزانيتها حتى الآن حاولت تصدير هذا العجز اليها عبر التلاعب باسعار البترول ، حيث سحبوا فقط من عندنا مئة الف مليون دولار!

ومن جهة اخرى نجدهم تلاعبوا باسعار النقد الدولي ، أي انهم جعلوا الدولار ينخفض الى ثلثي قيمته ، أي لو افترضنا ان القيمة الحقيقية للدولار هي مائة سنت

اصبحت الآن قيمته الشرائية الحقيقية ستون سنت . وبذلك سرقوا اموالنا لأن اكثر الاموال النفطية موجودة في امريكا كإيداعات بنقد الدولار.. ونجدهم من جهة اخرى يشتررون منا البترول بدولاراتهم التي خفضوا قيمتها أي أن هذا الانخفاض في الخط البياني لسعر الدولار يعد برهاناً ودليلاً واضحاً على سرقتهم للأموالنا .

واما عن جنوب افريقيا فاننا نجد الامريكي (نكسون) وهو معلم (ريغان) والمفكر للحزب الحاكم في امريكا وهو الحزب الجمهوري الذي رشح ريغان للرئاسة نجد ان (نكسون) هذا هو الذي يرسم سياسات ريغان ، وعندما نقرأ مذكراته نتعرف عليه اكثر فاكثر فنكتشف ماهيته الفعلية الطاغية التي تحكم الولايات المتحدة .

(نكسون) يقول في مذكراته وبكل صراحة (باننا لا نستطيع التخلي عن جنوب افريقيا ، لأننا بتخلينا عن هذه أو عن زائرفان ذلك يعني تأثر صناعة الطائرات التي تعتمد على ما نستورده من مواد أولية من هذه الدول تأثرها تأثراً هاماً . وهذا يعني اننا سنتخلف بالتالي عن الاتحاد السوفيتي وهذا محال ان نرضى به . اذن لا بد أن نبقى في جنوب افريقيا وندعم النظام العنصري فيه بالرغم من معارضة الاغلبية السود هناك) .

وبتعبير آخر ان كل ما يجري اليوم في جنوب افريقيا من مذابح للسود ومن ممارسات جائرة ومجحفة بحق الاكثرية الساحقة من شعب هذا البلد الافريقي ، تقع المسؤولية المباشرة لكل ذلك على عاتق النظام الامريكي البغيض ..

ان العالم باجمعه يطمع في هذه الدولة الافريقية لما تتمتع به من الموارد الغنية من سائر انواع المعادن والذهب وما اشبه بما يستفيدون منه في صناعة الاسلحة وان كان ذلك رغماً عن الشعب الذي سحقت غالبيته من أجل مصالح الاستعمار ومآربه الخبيثة .

ولقد نقلت في الآونة الاخيرة احدى الصحف الاجنبية استفتاءً جرى في الولايات المتحدة الامريكية حول استخدام السلاح . فوجد ان (٧٧٪) من الامريكيين قالوا بضرورة استخدام السلاح ضد الدول التي تدعم الارهاب وبتعبير آخر ان هؤلاء الذين يشكلون نسبة الـ (٧٧٪) من الامريكيين يؤيدون سياسات ريغان العدوانية والدموية ..

الاستكبار وراء كل فتنة :

ان المظهر الاستكباري المتوحش تجلى ولا يزال يتجلى لنا في اضطهاد الشعوب وتدمير الحضارات .

فالغزو الاحمر في افغانستان لا تخفى نتائجه الرهيبة عن اي منا ، وكذلك ما يشكله الروس الملحدون من ضغوط على المسلمين القاطنين في الاتحاد السوفيتي ، حتى انهم يمنعون هؤلاء المسلمين عن ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية كالصلاة والصيام والحج . هذا هو الوجه الحقيقي الماكر للنظام العالمي ، فهو بمجرد ان يرى شعباً ثار وعمل على تغيير نظامه يحاول في البداية وبشتى الوسائل ان يقهره ما استطاع الى ذلك سبيلا .

فهو يحاول في البدء ترويض الشعب وتركيعة من قبيل الحصار الاقتصادي والتوجيه المركز لشبكاتهم الاعلامية الى ان ينتهي بشن الحرب على هذا الشعب ..

ففي السودان رأينا كيف امتص جعفر نميري عميل هذا النظام دم الشعب ، حتى ان بعض الدول العربية كانت تبعث بالناقلات محملة بالبتروال الى السودان فيعمل نظام نميري على ارسالها الى (نيوتردام) اي في السوق الحرة لبيع البتروال و يضم الارباح الطائلة من بيعه الى رصيده العريض في بنوك العالم .

ولقد ثار الشعب السوداني بوجه هذا العميل الامريكى وأزاله من الحكم بعد ما محاناه من ظلم وجور ومذابح .

ولم يقف نظام الولايات المتحدة الامريكية موقف المتفرج بل عمل على اشعال فتيل الحرب في جنوب السودان بعد ان اغرت (قرنق) المسيحي الذي يتصل بالدوائر الصليبية في العالم ، أغرته بمحاربة هذا الشعب المستضعف الذي كان قد انتهى حديثاً من طرد الاستعمار من أرضه .

ان الحرب المفروضة على الشعب السوداني هو شر لا بد منه ، إن سكت الشعب السوداني فان (قرنق) يضرب الطائرات المدنية ويمارس غير ذلك من الضغوط ، واذا حارب استهلكت هذه الحرب موارده الاقتصادية والبشرية .

والآن نجد ما يقارب المليونى انسان من الشعب السوداني يقبعون في الجنوب يعانون الجوع والهلاك ، وفي مقابل ذلك نرى ان العميل (قرنق) يرفض وصول طائرات الاغاثة

لهؤلاء الجائعين ، و يرفض حتى طائرات الامم المتحدة التي تحمل الطعام والدواء الى هؤلاء البشر الذين يتساقطون على الارض كل يوم كاوراق الخريف جوعاً ..
والشبكات الاعلامية لها دورها المخصص ايضاً ، حيث وقفت الى جانب الجنرال قرنق والصليبيين المتواجدين في جنوب السودان .

وكذلك نجد كيف سقى شعب ارتيريا ارضه بدماء شعبه ضد مستعمريه ولكنه لم يكسب شيئاً لان الشرق والغرب كانا متآمرين ضده .
وتأتى حرب الخليج كمؤشر جديد على الروح العدائية والجشعة لهذه الانظمة التي جيّرت صداماً لشنها ، فدعموه ووقفوا وراعه ، حتى يقال انهم دفعوا اليه ستين مليار دولار كهديّة .

وهم انفسهم الذين قطعوا الدعم عن الشعب اللبناني في ايام محنته وقبيل هجوم اسرائيل على الجنوب ، حتى ان بعض الدول في المنطقة قطعت معونتها الاقتصادية عن هذا الشعب .
ولكننا نرى كيف تحرك العرق الحاتمي فجأة فيهم واذا بهم يدفعون (٦٠) مليار دولار لنظام العراق الخائن .

فالدولة التي تحاول ان تخرج من اطار الخضوع للغرب والشرق لا يدفع لها حكام المنطقة كما دفعوا لنظام صدام المعتدي .

لماذا شنّ نمرود بغداد الحرب ؟

لقد حاول الاعلام المأجور بانواعه تبرير الهجوم والاعتداء البعثي على ايران على انه جاء نتيجة لاستفزاز ايران له وذلك بما اقدمت عليه من تحريك وتثوير الشعب ضده وبتوزيع المنشورات وما اشبهه في داخل العراق ! واعتبرت هذا الامر تدخلا غير جائز في الشؤون الداخلية للعراق !

ان هذه التبريرات السخيفة أطلقت من أجل تشويه ضمير الانسان ومسخ فطرته .. فترى هل يستوجب ان يطحن صدام بحر به هذه مليون انسان من اجل توزيع منشور أو ما يقال ضده كل يوم من احدى الاذاعات ؟

لقد تهيأ النظام الصدامي الغاصب لهذه الحرب منذ انتصار الثورة في ايران حيث

عمل على تسريب الاسلحة الى عربستان ووزعها في كردستان وبلوجستان وعمل على ايواء جميع العناصر المجرمة والمخربة في داخل العراق وهو لا يحسب كل ذلك تخريباً وتدخلا صريحاً في الشؤون الداخلية ليران .

ولقد طبعت وزارة الاعلام كتاباً ووزعته على الناس لتقول فيه ان الايرانيين هم الذين بدأوا بالحرب لانهم قاموا بسب النظام في اذاعتهم . والعدر أقبح من الذنب ! ان هذه الحرب العدوانية فرضت علينا ولم يفرضها شخص صدام لأنه أضعف واحقر من ان يقوم بذلك ، ولكن النظام الاستكباري العالمي هو الذي فرضها .

اذن وامام كل ما يحدث و يتخذ ضدنا من قرارات علينا ان نحارب حتى الرمق الاخير والا فاننا سنختار الاستسلام وسنفتح اذرعنا لاستقبال الاستعمار الطامع لينهب اموالنا ويستعبد شعبنا ويدنس ارضنا .

علينا ان نثور ونحرر لا ان نسلم قيادنا للكافر المغتصب . ينبغي ان نكفر بالطاغوت لنكون صادقين عندما نردد كل يوم شعار (لا إله إلا الله) ..

ولا يمكن للمسلم ان يركن لعبودية الدول الكبرى لأنه سيخرج آئذ عن دينه ويسلب رحمة الله .

عندما يعيد التاريخ نفسه :

بعض الناس يقولون بان هذه الحرب الطويلة قد أستنزفت الكثير منا ، فلماذا لانوقفها وخاصة بعد ان اعترف صدام بان اتفاقية الجزائر التي مزقتها سيقبلها وسيجعلها نافذة مرة اخرى ! ؟

لقد مزق صدام اتفاقية الجزائر امام الناس وعاد اليوم ليقول انه يقبل بها وبشروط اخرى أسوأ منها ، وبعض الناس ينادون بايقاف الحرب ، هذا الوضع يعود بنا الى عمق التاريخ ، عندما رفع معاوية المصاحف بعد ان جرت الدماء على الارض وبعد ان قتل من اصحاب رسول الله (ص) النفر الكثير كان منهم (عمار بن ياسر) ذلك الصحابي الجليل الذي كان اشبه بالنجم اللامع في سماء الامة الاسلامية ، وبعد ان قتل المرقال وآخرون .

بعد كل ذلك شعر معاوية بالهزيمة فرفع حينها المصاحف بالرغم من انه لا يعترف

بها !

ففي بداية حرب صفين ارسل الامام علي (ع) واحداً من الانصار وقال له احمل هذا القرآن الى اصحاب معاوية وضمن له الجنة ، فسأل الانصاري الامام (ع) : أليست الشهادة ؟ فاجابه الامام : بلى .

فحمل هذا الرجل المصحف وذهب به الى اصحاب معاوية يدعوهم الى تحكيم القرآن ولكنهم رشقوه بالسهم وقطعوا يديه وقتلوه واهانوا كتاب الله الذي بين يديه وكان ذلك بداية للحرب .

ولكننا نجد فيما بعد كيف ان معاوية نفسه رفع المصاحف وكيف رفض الامام ذلك وانشق جيشه الى مساند ومناويء وأبوا الا ان يقبلوا بما عرضه عليهم معاوية والذي كان نتيجه فيما بعد هزيمة المسلمين والحاق افدح الخسائر بهم .

وهكذا نرى ان التاريخ يعيد نفسه من جديد . فهذا هو صدام (معاوية اليوم) رفض في البداية اتفاقية الجزائر ومزقتها واعلن الحرب ، ولكنه الآن يعود اليها بما فيها أو حتى بشروط أسوأ منها يشترطها !! اللعين بقبولها .

ان المسلمين في عهد أمير المؤمنين (ع) أبدوا تعبهم وتضجرهم من الحرب ولذا تراجعوا وانتهى تراجعهم ذاك الى قصة الحكمين والنهروان ومن ثم غزوات واعتداءات معاوية على اطراف الكوفة ، بل وعلى البلاد الاسلامية كلها حيث قتل مالك الاشر ومحمد ابن ابي بكر واولاد عبيد الله ابن العباس في اليمن والى القضاء على الثورة الاسلامية في ذلك العهد وبعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) وغير ذلك من المآسي التي جرت على المسلمين حينها .

الائمة المعصومون (ع) انتهت حياتهم بالشهادة ولقد كانت البداية الفعلية لشهادتهم هي ما توالى من الويلات والمصائب منذ حرب صفين وخذلان بعض المسلمين للامام (ع) وعدم استقامتهم في الحرب .

فترى هل يمكن ان نركن الى امثال معاوية كصدام ونثق به بعد كل ما رأيناه من النفاق والغدر والظلم والفساد الذي يمارسه ؟

لقد كانت الدول الكبرى ولا زالت تقف وراء اندلاع الحرب ، و يتحفنا اعلامها في

الوقت نفسه بالكثير من الاسباب التافهة لاندلاعها .

لقد نقل الشهيد رجائي (رحمة الله عليه) حواراً حدث بينه وبين رئيس مجلس الامن ، حيث سأله الشهيد : ما الذي تقدمه وتفعله للشعوب وانت جالس هنا من موقعك في هذه البناية الفخمة ؟ فأجابه : دوري وعملي هو العمل على ايقاف الدول المعتدية عند حدها وننصر الدولة المعتدى عليها ، فسأله الشهيد ثانية : فلماذا اذن لم توقفوا العراق عند حده عندما اعتدى علينا ؟ ، فاجابه : ان هناك ظروفأً دولية وضغوطاً تمنعنا عن ذلك . فسأله مجدداً : كم عمرك ؟ ، فقال له : اثنان وخمسون ، فهنا قال له الشهيد : اذن فلقد ضيعت عمرك ، فلو كنت فلاحاً أو عاملاً في مصنع لكنت افضل بكثير مما انت عليه الآن ، ذلك لأن عملك هنا هو ايقاف الاعتداء في العالم ولكنك لم تعمل بوظيفتك هذه فوجودك يصبح آتئذ لا فائدة منه .

وهذه هي الحقيقة ، الحقيقة بان الدول الكبرى لم تدن صداماً في هذه الحرب بل ووقتت الى جانبه وساندته .

والشيء نفسه يفعل ازاء اعتداء اسرائيل على لبنان ، فتكتفي امريكا باعلان اسفها عن ذلك ، فهل يمكن بعد كل هذا ان نعتمد على امثال هذه الدول للحصول على أمننا واستقلالنا .

اما تصريح صدام بشأن قبول اتفاقية الجزائر لا يعدو سوى اكدوبة جديدة يحاول بعدها تضميد جروحه ليعود ثانية بهجوم جديد ويقول نريد حقنا في الارض ! ويصرح دون خجل باننا لن نوقف الحرب الا بعد اسقاط الحكومة الاسلامية في ايران .

دماؤنا هي الحل :

لا بد اليوم ان نستجيب للتحدي ، فنواجه ونحارب حتى اسقاط هذا النظام الباغى ببغداد وحتى ينتصر حكم الاسلام وترتفع رايته على ارض العراق .

اما اذا انتهجنا غير هذا السبيل فان دماء شهداءنا ستقف امامنا يوم القيامة وتحاسبنا وتساءلنا : لماذا لم نثار؟ فالنصر لا يتحقق بالاماني بل يجب ان ندفع ثمنه سلفاً . فاليوم ندفع الف شهيد ولكن غداً علينا ان ندفع الف شهيد ، وكلما اسرعنا في الوثوب الى صف مقاومة ومحاربة هذا النظام وعبأنا طاقاتنا كلما تم اسقاطه بثمان اقل وكلما

اقتربنا من النصر اكثر فاكثر .

فلو اننا تركنا هذا النظام يتسلح من جديد و يستوعب الاسلحة التي تنهال عليه يعني هذا تحول النظام الى اسرائيل ثانية .

ولقد اثبت لنا التاريخ كيف ان الحكام العرب اوقفوا الحرب مع اسرائيل وعملوا معها هدنة تسلحوا بعدها وحاربوا لكنهم لم يظفروا بشيء سوى اعطاء المزيد من الارض الى اسرائيل وهكذا !!

ان هذه الحرب في ايران لمفروضة ضد الثورة الاسلامية وعموم المسلمين هي كسفينة يجب ان يركبها الجميع واذا ما تعرضوا للخطر فيها عليهم ان يدافعوا و يدروا هذا الخطر والافسوف يغرق الجميع .

فقضية الحرب ليست قضية فنة أو قيادات سواء في العراق أو في ايران ، انما هي قضية جماهير ، كلما اسرعت هذه الجماهير في العطاء والبذل والتضحية .. كلما تهيأت فرص اكبر لانتهاة الحرب .

فراغنة الماضي والحاضر :

حينما يبين لنا الله سبحانه وتعالى قصة موسى (ع) وصراعه مع فرعون يقول :

« فأراد ان يستفزهم من الارض »

أي ان فرعون أراد ان يطرد بني اسرائيل من ارضهم ..

« فاغرقناه ومن معه جميعاً »

اي ان كيد فرعون انقلب عليه فغرق هو وجنوده .

« وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم

لفيها » .

وسنرى كيف ينقلب كيد صدام على نفسه وزمرته فيهلك و يكون الدين وحده لله وذلك بتوفيق منه للمجاهدين الذين نذروا أنفسهم لاسقاط هذا العرش الفرعوني وارساء حكومة التوحيد في بقاع الارض .

الاعلام العالمي وقضايانا

بسم الله الرحمن الرحيم

«وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون * ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون * وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين * ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين * ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم إنكم في العذاب مشتركون * أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان من في ضلال مبين * فأما نذهبن بذك فإننا منهم منقمون * أونرنك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون * فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم» .

صدق الله العلي العظيم

(٣١-٤٣ / سورة الزخرف)

حينما إحتج الكفار على أهلية الرسول للرسالة ، وقالوا بأنه يتيم الأبوين ، ولا يملك من الأموال والثروة ما تؤهله لقيادة العرب .. أنزل الله سبحانه وتعالى الآيات الأنفة الذكر ، لتؤكد أن الرب الجليل هو مقسم المعيشة بين العباد ، والثروة ليست مقياساً للحق والباطل ، أو المجد والعظمة ، وبالتالي فلا يحق لأي إنسان أن يقرر .. مهبط الرسالة .. وعلى من يجب أن تنزل أو يقترح على الله شيئاً في ذلك ، لأن الرسالة أعظم مجد

يحظى به الانسان .. وهي عطاء الله لخيرة عباده .

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .

أي على رجل عظيم من مكة والطائف ، كالوليد بن المغيرة ، أو شيخ من شيوخ قبيلة ثقيف كما جاء في التفاسير .

فأجابهم الله تعالى :

« أهم يقسمون رحمت ربك » .

فهل الثروة والمال والشهرة والرئاسة وما إلى ذلك هي بيد الانسان ؟

« نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات

ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » .

إن الدرجات التي يتفاوت بها الناس على بعضهم البعض — ما بين فقير وذو ثروة طائلة ، وأمير أو مأمور ، صحيح الجسم أو سقيم — ليس دليلاً على أن الله سبحانه وتعالى يفضل أحدهم على الآخر ، إنما هي تدبيرات الهية لتنظيم حياة البشر ، فيتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، أي يسخر البعض من البعض الآخرة بصورة أو بأخرى .

فلقد وزع ربنا المعادن — مثلاً — فوق الكوكب بصورة شبه متساوية ، فبعض المناطق تملك البترول ولا تملك اليورانيوم كالسعودية ، وبعضها يملك الفوسفات والزيوت كتونس ، وبعض آخر وهبه الله الأرض الخصبية كاليمن ، ومناطق أخرى تملك الصناعة كدول الغرب .. وكل ذلك ليحتاج الناس الى بعضهم وتتشابك مصالحهم ، فيتعاونوا في هذه الحياة الدنيا .

« ورحمت ربك خير مما يجمعون » .

إن رحمة الله ورسالاته وقيمته خير من حطام الدنيا الذي يتكالب عليه أبناء البشر .

« ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة

ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون » .

لولا إن الله سبحانه وتعالى يعلم بأن حيازة الكفار على مباحج الدنيا وزخارفها ، تؤثر

على الناس وتجمعهم في ملة الكفر .. لخصهم .. بهذه النعم الزائلة .

« وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا » .

« لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها

شربة من ماء» (١) الرسول الأعظم (ص) .

بينما الدار الآخرة التي تمتد ملايين السنين من ناحية العمق هي أفضل وأكثر إستمراراً .

الأنهار السلي قنطرة الضلال :

إن هذه الآيات توضح مسألة هامة ترتبط بقضية التقدم والتخلف .. فكثير من الناس حينما يرون تقدم التكنولوجيا والعلم ، وتكدس الثروة ، وتراكم الأماكن في الغرب ، ينبهرون و ينهارون أمامها .. وإذا بهم يقولون : ما دام الله سبحانه وتعالى قد أعطى اليابانيين هذه الأدمغة الممتازة ، التي صنعوا بها اختراعات الكترونية ، ومدناً علمية متقدمة يسكنها البشر بعد سنة الألفين .. ، وما دام الأمريكيون يملكون قوة هائلة ، فيبعثون بمركباتهم الفضائية الى الأقمار البعيدة ، وما دام الروس يملكون قوة عسكرية هائلة ، يستطيعون بها تدمير الكوكب الذي نعيش عليه .

إذن .. فدينهم هو الأفضل ، وأفكارهم هي الفضلى ، وأخلاقياتهم وسلوكياتهم هي المثلى . لذا لا بد أن نخضع للماركسية اللينينية ، والواقعية الأمريكية ، والديمقراطية الغربية ؟ !

إن هؤلاء نسوا التشريعات الالهية التي تقول : إن التقدم المادي ليس دليلاً على سلامة المذهب والخطة .. وذلك لسببين :

الأول : إن تقدم جماعة معينة ليس محكوماً بأرادتهم فقط فمع أن التقدم التكنولوجي لا يمكن تحقيقه لأية أمة ، إلا بشرط الإرادة والسعي ونحوه .. إلا أننا لا نستطيع أن نقول بوحدانية الإرادة فقط في ذلك .

فالشعب الهندي — مثلاً — لو لم يقع لسبب من الأسباب فريسة لمجموعة من العوامل الطبيعية والحضارية المختلفة ، لكان أكثر تقدماً من الشعب الأمريكي . إلا أن الأخير لتواجد بعض العوامل الخارجية والذاتية فيه ، ولتوافر الأماكن في الولايات

المتحدة الأمريكية ، وهجرة عقول الناس الى تلك المنطقة ، وإنعدام الضمير لدى المهاجرين الأوائل الى أمريكا^(٢) إستطاع القفز على الشعب الهندي . ولو توفرت تلك العوامل للأخير لكان التقدم من نصيبه .

وقد جاء في علم الحضارات : بأن شعوباً كانت أكثر ذكاءً وهمة وسعيًا وخلقاً فاضلاً وتعاوناً فيما بينهم . لكنها لم تتقدم لعدم اكتمال أسباب الحضارة عندها — مثل إنعدام الخصوبة في الأرض وما شابه — بينما كانت شعوب أخرى تتوفر لديها أسباب التقدم والثروة المدنية على طبق من فضة .

«أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم».

إن الشخص الذي يولد في بلد نفطي ، وتهياً له طرق المعيشة ، ويذرع بطائرته الخاصة عواصم العالم ، ثم يعتقد بأنه سوبرمان زمانه ، وينسى بأن الله تعالى هو الذي فجر في أرضه آباراً بترولية ، هذا الشخص لا يؤدي شكر هذه النعمة التي تستلزم تقدمه في بقية المجالات وإستثمار هذه النعمة لتقدم العالم الاسلامي وبقية شعوب الأرض ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما تجاوز عمله كراع بسيط لمجموعة من الغنيمات في صحراء قاحلة .

الثاني : ليس من الضروري أن يكون تقدم مجموعة ما خيراً وأفضل لها . فقدرتها على الوصول الى القمر ، وتمكنها من الحصول على آخر موديلات السيارات وما شابه قد لا يكون في صالحها بقدر ما هو ضرر لها . فقد تكون هذه الوسائل سبباً لدمار الانسان وضياعه ، ومعولا لابتعاده عن قيمه وذاته ، وبالتالي معبراً لفساد ضميره ووجدانه . فما قيمة إنسان بلا إنسانية ، وما قدر قشرة بالية تسمى بالبشر وهي ليست كذلك ؟

إن من ينسى الله سبحانه وتعالى ، ينسيه الله نفسه ، فيصبح كالأنعام يبحث في حياته عن سراب وخيالات ، إلى أن تنتهي فترة بقائه فيذهب الى بارئه صفر اليدين .. وكما في الآية المباركة .

«نسوا الله أناسهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون» .

(٢) إشارة الى عمليات الإبادة التي مورست بحق السكان الأوائل من الهنود الحمر.

وحيثما ينهر الانسان بأصحاب الثروات والمسيطرين على الماديات ، و يوجه جهده للدنيا وما فيها ، و ينسى ربه ، آتئذ تتهياً ذاته لضلالات الشيطان .. كما يقول تعالى :

« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » .

كلمة « عشى » و« يعشى » — بالفتح — تعني الخلل في بصر الانسان ، أما كلمة « عشى » و« يعش » — بالضم — فتعني تعامي الانسان ، فمع إن عينه سليمة إلا أنه محض إرادته يتعamy عن الرؤية .

فإذا فقد القلب ذكر الرب ، ونسي المنعم ، وإبتعد عن خالقه ، آتئذ يكون مجالا وميداناً لعمل الشيطان ، الذي يقارنه في الدنيا والآخرة .

« وإنهم ليصدونهم عن السبيل وحسبون أنهم مهتدون » .

بمعنى آخر .. إذا أراد الانسان الابتعاد عن آثار الاعلام والدعايات التضليلية ، فلا بد أن يكون قلبه متصلاً بذكر الله أبداً .

سقوط الادعاءات الاستكبارية :

نحن الآن واقعون تحت موجة هائلة من التضليل الاعلامي ، فينبغي ان نكون نبهين حتى لانقع ضحية الاعلام الاستكباري ، وذلك بواسطة الاتصال قليلاً بالله سبحانه وتعالى دائماً وأبداً ، لأن الشيطان يحدق بالانسان ، فبمجرد ان يبتعد الأخير عن ذكر الله و يغفل ، تأتيه الوسوس الشيطانية وتعشعش في خلدته وتبعده عن السبيل ، واخيراً توحى له بأنه على طريق الهدى ..

« وحسبون انهم مهتدون »

وفي هذه الأيام بإمكاننا التعرف على خبث الاعلام وطبيعة مكائده .. فقديماً كان اعداء الاسلام — الشرق والغرب — يشيعون قضية ضعف الاسلام ، فيقولون : بأنه قد انتهى ، وأنه لا يمكن أن ينظم مجتمعا ، أو يخلق واقعاً سياسياً ، كما لا يمكن ان يكون فاعلا في الساحة .

وعلى ضوء ذلك ، برزت في المجتمع الاسلامي تكتلات شرقية وغربية ، فالمتأثرون

بالاعلام الشرقي كانوا يبثون ادعاءات تنص على ان الأفكار الاسلامية إنما هي رجعية وتختلف ، ودعوا الناس الى الانتماء الى احزاب الكادحين والبروليتاريا .. لقدرتها على انقاذ العالم وتقدمه ، على غرار ما حدث في الاتحاد السوفياتي وباقي الدول الاشتراكية !! حسب ادعائهم .

أما المتأثرون بالاعلام الغربي فكانوا يوحون بأن الأفكار الاسلامية إنما هي افكار بالية !! قد ذهب وقتها .. وقالوا ان كان ولا بد فلنأخذ من الاسلام بعض الطقوس الأولية ، ثم نكون احراراً في اقتصادنا وتجارنا لنكون في مستوى العصر !!

ولكن بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران انهر المسلمون بتلك القوة الهائلة ، — وها هو شخص لا يملك سوى رذائه — تمكن بفضل الاسلام ان يحرك الملايين .. وها هو الاسلام يظهر بقوة وتقوم مبادئه بتنظيم مجتمع بأكمله في كل الوجوه .. وجاء ليعلن بذلك سقوط المناهج والادعاءات التي روج لها الاستكبار العالمي ..

الحرب مؤامرة استكبارية :

بعد ذلك فكر الآخرون في سلب بريق الثورة ، والتأكيد على افكارهم السابقة ، فأخذوا يضغطون على ايران بشتى الوسائل لأفشال هذه التجربة — لأن فيه سلباً للأمل من قلوب المسلمين ، وتكريساً لحالة اليأس والقنوط فيهم — . وكانت الطريقة الفضلى فرض الحرب على الجمهورية الاسلامية ، لتدمير اقتصادها وايقاف مسيرة التقدم في ربوعها ، وبالتالي يثبتون للعالم بأن أية دولة تبنى على اساس الاسلام يكون مصيرها الدمار والحروب .

وبعد ان دخلت قوات صدام حسين التكريتي في اراضي الجمهورية الاسلامية بدعم من الاستكبار العالمي ، اذا بأبواقهم تهلل وتستهل فرحاً ، وتطبل باجماد و بطولات نظام بغداد ، وتقول بأن سقوط نظام العلماء في ايران إنما هو مسألة وقت .

وقد كانت صحف الكويت في المقدمة .. حيث كانت تعد مقابلات صحفية مع قيادات النظام العراقي ، وتظهر الفرح لتقدم القوات المعتدية ، وتشتت من الجهة الأخرى بالقوات الايرانية .

ومع ان صيحات المظلومين تعالت في ايران بفعل العدوان على خرمشهر، وابداء سوسنكرد، وتصفية مدينة الحويزة، وتدمير الفي قرية، وقتل الألوف من المدنيين بفعل الطائرات المعادية، مع كل ذلك إلا أن الصمت قد غلب على اعلامهم، ولم تحرك جميع المنظمات الدولية ومنظمات حقوق الانسان ساكناً..

فاو: قشة قصمت ظهر البعير:

واستمرت الحرب الى هذه الأيام، حيث استطاعت القوات الاسلامية تحرير شبه جزيرة «الفاو»، وعبور حاجز مائي اهم من قناة السويس، واختراق تحصينات اعظم واقوى من تحصينات خط بارليف — الذي عبره الجيش المصري في حرب رمضان عام (١٩٧٣) — بالرغم من عدم تكافؤ المعدات العسكرية بين ايران والعراق بصورة اسوأ من انعدام التعادل في الاسلحة بين مصر واسرائيل آنذاك.

وبعد ان دخلت القوات الاسلامية الفاو، استطاعت ان تصمد، وتحبط قوة مئات الدبابات والاسلحة الالكترونية المتقدمة، بفضل اولئك المؤمنين الصادقين الذين تجاهلوا الدنيا وركضوا وراء العاقبة الحسنى وجنات الفردوس.

وبالرغم من كل ذلك، إلا أن شبكات الاعلام الغربية سكتت ولم تذكر قصة الهجوم الذي شنته القوات الاسلامية بعد سبع سنوات من الحرب والمحاصرة الاقتصادية، واكتفت بنقل الخبر بصورة تضليلية وقالت بـ «ان ايران تهدد الخليج» !! و«لابد للعالم ان يفكر في مصير العدوان الايراني الجديد على اراضي الآخرين» !! وذلك لأن مؤتمراً جرى في امريكا حول محاربة الثورة الاسلامية في ايران، ومن جملة بنوده قتل اخبار الثورة!

سخافات اعلامية:

لذا فان جميع اجهزة الاعلام لم تطلق على الهجوم الذي شنته القوات العراقية على المدن الايرانية — الأنفة الذكر — مسمى «العدوان»، إنما تحرير شبه جزيرة لا يقطنها احد، يعتبرونه عدواناً وتدخلوا في اراضي الآخرين.

وتمادياً في التعتيم والسخافة الاعلامية، قالت احدى الاذاعات غير العراقية، بأن

العراقيين استطاعوا التقدم باتجاه المواقع التي تحتلها القوات الاسلامية بمقدار كيلومتر واحد ، والتقدم بهذا المقدار يعني القفز الى الأمام بمقدار عشرات الكيلومترات ! ولكن حينما تقدمت القوات الاسلامية في نفس المنطقة ، لم تكن الحسابات تجري ضمن هذه المعادلة ، فلم يكن الكيلومتر الواحد يعادل عشرات الكيلومترات . ولكي يضلل الاعلام اذهان الناس و يبعدهم عن الحدث ، لا يقول بتقدم القوات الاسلامية و ببطولات الشباب المؤمن ، إنما يركز على جهود الوزراء والمسؤولين ، فيقول بأن وزير الاعلام العراقي في هذه الأيام يعمل ليل نهار . ولا يكشف عن حقيقة عمله الذي يحتم عليه التفكير طوال هذه الفترة بالكذب والوانه وصورة لتغطية الفشل الذي منيت به القوات البعثية .

و ياترى ماذا كان يعد لهذه الهزيمة .. ففي بداية الحرب كان يقول : « انسحابات تكتيكية » ثم اصبحت « انسحابات استراتيجية » واخيراً « انسحاب من ارض العدو لمصلحة السلم العالمي » .

والصنم الأكبر في بغداد كان يوصي امهات الايرانيين بأن يصبغن شعور اولادهم ، لأنه سوف يستخدم المواد الكيميائية السامة لكي يتراجعوا .. إلا أن العكس هو الذي تحقق والحمد لله .. وبرغم استخدام هذا الصنم للمواد الكيميائية .. ورميه لأطنان المتفجرات والقنابل على جنود الاسلام .. إلا أنه مني بالفشل وصمدت وتقدمت قوات الاسلام .

الدين يدعو للجهاد :

نحن لا نغني بالحرب ، ولا نريد إراقة دماء .. لأننا من اصحاب دين يقول : « لكل كبد حراء أجر » ، ويحترم حتى النملة .. كما اننا من اصحاب مذهب يقول : « الناس اثنان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » .. اننا نفتش عن كل مظلوم لننصره ، وعن كل مريض مستضعف ، وفقير محتاج ، لنساعده في حياته .

ولكن .. لأننا لا نريد اراقة الدماء وشقاء الانسان ، ولأننا لسنا من تجار الحروب ، إنما ننشد اطفاء نار الحروب في الأرض جميعاً .. لا بد ان نحارب ونستمر في الحرب ، لأن جرثومة الحرب والغدة السرطانية التي لا تزال تتوسع تتمثل في شخص صدام حسين

ونظامه ، وفي ذلك النظام الاستكباري الذي بنى بناءه على اساس الحرب ، وسمح لمجموعة من شذاذ الأرض المصابين بالعقد النفسية ان يدخلوا جنوب لبنان و يهدموا البيوت على رؤوس اصحابها ، ليفتشوا عن اثنين من جواسيسهم . ولا يتورع ريغان عن تأييدهم ، في الوقت الذي يصف فيه فتح شبه جزيرة « فاو » بالاعتداء !!

وباعتبار اننا نريد ان نقاوم نظاماً لا يزال يصنع الاسلحة الفتاكة لتدمير البشر ، لا بد ان نحارب ونسقط نظام صدام ، ولا بد ان تستمر قوى الاسلام في زحفها لأقتلاع جذور الفتنة ولتحتطيم اصنام لا تزال تقوم على اساس الشرك والتبعية والتخلف ، وتعميق الهوة بين القوى المعتدية والمستضعفين .

ان الذي يستشهد في المعركة ليس انساناً يقدر الدم ، انما هو انسان ملء قلبه حباً للانسانية ، وادرك بأن عدوها اللدود هو صدام حسين وجميع المستكبرين في الأرض الذين استخدموا شبكات اعلامية ضخمة لنشر اكاذيبهم وابطالهم .

ولكن كما للمستكبرين امكانات كهذه ، فأنا للمستضعفين اسالياً حكيمة في نشر انجازاتهم وافكارهم السليمة .

لذا لا بد ان يحول المؤمنون معركة « فاو » الى اشبه شيء بحرب بدر ، حيث تتحول الى بداية انتصارات متلاحقة ليس في الحرب فقط وإنما في نفوس المستضعفين جميعاً ، لكي ينتصر الأمل على اليأس في نفوسهم ، ويعتقد كل مسلم على وجه هذه الأرض — وخاصة الشعب العراقي الذي حاولت اجهزة صدام التضليلية انتزاع الأمل من قلبه — بأن الحق منتصر ، وأن نهار الانتصارات سيأتي وبعده سنين الويل والمأساة ، التي ادخل خلالها شعب بأكملة في أتون الحرب بقوة السلاح والتهديد لا لشيء .. إلا خدمة لقوى الاستكبار وتنفيذاً لأرادته في تدمير شعبيين مسلمين بامكانات المسلمين وثوراتهم !!

حرب الاسعار

بسم الله الرحمن الرحيم «

« واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا هم مر في آياتنا قل الله أسرع مكرًا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون * هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لان انجبتنا من هذه لنكونن من الشاكرين * فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون * انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها اناها امرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون * والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم .»

صدق الله العلي العظيم

(سورة يونس - ٢١ - ٢٥)

من الآيات الكريمة الآتفة الذكر نستوحي نظرة القرآن الى الدنيا وزينتها ، وبالتالي الى الاقتصاد ودوره في المجتمع الانساني ، فهو يلغي دور الثروة كعامل حاسم في حياة الانسان ، ويوجهنا الى أن نجعل القيم - وليس الثروة أو السلطة أو الشهرة - مقياساً لتحركنا وطريقاً لحركتنا .

ففي البدء يذكرنا بان رحمة الله حينما تشمل الناس ، تغيب عن وعيهم العلاقة بين هذه الرحمة والرب الرحمن ، اما حينما يسهم الضريمكرون ببعضهم في حدود قدرة الله وفي

اطار عزته وليس خارجاً عن سلطانه وهيمنته .

« ان رسلنا يكتبون ما تمكرون » .

ربما نستوحي من هذه الآية فكرة تفيد بان الانسان حينما تضيق به المذاهب وتنعدم عنه الحياة الفاضلة ، لا يحق له البحث عن طرق لا مشروعة كالغش والسرقة والخيانة للحصول على السعادة .. انما عليه اتباع السبل المشروعة لذلك .

«واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرًا» .

ثم تبين الآيات مدى علاقة الانسان بربه في اوقات الحرج والشدة ، مدللة على أن فطرة الانسان مكونة على أساس التوحيد .. فحينما يدخل الانسان في مأزق حياتي لا يجد له ملجأ الا الله سبحانه وتعالى . ولكن حينما ينتهي من الضيق يبحث عن البغي ، فيمتص فوائد الآخرين من دون استحقاق ، و يغش و يسرق ويحاول استبداد ثروة المجتمع علماً بان كل ذلك يعود بالضرر عليه .

« يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم » .

فلو اجتمع نفر من الناس على اكل طعام بعددهم ، وحاول كل واحد منهم أكل اكثر من نصيبه ، فلا شك ان صراعاً دائماً سينشب بينهم ، وسيبدلون من أجله مزيداً من الجهد لا يعود عليهم بمنفعة ، بل يذهب هباءً منثوراً ، — وربما تراق دماء لان الصراع لا ينتهي دائماً بسلام — .

ثم لو تصارعوا فهل ستزداد نسبة طعامهم ، بالطبع لا .. لان صراعهم انما كان على نسبة محدودة .

واخيراً لو تمكن احدهم من الفوز بنصيب الاسد ، وترك الباقي يتضورون جوعاً ..

فهل مجمل الموقف في منفعة الانسان؟!!

بينما لو صرف جهد كهذا في سبيل استثمار الارض واستصلاحها ، وفي التعاون البناء ، لحصل كل منهم على اضعاف مضاعفة من متطلبات الحياة السعيدة .

ان الصراع والظلم والتناوب ينتهي الى خسران الجميع ، كمثل مجموعة في سفينة ، اراد كل واحد منهم ثقب موضع صاحبه .. فلان النتيجة ستنتهي بغرقهم جميعاً .

« متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » .

ولو حصل الانسان على ثروات الآخريين ونعمهم فلن تبقى له ، كما لم تبقى لاحد من قبله من القياصرة والاكاسرة والملوك والاعنياء ، وسيعود الى الله ليجد النتائج الوخيمة هناك .

« انما مثل الحياة الدنيا كماء » .

اشبه بالحياة كدورة قد تكون كبيرة أو صغيرة ، والا صغرى هي دورة الماء الذي يهطل من السماء فتستقبله الارض ، ثم يتفاعل مع الاملاح وسائر المواد ، فيتحول الى زراعة يانعة ، ثم يأتيها الخريف فيشعل بساطها الأخضر عن آخره .

واذا تمحور الانسان حول القيم وانفصل عن زينة الحياة الدنيا الفانية .. فانه ينتهي الى دار السلام والصفاء والتعاون كما تقول الآية الأخيرة :

« والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » .

اقتران الحقل السياسي بالدين :

اننا نقرأ هذه الآيات لتنبصر بها قضية حرب الاسعار في البترول باعتبارها مسألة تهمننا ، فالثروات المتنازع عليها ملك لنا يحاول المستكبرون سرقتها وحرماننا منها ، لانها حياة لمجتمعنا ، ولقمة الخبز لاطفاننا ، وعز لمستقبل امتنا .

لذا ينبغي لنا التفكير في بداية الشيء وليس في نهايته ، فحينما نرى سيلا قادماً من جبل ، لا ننتظره يقدم الينا ويرمي بنا في واد سحيق ، انما نباشر باخذ الاحتياطات اللازمة ، كذلك بالنسبة للفكر فهو عين معنوية نتفادى بها عقبات المسيرة .

فحينما نجد خطر الفقر يهجم علينا من حرب الاسعار في البترول فعلينا ان ننتبه ، لا أن نتقاعس ونبرر ذلك بحجج واهية ، فانا عالم دين وتخصصي الفقه والاصول ولا ربط لي بهذه الامور السياسية ، فقد قال رسول الله (ص) :

(ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(١)

هذا من جهة ..

ومن جهة اخرى ان الاقتصاد جزء من هذه الحياة التي نعيشها :
(من لا معاش له لا معاد له) .

فمن الصعب على الانسان المحافظة على استقلاله وهو محتاج لغيره .
وقول القرآن :

« متاع الحياة الدنيا »

لا يعني ترك هذه المسائل باعتبارها فانية ، لان مراد القرآن منعنا من التمركز حول
زينة الحياة فقط اي السيطرة عليها وليس العكس . وهذا ما يعطينا القوة في الاقتصاد .
اذن اهتمام طالب العلم بالسياسة والاقتصاد يقارن اهتمامه بالعلوم الاخرى من فقه
وتاريخ وتدبر وما شابه ،
لانها جزء من حياته .

أحكام التبعية الاقتصادية منهج استعماري :

هناك عدة ملاحظات تتعلق بحرب الاسعار في البترول :

١ - تقدر القيمة الحقيقية في الاسواق لكل برميل واحد من النفط بـ (١٠٠) دولار،
لانه حينما يباع على الغرب بهذه القيمة ، يعيدونه الينا في صورة مصنوعات
ومنتوجات بقيمة سبعمائة (٧٠٠) دولار مع ان العملية الصناعية لا تكلفهم سبعة
أضعاف .

٢ - في بداية هذا القرن كان الغربيون يتعاونون البرميل الواحد منا بعدة سنتات
- قليل من القروش - ، حتى أنهم اشتروا كل النفط العراقي بقيمة خمسة ملايين
(٥٠٠٠/٠٠٠) دولار سنوياً منحة حق الارض ، حيث كانوا يستأجرون الارض بمبالغ
زهيدة ويشربون بتروها ، ولفترة سرقوا ثروتنا الغنية مما ضمن تراكم الثروة عندهم ،
لدرجة بلغ رأسمال شركة (اي بي ام) الف الف مليون دولار
(١٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠) .

ان الشقيقات السبع وهي الشركات الكبرى التي تسيطر على عملية استخراج وبيع
البترول تستفيد اضعافاً مضاعفة من اصحاب البترول .

وشركة (شل) تشتري البترول من الجزيرة - السعودية - بقيمة (٢٧) دولار للبرميل الواحد ، وتبيعه بعد ان يكون خاماً بقيمة (٥٠) دولار للدول الافريقية ، وللدول العربية بسبعمائة (٧٠٠) دولار في صورة دهن وبنزين للطائرات ومواد بتروكيماوية أو اسمدة .

ان جميع هؤلاء سرقوا ونهبوا وكونوا ثرواتهم على حساب شعوبنا ، ونحن لنا الحق في استعادة ثرواتنا الماضية ، لا أن نجلس وننظر لهم كيف يسحبون بساط الثروات من تحت ارجلنا ونعود كالشعب المصري الذي كانت مصانع (لاكشير) البريطانية تنتهب قطنه وتبيعه عليه في هيئة ثياب بارقام قياسية الى أن افلس من القطن ، فجاءته المواد البلاستيكية في الاسواق .

فجميع الشركات الاوروبية لديها طريقة في حساباتها في رأس السنة الميلادية ، وحين الجرد الحسابي تظهر لديها كميات زائدة ، تقوم بتوزيعها على المعدمين والمساكين في العالم .. وهي ذاتها التي تعطي لمصر باسم المعونات الاقتصادية من الدول الاوروبية .

وفي احدى السنوات ظلت كمية من الدواجن لدى احدى الشركات الاوروبية - تهتم بمسألة الثروة الحيوانية والدواجن خاصة - أكثر من المدة الطبية المقررة ، وكان من المفروض تحويلها الى اسمدة ، فقدمته الشركة الى الشعب المصري بواسطة الحكومة التي باعته على الناس بالكابونات .

ان شعوبنا هي التي ضيعت على نفسها نعم الله فامتصها الآخرون ، فالله سبحانه وتعالى اعطى للشعب في الجزيرة البترول ، وللشعب المصري نهر النيل وللشعب اليميني الاراضي الزراعية فضيعوها وامتصها الآخرون . لذا اذا استمر الوضع على هذا النمط فسوف يتحول الشعب في الجزيرة كالشعب المصري .

نقل لي خبير اقتصادي يعمل في بانك ألماني قوله : ان قيمة الارصدة التي يملكها الجزيريون - سواءً من الحكومة نفسها أو من الشعب في الولايات المتحدة الامريكية - تقدر بـ (٣٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠) دولار .

ولكن ما هو مصير هذه الملايين ؟

لاشك ان هذه المبالغ ليست مجمعة في البنوك ، انما هي اداة لانتاج صناعات امريكية ، ولو اردنا استرجاعها لوقفوا لنا بالمرصاد كما فعلوا مع ايران ، فهي تطلب الولايات المتحدة الامريكية بـ (١٠/٠٠٠/٠٥٠/٠٠٠) دولار ، الا ان الامريكيين جمدوا الارصدة بعد قضية السفارة الامريكية ، وبعد البحث الطويل اطلق سراح الجواسيس الامريكان على ان تعاد الارصدة للجمهورية فلم يسلموها كاملة .

لقد تحدث رئيس الوزراء في الجمهورية الاسلامية آنذاك عن محكمة لاهاي — اكثر اعضائها من الامريكيين — التي ناقشت قضية تبادل الارصدة بين الجمهورية وامريكا فقال : ان الشركة الامريكية كانت تدعي بملكها لسيارة في ايران وتثبت ذلك بوثائقها الكاذبة ، ثم تقيمها باضعاف مضاعفة اسناداً بوثائق كاذبة أيضاً .

وفي الفترة الاخيرة اعلن الامريكيون حالة طوارئ ضد ليبيا ، وعمدوا الى تجريد ارصدها لديهم ، وعقبوا على ذلك في جرائدهم بتصور خبيث زعموا فيه انهم الذين استخرجوا وانتجوا في الاراضي الليبية ، وبالتالي فالعائدات لهم وليس لليبيين .

كيف نحطم المؤامرة الاقتصادية :

قبل فترة جلس اعضاء الاوبيك مع بعضهم وقرروا الدخول في حرب اسعار بدون تخطيط مسبق لديهم ، وذلك بواسطة جواسيس وخدام السياسة الامريكية في هذه المنظمة .. فقد اتفقوا على زيادة الانتاج اليومي من (١٦) الى (١٨) مليون برميل . ثم دخل معهم البريطانيون — مقر امريكا — وبعض الدول المنتجة الاخرى غير الخاضعة لسياسات الاوبيك ، الى أن انخفض سعر البرميل الواحد — من قيمته الاسمية والحقيقية — الى ما بين (١٥) : (٢٠) دولار بعد ان كان (٤٠) دولاراً للقيمة الاولى — وقد ينزل الى (١٠) دولارات فقط .

ما هو الرد المطلوب ، وماذا ينبغي أن نفعل ؟

١ — ينبغي ان ندخل هذه الحرب بشجاعة ، فاذا كانت الاوبيك في مستوى المسؤولية ، فلا بد أن تستعد لمواجهة كل الاحتمالات . فان كان من الضروري تحطيم اقتصاد الدول المنتجة غير المشتركة في الاوبيك ، وذلك بزيادة الانتاج بصورة رهيبية ..

فلا بد من الاستعداد لذلك ، حتى لو توصل الامر الى خفض قيمة البرميل الى (٥) دولارات ، لتخضع بذلك دول بحر الشمال . ولوردت الدول الاخيرة بمضاغفة انتاجها وصدرت (٤٠) مليون برميل في اليوم الواحد^(٢) .. فاذا بإمكان دول الاوبك تصدير هذا المقدار .

والقضية لا تتوقف عند هذا الحد ، بل لها مردودات اخرى ، فاذا ازداد الفائض النفطي تفشل جميع سياسات تعويض البترول سواء بالذرة أو بالهواء أو بقوة الامواج أو الطاقة الشمسية ، وبالتالي ترجع امريكا والدول الاوروبية لهذه السياسة الشجاعة .

٢ — ان تمنع دول الاوبك او تقلل استيراداتها من الدول الغربية ، لان ذلك يفجر في اسواقها صراعاً قوياً في الاسعار بسبب البطالة والتضخم .

٣ — بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران جمع كارتر جميع الدول المستهلكة للبترول في مقابل الدول المنتجة وسماها بـ (منظمة المستهلكين) . لذا ينبغي لنا أيضاً أن ننشئ سوقاً اسلامية مشتركة للاستهلاك ، اي نصنع سوقاً مشتركاً للدول التي تستورد البضاعة ، ونعلن موقفاً موحداً لها .. فحينما نريد شراء سيارات — مثلاً — ، نعقد اتفاقاً لشراء مجموعة كاملة من السيارات لجميع الدول حسب المبلغ المعقول ، فان قبلت الدول البائعة به ولا انسحبنا جميعاً .

ان المقاطعة العربية للدول الغربية في (١٩٧٣) نجحت بالرغم من أنها كانت في حدود العرب ، وحرب ريغان ضدها الان والتماس كثير من الشركات وابتعادها عن (اسرائيل) من أجل العودة للتعامل مع العرب دليل على نجاح هذه المقاطعة . واذا وسعنا حدود المقاطعة ، وسحبنا جميع الارصدة الاسلامية الموجودة في امريكا والدول الغربية ، انئذ سترسخ هذه الدول وتعلن خضوعها للقانون الدولي .

بشكل عام .. نحن نملك اسلحة قوية في حرب الاسعار بإمكانها ان تلحق الهزيمة بالاجنبي .. لكن السؤال الخطير هنا : من يقرر دخول هذه الحرب ؟ .

ان حرباً مثل هذه تحتاج الى رجال اشداء ، ومنظمة الاوبك ينقصها مثل هؤلاء .. وقول الشاعر ينطبق تماماً على ذلك :

(٢) بلغت تكاليف استخراج برميل واحد من نפט بحر الشمال اكثر من (١٥) دولار .

اني لافتح عيني حين افتحها على كثيرين لكن لا ارى رجلا

لذا فلا يبقى لنا سوى طريق واحد ، وهو بعث الروح في الجمهور ، بحيث نجعله يراقب تصرفات الرؤساء ويقاومها .

واخيراً نعود للقرآن الكريم فهو يقول :

« يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم » .

ان حرب الاسعار وسائر الصراعات الحضارية سوف تجر على البشرية دماراً لا علاج له ، وكله بسبب اولئك العلماء والمفكرين الذين بدل أن يفكروا في مشاكل الشعوب — التضخم ، البطالة ، الامراض ، الفقر — وكيفية علاجها ، جنحوا نحو اهوائهم واطماعهم وسرقة ممتلكات الشعوب .

نحو مكتسبات اكثر للشعوب

بسم الله الرحمن الرحيم

«من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب * أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم * ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير * ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور»

صدق الله العلي العظيم

(الشورى / ٢٠-٢٣)

(١)

منهجية الحياة بين الرسالة والشهوات

يتباين منهج الإنسان الذي يؤمن باليوم الآخر عن الذي لا يؤمن به تبايناً كبيراً .. و يبدو هذا التباين واضحاً في مواقف الطرفين ونظراتهما وتحليلاتهما .. وبالتالي كل جوانب حياتهما .. فبينما تكون الدنيا في عقيدة الإنسان المؤمن بالأساس الالهي للكون جسراً الى الآخرة .. يراها ظاهراً ، و يتعمق منها إلى أغوار بعيدة ، كونه لا يعتمد على الظاهر فحسب .. بل يغوص في الاحداث ، ليعرف ما وراءها من سنن وحكم غائبة عن الواجهة . وبسبب هذه النظرة ترى سعي المؤمن موزع بين امرين : بين السعي لتحقيق القيم والاحسان الى الآخرين وإسعادهم بالخدمة المطلوبة ، وبين السعي لتنفيذ مصالحهم المشروعة .. وقد أكد القرآن الحكيم مشروعية سعي هذا الصنف و بقاءه وعدم

ذهابه سدى .. بل إن هذا السعي سوف يكسب مزيداً من النمو والانتشار .. حتى يوصل أصحابه الى نقطة ايفاء أجرهم وزيادة فضلهم يوم القيامة بشكل متضاعف ، في الوقت الذي يصاب فيه طالبوا الدنيا لوحدها بخيبة أمل في يوم القيامة ، إضافة الى انهم لا يحصلون من الدنيا بقدر تمنياتهم وشهواتهم .. كونهم يحصلون على جوانب ضئيلة من هذه الدنيا الفانية .

بينما من سعى إلى الآخرة وعمل لها .. فان الله يزيد من أجره ، ليس في يوم القيامة فحسب ، بل إنه يحصل على الدنيا في طريقه الى الآخرة والقرآن الحكيم يؤكد على ذلك بقوله :

« من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه » .

فعل رغم ان المؤمن يجهد في اخفاء عمله الصالح عن عيون الناس ، وفي تعميق العلاقة بينه وبين ربه .. على رغم ذلك فإن الله سبحانه وتعالى سوف يقيض له من ينشر إسمه وفوائده على نطاق واسع وفي سنين التاريخ مثل ذلك العبد الذي استسقى لأهل المدينة .

خرج أهل المدينة جميعاً ذات يوم للاستسقاء .. فدعوا الله طالبين منه استجابة دعائهم وانزال المطر ، فلم يستجب لهم ، كان رجل من الاخيار واقفاً ينظر الى حشودهم المتجمعة رافعة أيديها متضرعة بالدعاء الى الله .. متأكداً من أن لاستجابة الدعاء شروطاً من أهمها الأكل الحلال ، لأن من يأكل ولو قليلاً من الحرام ، فان دعاءه لا يستجاب لمدة اربعين يوماً .. وفي هذه الاثناء لاحظ عبداً اسوداً متهاكك البنية يعتزل الناس ، يسجد لربه ويتم بكلمات ، ما أن انتهى من كلامه حتى بدأت السحب تملأ السماء .. والفت ، على وشك الهطول .. فسارع الناس بالذهاب الى بيوتهم ، العبد الاسود بدوره ذهب بين جموع الناس .. والرجل الخير يلحظ الموقف بإدراك تام .. مما حدا به إلى اقتفاء أثر ذلك العبد .. الذي وصل أخيراً الى منزل الامام السجاد (ع) .. في اليوم الآخر ذهب الرجل الى بيت الامام طلب منه أن يشتري أحد عبيده — فاستعرض الامام العبيد — ولم ير الرجل ذلك العبد منهم ، فقال للأمام إءتني بالآخرين منهم — فقال الامام : لا يوجد سوى عبد طاعن في السن لا ينفعك .. فأجاب الرجل : دعني أراه .. فلما رآه

قال الرجل ، يا ابن رسول الله اني اطلب شراء هذا العبد على حالته تلك فتوسل العبد بالامام حتى لا يعطيه ذلك الرجل مؤكداً على ضعفه من خدمة السيد .. فقال الرجل ليس الأمر لذلك ، لأنني اريد أن أخدمك ، وليس العكس ، فتعجب العبد من ذلك ، وسأله عن سر ذلك ، رأيت عمك بالأمس في طلب الماء ولهذا فاني اريدك لأخدمك .. فقال العبد أمهلني سواد هذه الليلة لا تزود من إمامي .. فأعطاه الرجل المهلة على أن يأتي في اليوم الثاني .. بعدها توجه العبد الى السماء قائلاً : لقد انكشف السر الذي بيني وبينك .. ولذلك فاني لا أريد الحياة فاقبضني إليك .. وفعلاً في تلك الليلة جاءته الوفاة .

جاء الرجل في اليوم الثاني يسأل عن العبد .. فقالوا له : لقد حضرته الوفاة ليلاً . ومن هنا فان هذا العبد الذي تخرج من مدرسة العبيد التي رباها الامام زين العابدين (ع) الذي كان معروفاً بتربية (١٠٠٠) عبد خلال كل عام ، ومن ثم ييئهم ليتحولوا الى شخصية متكاملة في سبيل الله تهدي الجموع الضالة من الناس . في يوم القيامة يكون مثل هذه النماذج هم ملوك أهل الجنة .. وهناك روايات عديدة في تفسير الآية المتقدمة ..

« من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه » .

تؤكد على حصول الساعين في طريق الآخرة على الدنيا .. بينما من يسعى لذات الدنيا ، فانه لا يحصل إلا على قسم قليل منها ... ويعبر القرآن عن هذا القسم بقوله : « نؤته منها » لا كلها ، فهو يري الدنيا بأكملها ، يحصل على السلطة ، ويملك المال ويرتفع نجمه — ولكنه يموت في الاخير فقيراً معدماً — يخيب سعيه في الدنيا .. وهو في الآخرة من الأخسرين .

الشرك جذر الضلالات :

تتراوح أغلب الآيات القرآنية في التأكيد على جذر الانحراف البشري ومحاور الانحرافات والمفاسد الرئيسية .. ويلخص القرآن الحكيم جذر الضلالة في الشرك بالله سبحانه وتعالى .. ويؤكد على ذلك في الآية الكريمة :

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » .

في سياق حديث القرآن عن القيادة الرسالية وعن خلفيات الفساد في الارض .. يتطرق إلى الحديث عن المشركين .. وإن أصل الشرك هو التشريع بغير إذن الله ، وبناءً على هذا التعريف يكون كل من شرع ديناً أو سن قانوناً بعيداً عن المنهج الالهي أو السنة النبوية اعتبر مشركاً بالله .. حتى ولو لم يتلفظ بذلك قولاً .. بمعنى ان ادنى تجاوز من قبل شخص لتشريع الله .. يوصله الى درجة الشرك بالله .. وجزاء هذا الشرك يكون وبيلاً يوم القيامة ، يقول تعالى :

« ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم » .

ان هذا التعبير القرآني يتكرر كثيراً في ثنايا الآيات الكريمة ، للتذكير بأن الله تعالى ألزم نفسه بأن لا يعجل العذاب ، بل يمهلهم الى أجل محدود ، ولو لم تكن هذه الكلمة السابقة لصب عليهم العذاب صباً في كل موقع يستحق ذلك .. ولدى التدبر في سياق الآيات القرآنية نكتشف إن استخدام هذا التعبير يكون موازياً لكبر الجريمة التي تستحق الابدان والافناء .. بيد أن كلمة الله السابقة تمنع ذلك .. ولكن فرصة التأجيل هذه لا تعني تركهم إلى الابد .. بقدر ما يكون امهالاً لا اهمالاً .. وفي الوقت الموعود تنزل الارادة الالهية .. و يقول القرآن في ذلك :

« وإن الظالمين لهم عذاب أليم » .

ويتساءل كثير من المفسرين عن هذه الآية .. فما دام الحديث كان يجري في سياق المشركين والكافرين .. فلماذا أدخل مصطلح الظلم في هذه الآية .

تكمن الاجابة في معرفة أن كل تشريع مخالف لشريعة السماء يكون ظلماً بحق البشر، بمعنى آخر ان العدالة الحق لا يمكن أن تتحقق في الواقع البشري دون تشريع الله عزوجل .. لأنه ما من شك في أن تشريعات البشر تصطدم بعقبتين :

١ - ان خلق الانسان ممزوج بين العقل والعاطفة ، وعادة ما يكون أثر العاطفة والهوى غالباً على أثر العقل .. وهذا مما يجعل التشريعات الصادرة تميل نحو الأهواء الخاصة لا المصالح العامة .

٢ - مهما كان المشرع عالماً .. فإنه سوف يكون قاصراً عن المعرفة بكل لطائف الخلق ومكونات الانسان الطبيعية مع نوازهه ومعرفة مكونات الكون .. وهذه المعرفة

القاصرة تفضي على تشريع المشرع البشري نوعاً من الشرك والظلم .. وتسحب منه بساط العدالة .

ومن هنا يكون مصير الظلم العذاب الأليم .

« وان الظالمين لهم عذاب أليم * تزي الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع

بهم » .

سوف يجد الظالمون ظلمهم مجسداً في يوم القيامة ، مع التأكيد على أنهم سوف يجزون عليه في الدنيا ايضاً .. بينما يعيش المؤمنون في سعادة خالدة .. يؤكد القرآن على هذه الحالة بقوله :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم

ذلك هو الفضل الكبير » .

ان كلمة (ما يشاؤون) لها معنى كبير في عظم جزاء المؤمنين يوم القيامة ، خصوصاً وإن قدرة الله سبحانه وتعالى بين الكاف والنون من (كن) ، هذه القدرة التي لا يمتلكها غيره ، إذ هو الرحمان الرحيم الودود العطوف .. الذي يبشر عباده بنعيم الآخرة .. وتؤكد بعض الاحاديث الشريفة على أن في الجنة تمر سحب كثيرة على المؤمنين والصالحين تطر عليهم ما يريدون من نعيم وثواب مثل الحور العين وسائر جزاء العمل الصالح .. وكتأكيد على اعطائهم ما يشاؤون من الثواب ثم يقول القرآن الحكيم :

« ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه

أجراً إلا المودة في القربى » .

وراء هذه البشارة التي تسوقها الآيات الكريمة .. توصي الآيات اتباع الرسول الأكرم (ص) بتحقيق حالة المودة في القربى .. أي بحب أهل بيته الائمة الهداة والسادة الأخيار الذين يمثلون امتداداً لشريعة الله ولرسالة الرسول (ص) .

ثم تؤكد الآية التالية على أن أجر هذا الاتباع لا يعود على الرسول (ص) وحده ، بقدر ما يعود الى الناس أنفسهم ، لأن التفافهم حول الرافد العظيم من الرحمة الالهية وهم أهل البيت سوف يعطيهم المزيد من الرحمة والبركة .

« ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور » .

فعمل الانسان الصالح ، ينميه الله بالمزيد من الرحمة والبركة ، والحديث في تلك الآيات السابقة يتركز على المودة في القربى ، لأن كل رسالة لا بد أن تتمثل في شخص أمام ، تنطبق عليه واقعاً وسلوكاً ، فتصوغه حسب هذا المنهج .. ثم ينتقل الى مرحلة اخرى لصياغة المجتمع حسب المنهج الجديد ، بمعنى آخر ان هناك محورين تجاه الرسالة ، الاول يتمثل في محور الرسول وامتداده من الائمة الاطهار ومن يكون الاقرب لهم الامثل .. فالأمثل ، والمحور الآخر يتجلى في الشركاء الذين يشرعون قوانين من اهوائهم وشهواتهم دون الاعتماد على المنهج الالهي .. وهذا عادة ما يكون في أشخاص الطغاة .

(٢)

هل تنجح قمة (يالطا) جديدة ؟!

يتجسد محور الطغاة في واقعنا المعاصر في فرعونى الارض وقياصرتها ، ريغان وغور باتشوف اللذان يجتمعان في واشنطن ليقررا مصالح الاستكبار .. ونحن هنا نتساءل عن الذي خول هذين الشخصين بالجلوس في اجتماع واحد لتقرير مصير الارض حسب شريعة الاستكبار .. لا شريعة الله العادلة .

لقد جلس المستكبرون خلال الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٥ م) في مؤتمر (يالطا) لتقسيم العالم كيف يشاؤون .. ومنذ ذلك الوقت لم تنعم البشرية بساعة من هدوء .. كون تشريعات الطغاة لم تنطلق من نهج الله .. وتجاوزوا كبريائه في سبيل تحقيق مصالحهم .. وهاهم الآن يجتمعون في واشنطن لتكون نتائج اجتماعهم امتداداً لقمة يالطا في تقسيم العالم بين الكبار .. بيد أن التطور النوعي الذي حدث عند الشعوب المستضعفة كفيل بافشال المخططات الاستكبارية ، خصوصاً وان البشرية في عام (٤٥ م) لم تعرف هذا المخطط لسرية المؤتمر .. ولكن بعد أن أفضحت المؤامرة .. فكر المجتمع البشري في نفسه ، وبدأت روح الاستقلال والبحث عن الذات الاصيلة تنتشر في أوساط الانسانية المعذبة ، حتى ان استقلال الشعوب والمطالبة بحرياتهم منذ ذلك الوقت الى الآن كتبت بدمائهم الزاكية .. ولكن مع ذلك لم تصل هذه الشعوب الى شاطئ السعادة كاملاً .. مع التركيز على أنها تقدمت خطوات واسعة تجاه أهدافها

وطموحاتها ، وبدلت معادلة الكبار ، فقد كانت بريطانيا سابقاً — عبر رئيسها — قادرة على تقرير مصير العالم كله في لحظات معدودات ، ولكنها الآن لا تقدر على اعادة مثل هذه المعادلة في هذه الفترة بالذات ، بمعنى ان رؤوس الاستكبار الطاغية في الارض من ريغان الى غورباتشوف وتاتشر وميتران ، لا يتمكنوا من اللعب بمصير العالم ، لأن معادلات كثيرة تبدلت ، وهذا التبدل يفرض نفسه على علماء السياسة من جانب اعادة النظر في الرؤى والقوانين السياسية بما يتناسب مع المتغيرات الحديثة التي تميل لصالح الشعوب المستضعفة ، فمثلا نظرية اقتدار الدول الكبرى على الشعوب المستضعفة ، أصبحت معادلة لاغية في ظل التطورات الجديدة .. ولعل ما جرى في العلاقات الفرنسية الايرانية مؤخراً مثال واضح على ذلك .. إذ أنه يعتبر انتصاراً للجمهورية الاسلامية في ايران ولقوى الشعوب المستضعفة أمام الضوضاء والصراخ الذي أطلقه الفرنسيون في سماء الاعلام العالمي ، مما يدل عن ان الشعوب المستضعفة قادرة على ارغام سياسات الدول الكبرى على تحقيق المطالب الاسلامية العادلة .. وهذا مما يؤكد من جديد على ان الاوراق السياسية المتعددة التي تمتلكها الشعوب وقياداتها الثورية أكثر بكثير من نقاط القوة عند المستكبرين .. وهذا الفرق في المعادلة ، يمكن الشعوب من الضغط على ما يسمى بالدول الكبرى من خلال هذه الاوراق .. واكتساب هذه الاوراق لصالح الشعوب ، يدعو الاستكبار ايضاً الى شن حرب اعلامية واسعة على هذه المكتسبات ، من قبيل وصفها بالارهاب أو الابتزاز أو تجاوز الاعراف الدبلوماسية القائمة .. وهذا بدوره لا يهمننا في مواصلة مشاريعنا الثورية للوصول الى الاهداف المشروعة من خلال مخطط سليم لاستراتيجية حكيمة تبدل معادلة القوى الكبرى ، فمثلا حين دخلت أمريكا فيتنام بمسوح العسكر .. وتدخلت في ايران في عهد الشاه المقبور .. وحين دخلت لبنان بقواتها .

وحين دخلت الخليج بحجة فرض الامن فيه .. في هذه الخطوات فشلت أميركا وتناقصت هيبتها السياسية والعسكرية ، على رغم انها كانت طرفاً مهاب الجانب في الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٥ م) والقصة التي تذكر عن (ونستون تشرشل) رئيس الوزراء البريطاني تدل على ذلك .. إذ لما دخلت أميركا الحرب .. ذهب تشرشل الى

جزيرة نائية، في إجازة لثلاثة أسابيع للاستراحة، فلما سئل عن سبب اجازته في وقت اغارة الطائرات الالمانية على العاصمة لندن وفي زمن المحاصرة العسكرية، أجاب باطمئنان: لقد انتهت الحرب لصالحنا.. بسبب دخول أميركا في الحرب .. وفعلا حين دخل الجيش الاميركي البلاد الاوربية، فقاموا بعملية (نورمندي) وقدموا السلاح الى الاتحاد السوفيتي، بمساعدة اقتصادهم القوي آنئذ .. استطاعوا أن يغيروا مسار الحرب باتجاه الحلفاء ضد المحور، ولكن الفرق كبير بين ذلك الوقت والوقت الحاضر فالامريكيون لا يزالون يغانون نفسياً من هزيمتهم في فيتنام .. وهربون من شبح لبنان .. ويتسارعون في التخلص من أزمة كآزمة الرهائن الاميركيين في طهران .. وهم يترقبون بجد هزيمتهم في الخليج .. التي قد تكون أكثر إيلاماً وأشد قوة لسائر الالهانات والهزائم .

وكذلك بالنسبة للاتحاد السوفياتي الذي يختلف اختلافاً كبيراً عن وضعه أيام الثورة القيصرية، فهو يملك الآن الالوف من القنابل النووية .. ولكن رغم هذه القوة فهو يعاني من الضربات المتتالية .. ففي الداخل انتاب الشعب ملل واضح من الشيوعية والاشتراكية المزعومة .. ومع وجود الضغط والارهاب، يتحكم (١٢) مليون حزبياً منتمياً الى الحزب الشيوعي في نصف مليار انسان من خلال منظماتهم والدول التي تسير في فلحهم .. وتداعي هذا المبدأ الزائف فرض ظاهرة الانفتاح الجديدة التي يسير نحوها الاتحاد السوفياتي .. هذا بالنسبة للداخل، بينما في الخارج دخلت الجيوش العسكرية السوفياتية أراضي أفغانستان الفقيرة، فما كان من الشعب المسلم الذي لا يملك إلا الحجارة وبعض الاسلحة البدائية مقابل كل التكنولوجيا المتطورة .. إلا أن يواجهها بكل قوة، حتى أن الروس اليوم يبحثون عن طريقة مشرفة للخروج بها من أفغانستان وبأسرع وقت ممكن عبر تأسيس دولة وطنية محايده .

إن ذلك يؤكد على أن قرار فرض القوة الاستكبارية يعتبر لاغياً، أو لا أقل اتفاقاً ثنائياً لا يسفر عن شيء، باعتبار ان نقاط القوة الفعلية متوفرة بيد الشعب الايراني المسلم وسائر شعوب المنطقة، وهم بدورهم لا يقبلون بخطط الاستكبار الرامية الى اذلالهم واهانتهم وتضييع جهودهم خلال هذا التاريخ الطويل .

تهويل الحضارة .. بداية السقوط

إنني أستوحي من الآيات المتقدمة مع آيات أخرى بأن قدرة المستكبرين في الارض ليست حقيقية .. لأنها مجرد إثارة للهيبة والتخويف والتهويل ، وهناك قاعدة في علم الحضارات تقول : إن الدول والحضارات حين تصل الى حالة ايجاد بعض المظاهر الفخمة .. فان ذلك دليل على بداية الانحدار والسقوط لا التقدم ، فمثلا حين وصل فرعون الى طريق مسدود مع نبي الله موسى بن عمران .. أمر هامان ببناء صرح على الطين .. لأثارة هذا الجانب ، وهذا يدل على أن فرعون بدأ يعوض عن خوائه الداخلي بايجاد مظاهر فخمة خارجية لتهويل أمره بين الناس .. ولقد انتهج الشاه المقبور هذا الاسلوب ، فحين شعر بالرفض الواسع لسياسته في أوساط الشعب ، قام باجراء اعتقالات بمرور الذكرى الالفين عاماً عن الامبراطورية الايرانية .. وعمل له نصباً في أحد الشوارع ، لكن هذه الاحتفالات ذهب مفعولها .. وتحول نصب ذكرى الشاه الى نصب للحرية .

وكذلك صدام حين وصل الى طريق مسدود بسبب الضغط الجماهيري ، وضغط القوة العسكرية الاسلامية مع انهيار اقتصاده ، وتراجع الدول النفطية عن امداده بالمواد اللوجستية بسبب ضعف اقتصادها أيضاً .. شرع في ايجاد نصب تذكاري يضع صورته عليه ، وأخذ يتغنى بأبجاء نمروذ الذي هو جريمة مجسدة ولعنة مركزة في التاريخ .. وقام صدام بربط نفسه مع حضارة بابل .

وهكذا طبيعة الطغاة حين يفشلون في تطبيق ما يتمنون من الاهداف الشيطانية ، يلجأون الى بعض المظاهر الخلابه لخداع الناس .. ومثل هذه الحالة أيضاً موجودة في عالم حضارة الغرب .. حيث استنتج ان الاستكبار الغربي قد وصل الى نهايته .. والدليل على ذلك هو ان توجهه الى المظاهر أكثر بكثير من توجهه نحو القيم والمبادئ .. مثلاً المسرحية التي فبركوها حول تخفيض الاسلحة النووية في الوكالات الاعلامية بشكل ضخم .. ان ذلك لم يتمخص سوى الاتفاق على تدمير (٤%) من الترسانة النووية .. هذه الترسانة التي بإمكانها أن تعدم جنس الانسان فوق هذا الكوكب (٥٠٠) مرة .. وقال البعض (١٤٠٠) مرة .. دمروا هذا الجزء المتواضع فقط .. ولا يضمن أحد عدم

توجههم لصنع عشرات أضعاف ذلك خلال الثلاث سنين المقبلة .
 إن سباق التسلح الذي يتتبع خيرات البشر ومحرق ملايين الدولارات على هذا النوع
 بداية شاهد واضح على خواء الحضارة الحديثة وعلى خلفيتها الشركية التي أوصلت العالم
 الى طريق مسدود ، وجعلته تحت مظلة الرعب النووي المتبادل .. وأساساً ماذا ينفع صنع
 هذا النوع من السلاح المدمر .. مادام القتل حراماً في نظرهم أيضاً .. ثم يسعون في
 إكمال مشروع حرب النجوم المكلفة للغاية .. للحفاظ على أنفسهم .. أن صناعة هذه
 الاسلحة النووية المدمرة لهدف الحفاظ على شعوبهم مبررة عدم اتفاق الطرفين ..
 وبسبب الكبر الشيطاني الذي يمنعهم من الاتفاق .

ان الجاهلية الغربية قائمة على أساس التخويف والتهويل وإثارة الهيبة في نفوس
 الناس .. ولكي يتمكن من تحدي قمم المستكبرين ، لا بد من انتزاع الهيبة من نمورهم
 الورقية والاعلامية الفارغة ..

ومن هنا نجد القرآن الكريم يلهمنا الشجاعة والبطولة والصبر والصمود في محاربة
 الطغاة والآلهة والانداد المزيفة لفراغها الداخلي امام صمود الشخص الذي استوعب
 بصائر القرآن .. فمثلا تدمير مقر المارينز الاميركي في لبنان واحتجاز الرهائن
 الامريكيين في طهران يعتبر دليلا على امكانية القضاء على الهيبة الاستكبارية الكاذبة ..
 خصوصاً ان سلاح الايمان والتوكل على الله عزوجل يغيران في المعادلة القائمة الشيء
 الكثير لصالح الشعوب المستضعفة في تحطيم الصروح الاستكبارية .

الفهرس

٥	المقدمة
٧	التمهيد

الفصل الاول اسس العمل الاسلامي

١٣	الولاية والسلوك
٢١	توكل ايجابي
٣٣	التوحيد أساس الدين
٤٧	العقل دليل التوحيد
٥٧	معرفة الله أساس الدين
٦٩	نهر الغفران
٨١	نحو علاقة امثل مع المجتمع
٩١	الايان والتكامل (١)
١٠١	الايان والتكامل (٢)
١٠٩	قيادة منتصرة
١٢١	قيادة واعية متطورة
١٣٣	عزة ايمانية
١٤٣	ايان مستقر
١٥١	الرسالة اولاً
١٦٣	التعافي والتكاتف الاجتماعي

١٧١	الجهاد والدين
١٨١	القرآن والنهضة
١٩١	الدين المنتصر
١٩٩	ادراك السنن

الفصل الثاني شروط البناء المستقبلي

٢١١	اعداد متكامل
٢٢١	اصلاحات منهجية
٢٢٩	تحصيل القيم الحضارية
٢٣٩	ابعاد حضارية
٢٥١	المؤسسات الذاتية
٢٦١	تراث موجه
٢٦٩	اغتنام الفرص
٢٧٩	برامج رسالية في كل حال
٢٨٩	اعلام مبدع
٢٩٩	اعلام ناقد
٣٠٧	تطوير حضاري
٣١٧	النهضة بمنظور واقعي
٣٢٩	نهضات متتابعة
٣٣٩	نفوس حيوية
٣٤٧	ادوار ريادية
٣٥٥	قراءة للمستقبل
٣٦٧	نحو نظرة أعمق
٣٧٥	استقلال منهجي

الفصل الثالث قضايا اسلامية معاصرة

- ٣٨٩ _____ الاسلام وفلسطين
- ٣٩٧ _____ وصايا للانتفاضة
- ٤٠٧ _____ مشاريع صهيونية
- ٤١٩ _____ فلسطين .. مسؤولية شعبية
- ٤٢٧ _____ تونس .. نحو برنامج متطور
- ٤٣٩ _____ البحرين .. قضايا وتأملات
- ٤٤٧ _____ العراق نحو تطوير نوعي
- ٤٥٥ _____ العراق نحو دور أكبر للشعب
- ٤٦٥ _____ العراق الممتحن
- ٤٧٣ _____ خفايا الحرب العراقية-الايرائية (١)
- ٤٨٧ _____ خفايا الحرب العراقية-الايرائية (٢)
- ٤٩٩ _____ الاعلام العالمي وقضاياها
- ٥٠٩ _____ حرب الاسعار
- ٥١٥ _____ نحو مكتسبات أكثر للشعوب
- ٥٢٨ _____ المصادر

المصادر

- ١ - موسوعة بحار الانوار للعلامة المجلسي - اجزاء متفرقة ..
- ٢ - شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد .
- ٣ - أمالي الصدوق للشيخ الصدوق .
- ٤ - روضة الكافي للشيخ الكليني .
- ٥ - فروع الكافي للشيخ الكليني .
- ٦ - وسائل الشيعة للعلامة الحر العاملي .
- ٧ - مستدرك الوسائل .
- ٨ - تفسير نور الثقلين .
- ٩ - تفسير القمي لعلي بن ابراهيم .
- ١٠ - تفسير العياشي .
- ١١ - أمالي الطوسي للشيخ الطوسي .
- ١٢ - تسليمة الفؤاد للشيخ المفيد .
- ١٣ - معاني الاخبار .
- ١٤ - مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي .
- ١٥ - صحيح مسلم .
- ١٦ - غرر الحكم .
- ١٧ - كنز العمال .
- ١٨ - مجلة البصائر العدد الرابع .
- ١٩ - مجلة العالم العدد ٩ .
- ٢٠ - مجلة الموقف العربي العدد ٢٦٣ .
- ٢١ - مجلد نشرة «الحقائق» المختصة بالاحصائيات .





من هذا الكتاب

كتاب العمل الاسلامي الذي تحتضنه اياديك - عزيزي القارئ - هو عبارة عن رحلة شاملة في احداث الوطن الاسلامي، دامت أكثر من ست سنوات تقريباً... رحلة تتميز بالقاء نظرة متكاملة، محاطة بالامل، مشبعة بالتطوير والابداع، مهتمة بملاحقة الثغرات وتكميل المسيرة، وهي تناقش ذلك من زوايا متعددة، فهي من زاوية تنتقد المسيرة من الداخل سعياً وراء التطوير، وهي من زاوية أخرى تتميز بروح متفائلة لامتشائمة، تضع الاحداث في خاناتها الصحيحة بما يخدم الصالح العام.. ولا يخفى ان ربان هذه الرحلة هو سماحة آية الله السيد محمد تقي المدرسي الذي فادها بمزيد من العزم والتصميم.